

مجموع رسائل ابن محيي الدين

في التوحيد والعقيدة

تأليف:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الجوزي الشافعي

عَنْ اللَّهِ عَنَّا

المجلد الأول

فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد

رؤية المؤمن للبار في المحشر ودار القرار

المقالات المفيدة في التوحيد والفقه والأخلاق والعقيدة

مَجْمُوعُ رِيسَائِكَ

فِي التَّوْحِيدِ وَالْحَقَائِقِ

تأليف:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زبير الطنجري (الرشدي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلد الأول

فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد
رؤية المؤمنين للجبار في المحشر ودار القرار
المقالات المفيدة في التوحيد والفقه والأخلاق والعقيدة

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ

تأليف فضيلة الشيخ:

أبي محمد عبد الحميد بن نريد الجومري الثرعمري

فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد
والتحذير من الشرك والتنديد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله **صلى الله عليه وسلم**.
أما بعد:

فإن أشرف ما اعتنى به المسلم لهو دراسة كتاب الله **عزَّ وجلَّ** العظيم، وكلامه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، جعله الله **عزَّ وجلَّ** حبله المتين، وطريقه المستقيم الموصل إلى مرضاة رب العالمين، وإلى جنة النعيم، ومهما حاول المرء أن يأتي بوصفه لن يأتي ولن يقارب، بل هو عاجز عن الإتيان بمثل ما وصفه الله **عزَّ وجلَّ** به في نفس كتابه المبين وعلى لسان رسوله الكريم **صلى الله عليه وسلم**. فهو النور والروح والمبين والحكيم والكريم والهدى والحق والمهيمن على غيره والرحمة والشفاء وفضل الله العظيم وحبله المتين وطريقه المستقيم وهو آيات بينات وسور محكمات وتنزيل رب العالمين لا شك فيه ولا ريب، والاختلاف يصدق بعضه بعضاً، من تمسك به اهتدى، ومن أعرض عنه ضلَّ وغوى.

ولمَّا كانت منزلته عظيمة وصفته كريمة تنافس في خدمته العلماء بالتفسير والإيضاح لمعانيه ولا تسأل عن حفظه وتلاوته، فهذا سبيل السباق لدئ الخاص والعام من المسلمين.

فقد جعل الله أجوراً مضاعفة على ذلك، بل إن أهل القرآن: أهل الله، كما صحَّ عن رسولنا الكريم ونبينا الأمين حيث قال: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ**». أخرجه ابن ماجه (٢١٥)،



والنسائي في الكبرى (٨٠٣١)، عَنْ أَنَسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وهو مخرَج في «الصحیح المسند» للإمام الوادعي **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

وهو شافع لأهله، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، فَمَنْ جَعَلَهُ إِمَامًا قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ». صح عَنْ جَابِرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ». أخرجه مسلم عَنْ أَبِي أُمَامَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وكم في قراءته وتعلّمه وتعليمه من الفضائل والشمائل حتى قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». أخرجه البخاري (٥٠٢٧)، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وفي لفظ: قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». أخرجه البخاري (٥٠٢٨).

ونفع صاحبه المخلص في تعلمه وتعليمه متحقق بل يضاف إليه أمه وأبوه ومن علمه وأعانه. أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٧٦٤) وأبو بكر الدينوري في المجالسة (٢١٨٩) من طريق شريك، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ذَكَرَ الْقُرْآنَ وَصَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: «يُعْطَى الْمَلِكُ بِيَمِينِهِ، وَالْحُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ».

وجاء في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا الزُّهْرَاوَانِ، وَإِنَّهُمَا نُظْلَانِ صَاحِبُهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأُمَّهَاتِنِ أَوْ غِيَايَتِنِ، أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرِ صَوَافٍ،



وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَىٰ صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهُوَاجِرِ، وَأَسَهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمَلِكُ بِبَيْمِينِهِ، وَالْحُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوْمُ لَهَا الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ لِهَاتَيْنِ: بِأَخْذِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَقْرَأْ وَأَصْعِدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغَرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذَا كَانَ أَوْ تَرْتِيلاً». أخرجه الإمام أحمد بن حنبل **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «مسنده» (٢٢٩٥٠) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٤٥)، والدارمي في «سننه» (٣٤٣٤) وغيرهم، وهو حسن لغيره.

وَعَنْ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ». أخرجه البخاري (٤٩٧) واللفظ له، ومسلم (٧٩٨).

وعند أبي داود: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: أَقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مِنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا».

وصح عن عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وله حكم الرفع: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ». أخرجه الترمذي (٢٩١٠).

وفي الصحيح: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأَنْزُجَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ



الْقُرْآنَ مِثْلَ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمِثْلَ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ». أخرجه البخاري (٥٤٢٧)، ومسلم (٧٩٧).

والكلام على فضائله ومنزله كثير، ومن رام التوسع فيه يطول، ورحم الله الشوكاني إذ يقول: الحمد لله الذي جعل كتابه المبين كافيًا ببيان الأحكام شاملًا لما شرعها لعباده من الحلال والحرام مرجعًا للأعلام عند تفاوت الأفهام وتباين الأقدام وتخالف الكلام قاطعًا للخصام شافيًا للسقام مرهفًا للأوهام، فهو العروة الوثقى التي من تمسك بها فاز بدرك الحق القويم والجادة الواضحة التي من سلكها فقد هدى إلى الصراط المستقيم فأى عبارة تبلغ أدنى ما يستحقه كلام الحكيم من التعظيم وأي لفظ يقوم ببعض ما يليق به من التكريم والتفخيم، كلا والله إن بلاغات البلغاء المصاقع وفصاحات الفصحاء البواقع وإن طالت ذيولها وسالت سيولها واستنت بميادينها خيولها تتقاصر عن الوفاء بأوصافه وتتصاغر عن التشبث بأدنى أطرافه فيعود جيدها عنه عاطلاً وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً، فهو كلام من لا تحيط به العقول علمًا ولا تدرك كنهه الطباع البشرية فهماً فالاعتراف بالعجز عن القيام بما يستحقه من الأوصاف العظام أولى بالمقام وأوفق بما تقتضيه الحال من الإجلال والإعظام. مقدمة «فتح القدير» للشوكاني.

وفعلاً ماذا يقول إن أراد أن يقول، وقد علم أن فضل القرآن الذي هو كلام الله على الكلام كفضل قائله على الأنام، لكن بحسب المسلم أن يفهم معانيه ويتدبر آياته ومبانيه وأن يعرف أحكامه ويأخذ بحلاله ويبتعد عن حرامه إذ من عجيب أمره أن الله تكفل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩] حفظه الله تعالى لفظاً ومعنىً ونطقاً ورسماً، وأكرم الله به هذه الأمة أيما إكرام، فالحمد لله على الدوام.



وإني من زمن بعيد لأحب أن يكون لي في خدمته نصيب لعل الله تعالى أن ينفع به البعيد قبل القريب، فهو أنفوس ما تنافس المتنافسون في خدمته، وإني قد عزمت وأسأل الله العون والسداد والتوفيق والإمداد على الكتابة في هداية القرآن للتوحيد مع العلم أنه ينبغي معرفة مفردات الآية إذ يعلم المعنى العام بمعرفة المفردات.

قال الراغب في «مفردات القرآن»: إنَّ أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللب في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع. فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفرع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة. اهـ.

لكن عسى أن يبسر الله لي تفسيره بما يكون نافعاً، أما هنا فربما أقتصر على سوق الآيات مستشهداً ومدلاً بها على ما أذكرها في بابه، ثم ليعلم العباد أن الله عزَّ وجلَّ أنزل القرآن العظيم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة يونس: ٥٨].

حيث كان هذا الكتاب العظيم لما وصفه الله كتابه هدى فقال: ﴿الَّذِي هَدَىٰ ذَٰلِكَ

الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ١-٢].

قال ابن كثير **رحمة الله:** قوله: ﴿هُدًى﴾ صِفَةٌ لِلْقُرْآنِ، وَذَلِكَ أَبْلَغُ مِنْ كَوْنِ: ﴿فِيهِ

هُدًى﴾. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٦٢).



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد



ومصدقاً لغيره من الكتب قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿**الْم ١** **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ١** نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٢ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ٣﴾ [سورة آل عمران: ١-٤].

وكان مع تصديقه لها ناسخاً ومهيماً عليها، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ٤**﴾ [سورة المائدة: ٤٨]. أي: شاهداً وأميناً وحاكماً على كل كتاب قبله.

وأنزله للتذكير والإنذار، قَالَ تَعَالَى: ﴿**الْمَص ١** **كِتَابٌ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ٢**﴾ [سورة الأعراف: ٢-٤]. وهو كتاب حكيم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**الر ١** **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢**﴾ [سورة يونس: ١].

وهو المحكم المبين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**الر ١** **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وَتُمْ فَصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ٢**﴾ [سورة هود: ١]. أي: محكمة في لفظها مفصلة في معناها فهو كامل صورة ومعنى كما أثر عن السلف رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وهو كتاب بين مبين، قَالَ تَعَالَى: ﴿**الر ١** **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢**﴾ [سورة يوسف: ١]، وهو الواضح الجلي، الَّذِي يُفْصِحُ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْمُبْهَمَةِ وَيُفَسِّرُهَا وَيُبَيِّنُهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣**﴾ [يوسف: ٢]، وَذَلِكَ لِأَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَبْيَنُهَا وَأَوْسَعُهَا، وَأَكْثَرُهَا تَأْذِيَةً لِلْمَعَانِي الَّتِي تَقُومُ بِالنُّفُوسِ. قاله ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

وهو الكتاب الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**الْم ١** **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**



الْحَقِّ ﴿الرعد:١﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ﴿الحديد:١٦﴾.

وهو الكتاب الذي أخرج الله **عَزَّوَجَلَّ** به الناس من الظلمات إلى النور لقوة حجته وبيانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿الرُّكْتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿إبراهيم:١﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ ﴿النساء:١٧٤﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿الإسراء:٨٢﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿يونس:٥٧﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يَقُولُ تَعَالَى مُمْتَنًا عَلَى خَلْقِهِ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْءَانِ الْعَظِيمِ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أَي: زَاجِرٌ عَنِ الْفَوَاحِشِ، ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أَي: مِنَ الشُّبْهِ وَالشُّكُوكِ، وَهُوَ إِزَالَةُ مَا فِيهَا مِنْ رِجْسٍ وَدَنَسٍ، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أَي: مُحَصَّلٌ لَهَا الْهِدَايَةُ وَالرَّحْمَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَالْمُصَدِّقِينَ الْمُوقِنِينَ بِمَا فِيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿الإسراء:٨٢﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿فصلت:٤٤﴾. اهـ.

«تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٢٧٤).

وقال القاضي أبو المعالي عزيبي بن عبد الملك رحمه الله: اعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الْقُرْءَانَ بِخَمْسَةِ وَخَمْسِينَ اسْمًا:

سَمَّاهُ كِتَابًا فَقَالَ: ﴿حَمٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝﴾



- وَسَمَاهُ قُرْآنًا فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ الآية.
- وَسَمَاهُ كَلَامًا فَقَالَ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾.
- وَسَمَاهُ نُورًا فَقَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾.
- وسماه هدى فقال: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.
- وَسَمَاهُ رَحْمَةً فَقَالَ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾.
- وَسَمَاهُ فُرْقَانًا فَقَالَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ الآية.
- وَسَمَاهُ شِفَاءً فَقَالَ: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾.
- وَسَمَاهُ مَوْعِظَةً فَقَالَ: ﴿قَدْ جَاءَ نَصْرُكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.
- وَسَمَاهُ ذِكْرًا فَقَالَ: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾.
- وسماه كريماً فقال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾.
- وَسَمَاهُ عَلِيًّا فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.
- وسماه حكمةً فقال: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التُّذُرُ﴾.
- وَسَمَاهُ حَكِيمًا فَقَالَ: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.
- وَسَمَاهُ مُهَيِّمًا فَقَالَ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾.
- وَسَمَاهُ مُبَارَكًا فَقَالَ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ الآية.
- وَسَمَاهُ حَبْلًا فَقَالَ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾.
- وَسَمَاهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فَقَالَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.
- وَسَمَاهُ الْقِيَمَ فَقَالَ: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾.
- وسماه فصلاً فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾.
- وَسَمَاهُ نَبَأً عَظِيمًا فَقَالَ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾.
- وَسَمَاهُ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ فَقَالَ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ الآية.



- وَسَمَّاهُ تَنْزِيلًا فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- وَسَمَّاهُ رُوحًا فَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾.
- وسماه وحياً فقال: ﴿إِنَّمَا أَنْزَرْنَاكُمْ بِالْوَحْيِ﴾.
- وَسَمَّاهُ الْمَثَانِي فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾.
- وسماه عربياً فقال: ﴿فَرَعْنَا نَا عَرَبِيًّا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ.
- وَسَمَّاهُ قَوْلًا فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾.
- وسماه بصائر فقال: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾.
- وسماه بياناً فقال: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾.
- وسماه علماً فقال: ﴿وَلِيِّنِ أَنْبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.
- وَسَمَّاهُ حَقًّا فَقَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾.
- وَسَمَّاهُ الْهَادِي فَقَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾.
- وسماه عجباً فقال: ﴿فَرَعْنَا نَا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾.
- وسماه تذكرةً فقال: ﴿وَاللَّهُ لَتَذَكُّرُهُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.
- وَسَمَّاهُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى فَقَالَ: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.
- وسماه متشابهاً فقال: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾.
- وسماه صدقاً فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ أي بالقرآن.
- وسماه عدلاً فقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾.
- وَسَمَّاهُ إِيمَانًا فَقَالَ: ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾.
- وسماه أمراً فقال: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ﴾.
- وسماه بشرى فقال: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.
- وَسَمَّاهُ مَجِيدًا فَقَالَ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾.



وسماه زبوراً فقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ الآية.

وَسَمَّاهُ مُبِينًا فَقَالَ: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

وَسَمَّاهُ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَقَالَ: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ﴾

وسماه عزيزاً فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَكَنبُ عَزِيزٌ﴾

وسماه بلاغاً فقال: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾

وسماه قصصاً فقال: ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾

وَسَمَّاهُ أَرْبَعَةَ أَسْمَاءٍ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾﴾

اهـ. من «البرهان في علوم القرآن للزركشي» (١/٤٠٠-٤٠٥).

وقد لا يوافق في بعضها على أنه من الأسماء، ولكن الشاهد مما تقدم أن كثرة صفاته الثبوتية دالة على منزلته الرفيعة السامية.

وأسماء القرآن أعلام وأوصاف بمعنى أن كل اسم يتضمن صفة أو صفات، فتأمل هذا تُهدى إلى صراط مستقيم، وخدمة القرآن تفسيراً وحفظاً وعملاً من أنفس ما ينبغي أن يشمر له حيث يفهم المرء به كلام ربه تعالى وإن أكرمه الله بالعمل صارت كرامة فوق ذلك، والعمل به متعين وإلا كان حجة عليك لا لك، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ

مُؤَبِّقُهَا». أخرجه مسلم (٢٢٣) بسند منقطع، وأخرجه النسائي (٢٤٣٧) بسند صحيح عن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم إن الله عَزَّجَلَّ قد حذر من هجر القرآن علماً أو عملاً فقال تعالى: ﴿وَقَالَ

الرَّسُولُ يَدْرَبِ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].



وإنَّ بث العلم والدعوة إلى الله مما ينفع المرء بعد موته كما قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». أخرجه مسلم (١٦٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد نظم السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ نظماً مفصلاً فيما ينتفع به الميت بعد موته فقال:

إِذَا مَاتَ إِبْنُ آدَمَ لَيْسَ يَجْرِي ❀❀ عَلَيْهِ مِنْ فِعَالٍ غَيْرِ عَشْرٍ
 عُلُومٌ بَثَّهَا وَدُعَاءُ نَجْلِ ❀❀ وَغَرْسُ النَّخْلِ وَالصَّدَقَاتُ تَجْرِي
 وَرِثَاةٌ مُصْحَفٌ وَرِبَاطٌ تُغْرُ ❀❀ وَحَفْرُ الْبُئْرِ أَوْ إِجْرَاءُ نَهْرٍ
 وَيَبِيتُ لِلْغَرِيبِ بِنَاهُ يَاوِي ❀❀ إِلَيْهِ أَوْ بِنَاهُ مَحَلِّ ذِكْرِ
 وَتَعْلِيمِ لِقُرْآنٍ كَرِيمٍ ❀❀ فَخُذْهَا مِنْ أَحَادِيثِ بِحَضْرٍ

انتهى من «الديباج على مسلم بن الحجاج» للسيوطي (٤/ ٢٢٧).

* وقد سميت هذا المبحث: «فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد». هذا والحمد لله تعالى المحمود على كل حال، والصلاة والسلام على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى الصحب والآل.

وكانت كتابة هذه المقدمة في اليوم الأول والثاني من شهر ربيع الأول من عام سبعة وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمدينة مكة حرسها الله وسائر بلاد المسلمين.

وكتبه:

عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري.
 أصلح الله ذريته وجميع المسلمين.





أنواع الهداية ومعناها

* الهداية أربعة أنواع، دل عليها القرآن والسنة:

الأول: الهداية العامة، وهي هداية الله **عَزَّوَجَلَّ** للمخلوقات إلى سبيل عيشها، وما يصلح حالها من المأكل والمشرب والمسكن وغير ذلك، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

الثاني: هداية التوفيق، وهذه خاصة بالله **عَزَّوَجَلَّ**، فهو الذي بيده تصريف القلوب، قَالَ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

الثالث: هداية الدلالة والإرشاد، قَالَ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** عن نبيه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وَقَالَ عن القرآن: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وفي حديث سهل بن سعد الساعدي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَّكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». أخرجہ البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

الرابع: الهداية إلى الجنة أو إلى النار، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

قال الراغب رَحِمَهُ اللهُ: الهداية دلالة بلطف، ومنه: الهدية، وهوادي الوحش - أي: متقدماتها الهادية لغيرها - وخص ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاء بأهديت، نحو: أهديت الهدية، وهديت إلى البيت. إن قيل: كيف جعلت الهداية دلالة بلطف وقد قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ



السَّعِيرُ ﴿الحج:٤﴾. قيل: ذلك استعمل فيه استعمال اللفظ على التَّهَكُّم مبالغة في المعنى كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران:٢١] وقول الشاعر: تحية بينهم ضرب وجيع. اهـ.





الهداية والإضلال من الله عز وجل

قال الراغب رَحِمَهُ اللهُ: الضَّالُّ: العدوُّ عن الطَّرِيقِ المستقيم، وبضادِّه الهداية، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمِنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥]، ويقال الضَّالُّ لكلِّ عدولٍ عن المنهج، عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا، فإنَّ الطَّرِيقَ المستقيم الذي هو المرتضى صعب جدًّا، قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «استقيموا ولن تُخْصُوا».

وإذا كان الضَّالُّ تركَ الطَّرِيقَ المستقيم عمدًا كان أو سهوًا، قليلًا كان أو كثيرًا، صحَّ أن يستعمل لفظ الضَّالِّ ممَّن يكون منه خطأ ما، ولذلك نسب الضَّالُّ إلى الأنبياء، وإلى الكفَّار، وإن كان بين الضَّالِّين بون بعيد، ألا ترى أنه قال في النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧]، أي: غير مهتدٍ لما سيق إليك من النبوة، وقال في يعقوب: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]، وقال أولاده: ﴿إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨]، إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه، وكذلك: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠]، وقال عن موسى **عَلَيْهِ السَّلَام:** ﴿قَالَ فَعَلَّهَا إِذَا وَاَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠]، تنبيه أن ذلك منه سهو، وقوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أي: تنسى، وذلك من التسيان الموضوع عن الإنسان.

والضَّالُّ من وجه آخر ضربان: ضالُّ في العلوم النظرية، كالضَّالِّ في معرفة الله ووحدانيته، ومعرفة النبوة، ونحوهما المشار إليهما بقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. وضالُّ في العلوم العملية، كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات، والضَّالُّ البعيد إشارة إلى ما هو كفر كقوله على ما تقدّم من قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، وقوله:



﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلًّا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧]،
 وكقوله: ﴿فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سورة سبأ: ٨]، أي: في عقوبة الضَّالِّ البعيد،
 وعلى ذلك قوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٩]، ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلِ وَأَضَلُّوا
 كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقوله: ﴿أَوَدَّا ضَلَّتْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]،
 كناية عن الموت واستحالة البدن.

وقوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، فقد قيل: عني بِالضَّالِّينَ النَّصَارَى، وقوله:
 ﴿فِي كَيْفٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، أي: لا يَضِلُّ عن رَبِّي، ولا يَضِلُّ رَبِّي عنه:
 أي: لا يغفله، وقوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢٠]، أي: في باطل
 وإِضْلَالٍ لأنفسهم. اهـ. من «مفردات غريب القرآن» للأصفهاني (٢٩٧-٢٩٩).

ومن رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ**: أنه يهدي من يشاء من عباده فضلًا منه تعالى، ومن
 حكمته: أنه يضلُّ من يشاء عدلًا منه. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال الله
عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [المدثر: ٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ
 شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَسْتَ لَدَىٰ عَمَّا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن
 رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنَاصِبُ﴾ [الرعد: ٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن
 يُضِلِّ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَن يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ
 لَهُ وَيَدْرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، إلى غير ذلك.

وفي حديث أَبِي ذَرٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**
 أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا
 عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ...» الحديث. أخرجه مسلم
 (٢٥٧٧).



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ٩٩، ١٠٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ - يَا مُحَمَّدٌ - لِأَذِنَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ فِي الْإِيمَانِ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ، فَأَمَّنُوا كُلَّهُمْ، وَلَكِنْ لَهُ حِكْمَةٌ فِيمَا يَفْعَلُهُ تَعَالَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾﴾ [هُود: ١١٨-١١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرَّعْد: ٣٦]؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ أَي: تُزَيِّرُهُمْ وَتُلْجِئُهُمْ ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أَي: لَيْسَ ذَلِكَ عَلَيْكَ وَلَا إِلَيْكَ، بَلْ إِلَى اللَّهِ ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فَاطِر: ٨]، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٢]، ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعْرَاء: ٣]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الْقَصَص: ٥٦]، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرَّعْد: ٤٠]، ﴿فَذَكَرْنَاكَ أَنَّ مَدَكِرٌّ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١٢﴾﴾ [الْعَاشِيَة: ٢١-٢٢] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ، الْهَادِي مَنْ يَشَاءُ، الْمُضِلُّ لِمَنْ يَشَاءُ، لِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ وَهُوَ الْخَبَالُ وَالضَّلَالُ، ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أَي: حَجَجَ اللَّهُ وَأَدِلَّتْهُ، وَهُوَ الْعَادِلُ فِي كُلِّ ذَلِكَ، فِي هِدَايَةِ مَنْ هَدَى، وَإِضْلَالِ مَنْ ضَلَّ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٢٩٨/٤).



وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يَقُولُ تَعَالَى: مَنْ هَدَاهُ اللهُ فَإِنَّهُ لَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ أَضَلَّهُ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَضَلَّ لَا مَحَالَةَ، فَإِنَّهُ تَعَالَى مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنُعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥١٢)

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذُرُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]: يَقُولُ تَعَالَى: مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِيهِ أَحَدٌ، وَلَوْ نَظَرَ لِنَفْسِهِ فِيمَا نَظَرَ، فَإِنَّهُ لَا يُجْزَى عَنْهُ شَيْئًا، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللهُ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١] قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥١٨).





الدعاء بالهداية

لأهمية الهداية والتوفيق لها أوجب الله **عَزَّوَجَلَّ** علينا قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة على الصحيح في الصلاة. ففي حديث عبادة بن الصَّامِتِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ». أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فِيهِ خِدَاجٌ» ثلاثاً غير تمامٍ. فقيل لأبي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «افْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ»؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمَدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ١]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنْتَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٥]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». أخرجه مسلم (٣٩٥).

قال الحافظ ابن كثير **رَحِمَهُ اللهُ**: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَسْأَلُ الْمُؤْمِنُ الْهُدَايَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ صَلَاةٍ وَعَيْرِهَا، وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِذَلِكَ؟ فَهَلْ هَذَا مِنْ بَابِ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ أَمْ لَا؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَوْ لَا احتياجه لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى سُؤَالِ الْهُدَايَةِ لَمَا أَرْشَدَهُ اللهُ إِلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ مُتَقَرِّفٌ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَحَالَةٍ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي تَثْبِيتهِ عَلَى الْهُدَايَةِ، وَرُسُوخِهِ فِيهَا، وَتَبَصُّرِهِ، وَازْدِيَادِهِ مِنْهَا، وَاسْتِمْرَارِهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا



ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، فَأَرْشَدَهُ تَعَالَى إِلَيَّ أَنْ يَسْأَلَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يَمُدَّهُ بِالْمَعُونَةِ وَالثَّبَاتِ وَالتَّوْفِيقِ، فَالسَّعِيدُ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِسُؤَالِهِ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ، وَلَا سِيَّمَا الْمُضْطَرُّ الْمُحْتَاجُ الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رِسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية [النساء: ١٣٦]، فَقَدْ أَمَرَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْإِيمَانِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ تَحْصِيلُ الْحَاصِلِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الثَّبَاتُ وَالِاسْتِمْرَارُ وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْأَعْمَالِ الْمُعِينَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ تَعَالَى آمِرًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ وَقَدْ كَانَ الصَّدِيقُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يَقْرَأُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ سِرًّا. فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ اسْتَمِرَّ بِنَا عَلَيْهِ وَلَا تَعْدَلْ بِنَا إِلَى غَيْرِهِ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٣٩).

* ومما يدل على وجوب طلب الهداية: ما جاء في حديث أبي ذرٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ...» الحديث، أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

وفي حديث عبد الله بن مسعودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالعَفَاةَ وَالعِنْيَ». أخرجه مسلم (٢٧٢١).

وعن عليٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ». أخرجه مسلم (٢٧٢٥).



وكان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يدعو بالهداية لكثير من الناس ويستجيب الله تعالى لنبية **صلى الله عليه وسلم** ما شاء، فعن أبي هريرة **رضي الله عنه**: قَدِمَ الطَّفِيلُ بِنُ عَمْرٍو عَلَى رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ». أخرجه البخاري (٦٣٩٧)، ومسلم (٢٥٢٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رضي الله عنه**، قَالَ: «كُنْتُ أَدْعُو أُمَّيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** مَا أكره، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّيَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أكره، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعْتُ أُمَّيَ خَشَفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاعْتَسَلْتُ وَلَبِستُ دِرْعَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبِّبَنِي أَنَا وَأُمَّيَ إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحِبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ» فَمَا خَلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي». أخرجه مسلم (٢٤٩١).

وفي حديث أبي مالك الأشجعي، عن أبيه، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**، يُعَلِّمُ مَنْ أَسْلَمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي». أخرجه مسلم (٢٦٩٧).



وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَا بَعْدُ». أخرجه مسلم (٨٦٨).

وفي رواية عنه: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَنْصِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى حَتَّى يَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ». «مسند الشافعي» (٢٨٧).

وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ عَنْهُمَا: عَلَّمَنِي رَسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوُتْرِ، - قَالَ ابْنُ جَوَّاسٍ: فِي قُتُوبِ الْوُتْرِ: - «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيْمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيْمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّيْنِي فِيْمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيْمَا أَعْطَيْتَ، وَفِي شَرِّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ». أخرجه أبو داود (١٤٢١)، وابن ماجه (١١٧٨)، والحاكم (٤٨٠).

إلى غير ذلك من الأدعية في هذا الباب التي لو جمعت لصارت سفرًا طيبًا مباركًا. وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصًا على هداية الناس للإسلام وعلى هداية عمه أبي طالب، ففي «الصحاحين» من حديث المسيب بن حزن، قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبِي عَمٍّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَنْزَعْبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنَّهُ عَنكَ»، فَتَرَكَ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. أخرجه البخاري (٤٦٧٥)، ومسلم (٢٤).





فضل الدلالة والإرشاد إلى الهدى والخير

* الهداية بمعنى: الدلالة إلى الخير، من أعظم القربات وأفضل الطاعات حيث كانت وظيفة أنبياء الله **عَزَّوَجَلَّ** ورسله صلوات الله وسلامه عليهم، فكلهم دعاة هدى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا». أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ». أخرجه مسلم (١٨٩٣).

وفي حديث سهل بن سعد الساعدي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال لعلي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

وكان للدعاة إلى الهدى منزلة رفيعة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَبُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ثم إنني جعلت هذه الفصول كالمقدمة بين يدي الرسالة وإلماحة إلى أهمية الباب، ولو أراد أحد الاستيعاب لطال المقام وكبر الكتاب ولا أظن مثل هذا الموضوع يُهمله الباحثون.



بيان قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أُمَّةٌ﴾ [الإسراء: ٩]

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ هَذَا مَذْحٌ لِّلْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ هُدًى لِّقُلُوبِ الْعِبَادِ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَاتَّبَعَهُ ﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾ أَي: وَدَلَائِلٌ وَحُجَجٌ بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ لِّمَنْ فَهَمَهَا وَتَدَبَّرَهَا دَالَّةٌ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْهُدَى الْمُنَافِي لِلضَّلَالِ، وَالرُّشْدِ الْمُخَالَفِ لِلغَيِّ، وَمُفَرِّقًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْحَلَالِ، وَالْحَرَامِ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٥٠٢).

وقد قَالَ اللهُ تَعَالَى مَخْبِرًا عَنِ الْجَنِّ الَّذِينَ لَقُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٢﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١].

وقَالَ تَعَالَى مَخْبِرًا عَنِ قَوْلِ الْجَنِّ: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قَوْلًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١-٢].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أَي: إِلَى السَّدَادِ وَالنَّجَاحِ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٢٣٧).

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].



ومعنى قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩٠]، ما قاله ابن جرير الطبري **رَحْمَةُ اللَّهِ**: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَيَّ نَبِيًّا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْشِدُ وَيُسَدِّدُ مَنِ اهْتَدَى بِهِ ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩٠] يَقُولُ: لِلسَّبِيلِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ السُّبُلِ، وَذَلِكَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وَهُوَ الْإِسْلَامُ. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَهَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي عِبَادَ اللَّهِ الْمُهْتَدِينَ بِهِ إِلَى قَصْدِ السَّبِيلِ الَّتِي ضَلَّ عَنْهَا سَائِرُ أَهْلِ الْمَلِكِ الْمُكذِّبِينَ بِهِ، كَمَا: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩٠] قَالَ: لِلَّتِي هِيَ أَصَوْبٌ: هُوَ الصَّوَابُ وَهُوَ الْحَقُّ، قَالَ: وَالْمُخَالَفُ هُوَ الْبَاطِلُ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ [البينة: ٣] قَالَ: فِيهَا الْحَقُّ لَيْسَ فِيهَا عَوْجٌ، وَقَرَأَ ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قِيمًا﴾ [الكهف: ٢] يَقُولُ: قِيمًا مُسْتَقِيمًا. اهـ. «جامع البيان» (١٧/٣٩٢-٣٩٣).

وقال القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ: وَمَعْنَى ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أَي الطَّرِيقَةَ الَّتِي هِيَ أَسَدُّ وَأَعْدَلُ وَأَصَوْبٌ. «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/٢٢٥).

فمما تقدم نعلم علماً يقينياً لا شك فيه ولا مرية: أن أقوم وأصوب الطرق وأسدها هي ما أرشد إليها القرآن، ودل عليها سواء كان بمنطوقه أم بمفهومه.





حجية السنة

* ويدخل في هداية القرآن الكريم: دلالة السنة الصحيحة فإنها من وحي الله **عَزَّوَجَلَّ**، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ﴾ [النجم: ٣-٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال الإمام الأجرى **رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الشريعة» (٢٤١/١)**: بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ طَوَائِفِ يُعَارِضُونَ سُنَنَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَشِدَّةِ الْإِنْكَارِ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: يَتَّبِعِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ إِذَا سَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي شَيْءٍ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، فَعَارَضَ إِنْسَانٌ جَاهِلٌ فَقَالَ: لَا أَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، قِيلَ لَهُ: أَنْتَ رَجُلٌ سُوءٌ، وَأَنْتَ مِمَّنْ يُحَدِّثُ نَاكَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَحَدَّرَ مِنْكَ الْعُلَمَاءُ وَقِيلَ لَهُ: يَا جَاهِلٌ، إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ فَرَائِضَهُ جُمْلَةً، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ قَالَ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فَأَقَامَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** مَقَامَ الْبَيَانِ عَنْهُ، وَأَمَرَ الْخَلْقَ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِالْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ثُمَّ حَدَّرَهُمْ أَنْ يُخَالِفُوا أَمْرَ رَسُولِ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وَقَالَ **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ثُمَّ فَرَضَ عَلَى الْخَلْقِ طَاعَتَهُ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي نَيْفٍ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِهِ تَعَالَى، وَقِيلَ لِهَذَا الْمُعَارِضِ



لَسَنَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا جَاهِلُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] أَيْنَ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ الْفَجْرَ رَكَعَتَانِ، وَأَنَّ الظُّهْرَ أَرْبَعٌ، وَالْعَصْرَ أَرْبَعٌ، وَالْمَغْرِبَ ثَلَاثٌ، وَأَنَّ الْعِشَاءَ الْأَخْرَةَ أَرْبَعٌ؟ أَيْنَ تَجِدُ أَحْكَامَ الصَّلَاةِ وَمَوَاقِيتَهَا، وَمَا يُصَلِّحُهَا وَمَا يُبْطِلُهَا إِلَّا مِنْ سُنَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَمِثْلُهُ الزَّكَاةُ، أَيْنَ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مِائَتِي دِرْهَمٍ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ، وَمِنْ عِشْرِينَ دِينَارًا نِصْفُ دِينَارٍ، وَمِنْ أَرْبَعِينَ شَاةٍ شَاةٌ، وَمِنْ خَمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ، وَمِنْ جَمِيعِ أَحْكَامِ الزَّكَاةِ، أَيْنَ تَجِدُ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَكَذَلِكَ جَمِيعُ فَرَائِضِ اللَّهِ، الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، لَا يُعْلَمُ الْحُكْمُ فِيهَا إِلَّا بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا قَوْلُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا خَرَجَ عَنِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَدَخَلَ فِي مِلَّةِ الْمُلْحِدِينَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ بَعْدَ الْهُدَى وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ صَحَابَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِثْلُ مَا بَيَّنْتُ لَكَ فَاعْلَمْ ذَلِكَ.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلَوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحِمَايِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ سَالِمِ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ مُتَّكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَبْلُغُهُ الْأَمْرُ عَنِّي، فَيَقُولُ: مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ لَمْ أَجِدْ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى». انتهى من «الشريعة» للأجري (١/ ٢٤١).

فعلى المسلم الأخذ بما دل عليه الكتاب والسنة علماً وعملاً واعتقاداً بعيداً عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين فلا يردّ دلالة الكتاب والسنة بتأويل وتحريف ولا بتقديم العقل عليهما ولا بدعوى أنها مجاز، أو أن الظاهر غير مراد كما ذهب إلى ذلك طوائف من أهل البدع، بل نجري دلالة الوحيين على مراد الله عزَّ وجلَّ ومراد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما فهمها السلف رضوان الله عليهم أجمعين، فإن الله تعالى



أنزل القرآن بلغتهم وعلموا أسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه، وعامه وخاصه، ومجمله ومبينه.

فمن سلك سبيلهم فقد هدي إلى صراط مستقيم، ومن ترك طريقهم عامداً ضلّ، ومن تركه مخطئاً زلّ، والله المستعان، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].





الإيمان بالله عز وجل أفضل الأعمال

قَالَ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَلْكَتِبِ الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيَّ رُسُولِهِ وَأَلْكَتِبِ الَّذِينَ نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الِيزَّ أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ فِيزَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الِيزَّ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالمَلَائِكَةِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ الَّذِي وَتَقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على وجوب الإيمان بالله تعالى وما جاء عن الله

عَزَّوَجَلَّ.

وَعَنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحْجَّ الْبَيْتَ إِنْ



اسْتَطَعَتْ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَمْرُؤُ أَتَذَرُونَ مِنَ السَّائِلِ؟». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جَبْرِيلُ أَنَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ». أخرجه مسلم (١٨).

وجاء نحوه من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أخرجه البخاري (٥١)، ومسلم (٩).
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ». أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

أركان الإيمان بالله عز وجل:

والإيمان بالله **عَزَّوَجَلَّ** يتضمن أربعة أركان دل عليها القرآن والسنة والإجماع، فلا يتحقق الإيمان به على الوجه الصحيح إلا بذلك.

الأول: الإيمان بوجود الله **عَزَّوَجَلَّ**.

الثاني: الإيمان بربوبية الله **عَزَّوَجَلَّ**.

الثالث: الإيمان بالوهمية الله **عَزَّوَجَلَّ**.

الرابع: الإيمان بأسماء وصفات الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وبيان ذلك فيما يأتي إن شاء الله تعالى.





الأول: هداية القرآن إلى وجود الله عز وجل

أدلة وجود الله **عَزَّوَجَلَّ** فطرية وعقلية وحسية وشرعية. قال أبو العتاهية:

أَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَعِصِي الْإِلَهَ ❀❀ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُ الْجَاهِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ❀❀ وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ❀❀ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ
كما في «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (٣).

فتعالى الله عن قول الطبائعيين علواً كبيراً، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَأَقْوَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

ولولا وجود بعض ما يغطي على الملحدين ونحوهم من الشهوات والشبهات لانكشفت لهم هذه الحقيقة، لأنها أظهر من أن يحتج لها.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصْهِطُونَ ﴿٣٧﴾" قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ. أخرجه البخاري (٤٨٥٤).

ففي هذه الآية: حجة قوية على المشركين والطبائعيين: هل وجد هذا العالم وخلق من غير شيء؟ أم أنهم خلقوا أنفسهم؟ وكلاهما ممتنع. فما هو إلا أن الله **عَزَّوَجَلَّ** هو رب هذا العالم وخالقه ومدبره.

وقيل لإعرابي: بم عرفت ربك قال: البعرة تدل على البعير، والروث يدل على الحمير، وآثار الأقدام تدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، أما



يدل ذلك على العليم القدير؟. اهـ. «نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب»
لأحمد بن المقري التلمساني (٢٨٩/٥).

ولهذا أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** الإنسان بالتفكير في نفسه فقال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾
[الذاريات: ٢١].

وأمر بالنظر في آياته، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾
[الأعراف: ١٨٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى
الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأكد من هذا أن تعلم الإيمان بالله بمعرفته ومعرفة صفاته
وأفعاله، وملكوته في أرضه وسماوته؛ ولا يحصل ذلك إلا بالنظر في مخلوقاته، وهي
لا تُحصى كثرة؛ وأمماتها السموات، فترى كيف بُنيت وزينت من غير فطور ورفعت
بغير عمد، وخولف مقدار كواكبها، ونصبت سائرة شارقة وغاربة نيرة، وممحوه؛ كل
ذلك بحكمة ومنفعة.

وَالْأَرْضَ فَانظُرْ إِلَيْهَا كَيْفَ وُضِعَتْ فِرَاشًا، وَوُطِئَتْ مِهَادًا، وَجُعِلَتْ كِفَاتًا، وَأُنْبِتَتْ
مَعَاشًا، وَأُرْسِيَتْ بِالْجِبَالِ، وَزُيِّنَتْ بِالنَّبَاتِ، وَكُرِّمَتْ بِالْأَقْوَاتِ، وَأُرْصِدَتْ لِتَصْرِفِ
الْحَيَوَانَاتِ وَمَعَاشِهَا؛ وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْ ذَلِكَ فِيهِ عِبْرَةٌ تَسْتَعْرِقُ الْفِكْرَةَ: وَالْحَيَوَانَاتُ أَحَدُ
قِسْمِي الْمَخْلُوقَاتِ، وَالثَّانِي الْجَمَادَاتُ؛ فَانظُرْ فِي أَصْنَافِهَا، وَاخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا
وَأَجْنَاسِهَا، وَأَنْقِيَادِهَا وَشَرَسِهَا، وَتَسْخِيرِهَا فِي الْإِنْتِفَاعِ بِهَا، زِينَةً وَقُوتًا، وَتَقَلُّبًا فِي
الْأَرْضِ.



وَالْبِحَارُ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ عِبْرَةً، وَأَدْلَاهَا عَلَى سَعَةِ الْقُدْرَةِ فِي سَعَتِهَا، وَاخْتِلَافِ خَلْقِهَا، وَتَسْيِيرِ الْفُلْكِ فِيهَا، وَخُرُوجِ الرِّزْقِ مِنْهَا، وَالإِنْتِفَاعِ فِي الإِنْتِقَالِ إِلَى الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ بِالإِثْقَالِ الْوَيْدَةِ بِهَا.

وَالهَوَاءُ فَإِنَّهُ خَلَقَ مَحْسُوسٌ بِهِ قَوَامُ الرُّوحِ فِي الأَدَمِيِّ وَحَيَوَانِ الْبَرِّ، كَمَا أَنَّ المَاءَ قَوَامٌ لِرُوحِ حَيَوَانِ الْبَحْرِ، فَإِذَا فَارَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قِوَامَهُ هَلَكَ، وَانْظُرْ إِلَى رُكُودِهِ ثُمَّ اضْطِرَابِهِ، وَهُوَ بِالرِّيْحِ.

وَالإنْسَانُ أَقْرَبُهَا إِلَيْهَا نَظْرًا، وَأَكْثَرُهَا إِنْ بَحَثَ عِبْرًا، فَلْيَنْظُرْ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ حِينِ كَوْنِهَا مَاءً دَافِقًا إِلَى كَوْنِهِ خَلْقًا سَوِيًّا، يُعَانُ بِالأَغْذِيَةِ، وَيُرَبَّى بِالرَّفْقِ، وَيُحْفَظُ بِاللَّبَنِ حَتَّى يَكْتَسِبَ الْقُوَى، وَيَبْلُغَ الأَشُدَّ؛ فَإِذَا بِهِ قَدْ قَالَ أَنَا وَأَنَا، وَنَسِيَ حِينَ أَتَى عَلَيْهِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، وَسَيَعُودُ مَقْبُورًا. وَهَذَا زَمَانٌ وَسَطٌ بَيْنَهُمَا، فَيَا وَيْحَهُ إِنْ كَانَ مَحْسُورًا فَيَنْظُرُ حِينِيذًا أَنَّهُ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ، مُكَلَّفٌ مَخُوفٌ بِالْعَذَابِ إِنْ قَصَرَ، مُرْجَى بِالثَّوَابِ إِنْ ائْتَمَرَ، فَيَقْبَلُ عَلَى عِبَادَةِ مَوْلَاهُ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ لَا يَرَاهُ يَرَاهُ، وَلَا يَخْشَى النَّاسَ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يَخْشَاهُ، وَلَا يَتَكَبَّرُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ عِبَادِ اللهِ فَإِنَّهُ مُؤَلَّفٌ مِنْ أَقْدَارٍ، مَشْحُونٌ مِنْ أَوْضَارٍ، صَائِرٌ إِلَى جَنَّةٍ إِنْ أَطَاعَ، أَوْ إِلَى نَارٍ. انتهى من «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٥٥-٥٦).

معنى أخذ الميثاق من بني آدم:

والإيمان بوجود الله مفطور في القلوب، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ويوضح ذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجِ البَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعًا، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿فَظَرَتِ اللهُ



أَلَيْ قَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴿ [الروم: ٣٠]. أخرجه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨).

وقال الشنقيطي رحمه الله: في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفاً عند العلماء:

أحدهما: أن معنى أخذِهِ ذُرِّيَّةَ بَنِي آدَمَ مِنْ طُهورِهِمْ: هُوَ إِجَادُ قَرْنٍ مِنْهُمْ بَعْدَ قَرْنٍ، وَإِنشَاءُ قَوْمٍ بَعْدَ آخَرِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةٍ قَوْمِهِ آخِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وَقَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٩]، وَقَالَ: ﴿وَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أَنَّ إِشْهَادَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ إِنَّمَا هُوَ بِمَا نُصِبَ لَهُمْ مِنَ الْأَدْلَةِ الْقَاطِعَةِ بِأَنَّهُ رَبُّهُمْ الْمُسْتَحِقُّ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ يَعْْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَعَلَيْهِ فَمَعْنَى ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾، أَي: قَالُوا ذَلِكَ بِلِسَانِ حَالِهِمْ لِظُهُورِ الْأَدْلَةِ عَلَيْهِ، وَنَظِيرُهُ مِنْ إِطْلَاقِ الشَّهَادَةِ عَلَىٰ شَهَادَةِ لِسَانِ الْحَالِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، أَي بِلِسَانِ حَالِهِمْ عَلَى الْقَوْلِ بِذَلِكَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لِشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [العاديات: ٦-٧] أَي: بِلِسَانِ حَالِهِ أَيْضًا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ فِي الْآيَةِ أَيْضًا.

وَاحتجَّ مَنْ ذَهَبَ إِلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ هَذَا الْإِشْهَادَ حُجَّةً عَلَيْهِمْ فِي الْإِشْرَاقِ بِهِ جَلَّ وَعَلَا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٣﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣]، قَالُوا: فَلَوْ كَانَ الْإِشْهَادُ الْمَذْكُورُ الْإِشْهَادَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْمِيثَاقِ، وَهُمْ فِي صُورَةِ الذَّرِّ لَمَا



كَانَ حُجَّةَ عَلَيْهِمْ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَذْكُرُهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ عِنْدَ وُجُودِهِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا لَا عِلْمَ لِلإِنْسَانِ بِهِ لَا يَكُونُ حُجَّةَ عَلَيْهِ، فَإِنْ قِيلَ: إِخْبَارُ الرُّسُلِ بِالمِيثَاقِ المَذْكُورِ كَافٍ فِي ثُبُوتِهِ، قُلْنَا: **قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ:** الجَوَابُ عَن ذَلِكَ أَنَّ المَكْذِبِينَ مِنَ المُشْرِكِينَ يُكْذِبُونَ بِجَمِيعِ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ، وَهَذَا جُعِلَ حُجَّةَ مُسْتَقَلَّةً عَلَيْهِمْ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ الفِطْرَةُ الَّتِي فَطَرُوا عَلَيْهَا مِنَ التَّوْحِيدِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**أَنْ تَقُولُوا**﴾ الآية اهـ مِنْهُ بِلَفْظِهِ.

فَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا الوَجْهَ الَّذِي ذَكَرْنَا فِي تَفْسِيرِ الآيةِ، وَمَا اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ قَائِلُهُ بِهِ مِنَ القُرْآنِ، فَاعْلَمْ أَنَّ الوَجْهَ الأَخْرَ فِي مَعْنَى الآيةِ: أَنَّ اللهَ أَخْرَجَ جَمِيعَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ مِنْ ظُهُورِ الأَبَاءِ فِي صُورَةِ الذَّرِّ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِلِسَانِ المَقَالِ: ﴿**الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾، ثُمَّ أَرْسَلَ بَعْدَ ذَلِكَ الرُّسُلَ مُذَكِّرَةً بِذَلِكَ المِيثَاقِ الَّذِي نَسِيَهُ الكُلُّ وَلَمْ يُؤَلِّدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَهُوَ ذَاكِرٌ لَهُ وَإِخْبَارُ الرُّسُلِ بِهِ يَحْصُلُ بِهِ اليَقِينُ بِوُجُودِهِ. قَالَ مُقَيِّدُهُ عَفَا اللهُ عَنْهُ: هَذَا الوَجْهُ الأَخِيرُ يَدُلُّ لَهُ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

أَمَّا وَجْهٌ ذَلَالَةٍ القُرْآنِ عَلَيْهِ، فَهُوَ أَنَّ مُقْتَضَى القَوْلِ الأوَّلِ أَنَّ مَا أَقَامَ اللهُ لَهُمْ مِنَ البَرَاهِينِ القَطْعِيَّةِ كَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمَا فِيهِمَا مِنْ غَرَائِبِ صُنْعِ اللهُ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ الرَّبُّ المَعْبُودُ وَحْدَهُ، وَمَا رَكَزَ فِيهِمْ مِنَ الفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَهُمْ عَلَيْهَا تَقُومُ عَلَيْهِمْ بِهِ الحُجَّةُ، وَلَوْ لَمْ يَأْتِهِمْ نَذِيرٌ، وَالأَيَاتُ القُرْآنِيَّةُ مُصْرَحَةٌ بِكَثْرَةِ بَأْنِ اللهُ تَعَالَى لَا يُعْذَبُ أَحَدًا حَتَّى يُقِيمَ عَلَيْهِ الحُجَّةَ بِإِنْدَارِ الرُّسُلِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ الاكْتِفَاءِ بِمَا نَصَبَ مِنَ الأدلةِ، وَمَا رَكَزَ مِنَ الفِطْرَةِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ [الإسراء: ١٥]، فَإِنَّهُ قَالَ فِيهَا: ﴿**حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾، وَلَمْ يَقُلْ حَتَّى نَخْلُقْ عُقُولًا، وَنَنْصُبَ أدِلَّةً، وَتُرَكِّزَ فِطْرَةً.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ [النساء: ١٦٥]، فَصْرَحَ بِأَنَّ الَّذِي تَقُومُ بِهِ الحُجَّةُ عَلَى النَّاسِ، وَيَنْقَطِعُ



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



بِهِ عُدْرُهُمْ: هُوَ إِندَارُ الرُّسُلِ لَا نَضَبَ الْأَدِلَّةِ وَالْخَلْقِ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَهَذِهِ الْحُجَّةُ الَّتِي
 بُعِثَ الرُّسُلُ لِقَطْعِهَا بَيْنَهَا فِي «طَه» بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا
 رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَّذِلَّ وَنَخْرَىٰ﴾ [١٣٤]، وَأَشَارَ
 لَهَا فِي «الْقَصَصِ» بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا
 لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٤٧]، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ
 تَعَالَى صَرَخَ بِأَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ النَّارِ قُطِعَ عُدْرُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِإِنْدَارِ الرُّسُلِ، وَلَمْ يَكْتَفِ فِي
 ذَلِكَ بِنَضَبِ الْأَدِلَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّمَآ أَلْتَمَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
 قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾
 [الملك: ٨-٩]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا
 فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ
 وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾
 [الزمر: ٧١]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ لَفْظَةَ: كَلَّمَآ، فِي قَوْلِهِ: ﴿كَلَّمَآ أَلْتَمَىٰ فِيهَا فَوْجٌ﴾، صِيغَةٌ عُمُومٍ، وَأَنَّ
 لَفْظَةَ: الَّذِينَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، صِيغَةٌ عُمُومٍ أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْمَوْصُولَ يَعُمُّ
 كُلَّ مَا تَشَمَّلَهُ صَلْتُهُ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَإِنَّهُ قَدْ دَلَّتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ فِي صُورَةِ الذَّرِّ
 فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ كَمَا ذَكَرْنَا هُنَا، وَبَعْضُهَا صَحِيحٌ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ:
 قَالَ أَبُو عَمَرَ، يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْبَرِّ، لَكِنَّ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ قَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وُجُوهِ ثَابِتَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ
 مَسْعُودٍ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ أَجْمَعِينَ وَغَيْرِهِمْ أَه. مَحَلُّ
 الْحَاجَةِ مِنْهُ بِالْفُظْهِ، وَهَذَا الْخِلَافُ الَّذِي ذَكَرْنَا هَلْ يُكْتَفَى فِي الْإِزْمَامِ بِالتَّوْحِيدِ بِنَضَبِ
 الْأَدِلَّةِ، أَوْ لَا بُدَّ مِنْ بَعْثِ الرُّسُلِ لِيُنذَرُوا؟ هُوَ مَبْنَى الْخِلَافِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ أَهْلِ



الأُصُولِ فِي أَهْلِ الْفُتْرَةِ، هَلْ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِكُفْرِهِمْ؟ وَحَكَى الْفَرَاثِيُّ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعَ وَجَزَمَ بِهِ النَّوَوِيُّ فِي «شَرْحِ مُسْلِمٍ»، أَوْ يُعْذَرُونَ بِالْفُتْرَةِ وَهُوَ ظَاهِرُ الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَإِلَى هَذَا الْخِلَافِ أَشَارَ فِي «مَرَايِي السُّعُودِ» بِقَوْلِهِ:

دُوقْتِرَةٌ بِالْفَرْعِ لَا يُرَاعُ ❀❀ ❀❀ وَفِي الْأُصُولِ بَيْنَهُمْ نِزَاعٌ

وَقَدْ حَقَّقْنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مَعَ مُنَاقَشَةِ أُدَلَّةِ الْفَرِيقَيْنِ فِي كِتَابِنَا «دَفْعُ إِيهَامِ الْإِضْطِرَابِ

عَنْ آيَاتِ الْكِتَابِ» فِي سُورَةِ «بَنِي إِسْرَائِيلَ» فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وَلِذَلِكَ اخْتَصَرْنَاهَا هُنَا. انْتَهَى مِنْ «أَضْوَاءِ الْبَيَانِ»

(٢/ ١٤٣-١٤٤).

والأدلة الدالة على وحدانية الله **عَزَّجَلَّ** ووجوده كما تقدم عقلية ونقلية وفطرية، فمنها: إرسال الرسل وإنزال الكتب. تدل على ذلك من حيث أن مدعي الرسالة إما صادق أو كاذب. ونرى أن الله **عَزَّجَلَّ** يؤيدهم بأنواع التأييدات والحجج والبراهين، ويحفظهم وينصرهم إلى غير ذلك.

بينما نرى أنه لا يمكن من ادعاها كذبًا، بل إن الله **عَزَّجَلَّ** يدمر عليهم وينكل بهم ويجعلهم عبرة للمعتبرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

وقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نَبِيِّهِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرْتَهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ

فَعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥].

ومن الأدلة على ذلك خلق السماوات والأرض ونصب الجبال وجري الأنهار والبحار وتعاقب الليل والنهار واختلاف الألسنة والألوان والجنس والطول والقصر وكل ذلك يدل على أنه وحده تعالى هو المتصرف في هذا العالم، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ

اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا
 ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾
 [الفرقان: ٦١، ٦٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾
 [الإسراء: ٤٢].

قال الشنقيطي رحمه الله: وفي معنى هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير،
 كلاهما حق ويشهد له قرآن. وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أن الآية قد
 يكون فيها وجهان كلاهما حق، وكلاهما يشهد له قرآن، فنذكر الجميع لأنه كُله حق.
 الأول من الوجهين المذكورين: أن معنى الآية الكريمة: لو كان مع الله إلهة
 أخرى كما يزعم الكفار لابتغوا (أي الإلهة المزعومة) أي لطلبوا إلى ذي العرش (أي
 إلى الله) سبيلاً؛ أي إلى مغالبيته وإزالة ملكه، لأنهم إذا يكونون شركاءه كما يفعل
 الملوك بعضهم مع بعض. سبحانه الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً!

وهذا القول في معنى الآية هو الظاهر عندي، وهو المتبادر من معنى الآية
 الكريمة، ومن الآيات الشاهدة لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا
 كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ
 عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢]،
 وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾
 [الأنبياء: ٢٢] وهذا المعنى في الآية مروى عن ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، وأبي علي
 الفارسي، والنقاش، وأبي منصور، وغيره من المتكلمين.

الوجه الثاني في معنى الآية الكريمة: أن المعنى ﴿لَابْتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ أي:
 طريقاً ووسيلةً تُقربهم إليه لا عترافهم بفضله، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ
 الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ



عَذَابُهُ ﴿٥٧﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]، وَيُرَوَّى هَذَا الْقَوْلُ عَنْ قَتَادَةَ، وَاقْتَصَرَ عَلَيْهِ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَعْنَى الظَّاهِرَ الْمُتَبَادِرَ مِنَ الْآيَةِ بِحَسَبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ ؛ لِأَنَّ فِي الْآيَةِ فَرْصَ الْمُحَالِ، وَالْمُحَالُ الْمَفْرُوضُ الَّذِي هُوَ وُجُودُ إِلَهَةٍ مَعَ اللَّهِ مُشَارِكَةً لَهُ، لَا يَظْهَرُ مَعَهُ أَنَّهَا تَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ، بَلْ تُتَنَازَعُهُ لَوْ كَانَتْ مَوْجُودَةً، وَلَكِنَّهَا مَعْدُومَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ الْوُجُودِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. انتهى من «أضواء البيان» (٣/ ٢٢٩).

ومنها: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُهُ مَلَكَتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مِمَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُذِيقُوا شَجَرَهَا ءَ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ءَ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ءَ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مِمَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٤﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءَ



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



أَلَيْهِ مَعَ اللَّهِ تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهِ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ [النمل: ٥٩-٦٤].

وكل آية ذكرها الله **عَزَّوَجَلَّ** في كتابه على أنها آية يقرر بها هذا الباب، كقوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ

﴿١٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَسْمَانِكُمْ وَالْوَالِدِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿١٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٠﴾ [الروم: ٢٠-٢٥].

فُعَلِمَ أَنْ تَقْرِيرَ الْوَحْدَانِيَةِ لِلَّهِ **عَزَّوَجَلَّ** مَقْرَرٌ فِي الْقُرْآنِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ حَتَّى لَقَدْ

ذَكَرَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ** مِنَ الْحَجَجِ الْقَوِيمَةِ وَالْعُلُومِ مَا تَرْتَفِعُ بِهِ الشَّبْهَةُ عَنْ كُلِّ مَرِيدٍ لِلْحَقِّ.

وْغَالِبٌ مِنْ يَخَالِفُ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْكِبَرِ وَالْعِنَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا

قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

وَقَالَ عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمَلَكَ إِذْ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي



بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿البقرة: ٢٥٨﴾.

وكم قد حاول الملاحدة طمس هذه الضرورة بدعوى أن الطبيعة هي المتصرفة في هذا العالم، وأنه وُجد صدفة فيصطدمون بالحجج القرآنية الشرعية فتتكسر رسومهم وتتهاوى حججهم ويعودون كما قال الله تعالى: ﴿مُرْ أُنْجِبِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وَكَانِي بِكَ أَيُّهَا الْمُسْكِينُ تَقُولُ هَذَا كُلُّهُ مِنْ فِعْلِ الطَّبِيعَةِ وَفِي الطَّبِيعَةِ عَجَائِبُ وَأَسْرَارٌ فَلَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَهْدِيكَ لَسَأَلْتَ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ اخْبِرْنِي عَنْ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ أَهِيَ ذَاتٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا لَهَا عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأَفْعَالِ الْعَجِيبَةِ أَمْ لَيْسَتْ كَذَلِكَ بَلْ عَرَضٌ وَصِفَةٌ قَائِمَةٌ بِالْمَطْبُوعِ تَابِعَةٌ لَهُ مَحْمُولَةٌ فِيهِ، فَإِنْ قَالَتْ لَكَ: بَلْ هِيَ ذَاتٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا لَهَا الْعِلْمُ التَّامُ وَالْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْحِكْمَةُ فَقُلْ لَهَا هَذَا هُوَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمَصُورُ فَلَمْ تَسْمِيْنَهُ طَبِيعِيَّةً وَيَا اللهُ مِنْ ذِكْرِ الطَّبَائِعِ وَمَنْ يَرِغِبُ فِيهَا فَهَلَا سَمِيْتَهُ بِمَا سَمَى بِهِ نَفْسَهُ عَلَى أَلْسِنِ رِسَلِهِ وَدَخَلَتْ فِي جَمَلَةِ الْعُقَلَاءِ وَالسُّعْدَاءِ فَإِنَّ هَذَا الَّذِي وَصَفْتَ بِهِ الطَّبِيعَةَ صِفَتُهُ تَعَالَى وَإِنْ قَالَتْ تِلْكَ بَلْ الطَّبِيعَةُ عَرَضٌ مَحْمُولٌ مُفْتَقِرٌ إِلَى حَامِلٍ وَهَذَا كُلُّهُ فَعَلَهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهَا وَلَا إِرَادَةَ وَلَا قُدْرَةَ وَلَا شُعُورَ أَصْلًا وَقَدْ شُوهِدَ مِنْ آثَارِهَا مَا شُوهِدَ فَقُلْ لَهَا هَذَا مَا لَا يَصْدُقُهُ ذُو عَقْلِ سَلِيمٍ كَيْفَ تَصْدُرُ هَذِهِ الْأَفْعَالُ الْعَجِيبَةُ وَالْحُكْمُ الدَّقِيقَةُ الَّتِي تَعْجِزُ عَقُولَ الْعُقَلَاءِ عَنْ مَعْرِفَتِهَا وَعَنْ الْقُدْرَةَ عَلَيْهَا مِمَّنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا قُدْرَةَ وَلَا حِكْمَةَ وَلَا شُعُورَ وَهَلِ التَّصَدِيقُ بِمِثْلِ هَذَا إِلَّا دُخُولٌ فِي سَلَكِ الْمَجَانِينِ وَالْمُبْرَسَمِينَ، ثُمَّ قُلْ لَهَا بَعْدَ: وَكُوِّتْ لَكَ مَا ادْعَيْتَ فَمَعْلُومٌ أَنْ مِثْلَ هَذِهِ الصِّفَةِ لَيْسَتْ بِخَالِقَةٍ لِنَفْسِهَا وَلَا مَبْدَعَةٍ لِنَاتِهَا فَمَنْ رَبَّهَا وَمَبْدَعُهَا وَخَالِقُهَا وَمَنْ طَبَعَهَا وَجَعَلَهَا تَفْعَلُ ذَلِكَ فَهِيَ إِذَا مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَى بَارئِهَا وَفَاطَرِهَا وَكَمَّالِ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْكَ تَعْطِيلَكَ



فتح المجيد بيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



رب العالم وجحدك لصفاته وأفعاله إلا مخالفتك العقل والفطرة وكو حاكمناك إلى الطبيعة لرأيائك انك خارج عن موجبها فلا أنت مع موجب العقل ولا الفطرة ولا الطبيعة ولا الإنسانية أصلاً وكفى بذلك جهلاً وضلالاً فإن رجعت إلى العقل وقلت لا يوجد حكمة إلا من حكيم قادر عليم ولا تدبير متقن إلا من صانع قادر مختار مدبر عليم بما يريد قادر عليه لا يعجزه ولا يؤوده، قيل لك: فإذا أقررت ويحك بالخلق العظيم الذي لا إله غيره ولا رب سواه فدع تسميته طبيعة أو عقلاً فعلاً أو موجباً بذاته وقل هذا هو الله الخالق البارئ المصور رب العالمين وقيوم السموات والأرضين ورب المشارق والمغرب الذي أحسن كل شيء خلقه وأتقن ما صنع فمالك جحدت أسماء وصفاته وذاته أضفت صنيعه إلى غيره وخلقته إلى سواه مع انك مضطر إلى الإقرار به إضافة الإبداع والخلق والربوبية والتدبير إليه ولا بد والحمد لله رب العالمين على انك لو تأملت قولك طبيعة ومعنى هذه اللفظة لذلك على الخالق البارئ لفظها كما دل العقول عليه معناها لأن طبيعة فعيلة بمعنى مفعولة أي مطبوعة ولا يَحْتَمَل غير هذا البتة لأنها على بناء الغرائز التي ركبت في الجسم ووضعت فيه كالسجية والغريزة والبحيرة والسليقة والطبيعة فهي التي طبع عليها الحيوان وطبعت فيه ومعلوم أن طبيعة من غير طابع لها محال فقد دل لفظ الطبيعة على البارئ تعالى كما دل معناها عليه والمسلمون يقولون إن الطبيعة خلق من خلق الله مسخر مربوب وهي سنته في خليقته التي أجزاها عليه ثم انه يتصرف فيها كيف شاء وكما شاء فيسلبها تأثيرها إذا أراد ويقلب تأثيرها إلى ضده إذا شاء ليرى عباده أنه وحده الخالق البارئ المصور وأنه يخلق ما يشاء كما يشاء ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وإن الطبيعة التي انتهت نظر الخفافيش إليها إنما هي خلق من خلقه بمنزلة سائر مخلوقاته فكيف يحسن بمن له حظ من إنسانية أو عقل أن ينسى من طبعها وخلقها ويحيل الصنع والإبداع عليها ولم يزل الله



سُبْحَانَهُ يسلبها قوتها ويحيلها ويقلبها إلى ضد ما جعلت له حتّى يرى عباده أنها خلقه وصنعه مسخرة بأمره ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. انتهى من «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٦١-٢٦٢).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: لما رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع: حسن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة، وقال: ما من شيء يُخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع فيه، فدل على أنها الفاعلة.

وجواب هذا نقول: اجتماع الطبائع على وجودها، لا على فعلها. ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها، وذلك يخالف طبيعتها، فدل على أنها مقهورة، وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة. ومعلوم أن الفعل المنسق المنتظم لا يكون إلا من عالم حكيم، فكيف يفعل من ليس عالمًا وليس قادرًا؟ فإن قالوا: ولو كان الفاعل حكميًا لم يقع في بنائه خلل ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة، فعلم أنه بالطبع.

قلنا: ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التي لا يجوز أن يصدر مثلها عن طبع. فأما الخلل المشار إليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة، أو في طية منافع لا نعلمها. ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع في نيسان على أنواع من الحبوب فترطب الحصرم والخلالة وتشف البرة وتبيسها؟ ولو فعلت طبعًا لأبيست الكل أو رطبتة. فلم يبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة في ييس هذه للادخار والنضج في هذه للتناول والعجب أن الذي أوصل إليها اليبس في أكنة لا يلتقى جرمها والذي رطبها يلتقى جرمها. ثم إنها تبيض ورق الخشخاش وتحمر الشقائق وتحمض الرمان وتحلّي العنب، والماء واحد. وقد أشار المولى إلى



هذا بقوله: ﴿يُسْقَى يَمَاءً وَجِدٍ وَفُضِّلَ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ [الرعد: ٤٠]. اهـ.
«تلبس إبليس» (٥٦-٥٧).

وقال ابن القيم رحمه الله: فَأَمَّا الْإِسْتِدْلَالُ بِالصَّنْعَةِ فَكثِيرٌ، وَأَمَّا الْإِسْتِدْلَالُ بِالصَّانِعِ فَلَهُ شَأْنٌ، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ بِقَوْلِهِمْ لِأُمَّمِهِمْ ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠] أَيْ أَيُّ شَيْءٍ فِي اللَّهِ حَتَّىٰ يُطَلَّبَ إِقَامَةُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ وُجُودِهِ؟ وَأَيُّ دَلِيلٍ أَصَحُّ وَأَظْهَرُ مِنْ هَذَا الْمَدْلُولِ؟ فَكَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الْأَظْهَرِ بِالْأَخْفَى؟ ثُمَّ تَبَّهُوا عَلَىٰ الدَّلِيلِ بِقَوْلِهِمْ ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ يَقُولُ: كَيْفَ يُطَلَّبُ الدَّلِيلُ عَلَىٰ مَنْ هُوَ دَلِيلٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ؟ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ ❀❀ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَىٰ دَلِيلٍ وَمَعْلُومٌ أَنَّ وُجُودَ الرَّبِّ تَعَالَىٰ أَظْهَرُ لِلْعُقُولِ وَالْفِطْرِ مِنْ وُجُودِ النَّهَارِ، وَمَنْ لَمْ يَرَ ذَلِكَ فِي عَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ فَلَيْتَهُمَا.

وَإِذَا بَطَلَ قَوْلُ هَؤُلَاءِ بَطَلَ قَوْلُ أَهْلِ الْإِلْحَادِ، الْقَائِلِينَ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ، وَأَنَّهُ مَا تَمَّ وُجُودٌ قَدِيمٌ خَالِقٌ وَوُجُودٌ حَادِثٌ مَخْلُوقٌ، بَلْ وُجُودٌ هَذَا الْعَالَمِ هُوَ عَيْنُ وُجُودِ اللَّهِ، وَهُوَ حَقِيقَةُ وُجُودِ هَذَا الْعَالَمِ، فَلَيْسَ عِنْدَ الْقَوْمِ رَبٌّ وَعَبْدٌ، وَلَا مَالِكٌ وَمَمْلُوكٌ، وَلَا رَاحِمٌ وَمَرْحُومٌ، وَلَا عَابِدٌ وَمَعْبُودٌ، وَلَا مُسْتَعِينٌ وَمُسْتَعَانٌ بِهِ، وَلَا هَادٍ وَلَا مَهْدِيٌّ، وَلَا مُنْعَمٌ وَلَا مُنْعَمٌ عَلَيْهِ، وَلَا غَضْبَانٌ وَمَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، بَلِ الرَّبُّ هُوَ نَفْسُ الْعَبْدِ وَحَقِيقَتُهُ، وَالْمَالِكُ هُوَ عَيْنُ الْمَمْلُوكِ، وَالرَّاحِمُ هُوَ عَيْنُ الْمَرْحُومِ، وَالْعَابِدُ هُوَ نَفْسُ الْمَعْبُودِ، وَإِنَّمَا التَّغَايُرُ أَمْرٌ اعْتِبَارِيٌّ بِحَسَبِ مَظَاهِرِ الذَّاتِ وَتَجَلِّيَاتِهَا، فَتَظْهَرُ تَارَةً فِي صُورَةِ مَعْبُودٍ، كَمَا ظَهَرَتْ فِي صُورَةِ فِرْعَوْنَ، وَفِي صُورَةِ عَبْدٍ، كَمَا ظَهَرَتْ فِي صُورَةِ الْعَبِيدِ، وَفِي صُورَةِ هَادٍ، كَمَا فِي صُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْكُلُّ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ



هُوَ الْعَيْنُ الْوَاحِدَةُ، فَحَقِيقَةُ الْعَابِدِ وَوُجُودُهُ أَوْ أُنَيْتُهُ: هِيَ حَقِيقَةُ الْمَعْبُودِ وَوُجُودُهُ وَأُنَيْتُهُ.

وَالْفَاتِحَةُ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا تُبَيِّنُ بَطْلَانَ قَوْلِ هَؤُلَاءِ الْمَلَاحِدَةِ وَصَلَا لَهُمْ. انتهى من «مدارج السالكين» (١/٦٠-٦١).

وقال ابن كثير رحمه الله: يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا دَارَ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَبَيْنَ رُسُلِهِمْ مِنَ الْمُجَادَلَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّمَهُمْ لَمَّا وَاجَهُوهُمْ بِالشَّكِّ فِيمَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَتِ الرُّسُلُ: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ وَهَذَا يَحْتَمِلُ شَيْئَيْنِ، أَحَدِهِمَا: أَفِي وُجُودِهِ شَكٌّ، فَإِنَّ الْفِطْرَ شَاهِدَةٌ بِوُجُودِهِ، وَمَجْبُودَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِهِ، فَإِنَّ الْإِعْتِرَافَ بِهِ ضَرُورِيٌّ فِي الْفِطْرِ السَّلِيمَةِ، وَلَكِنْ قَدْ يَعْرِضُ لِبَعْضِهَا شَكٌّ وَاضْطِرَابٌ، فَتَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الدَّلِيلِ الْمُوَصَّلِ إِلَى وُجُودِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَتْ لَهُمُ الرُّسُلُ تُرْشِدُهُمْ إِلَى طَرِيقِ مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّهُ ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الَّذِي خَلَقَهَا وَابْتَدَعَهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، فَإِنَّ شَوَاهِدَ الْحُدُوثِ وَالْخَلْقِ وَالتَّسْخِيرِ ظَاهِرٌ عَلَيْهَا، فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ صَانِعٍ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَهُهُ وَمَلِيكُهُ.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي فِي قَوْلِهِمْ: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ أَي: أَفِي إِلَهِيَّتِهِ وَتَقَرُّدِهِ بِوُجُوبِ الْعِبَادَةِ لَهُ شَكٌّ، وَهُوَ الْخَالِقُ لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا هُوَ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَإِنَّ غَالِبَ الْأُمَمِ كَانَتْ مُقَرَّةً بِالصَّانِعِ، وَلَكِنْ تَعَبَّدُ مَعَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْوَسَائِطِ الَّتِي يَظُنُّونَهَا تَنْفَعُهُمْ أَوْ تُقَرِّبُهُمْ مِنَ اللَّهِ زُلْفَى.

انتهى من «تفسير القرآن العظيم» (٤/٤٨٢).





الثاني: هداية القرآن إلى توحيد الربوبية واستدلاله به على توحيد الألوهية

وهذا التوحيد فطري، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنَّ غَالِبَ الْأُمَمِ كَانَتْ مُقَرَّةً بِالصَّانِعِ، وَلَكِنْ تَعَبَّدُ مَعَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْوَسَائِطِ الَّتِي يَطْنُونَهَا تَنْفَعُهُمْ أَوْ تُقَرِّبُهُمْ مِنَ اللَّهِ زُلْفَى. «تفسير القرآن العظيم» (٤/٤٨٢).

ولم ينكر الربوبية إلا الشواذ من البشرية، ومع ذلك بيّنها الله في القرآن بياناً شافياً كافياً مزيلاً لكل لبس وشك، وألزم من اعتقده وآمن به أن يقرّ بألوهيته لأنه الخالق الرازق المالك المدبر فهو المستحق للعبادة على ما يأتي، ولا يجوز أن تصرف إلى غيره بحال.

وقد تنوّعت أدلة القرآن في إثبات ربوبية الله **عَزَّجَلَّ**، وجاء على عدة أوجه، فمنها:

أولاً: دلالة القرآن على الخلق والإيجاد:

قَالَ اللهُ تَعَالَى مَقْرَراً هَذَا الْبَابَ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: ٦٣-٦٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفِئَ فِي الْأَرْضِ رَوِيسًا أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَيَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ هَذَا



خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾
[لقمان: ١٠-١١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

وأدلة القرآن على أنه خالق العالم أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر.

ثانيًا: دلالة القرآن على إثبات الملك:

وَقَالَ تَعَالَى مُثَبِّتًا رَبوبيته بدلالة المُلْك: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ نُتَوِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَرُّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة سبأ: ١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢].

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

[المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاحة: ٤].



وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَجْدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم ملك الله تعالى، وأن كل من ملك شيئاً في هذا العالم فملكه قاصر، والمالك حقاً هو الله تعالى، فهو المالك والملك. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿* يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٥-١٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِيهِ وَيُمِيتُهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ١-٣]، إلى غير ذلك.

ثالثاً: دلالة القرآن على التدبير:

قَالَ اللهُ تَعَالَى مَبِيناً رَبوبيته بدلالة تدبيره للعالم علوية وسفلية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿* إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَالِقُ نُوْفُكُونَ ﴿١٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا



فَنَوَافِدَ دَائِمَةً وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَابِ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۚ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٧﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٩].

ويدخل في ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢١﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاجِينَ أُنثِينَ يُغِيثُ الْبَلَّ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ٢-٣].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٨﴾ وَعَلَّمَتِ الْبَالِغَةَ هُم يَهْتَدُونَ ﴿١٩﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ١٤-١٨].

وفي سورة النحل الكثير من ذلك ولكن هذه إشارات إلى ما عداها.

وقال الله تعالى: ﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ٤١].



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



وهكذا تعرّف الله **عَزَّوَجَلَّ** على عباده في هذا الكتاب الذي جعله ﴿يَهْدِي لِئَلَىٰ هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وإن تحقيق هذا التوحيد ليؤدي إلى حسن التوكل على الله **عَزَّوَجَلَّ**. وذلك لعلم العبد وتيقنه أن الأمر لله **عَزَّوَجَلَّ** من قبل ومن بعد، وأنه تعالى ﴿فَعَالٌ لِّمَآ يُرِيدُ ﴿٣٧﴾﴾ [هود: ١٠٧]، وأنه ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ: ٣] على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَحَرَينَ بِهِمْ يَرْيَحُ طَيْبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِيْنَ أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٢-٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١١﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٩-٢٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً ﴿٤٠﴾﴾ وَنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴿٤١﴾﴾ [لقمان: ٤٠].

فهو تعالى الخالق الرازق المالك المدبر لهذا العالم علوية وسفلية.



رابعًا: دلالة القرآن على أن الذي بيده النفع والضرر هو الله **عَزَّجَلَّ**:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]،

في آيات كثيرة، فإن الذي ينفع ويضر ويجلب ويدفع ويخفض ويرفع هو الله **عَزَّجَلَّ** المالك لهذا العالم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْبَدِيعُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٧-١٨].

بل إن الكفار على ما تقدم لم يكونوا يخالفون في إثبات هذا النوع من التوحيد إذ من المتقرر في كل فطرة أن الله **عَزَّجَلَّ** هو المتفرد بملك هذا العالم والتصرف فيه، تعالى الله عن قول الملحدين علوًّا كبيرًا. فهو **عَزَّجَلَّ** ﴿الْكَبِيرُ الْمُنْتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

قال الإمام ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: ﴿الْكَبِيرُ﴾ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، ﴿الْمُنْتَعَالِ﴾ أَي: عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَقَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، فَخَضَعَتْ لَهُ الرَّقَابُ وَدَانَ لَهُ الْعِبَادُ، طَوْعًا وَكَرْهًا. «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٣٧).

فسبحان الله الذي لا يعجزه شيء ولا يعزب عنه شيء، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

- ويتلخص مما تقدم: أن الدلائل على ربوبية الله **عَزَّجَلَّ** عائدة إلى أمرين:

* **الأول:** دلالة الخلق والإيجاد والتكوين الدالة على القدرة والخلق والحكمة والإتقان والعلم.

* **الثاني:** دلالة الإمداد بعد الإيجاد وهي لا تفارق الأولى إلا أن ذكرها مفردة تبين تصرف الله **عَزَّجَلَّ** في هذا العالم على أكمل وجه وأحسن تدبير.



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْأَمِينَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَيُّ لَّهُمُ الْبَلُّ نَسَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْبَلُّ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَيُّ لَّهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ [يس: ٣٣-٤٤].

هذه أمثلة ليزداد بها المؤمنون إيمانًا، وإلا فإنها ظاهرة جليلة لكل صاحب فطرة سوية.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

العلاقة بين توحيد الربوبية والألوهية:

إن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فالرب الخالق، الرازق، المالك، المدبر للعالم علويه وسفليه، هو وحده المستحق أن يُفرد بالعبادة، فالرب هو الإله لزامًا لا مناص عنه، والإله هو الرب.

والله **عَزَّوَجَلَّ** بعث محمدًا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في قوم يؤمنون بربوبية الله في الجملة ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، فهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق ولم يدخلهم هذا الإقرار في الإسلام، بل لا بد أن يضاف إليه الإقرار بالله **عَزَّوَجَلَّ**



بالعبودية على ما يأتي في بيان الركن الثالث من أركان الإيمان بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وهو إثبات الإيمان بألوهيته.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: القسم الأول: توحيد الربوبية: هو إفراد الله **عَزَّوَجَلَّ** بالخلق، والملك، والتدبير.

فإفراده بالخلق: أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فهذه الجملة تفيد الحصر لتقديم الخبر؛ إذ إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]؛ فهذه الآية تفيد اختصاص الخلق بالله، لأن الاستفهام فيها مشرب معنى التحدي.

أما ما ورد من إثبات خلق غير الله؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وكقوله في المصورين: ﴿يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ﴾.

فهذا ليس خلقاً حقيقة، وليس إيجاداً بعد عدم، بل هو تحويل للشيء من حال إلى حال، وأيضاً ليس شاملاً، بل محصور بما يتمكن الإنسان منه، ومحصور بدائرة ضيقة؛ فلا ينافي قولنا: إفراد الله بالخلق.

وأما إفراد الله بالملك: فأن نعتقد أنه لا يملك الخلق إلا خالقهم؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

وأما ما ورد من إثبات الملكية لغير الله؛ كقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مِّفَاتِحُهُ﴾ [النور: ٦١]، فهو ملك محدود لا يشمل إلا شيئاً يسيراً من هذه المخلوقات؛ فالإنسان يملك ما تحت يده، ولا يملك ما تحت يد غيره، وكذا هو



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير

ملك قاصر من حيث الوصف؛ فالإنسان لا يملك ما عنده تمام الملك، ولهذا لا يتصرف فيه إلا على حسب ما أذن له فيه شرعاً، فمثلاً: لو أراد أن يحرق ماله، أو يعذب حيوانه؛ قلنا: لا يجوز، أما الله سبحانه، فهو يملك ذلك كله ملكاً عاماً شاملاً.

وأما أفراد الله بالتدبير: فهو أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر إلا الله وحده؛ كما قال

تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْأُمِّيِّتِ وَيُخْرِجُ الْأُمِّيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَمِعُوا اللَّهَ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

وأما تدبير الإنسان؛ فمحصور بما تحت يده، ومحصور بما أذن له فيه شرعاً.

وهذا القسم من التوحيد لم يعارض فيه المشركون الذين بعث فيهم الرسول

صلى الله عليه وسلم، بل كانوا مقرين به، قال تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، فهم يقولون بأن الله هو الذي يدبر الأمر، وهو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، ولم ينكره أحد معلوم من بني آدم؛ فلم يقل أحد من المخلوقين: إن للعالم خالقين متساويين.

فلم يجحد أحد توحيد الربوبية، لا على سبيل التعطيل ولا على سبيل التشريك،

إلا ما حصل من فرعون؛ فإنه أنكره على سبيل التعطيل مكابرة؛ فإنه عطل الله من

ربوبيته وأنكر وجوده، قال تعالى حكاية عنه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا

عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]. وهذا مكابرة منه لأنه يعلم أن الرب

غيره؛ كما قال تعالى: ﴿وَوَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقال

تعالى حكاية عن موسى وهو يناظره: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٤]؛ فهو في نفسه مقر بأن الرب هو الله عز وجل.



وأنكر توحيد الربوبية على سبيل التشريك المجوس، حيث قالوا: إن للعالم خالقين هما الظلمة والنور، ومع ذلك لم يجعلوا هذين الخالقين متساويين، فهم يقولون: إن النور خير من الظلمة؛ لأنه يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر، والذي يخلق الخير خير من الذي يخلق الشر.

وأيضاً؛ فإن الظلمة عدم لا يضيء، والنور وجود يضيء؛ فهو أكمل في ذاته. ويقولون أيضاً بفرق ثالث، وهو: أن النور قديم على اصطلاح الفلاسفة، واختلفوا في الظلمة، هل هي قديمة، أو محدثة؟ على قولين.

دلالة العقل على أن الخالق للعالم واحد:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، إذ لو أثبتنا للعالم خالقين؛ لكان كل خالق يريد أن ينفرد بما خلق ويستقل به كعادة الملوك؛ إذا لا يرضى أن يشاركه أحد، وإذا استقل به؛ فإنه يريد أيضاً أمراً آخر، وهو أن يكون السلطان له لا يشاركه فيه أحد. وحيث إذا أراد السلطان؛ فإما أن يعجز كل واحد منهما عن الآخر، أو يسيطر أحدهما على الآخر؛ فإن سيطر أحدهما على الآخر ثبتت الربوبية له، وإن عجز كل منهما عن الآخر زالت الربوبية منهما جميعاً؛ لأن العاجز لا يصلح أن يكون رباً. انتهى من «القول المفيد على كتاب التوحيد» للعثيمين (١/٣-١).

فهذا النوع من التوحيد هو دليل لما سواه، عَنْ أَبِي جُرَيْجٍ جَابِرِ بْنِ سَلِيمٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصُدُّرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللهِ، مَرَّتَيْنِ، قَالَ: «لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ» قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتُهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامٌ سَنَةٍ فَدَعَوْتُهُ، أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضِ قَفْرَاءَ - أَوْ فَلَاقٍ - فَضَلَّتْ



رَاحِلَتِكَ فَدَعَوْتُهُ، رَدَّهَا عَلَيْكَ»، قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ لِي، قَالَ: «لَا تَسْبِنَ أَحَدًا» قَالَ: فَمَا سَبَيْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً، قَالَ: «وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَازْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ (بمعنى: الخيلاء والتكبر)، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيْرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرُهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّهَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ». أخرجه أبو داود (٤٠٨٤)، وغيره بسند صحيح.

وقد دعا رسول الله ﷺ اليهود والنصارى ومشركي العرب إلى الإسلام، وكلهم يقرّون بأن الخالق لهذا العالم والرازق والمدبر هو الله عزَّوجلَّ. ومع ذلك حين لم يفرّدوا الله بالعبادة لم ينفعهم هذا الإقرار، فتنبه لهذا، تسلم من هذه السحيفة التي زلت فيها أقدام وأقلام وحارت فيها أمم.

فغاية ما يناظرون لإثباته والتدليل عليه هو توحيد الربوبية، بل إنهم يفسرون كلمة الإخلاص التي هي (لا إله إلا الله) بالقادر على الاختراع أو لا رازق إلا الله. وهذا التفسير منهم تفسير لا يدل على حقيقة هذه الكلمة وأنه لا معبود بحق إلا الله عزَّوجلَّ على ما يأتي بيانه إن شاء الله.

* الثالث: هداية القرآن إلى توحيد الألوهية:

توحيد الألوهية وإفراد الله بما يجب له من أفعال المكلفين. وهذا التوحيد تنوعت عبارات العلماء في تسميته، فمن أسمائه:

١- توحيد الألوهية.

٢- توحيد الطلب.

٣- توحيد القصد.

٤- توحيد العبادة.



٥- التوحيد العملي.

٦- توحيد النية.

وهو أفراد الله **عَزَّوَجَلَّ** بالعبادة أو قل: أفراد الله **عَزَّوَجَلَّ** بأفعال المكلفين، وهو التوحيد الذي أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل، وشرع من أجله الجهاد، ومن أجل تحقيقه خلقت الجنة والنار، وانقسم الناس بسببه إلى مؤمنين وفجار، وهو حق الله **عَزَّوَجَلَّ** على العباد كما صح عن رسولنا الكريم محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوهُ» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ». أخرجه البخاري (٦٥٠٠)، ومسلم (٣٠).

ولما كان هذا التوحيد هو الحق العظيم فقد بينه الله **عَزَّوَجَلَّ** في كتابه على أكمل وأوضح بيان، فأخبر أنه خلق العباد لتحقيقه فقال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأمر به جميع الناس فقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].



وأرسل من أجله الرسل، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأنزل الله **عَزَّوَجَلَّ** به جميع الكتب قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وأعظم القسط ملازمة التوحيد.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]. وأعظم نور هو التوحيد، وأعظم ظلمة هي الشرك، والصرط المستقيم يدخله ابتداءً التوحيد.

وبيّن الله أنه شرع الجهاد لتحقيق هذا التوحيد فقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آنتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]، إلى غير ذلك.

وكلمة التوحيد هي الكلمة العظيمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ



وَأَمَلْتِكُمْ وَأَوْلُوا الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

هدي القرآن إلى شروط لا إله إلا الله:

وقد بين الله عزَّوجلَّ في القرآن الشروط التي يتحقق بها معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»:

فالأول: العلم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

ثانيها: اليقين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ثالثها: الإخلاص، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

رابعها: الصدق، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

خامسها: المحبة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

سادسها: الانقياد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

سابعها: القبول، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يَوْمُنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].



ثامنها: الكفر بالطاغوت، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهدي القرآن إلى هذه الشروط على أكمل وجه وأتم بيان حتى لم يدع لمحتج حجة ولا حد لبس إذ أن تحقيق هذه الكلمة يعني تجرد العبد لله **عَزَّوَجَلَّ**.

وكم ساق من الأدلة والشواهد الموضحة لمعناها وسائرة على مبناها من تضمن النفي والإثبات. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأبيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [المتحنة: ٤]، وغير ذلك مما في بابه.

هذه الكلمة العظيمة دعا إليها القرآن فقال اللهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَلْمَنَّا بِكَ وَأَؤَلُوا بِالْعَلَمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

قال اللهُ **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ في موضعين [البقرة: ٢٥٥] و[آل عمران: ٢].



وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٤].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾ [الكافرون].

معنى لا إله إلا الله:

وقد دلّ القرآن إلى معناها فقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٤] فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.

وقد فسرها المبتدعة بتفسيرات مبتدعة، فقال بعضهم: (لا موجود إلا الله)، وهذا تعريف الحلولية والاتحادية الذين يقولون بوحدة الوجود.

وعرفها بعضهم بقولهم: (لا معبود إلا الله)، وهذا تعريف باطل شرعا وعقلا إذ إن المعبودات كثيرة لكن المعبود بحق هو الله الواحد القهار.

وفسرها بعضهم بقولهم: (لا خالق ولا رازق إلا الله)، وهذا غاية ما يثبت به توحيد الربوبية، ولهذا لا بد من معرفة المعنى الحقيقي لهذه الكلمة العظيمة التي هي أفضل الذكر، كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ». أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠).

إن معرفة معنى هذه الكلمة والعمل بمقتضاه معناه: الكفر بالطاغوت والبعد عن كل عمل يناقض التوحيد، بل يتمحض معها صرف جميع العبادات لله تعالى من إخلاص، ودعاء، ورجاء، وخوف، وتوكل، وإنبابة إلى آخر ما يذكر في هذا الباب.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فالتوحيد الذي جاءت به الرسل هو أفراد الرب بالتأله الذي هو كمال الذل والخضوع والانقياد له مع كمال المحبة والإنابة وبذل الجهد في طاعته ومرضاته وإيثار محابه ومراده الديني على محبة العبد ومراده فهذا أصل دعوة الرسل وإليه دعوا الأمم وهو التوحيد الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه لا من الأولين ولا من الآخرين وهو الذي أمر به رسله وأنزل به كتبه ودعا إليه عباده ووضع لهم دار الثواب والعقاب ولأجله وشرع الشرائع لتكميله وتحصيله. اهـ. من «شفاء العليل» (١٣٩).

وقال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» تقتضي ألا يُحِبَّ سِوَاهُ، فَإِنَّ الإِلَهَ هُوَ الَّذِي يُطَاعُ، مَحَبَّةً وَخَوْفًا وَرَجَاءً. وَمِنْ تَمَامِ مَحَبَّتِهِ مَحَبَّةٌ مَا يُحِبُّهُ، وَكَرَاهَةٌ مَا يَكْرَهُهُ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ، أَوْ كَرِهَ شَيْئًا مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ لَمْ يَكْمُلْ تَوْحِيدُهُ وَلَا صِدْقُهُ فِي قَوْلِ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَكَانَ فِيهِ مِنَ الشَّرِكِ الْخَفِيِّ بِحَسَبِ مَا كَرِهَهُ مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَمَا أَحَبَّهُ مِمَّا يَكْرَهُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَشْحَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٢٨]. اهـ. من «كلمة الإخلاص» (٢٩).





فصل في بيان وجوب تحقيق كلمة التوحيد لفظاً ومعنى

وبعد هذا اعلم: أن تحقيقها هو قطب رحى الدين وحبلة القويم الذي من قصر فيه لحقه من الضرر بقدر ما عنده من نقص. وقد أبى أن يقولها أبو جهل وشيعته مع علمهم بمعناها، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَيَعْبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَاهِنُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۝۱۰۱ أَجْعَلُ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝۱۰۲﴾ [ص: ٤، ٥].

وهذا القول منهم صدر بعد قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

تَفْلِحُوا»، فتيقنوا أن قولهم بها يتضمن أفراد الله **عَزَّوَجَلَّ** بالعبادة ويستلزم البراءة من كل معبود سواه البراءة من هبل واللات والعزى ومناة وغير ذلك، ثم أبوا أن يقولوها كبراً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝۳۵ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهَيْتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝۳۶﴾ [الصفات: ٣٥-٣٦].

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: ﴿وَقَالَ الْكَاهِنُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۝۱۰۱ أَجْعَلُ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝۱۰۲﴾ أَي: أَرَعَمَ أَنَّ الْمَعْبُودَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؟! أَنْكَرَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - وَتَعَجَّبُوا مِنْ تَرْكِ الشُّرْكِ بِاللَّهِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ تَلَقَّوْا عَنْ آبَائِهِمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَأَشْرَبَتْهُ قُلُوبُهُمْ فَلَمَّا دَعَاهُمُ الرَّسُولُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِلَى خَلْعِ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَإِفْرَادِ اللَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ أَعْظَمُوا ذَلِكَ وَتَعَجَّبُوا. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٥٣/٧).

والعجب الآن ممن يقولها بلسانه صباح مساء ويكررها لفظاً في الشدة والرخاء والبأساء والضراء ثم لا يعلم معناه، فتراه يدعو غير الله من مقبورين ونحوهم ويستعين ويستغيث بهم بما لم يفعله السابقون من أسلافهم. فقد أخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** عنهم: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْوَيْدَانَ فَلَمَّا بَجَّهْم إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].



وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي الْمُقْتَصِدِ هُنَا: أَيُّ كَافِرٍ. كَأَنَّهُ فَسَّرَ الْمُقْتَصِدَ هَاهُنَا بِالْجَاحِدِ. اهـ.
«تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٥١).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا آيَاتُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَّهْتُمْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِن آجَبْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَجُفُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيِّكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يونس: ٢٢-٢٣].

وإذا تأملت عباد القبور ممن يقول: (لا إله إلا الله) في أذانه وعند تحريك مسبحةه تجد أنه جاهل بمعناها جهلاً سحيقاً أو صله إلى مصاف من تقدم ذكره من المشركين حيث تعلق قلوبهم بالمقبورين المربوبين خوفاً وطمعاً ودعاءً ورغبةً ورهبةً وتوكلًا واعتمادًا.

فيا لله العجب كم يسكبون في ساحاتها من العبرات وكم تهراق لها من الدماء وكم يستغيثون بها عند الملمات والشدائد والحاجات وقد قال بعضهم عندما هجم التتر على بلاد الشام:

يا هارين من التتر ❀❀ لو ذوا بقبر أبي عمر
ووضعوا الأحاديث لهذا الشرك العظيم ومنها قول بعضهم: "إذا أعيتكم الأمور
فعلیکم بأرباب القبور".



ورحم الله ابن الأمير الصنعاني إذ صَوَّرَ هذه الحادثة بقوله:

أَعَادُوا بِهَا مَعْنَى سُوعٍ وَمِثْلِهِ ❀❀ يَغُوثٌ وَوَدٌ، بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ وُدٍّ
 وَقَدْ هَتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ❀❀ كَمَا يَهْتَفُ الْمَضْطَّرُّ بِالصَّمَدِ الْفَرْدِ
 وَكَمْ نَحَرُوا فِي سُوحِهَا مِنْ نَجِيرَةٍ ❀❀ أَهَلَّتْ لِغَيْرِ اللَّهِ جَهْرًا عَلَى عَمَدِ
 وَكَمْ طَائِفٍ حَوْلَ الْقُبُورِ مَقْبَلًا ❀❀ وَيَسْتَلِمُ الْأَرْكَانَ مِنْهُنَّ بِالْيَدِ
 انتهى من «تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد» للصنعاني (٢٠).

فأصبح عباد القبور على شرك عظيم مخرج من الملة وإن لم يسموا فعلهم عبادة
 فليس لهم في ذلك من عذر فصنيعهم عبادة وصرف ما يحب الله **عَزَّوَجَلَّ** ويرضاه مما
 أمر به لغيره فهو شرك بالله، وكونهم لا يعتقدون أن فعلهم عبادة لهذه القبور فهذا
 لجهلهم بالتوحيد وتوغلهم في الشرك والتنديد.

قال ابن الأمير رَحْمَةُ اللَّهِ: وقد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو
 قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع
 عنده في حاجة من حوائج الدنيا، بمجرد التشفع به والتوسل به إلى الرب تعالى، فإنه
 قد أشرك مع الله غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده، كما اعتقد المشركون في الأوثان،
 فضلاً عما ينذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك الميت ما لا يطلب إلا
 من الله تعالى من الحاجات، من عافية مريضه أو قدوم غائبه أو نيله لأي مطلب من
 المطالب، فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان ويكون عليه عباد الأصنام.

والنذر بالمال على الميت ونحوه والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات
 منه هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً،
 وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً، والأسماء لا أثر لها ولا تغير
 المعاني، ضرورة لغوية وعقلية وشرعية، فإن من شرب الخمر وسماها ماء، ما شرب



إلا خمرا وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية.

وكذلك تسمية القبر مشهدا ومن يعتقدون فيه وليا لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بها طواف الحجاج بيت الله الحرام ويستلمونها استلامهم لأركان البيت ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، من قولهم: على الله وعليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها، وكل قوم لهم رجل ينادونه، فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلاني، وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه، يقولون: «يا زيلعي، يا ابن العجيل». وأهل مكة وأهل الطائف: «يا ابن العباس». وأهل مصر: «يا رفاعي، يا بدوي» والسادة البكرية وأهل الجبال: «يا أبا طير». وأهل اليمن: «يا ابن علوان».

وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر، وهذا هو بعينه فعل المشركين في الأصنام. انتهى من «تطهير الاعتقاد» (١٨-٢٠) مختصراً.

بعض شبه عباد القبور:

ومن عجيب صنيع عباد القبور المشركين المنادين أن يأتوا بالشبه على صنيعهم وشركهم، ومنها ما ذكره ابن الأمير **رحمة الله**: فإن قلت: الاستغاثة قد ثبتت في الأحاديث، فإنه قد صح أن العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبي البشر ثم بنوح ثم إبراهيم ثم بموسى ثم بيسى ويتهون إلى محمد **صلى الله عليه وسلم** بعد اعتذار كل واحد من الأنبياء، فهذا دليل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بمنكر، قلت: هذا تلبس، فإن الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدر عليهم لا ينكره أحد، وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الإسرائيلي والقبطي ﴿فَأَسْتَعِثُّهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥] وإنما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم وطلبهم



منهم أمورًا لا يقدر عليها إلا الله تعالى من عافية المرض وغيرها، بل أعجب من هذا أن القبوريين وغيرهم من الأحياء من أتباع من يعتقدون فيه قد يجعلون له حصة من الولد إن عاش ويشتروا منه الحمل في بطن أمه ليعيش ويأتون بمنكرات ما بلغ إليها المشركون الأولون، ولقد أخبرني بعض من يتولى قبض ما ينذر به القبوريون لبعض أهل القبور أنه جاء إنسان بدرهم وحلية نسائية وقال هذه لسيده فلان - يريد صاحب القبر - نصف مهر ابنتي، لأنني زوجتها وكنت ملكت نصفها فلانا، يريد صاحب القبر. وهذه الذور بالأموال وجعل قسط للقبر كما يجعلون شيئاً من الزرع يسمونه (تلمًا) في بعض الجهات اليمينية، وهذا شيء ما بلغ إليه عباد الأصنام، وهو داخل تحت قول الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [النحل: ٥٦] بلا شك ولا ريب.

ثم استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الأنبياء إنما يدعون الله تعالى ليفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من هول الموقف، وهذا لا شك في جوازه، أعني طلب دعاء الله تعالى من بعض عباده لبعض، بل قال **صلى الله عليه وسلم** لعمر **رضي الله عنه** لما خرج معتمرًا: «لا تنسنا يا أخي من دعائك». وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين وأن نستغفر لهم في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] وقد قالت أم سليم **رضي الله عنها**: "يا رسول الله، خادمتك أنس، ادع الله له". وقد كان الصحابة **رضي الله عنهم** يطلبون الدعاء منه **صلى الله عليه وسلم** وهو حي، وهذا أمر متفق على جوازه، والكلام في طلب القبوريين من الأموات أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا أن يشفوا مرضاهم ويُرُدُّوا غائبهم ويُنفِّسوا عن حبلاتهم وأن يسقوا زرعهم ويُدِّروا ضروع مواشيهم ويحفظوها من العين ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها أحد إلا الله، هؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَهْضُمُونَ﴾



[الأعراف: ١٩٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤] فكيف يطلب الإنسان من الجماد أو من حي الجماد خير منه لأنه لا تكليف عليه، وهذا يبين ما فعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ الآية [الأنعام: ١٣٦]، وقال: ﴿وَجَعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَأَلَّفُوا لَشُكْرِنَا عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦].

فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جُهال الأحياء وُضِّلَ لهم سلكوا مسالك المشركين حذو القُذَّة القُذَّة، فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يُعْتَقَدَ إلا في الله، وجعلوا لهم جزءاً من المال وقصدوا قبورهم من ديارهم البعيدة للزيارة، وطافوا حول قبورهم وقاموا خاضعين عند قبورهم وهتفوا بهم عند الشدائد، ونحروا تقرباً إليهم، وهذه هي أنواع العبادات التي عَرَّفْنَاك ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم؟ لا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك، بل أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده تعظيماً له وعبادة، ويقسمون بأسمائهم، بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبلوا منه، فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه، وهكذا كان عباد الأصنام ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥] وفي الحديث الصحيح: «مَنْ كَانَ حَالِفاً، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ». وسمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً يحلف باللات فأمره أن يقول: «لا إله إلا الله» وهذا يدل على أنه ارتد بحلفه بالصنم، فأمره أن يجدد إسلامه فإنه قد كفر بذلك، كما قرناه في «سبل السلام شرح بلوغ المرام» وفي «منحة الغفار»، فإن قلت: لا سواء، لأن هؤلاء قد قالوا «لا إله إلا الله» وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،



فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»،
وقال لأسامة بن زيد: «لم تقتله بعدما قال لا إله إلا الله؟». وهؤلاء يصلون ويصومون
ويزكون ويحجون بخلاف المشركين، قلتُ: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِلَّا بِحَقِّهَا»** وحقها
إفراد الإلهية والعبودية لله تعالى، والقبوريون لم يفرّدوا الإلهية والعبادة، فلم تنفعهم
كلمة الشهادة، فإنها لا تنفع إلا مع التزام معناها، كما لم ينفع اليهود قولها لإنكارهم
بعض الأنبياء.

وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبياً، لم تنفعه كلمة الشهادة، ألا ترى أن بني
حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ولكنهم قالوا:
إن مسيلمة نبي، فقاتلهم الصحابة وسبوهم، فكيف بمن يجعل للولي خاصية الإلهية
ويناديه للمهمات؟.

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** حرق أصحاب عبد الله بن سبأ،
وكانوا يقولون نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولكنهم غلوا في علي
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون وأشباههم، فعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها
أحدًا من العصاة، فإنه حفر لهم الحفائر وأجج لهم نارًا وألقاهم فيها وقال:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا ❀❀ أَجَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبُرًا
وقال الشاعر في عصره:

لترم بي المنية حيث شاءت ❀❀ إذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما أججوا فيهم نارا ❀❀ رأيت الموت نقدا غير دين

والقصة في فتح الباري وغيره من كتب الحديث والسير.

وقد وقع إجماع الأمة على أن من أنكر البعث كفر ويقتل ولو قال لا إله إلا الله،

فكيف بمن يجعل لله ندًا؟



فإن قلت: قد أنكر **صلى الله عليه وسلم** على أسامة قتله لمن قال لا إله إلا الله كما هو معروف في كتب الحديث والسير، قلتُ: لا شك أن من قال: «لا إله إلا الله» من الكفار حقن دمه وماله حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله، ولذا أنزل الله في قصة مُحَلِّمِ بْنِ جَثَامَةَ آية ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ الآية [النساء: ٩٤] فأمرهم الله تعالى بالثبوت في شأن من قال كلمة التوحيد، فإن تبين التزامه لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وإن تبين خلافه فلم يحقن دمه وماله بمجرد التلفظ، وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يخالف ذلك، فإذا تبين لم تنفعه هذه الكلمة بمجرد ما، ولذلك لم تنفع اليهود ولا نفعت الخوارج مع ما انضم إليها من العبادة التي يحتقر الصحابة عبادتهم إلى جنبها، بل أمر **صلى الله عليه وسلم** بقتلهم، وقال: «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّاهُمْ قَتْلَ عَادٍ» وذلك لما خالفوا بعض الشريعة وكانوا شر القتلى تحت أديم السماء، كما ثبتت به الأحاديث، فثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتكابه لما يخالفها من عبادة غير الله.

فإن قلت: القبوريون وغيرهم من الذين يعتقدون في فسقة الناس وجهالهم من الأحياء يقولون نحن لا نعبد هؤلاء ولا نعبد إلا الله وحده ولا نصلي لهم ولا نصوم ولا نحج، قلتُ: هذا جهل بمعنى العبادة، فإنها ليست منحصرة في ما ذكرت، بل رأسها وأساسها الاعتقاد، وقد حصل في قلوبهم ذلك، بل يسمونه معتقداً، ويصنعون له ما سمعته مما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة والحلف والنذر وغير ذلك.

فإن قلت: هذه النذور والنحائر ما حكمها؟ قلتُ: قد علم كل عاقل أن الأموال عزيزة عند أهلها يسعون في جمعها ولو بارتكاب كل معصية ويقطعون الفيافي من أدنى الأرض والقاصي، فلا يبذل أحد من ماله شيئاً إلا لجلب نفع أكثر منه أو دفع



ضرر. فالناذر للقبر ما أخرج ماله إلا لذلك، وهذا اعتقاد باطل، ولو عرف الناذر بطلان ما أراده ما أخرج درهماً، فإن الأموال عزيزة عند أهلها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۗ إِنَّ يَسْأَلَكُمْوهَا فَيُخْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْفَانَكُمْ ۗ﴾ [محمد: ٣٦-٣٧].

فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه إضاعة لماله وأنه لا ينفعه ما يخرج ولا يدفع عنه ضرراً، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ» ويجب رده إليه، وأما القابض للنذر فإنه حرام عليه قبضه لأنه أكل لمال الناذر بالباطل لا في مقابلة شيء، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ۗ﴾ ولأنه تقرير للناذر على شركه وقبح اعتقاده ورضاه بذلك، ولا يخفى حكم الراضي بالشرك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الآية [النساء: ٤٨] فهو مثل حلوان الكاهن ومهر البغي، ولأنه تدليس على الناذر وإيهام له أن الولي ينفعه ويضره، فأى تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت؟ وأي تدليس أعظم؟ وأي رضا بالمعصية أبلغ من هذا؟ وأي تصيير لمنكر معروفاً أعجب من هذا؟! وما كانت النذور للأصنام والأوثان إلا على هذا الأسلوب، يعتقد الناذر جلب النفع في الصنم ودفع الضرر فينذر له جزوراً من ماله ويقاسمه في غلات أطيانه ويأتي به إلى سدنة الأصنام فيقبضونه منه ويوهمونه حقيقة عقيدته وكذلك يأتي بنحيرته فينحرها بباب الصنم، وهذه الأفعال هي التي بعث الله الرسل لإزالتها ومحوها وإتلافها والنهي عنها.

فإن قلت: إن الناذر قد يدرك النفع ودفع الضرر بسبب إخراجه للنذر وبذله! قلت: كذلك الأصنام، قد يدرك منها ما هو أبلغ من هذا، وهو الخطاب من جوفها والإخبار ببعض ما يكتمه الإنسان، فإن كان هذا دليلاً على حقيقة القبور وصحة



الاعتقاد فيها فليكن دليلاً على حقية الأصنام، وهذا هدم للإسلام وتشديد لأركان الأصنام.

والتحقيق: أن لإبليس وجنوده من الجن والإنس أعظم العناية في إضلال العباد وقد مكن الله إبليس من الدخول في الأبدان والوسوسة في الصدور والتقام القلب بخرطومه، وكذلك يدخل أجواف الأصنام ويلقي الكلام في أسماع الأقوام، ومثله يصنعه في عقائد القبوريين، فإن الله تعالى قد أذن له أن يجلب بخيله ورجله على بني آدم وأن يشاركهم في الأموال والأولاد، وثبت في الأحاديث الصحيحة: «أن الشيطان يسترق السمع بالأمر الذي يحدثه الله، فيلقيه إلى الكهان، وهم الذين يخبرون بالمغيبات ويزيدون فيما يلقى الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة»، ويقصد شياطين الجن شياطين الإنس من سدنة القبور وغيرهم فيقولون: إن الولي فعل وفعل، يرغبونهم فيه ويحذرونهم منه، وترى العامة ملوك الأقطار وولاة الأمصار معززين لذلك ويولون العمال لقبض النذور وقد يتولاها من يحسنون فيه الظن من عالم أو قاض أو مفت أو شيخ صوفي، فيتم التدليس لإبليس وتقر عينه بهذا التليس.

فإن قلت: هذا أمر عم البلاد واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد وطبق الأرض شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً وجنوباً وعدناً، بحيث لا تجد بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور ومشاهد وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها وينذرون لها ويهتفون بأسمائها ويحلفون بها، ويطوفون بفناء القبور، ويسرجونها ويلقون عليها الأوراد والرياحين ويلبسونها الثياب ويصنعون كل أمر يقدر عليهم من العبادة لها وما في معناها من التعظيم والخضوع والخشوع والتذلل والافتقار إليها، بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلوا عن قبر أو قريب منه أو مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة يصنعون فيها ما ذكر أو بعض ما ذكر. ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ



إلى ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا.

قلت: إن أردت الإنصاف وتركت متابعة الأسلاف وعرفت أن الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفق عليه العوام جيلاً بعد جيل وقبيلاً بعد قبيل، فاعلم أن هذه الأمور التي نددن حول إنكارها ونسعى في هدم منارها صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دني ومثيل ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب بلدته يُلقَّنونه في الطفولة أن يهتف باسم من يعتقدون فيه، ويراهم ينذرون له ويعظمونه ويرحلون به إلى محل قبره ويلطخونه بترابه ويجعلونه طائفاً على قبره، فينشأ وقد قرَّ في قلبه عظمة ما يعظمونه، وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه، فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير. ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير، بل ترى ممن يتسم بالعلم ويدعي الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس أو الولاية أو المعرفة أو الإمارة والحكومة معظماً لما يعظمونه مكرماً لما يكرمونه قابضاً للندور أكلاً ما ينحر على القبور، فيظن العامة أن هذا دين الإسلام وأنه رأس الدين والسنام، ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والأثر أن سكوت العالم على وقوع منكر ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر...

فإن قلت: يلزم من هذا أن الأمة قد اجتمعت على ضلالة حيث سكنت عن إنكارها لأعظم جهالة، قلت: حقيقة الإجماع اتفاق مجتهدي أمة محمد **صلى الله عليه وسلم** على أمر بعد عصره، وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون الاجتهاد من بعد الأربعة، وإن كان هذا قولاً باطلاً وكلاماً لا يقوله إلا من كان للحقائق جاهلاً، فعلى زعمهم لا إجماع أبداً من بعد الأئمة الأربعة، فلا يرد السؤال، فإن هذا الابتداع والفتنة بالقبور لم يكن على عهد أئمة المذاهب الأربعة، وعلى ما نحققه فالإجماع



وقوعه محال. فإن الأمة المحمدية قد ملأت الآفاق وصارت في كل أرض وتحت كل نجم، فعلماءها المحققون لا ينحسرون ولا يتم لأحد معرفة أحوالهم، فمن ادعى الإجماع بعد انتشار الدين وكثرة علماء المسلمين فإنها دعوى كاذبة، كما قاله أئمة التحقيق.

ثم لو فرض أنهم علموا بالمنكر وما أنكروه بل سكتوا عن إنكاره لما دل سكوتهم على جوازه، فإنه قد علم من قواعد الشريعة أن وظائف الإنكار ثلاثة. أولها: الإنكار باليد، وذلك بتغيير المنكر وإزالته. وثانيها: الإنكار باللسان مع عدم استطاعة التغيير. ثالثها: الإنكار بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان، فإن انتفى أحدها لم ينتف الآخر.

فإن قلت: هذا قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الأموال، قلت هذا جهل عظيم بحقيقة الحال، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا من أصحابه ولا من تابعيه ولا تابعي التابعين ولا من علماء أمته وأئمة ملته، بل هذه القبة المعمولة على قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ثمان وسبعين وستمائة، ذكره في «تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة» فهذه أمور دولية لا دليلية، يتبع فيها الآخر الأول. انتهى من «تطهير الاعتقاد» (٢٥-٤٦) مختصراً.

ذكرت هذا مع الطول لبيان شرك عباد القبور وتشبههم بشبه أوهى من خيوط العنكبوت كما أخبر الله تعالى عن حال المشركين الأولين حيث قال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذِهِمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ، يَرْجُونَ نَصْرَهُمْ وَرِزْقَهُمْ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِمْ فِي الشَّدَائِدِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَبَيْتِ



الْعُنْكَبُوتِ فِي ضَعْفِهِ وَوَهْنِهِ فَلَيْسَ فِي أَيْدِي هَؤُلَاءِ مِنْ آلِهَتِهِمْ إِلَّا كَمَنْ يَتَمَسَّكُ بِبَيْتِ
الْعُنْكَبُوتِ، فَإِنَّهُ لَا يُجْدِي عَنْهُ شَيْئًا، فَلَوْ عَلِمُوا هَذَا الْحَالَ لَمَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَوْلِيَاءَ، وَهَذَا بِخِلَافِ الْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ قَلْبُهُ لِلَّهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُحْسِنُ الْعَمَلَ فِي اتِّبَاعِ
الشَّرْعِ فَإِنَّهُ مُسْتَمْسِكٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا، لِقُوَّتِهَا وَثَبَاتِهَا. «تفسير القرآن
العظيم» (٦/ ٢٧٩).

أسماء كلمة (لا إله إلا الله):

وفي ذكر الله تعالى في كتابه لها من الأسماء الكثيرة دلالة على عظم هذه الكلمة
وهداية للناس إلى محبتها والعمل بها، فسامها كلمة التقوى، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

وسماها الكلمة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا
تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وسماها العروة الوثقى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهي كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص والمثل الأعلى على قول لأهل العلم في
قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

نواقض «لا إله إلا الله»:

ومن هدى القرآن إليها أنه بين نواقضها لتتقى وتُحَدَّرَ، وأذكر هنا أشهرها وهو ما
ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ في نواقض الإسلام حيث قال:



اعْلَمَ أَنَّ نَوَاقِصَ الْإِسْلَامِ عَشْرَةٌ نَوَاقِصُ:

الأوّل: الشُّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللَّهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ.

الثاني: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ كَفَرَ إِجْمَاعًا.

الثالث: مَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْمُشْرِكِينَ أَوْ شَكَ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، كَفَرَ.

الرابع: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ مِنْ هُدْيِهِ وَأَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاعِثِ عَلَى حُكْمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

الخامس: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ عَمِلَ بِهِ، كَفَرَ.

السادس: مَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ ثَوَابِ اللَّهِ، أَوْ عِقَابِهِ، كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

السابع: السِّحْرُ، وَمِنْهُ: الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثامن: مَظَاهِرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمَعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].



التَّاسِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 كَمَا وَسِعَ الْخَضِرُ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُوَ كَافِرٌ.
 العَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَعَلَّمُهُ، وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ
 تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ
 مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الْهَازِلِ وَالْجَادِّ وَالْخَائِفِ إِلَّا الْمُكْرَهَ، وَكُلُّهَا
 مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَأَكْثَرِ مَا يَكُونُ وَقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا وَيَخَافَ
 مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ.
 نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ،
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. انتهى من رسالة الشيخ النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ.
 وهذه أشهر النواقض، وإلا فنواقض الإسلام قولية، وفعلية، واعتقادية.





حال أصحاب التوحيد وأصحاب الشرك والتنديد

من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الدور ثلاثة: الحياة الدنيا، وحياة البرزخ، وحياة الآخرة، وقد بين الله **عَزَّوَجَلَّ** في كتابه الكريم ما يتعلق بهذه الدور في كثير من السور والآيات وكان فيما ذكره ربنا **عَزَّوَجَلَّ** مما هو هداية إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد، حال الناس وأصنافهم في هذا الباب فأما من حيث أصناف الناس فهم ثلاثة، ذكرهم الله **عَزَّوَجَلَّ** في أول سورة البقرة وهم:

أولاً: المؤمنون ظاهراً وباطناً، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْتَبِيهِمْ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِي وَهُمْ فِي صِدْقٍ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٥-١٥]، وذكر أوصافهم في أول سورة المؤمنون وأول سورة لقمان وغير ذلك من سور القرآن.

ثانياً: الكفار ظاهراً وباطناً، قَالَ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة: ٦-٧]، وذكر الله أوصافهم في أكثر سور القرآن وحالهم مع أنبيائهم.

ثالثاً: المنافقون وهم المؤمنون ظاهراً والكافرون باطنياً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ



إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٩﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رِيحَ تَجَدُّهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٢١﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٢﴾ صُمٌّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٣﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجَعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ يُحِيطُ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

[البقرة: ٨-١٩].

وهذا الإخبار بحال أصحابها في الدنيا والآخرة دعوة إلى العمل بالتوحيد وبشارة لأهلها، وتحذير من ضدها على ما يأتي إن شاء الله، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وذكر الله، طاعته تعالى، فهو أعم من ذكر اللسان، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٢٦] وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٦﴾ [التوبة: ٧١-٧٢].



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتبديد



وقال مخبراً عن حالهم في القبور: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٤].

ومن هدى القرآن للتوحيد: أنه حذّر من نقيضه وهو الشرك، فقال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال

تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا

حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرًا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ عِبْدُوا رَبَّهُمْ أَلَّذِي

خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تُشْكُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿* وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا

قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال

تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

[المؤمنون: ٣٢]، وفي غير ذلك من الآيات.

وأخبر عن حال أصحاب الشرك مفصلاً وموضّحاً مبيناً، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ

يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

[المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا

لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يْقُضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ

كُفُورٍ ﴿٣١﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ

نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ

﴿٣٧﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧].



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّزْقِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَأَمْهَلِ يَعْلِي فِي
الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَعَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صَبُّوا
فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا
كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان: ٤٣-٥٠].

بينما جلى حال المؤمنين الموحدون في النعيم المقيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهَةٍ ءَامِنِينَ
﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهْمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَا
مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧]. والتقوى يدخل فيها التوحيد ابتداءً بل
هو أساسها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا
يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِمَّنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبا: ٣١-٣٦].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّيِّفُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا
حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ
وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
الشَّمْرَةِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].
وقال مبيناً حال صنف الصنفين: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿١٣﴾
يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿١٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٥﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



جَتَانٍ ٤١ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٢ ذَوَاتَا أَفْسَانٍ ٤٣ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٤ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ٤٥ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٦ مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُؤُوسٍ بَاطِنِيهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَتَّىٰ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ٤٧ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٨ فِيهِنَّ قَصْرَتٌ أَلْظَرَفُ لَمْ يَطْمِئْتُنَّ إِِنَّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ٤٩ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٥٠ كَانْتَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ٥١ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٥٢ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ٥٣ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٥٤ وَمَنْ دُونِهِمَا جَتَانٍ ٥٥ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٥٦ مُدْهَامَتَانِ ٥٧ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٥٨ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ٥٩ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٦٠ فِيهِمَا فَلَكَهَةٌ وَنَجْلٌ وَرَمَانٌ ٦١ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٦٢ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ٦٣ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٦٤ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ٦٥ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٦٦ لَمْ يَطْمِئْتُنَّ إِِنَّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ٦٧ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٦٨ مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ رُفُوفٍ خَضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ ٦٩ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٧٠ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٧١ ﴿[الرحمن: ٤٣-٧٨].

وقال في سورة الواقعة: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ

الْمَيْمَنَةِ ٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ٩ وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ١٢ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ١٣ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ١٥ مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ١٨ لَا يَصُدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ١٩ وَقَدْ كَفَّرْنَا بِمَا يَتَّخِذُونَ ٢٠ وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٢١ وَحُورٍ عِينٌ ٢٢ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ٢٣ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا ٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ٢٦ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ٢٧ فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ ٢٨ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ٢٩ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ٣٠ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ٣١ وَقَلَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ٣٢ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ٣٣ وَفُؤُوسٍ مَّرْوَعَةٍ ٣٤ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ٣٥ فَجَعَلْنَهُنَّ أَكْبَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ٣٧ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ٣٨ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ٣٩ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ٤١ فِي سُمُورٍ وَحَمِيمٍ ٤٢ وَظِلِّ مِّنْ يَحْمُورٍ ٤٣ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَىٰ الْحِنثِ الْعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ٤٧ أَوْءَابَاؤُنَا الْأُولُونَ ٤٨ قُلْ إِنَّ الْأُولَىٰ وَالْآخِرِينَ ٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٥٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ٥١ لَأَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ



زُوم ﴿٥٢﴾ فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُظُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَدُّونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيرِ ﴿٥٤﴾ فَشَدِيدُونَ سُورَةَ آلِ هِيرٍ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴿[الواقعة: ٧-٥٦]، إلى غير ذلك مما يطول به المقام.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنَّ الْقُرْآنَ: إِمَّا خَبَّرَ عَنِ اللَّهِ، وَأَسْمَأَيْهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبْرِيُّ، وَإِمَّا دَعَا إِلَى عِبَادَتِهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلَعَ كُلَّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ الطَّلِبِيُّ، وَإِمَّا أَمَرَ وَنَهَى، وَإِلْزَامَ بِطَاعَتِهِ فِي نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ، فَهِيَ حُقُوقُ التَّوْحِيدِ وَمُكَمَّلَاتُهُ، وَإِمَّا خَبَّرَ عَنِ كَرَامَةِ اللَّهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ وَإِمَّا خَبَّرَ عَنِ أَهْلِ الشَّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقُوبِ مِنَ الْعَذَابِ، فَهُوَ خَبْرٌ عَمَّنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ. فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ. «مدارج السالكين» (٤٥٠/٣).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية: من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد والنبوات، ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة، مثل القرآن. فإنه كفيلاً بذلك كله، متضمن له على أتم الوجوه وأحسنها، وأقربها إلى العقول وأفصحها بياناً. فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه. فمن رزقه الله تعالى ذلك أبصر الحق والباطل عياناً بقلبه، كما يرى الليل والنهار، وعلم أن ما عداه من كتب الناس وآرائهم ومعقولاتهم بين علوم لا ثقة بها، وإنما هي آراء وتقليد. وبين ظنون كاذبة لا تغني من الحق شيئاً. وبين أمور صحيحة لا منفعة للقلب فيها. وبين علوم صحيحة قد وعروا الطريق إلى تحصيلها، وأطالوا الكلام في إثباتها، مع قلة نفعها فهي: «لَحْمٌ جَبَلٍ غَثٌ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَغَيْرِ، لَا سَهْلٌ فَيَزْتَقَى، وَلَا سَمِينٌ فَيَسْتَفِلُّ».



وأحسن ما عند المتكلمين وغيرهم فهو في القرآن أصح تقريرًا وأحسن تفسيرًا،
فليس عندهم إلا التكلف والتطويل والتعقيد. انتهى من «إغاثة اللفهان» (١/ ٤٤).





ضرب الله عز وجل للأمثال لبيان عظم التوحيد وخطر الشرك

ومن هذه الأمثلة التي ذكرها الله في القرآن مبيّنًا عظم التوحيد وخطر الشرك:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: لا يَسْتَوِي هَذَا وَهَذَا. كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْمُشْرِكُ الَّذِي يَعْبُدُ إِلَهَةً مَعَ اللَّهِ، وَالْمُؤْمِنُ الْمُخْلِصُ الَّذِي لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. فَأَيُّ هَذَا مِنْ هَذَا؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: هَذِهِ الْآيَةُ ضَرَبَتْ مَثَلًا لِلْمُشْرِكِ وَالْمُخْلِصِ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمَثَلُ ظَاهِرًا بَيْنَا جَلِيًّا، قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: عَلَى إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ أي: فَلِهَذَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٩٦).

الثاني: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذِهِمْ إِلَهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، يَرْجُونَ نَصْرَهُمْ وَرِزْقَهُمْ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِمْ فِي الشَّدَائِدِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ فِي ضَعْفِهِ وَوَهْنِهِ فَلَيْسَ فِي أَيْدِي هَؤُلَاءِ مِنْ آلِهَتِهِمْ إِلَّا كَمَنْ يَتَمَسَّكُ بِبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، فَإِنَّهُ لَا يُجِدِي عَنْهُ شَيْئًا، فَلَوْ عَلِمُوا هَذَا الْحَالَ لَمَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ، وَهَذَا بِخِلَافِ الْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ قَلْبُهُ لِلَّهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُحْسِنُ الْعَمَلَ فِي اتِّبَاعِ الشَّرْعِ فَإِنَّهُ مُسْتَمْسِكٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا، لِقُوَّتِهَا وَثَبَاتِهَا. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٢٩٦).



الثَّالِثُ: قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطُ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

فوصف الله تعالى المشرك بمن يرفع يديه ويريد الشرب بها من البئر فكما يمنع صعود الماء لعدم وجود السبب فكذلك المتعلق بالقبور والشرك لا يجد ممن تعلق بهم الاستجابة ولا قضاء حاجة.

الرَّابِعُ: قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

قال ابن كثير رحمه الله: ثُمَّ ضَرَبَ لِلْمُشْرِكِ مَثَلًا فِي ضَلَالِهِ وَهَلَاكِهِ وَبُعْدِهِ عَنِ الْهُدَى فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أَي: سَقَطَ مِنْهَا، ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾، أَي: تَقَطَّعُهُ الطَّيْرُ فِي الْهَوَاءِ، ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ أَي: بَعِيدٍ مُهْلِكٍ لِمَنْ هَوِيَ فِيهِ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا تَوَفَّتْهُ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ، وَصَعِدُوا بِرُوحِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا تُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، بَلْ تُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا مِنْ هُنَاكَ». ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِي سُورَةِ «إِبْرَاهِيمَ» بِحُرُوفِهِ وَالْفَاطِظِ وَطُرُقِهِ.

الخَامِسُ: وَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِ مَثَلًا آخَرَ فِي سُورَةِ «الْأَنْعَامِ»، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى آثِنًا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]. اهـ.

(تفسير القرآن العظيم) (٥/٤٢٠).



السَّادِسُ: قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: ٧٣].

قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى مُنْبِهًا عَلَى حَقَارَةِ الْأَصْنَامِ وَسَخَافَةِ عُقُولِ عَابِدِيهَا: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ﴾ أي: لِمَا يَعْبُدُهُ الْجَاهِلُونَ بِاللَّهِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ، ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي: أَنْصِتُوا وَتَفَهَّمُوا، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ عَلَى أَنْ يَقْدِرُوا وَأَخْرَجَهُ صَاحِبًا الصَّحِيحِ، مِنْ طَرِيقِ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ:** «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، فَلْيَخْلُقُوا شَعِيرَةً».

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى أَيْضًا: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي: هُمْ عَاجِزُونَ عَنْ خَلْقِ ذُبَابٍ وَاحِدٍ، بَلْ أُبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ عَاجِزُونَ عَنْ مُقَاوَمَتِهِ وَالِانْتِصَارِ مِنْهُ، لَوْ سَلَبَهَا شَيْئًا مِنَ الَّذِي عَلَيْهَا مِنَ الطَّيِّبِ، ثُمَّ أَرَادَتْ أَنْ تَسْتَنْقِذَهُ مِنْهُ لَمَا قَدَرَتْ عَلَى ذَلِكَ. هَذَا وَالذُّبَابُ مِنْ أَوْعَافِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ وَأَحْقَرِهَا وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الطَّالِبُ: الصَّنَمُ، وَالْمَطْلُوبُ: الذُّبَابُ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَهُوَ ظَاهِرُ السِّيَاقِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ: الطَّالِبُ: الْعَابِدُ، وَالْمَطْلُوبُ: الصَّنَمُ. ثُمَّ قَالَ: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: مَا عَرَفُوا قَدَرَ اللَّهِ وَعَظَمَتَهُ حِينَ عَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، مِنْ هَذِهِ الَّتِي لَا تُقَاوِمُ الذُّبَابَ لِضَعْفِهَا وَعَجْزِهَا، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٧٤) أي: هُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي بِقُدْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ



يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴿ [الرُّوم: ٢٧]، ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿ [١٢] إِنَّ اللَّهَ هُوَ بَدِئُ وَيُعِيدُ ﴿ [١٣] ﴾ [البُرُوج: ١٢-١٣]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿ عَزِيزٌ ﴾ أَي: قَدْ عَزَّ كُلُّ شَيْءٍ فَقَهَرَهُ وَعَلَبَهُ، فَلَا يُمَانَعُ وَلَا يُغَالِبُ، لِعَظَمَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٤٥٣-٤٥٤).

السَّابِعُ: قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرُّوم: ٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ، الْعَابِدِينَ مَعَهُ غَيْرَهُ، الْجَاعِلِينَ لَهُ شُرَكَاءَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُعْتَرِفُونَ أَنَّ شُرَكَاءَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ عُبِيدٌ لَهُ، مِلْكٌ لَهُ، كَمَا كَانُوا فِي تَلْبِيسِهِمْ يَقُولُونَ: لَبَيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أَي: تَشْهَدُونَهُ وَتَفْهَمُونَهُ مِنْ أَنفُسِكُمْ، ﴿ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ أَي: لَا يَرْتَضِي أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ شَرِيكًا لَهُ فِي مَالِهِ، فَهُوَ وَهُوَ فِيهِ عَلَى السَّوَاءِ ﴿ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أَي: تَخَافُونَ أَنْ يُقَاسِمُوكُمْ الْأَمْوَالَ.

قَالَ أَبُو مِجْلَزٍ: إِنَّ مَمْلُوكَكَ لَا تَخَافُ أَنْ يُقَاسِمَكَ مَالَكَ، وَلَيْسَ لَهُ ذَلِكَ، كَذَلِكَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَالْمَعْنَى: أَنْ أَحَدَكُمْ يَأْتِي مِنْ ذَلِكَ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْأَنْدَادَ مِنْ خَلْقِهِ. وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [النَّحْلِ: ٦٢] أَي: مِنَ الْبَنَاتِ، حَيْثُ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا، وَجَعَلُواهَا بَنَاتِ اللَّهِ، وَقَدْ كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا بُشِّرَ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ، أَيَمْسِكُهُ



عَلَى هَوْنٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ، فَهُمْ يَئْتِفُونَ مِنَ الْبَنَاتِ. وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ بَنَاتِ اللَّهِ، فَنَسَبُوا إِلَيْهِ مَا لَا يَرْتَضُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَهَذَا أَعْلَى الْكُفْرِ. وَهَكَذَا فِي هَذَا الْمَقَامِ جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ مِنْ عِبِيدِهِ وَخَلْقِهِ، وَأَحَدُهُمْ يَأْبَى غَايَةَ الْإِبَاءِ وَيَأْتِفُ غَايَةَ الْأَنْفَةِ مِنْ ذَلِكَ، أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ شَرِيكَهُ فِي مَالِهِ، يُسَاوِيهِ فِيهِ. وَلَوْ شَاءَ لَقَاسَمَهُ عَلَيْهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

قَالَ الطَّبْرَانِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرِو الْبَجَلِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ شُعَيْبٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ يُلَبِّي أَهْلَ الشُّرْكِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٦/٣١٢-٣١٣).

وكل هذه الحجج والأمثال التي يضر بها تعالى في كتابه الكريم هي هداية ودلالة وإرشاد لكل من ألقى السمع وهو شهيد. وقطع الله بها كل شبهة يتعلقون بها، وقد فضح الله المشركين في كتابه الكريم وبين سفه ما هم عليه بيانًا شافيًا كافيًا، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَمُحَرَّمٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنْ كَانَ مِثْمَةً فَهُمْ فِيهِ



شُرَكَاءَ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴿١٣٧﴾ [الأنعام: ١٣٦-١٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْمَلُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقَهُمُ تَالِهًا لَيْسَتَنَ عَمَّا كُنْتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ
وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ
يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ [النحل: ٥٦-٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ
مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ
وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مِنْ يَنْشُرُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾
وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ
وَيُسْتَأْذَنُ ﴿١٩﴾ [الزخرف: ١٥-١٩] إلى غير ذلك من الآيات.





هداية القرآن إلى توحيد الألوهية بتفصيل أنواع العبادة

ومن هدايته في هذا الباب أنه فصل التوحيد وأنواع العبادة تفصيلاً عظيماً كما حذر من أنواع الشرك، فأجمل وفصّل وبين.

الأول: الدعاء:

فمن أنواع العبادة: الدعاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

لعظم هذه العبادة عند الله **عَزَّوَجَلَّ** فقد بيّنها القرآن وبيّن فضلها ومنزلتها وخطر صرفها لغير الله **عَزَّوَجَلَّ** وقطع عما تسمى بالآلهة القدرة على شيء. قَالَ تَعَالَى في بيان منزلتها: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وحديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]. أخرجه أحمد (١٨٨٤٩)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢) بسند صحيح.

وبيّن الله **عَزَّوَجَلَّ** أن الله يُدْعَى بأسمائه ويُتَوَسَّلُ إليه بأسمائه وصفاته وغير ذلك من التوسل المشروع من دعاء الرجل الصالح والتوسل بالعمل الصالح، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتبديد



وبيّن أن هذا التعلق بالقوي العزيز لأنه المتصرف في هذا الكون وبيده النفع والضرر، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٥٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٥١﴾ [الجن: ٢٠-٢١].

وفي آيات كثيرات أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وأن النفع والضرر بيد الله عَزَّجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وبيّن عَزَّجَلَّ عجز الآلهة المزعومة عن جلب النفع ودفع الضرر فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرُّوهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

وبيّن الله عَزَّجَلَّ عجز هذه المعبودات عن سماع الأصوات فضلا عن تفرجج الكربات فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، وقال جل ذكره: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ﴿٣٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ الَّتِي هِيَ عَلَى صُورَةٍ مَن تَزْعُمُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَعَطَاءٌ وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمْ:



الْقَطْمِيرُ: هُوَ اللَّفَافَةُ الَّتِي تَكُونُ عَلَى نَوَاةِ التَّمْرَةِ، أَي: لَا يَمْلِكُونَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا، وَلَا بِمِقْدَارِ هَذَا الْقَطْمِيرِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾ يَعْنِي: الْإِلَهَةَ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَسْمَعُونَ دَعَاءَكُمْ؛ لِأَنَّهَا جَمَادٌ لَا أَرْوَاحَ فِيهَا ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ أَي: لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَا تَطْلُبُونَ مِنْهَا، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، أَي: يَتَبَرَّوْنَ مِنْكُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دَعْوَاهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦١﴾﴾ [الْأَحْقَافِ: ٥-٦]، وَقَالَ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مَرْيَمَ: ٨١-٨٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلَ خَيْرٍ﴾ أَي: وَلَا يُخْبِرُكَ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَمَالِهَا وَمَا تَصِيرُ إِلَيْهِ، مِثْلَ خَيْرٍ بِهَا. قَالَ فَتَادَةُ: يَعْنِي نَفْسَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ أَحْبَبُ بِالْوَاقِعِ لَا مَحَالَةَ. اهـ.
«تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٥٤٠-٥٤١).

فهذه الآلهة صماء وبكماء عاجزة عن نفع نفسها فضلاً عن غيرها، فقبحت عقول تمسكت بها ولجأت إليها، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٣١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِمُونَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣٤﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ أَجْرُلٌ يَمْسُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ قُلُوبٌ آدَعُوا شُرَكَاءَ كُمْ ثُمَّ كِيدُونَ فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٣٥﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٣٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

[الأعراف: ١٩١-١٩٨].



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



قال ابن كثير رحمه الله: هَذَا إِتْكَارٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ مَرْبُوبَةٌ مَصْنُوعَةٌ، لَا تَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْصُرُ لِعَابِدِيهَا، بَلْ هِيَ جَمَادٌ لَا تَتَحَرَّكُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ، وَعَابِدُوهَا أَكْمَلُ مِنْهَا بِسْمِعِهِمْ وَبَصَرِهِمْ وَبَطْشِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ أَي: أَتَشْرِكُونَ بِهِ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضَرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الْحَجَّ: ٧٣-٧٤] أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَوْ اجْتَمَعَتْ آلِهَتُهُمْ كُلُّهَا، مَا اسْتَطَاعُوا خَلْقَ ذُبَابَةٍ، بَلْ لَوْ اسْتَلْبَثْتُمْ الذُّبَابَةَ شَيْئًا مِنْ حَقِيرِ الْمَطَاعِمِ وَطَارَتْ، كَمَا اسْتَطَاعُوا إِتْقَادَ ذَلِكَ مِنْهَا، فَمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَحَالُهُ، كَيْفَ يُعْبَدُ لِيَرْزُقَ وَيُسْتَنْصَرَ؟ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ أَي: بَلْ هُمْ مَخْلُوقُونَ مَصْنُوعُونَ كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ: ﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَحْتُمُونَ ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الصَّافَاتِ: ٩٥-٩٦]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَّا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ أَي: لِعَابِدِيهِمْ ﴿وَلَّا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ يَعْنِي: وَلَا لِأَنْفُسِهِمْ يَنْصُرُونَ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ، كَمَا كَانَ الْخَلِيلُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَكْسِرُ أَصْنَامَ قَوْمِهِ وَيَهِينُهَا غَايَةَ الْإِهَانَةِ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصَّافَاتِ: ٩٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَيْدًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٥٨] وَكَمَا كَانَ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَكَانَا شَابِئِينَ قَدْ أَسْلَمَا لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ - فَكَانَا يَعْدُوَانِ فِي اللَّيْلِ عَلَى أَصْنَامِ الْمُشْرِكِينَ يَكْسِرَانِهَا وَيُتْلِفَانِهَا وَيَتَّخِذَانِهَا حَطْبًا لِلْأَرَامِلِ، لِيَعْتَبِرَ قَوْمُهُمَا بِذَلِكَ، وَيَرْتُتُوا لِأَنْفُسِهِمْ، فَكَانَ لِعَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ - وَكَانَ سَيِّدًا فِي قَوْمِهِ - كَانَ لَهُ صَنْمٌ يَعْبُدُهُ وَيُطِيبُهُ، فَكَانَا يَجِيئَانِ فِي اللَّيْلِ فَيَنْكَسِرَانِهِ عَلَى



رَأْسِهِ، وَيُلَطِّخَانِهِ بِالْعَذْرَةِ، فَيَجِيءُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ فَيَرَى مَا صُنِعَ بِهِ فَيَغْسِلُهُ وَيُطَيِّبُهُ وَيَضَعُ عِنْدَهُ سَيْفًا، وَيَقُولُ لَهُ: «انْتَصِرْ». ثُمَّ يَعُودَانِ لِمِثْلِ ذَلِكَ، وَيَعُودُ إِلَى صَنِيعِهِ أَيْضًا، حَتَّى أَخَذَاهُ مَرَّةً فَفَرَرْنَا مَعَهُ جَزْوَ كَلْبٍ مَيِّتٍ، وَدَلِيَاهُ فِي حَبْلِ فِي بئرِ هُنَاكَ، فَلَمَّا جَاءَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ وَرَأَى ذَلِكَ، نَظَرَ فَعَلِمَ أَنَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ بَاطِلًا، وَقَالَ:

تَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا مُسْتَدِنًا ❀❀ لَمْ تَكُ وَالْكَلْبُ جَمِيعًا فِي قَرْنٍ
ثُمَّ أَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَجَعَلَ جَنَّةَ
الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاكُمْ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَلِمْتُونَ﴾
يَعْنِي: أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لَا تَسْمَعُ دُعَاءَ مَنْ دَعَاهَا، وَسِوَاءَ لَدَيْهَا مَنْ دَعَاهَا وَمَنْ دَحَاهَا،
كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿يَتَّبِعْتُمْ لِمَ تَعْبُدُوا مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مَرْيَمُ: ٤٠]؟
ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهَا عَبِيدٌ مِثْلَ عَابِدِيهَا، أَيُّ: مَخْلُوقَاتٌ مِثْلَهُمْ، بَلِ الْإِنْسَانِي أَكْمَلُ
مِنْهَا، لِأَنَّهَا تَسْمَعُ وَتُبْصِرُ وَتَبْطِشُ، وَتِلْكَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُظْهِرُونِ﴾ أَيُّ: اسْتَنْصِرُوا بِهَا
عَلَيَّ، فَلَا تُؤَخِّرُونِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَاجْهَدُوا جُهْدَكُمْ! ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ
الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ أَيُّ: اللَّهُ حَسْبِي وَكَافِي، وَهُوَ نَصِيرِي وَعَلَيْهِ مُتَكَلِّي،
وَالِيهِ الْجَأُ، وَهُوَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ صَالِحٍ بَعْدِي. وَهَذَا كَمَا قَالَ
هُودٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: ﴿إِن نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبَكَ بَعْضُ الْهَيْتَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي
أَشْهَدُ اللَّهُ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٦﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُظْهِرُونِ
﴿٥٧﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [هُودٌ: ٥٦-٥٧] وَكَقَوْلِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَالَ أَقْرَبُ شَيْءٍ مَا كُنْتُ تَعْبُدُونَ ﴿٥٩﴾
أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٦٠﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد



﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٠] الْآيَاتِ، وَكَقَوْلِهِ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَأءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، مُؤَكِّدٌ لِمَا تَقَدَّمَ، إِلَّا أَنَّهُ بِصِيغَةِ الْخِطَابِ، وَذَلِكَ بِصِيغَةِ الْغَيْبَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ إِنَّمَا قَالَ: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أَيُّ: يُقَابِلُونَكَ بِعُيُونِ مُصَوَّرَةٍ كَأَنَّهَا نَاطِرَةٌ، وَهِيَ جَمَادٌ؛ وَلِهَذَا عَامَلَهُمْ مُعَامَلَةً مَّنْ يَعْقِلُ؛ لِأَنَّهَا عَلَى صُورِ مُصَوَّرَةٍ كَالْإِنْسَانِ، فَقَالَ: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ فَعَبَّرَ عَنْهَا بِضَمِيرٍ مَّنْ يَعْقِلُ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥٢٩-٥٣٠).

بل بين الله عز وجل عجباً من ذلك وأنهم في حال الشدة يتضرعون إلى الله عز وجل: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلْكَ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا جَنَحَتْهُم إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا جَنَحَتْهُم إِلَى الْبَرِّ فَبَيْنَهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

هذا غيظ من فيض من هداية القرآن إلى هذا الباب المهم الذي هو لبُّ العبادة وأساسها الذي ينبغي الاهتمام به. فدعاء غير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل شرك أكبر مخرج من الملة وهو من أعظم أبواب شرك السابقين واللاحقين.



فعباد القبور وما يسمونهم بالأولياء، وعباد الملائكة والجن والشياطين كلهم يصرفون هذه العبادة لمن عبدوهم من دون الله تعالى. ومعلوم حاجة العبد اللازمة فإن لم ينزلها بالله تعالى أنزلها بغيره ولا بد. فعلى المسلم تحقيق هذا الباب والاهتمام به ودراسة القرآن تعقلاً وتدبراً.

أقسام الدعاء في القرآن:

ولفظ الدعاء في القرآن الكريم يتناول معنيين:

الأول: دعاء العبادة، وهو المتضمن للثناء على الله بما هو أهله ويكون مصحوباً بالخوف والرجاء.

والثاني: دعاء المسألة وهو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود بحق وهو الله تعالى. وقد تكلم العلماء على التفريق بين النوعين كلاماً نافعاً مفيداً.

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: قوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ٥٥﴾ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦-٥٧].

هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء دعاء العبادة ودعاء المسألة فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما وهما متلازمان فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود حقاً والمعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضرر ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه مالا يملك ضرراً ولا نفعاً وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعْبُدُونَ مِنْ



دُونَ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٦﴾ وقوله تعالى:
 ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَلَا لَكُمْ
 وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ
 ﴿٦٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَلَافِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ
 هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٦٩﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءِالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا
 يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ وقال تعالى:
 ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ فنفي
 سبحانه عن هؤلاء المعبودين من دونه النفع والضرر القاصر والمتعدي فلا يملكونه
 لأنفسهم ولا لعابديهم. وهذا في القرآن كثير بيد أن المعبود لا بد أن يكون مالكا
 للنفع والضرر فهو يدعى للنفع والضرر دعاء المسألة ويدعى خوفاً ورجاء دعاء العبادة
 فعلم أن النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة
 متضمن لدعاء العبادة وعلى هذا فقولته تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ
 أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، يتناول نوعي الدعاء وبكل منهما فسرت الآية قيل
 أعطيه إذا سألتني وقيل أثيبه إذا عبدني والقولان متلازمان وليس هذا من استعمال
 اللفظ المشترك في معنيه كليهما أو استعمال اللفظ في حقيقة ومجازه بل هذا
 استعمال له في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعا فتأمله فإنه موضع عظيم
 النفع قل من يفتن له وأكثر ألفاظ القرآن الدالة على معنيين فصاعداً.

انتهى من «بدائع الفوائد» (٣/ ٥١٣-٥١٤).



هداية القرآن إلى آداب الدعاء:

فمن هداية القرآن إلى آداب الدعاء: الدعاء تضرعاً، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أرشد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ، الَّذِي هُوَ صَلَاحُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ قِيلَ مَعْنَاهُ: تَذَلُّلاً وَاسْتِكَانَةً، ﴿وَخُفْيَةً﴾ كَمَا قَالَ: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَفَعَ النَّاسُ أَصْوَاتَهُمْ بِالدُّعَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ» الْحَدِيثَ.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ قَالَ: السِّرُّ.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ﴿تَضَرُّعًا﴾ تَذَلُّلاً وَاسْتِكَانَةً لِبَطَاعَتِهِ. ﴿وَخُفْيَةً﴾ يَقُولُ: بِخُشُوعِ قُلُوبِكُمْ، وَصِحَّةِ الْيَقِينِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، لَا جَهَارًا وَمُرَاءَاةً. وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ فُضَّالَةَ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ. وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ فَهَمَ الْفِقْهَ الْكَثِيرَ، وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ. وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ الطَّوِيلَةَ فِي بَيْتِهِ وَعِنْدَهُ الزُّورُ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ. وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَمَلٍ يَقْدِرُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ فِي السِّرِّ، فَيَكُونُ عَلَانِيَةً أَبَدًا. وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ، إِنْ كَانَ إِلَّا هَمْسًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا



وَحُفِيَّةٌ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ عَبْدًا صَالِحًا رَضِيَ فِعْلُهُ فَقَالَ:
﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [مزيم: ٣]

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يُكْرَهُ رَفْعُ الصَّوْتِ وَالنِّدَاءُ وَالصِّيَاحُ فِي الدُّعَاءِ، وَيُؤْمَرُ بِالتَّصَرُّعِ
وَالِاسْتِكَانَةِ، ثُمَّ رُوِيَ عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴾ فِي الدُّعَاءِ وَلَا فِي غَيْرِهِ.

وَقَالَ أَبُو مَجْلِزٍ: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ لَا يُسْأَلُ مَنَازِلَ الْأَنْبِيَاءِ.
وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ،
عَنْ زِيَادِ بْنِ مَخْرَاقٍ، سَمِعْتُ أَبَا نَعَامَةَ عَنْ مَوْلَى لِسَعْدٍ؛ أَنَّ سَعْدًا سَمِعَ ابْنًا لَهُ يَدْعُو
وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَإِسْتَبْرَقَهَا وَنَحْوًا مِنْ هَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ
مِنَ النَّارِ وَسَلْسَلِهَا وَأَغْلَالِهَا. فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَتَعَوَّدْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ
كَثِيرٍ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي
الدُّعَاءِ». وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ اذْعُوا رَبِّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ وَإِنَّ
بِحَسْبِكَ أَنْ تَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ
مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ».

وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ مَخْرَاقٍ، عَنْ أَبِي نَعَامَةَ، عَنْ ابْنِ
لِسَعْدٍ، عَنْ سَعْدٍ، فَذَكَرَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي
نَعَامَةَ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْغَلٍ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ
يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا. فَقَالَ: يَا بَنِيَّ، سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَعُدْ بِهِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطَّهْوَرِ».



وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ عَفَّانَ بِهِ. وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ،
عَنْ مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ إِيَّاسِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي
نَعَامَةَ - وَاسْمُهُ: قَيْسُ ابْنِ عَبَّادَةَ الْحَنْفِيُّ الْبَصْرِيُّ - وَهُوَ إِسْنَادٌ حَسَنٌ لَا بَأْسَ بِهِ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤٢٧-٤٢٩).

ومنها: عدم الجهر بالدعاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَاتَّبِعْ
بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

ومنها: الاضطرار إلى الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٤].
ومنها: الإخلاص، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، والدعاء عبادة.

ومنها: التوسل بين يدي المطلوب بالحمد والثناء، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].
ومنها: ملازمة الدعاء في الرخاء والشدة.

ومنها: تكرار الدعاء، قَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ
الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا
خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٣٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٣- ٦٥]
الآيات.

ومنها: عدم الاعتداء في الدعاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا
يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].



ومنها: صدق الرجاء في الله **عَزَّوَجَلَّ**، والرغبة فيه والرغبة منه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْأَخْبَارِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وإلى غير ذلك من الآداب والتي هي مذكورة في السنة النبوية وتُستنبط كذلك من القصص القرآنية، وإنما هذه إشارات إلى هداية القرآن للتي هي أقوم في هذا الباب.

ومن هذا تعلم أن فعل دعاة القبور المتضرعين لها والخاشعين والخائفين منها عبادة شركية مساوية لعبادة المشركين لهبل واللات والعزى، مع فارق أن عبَاد القبور يشركون في السراء والضراء والشدة والرخاء بخلاف ما عليه مشركو العرب على ما تقدم بيانه.

* **والذي يهمننا هنا:** أن الدعاء عبادة الله **عَزَّوَجَلَّ**، وصرفه لغير الله **عَزَّوَجَلَّ** شركٌ أكبر مخرج من الملة ولو تأملت ألفاظ عبَاد القبور في هذا الباب لرأيت العجب العجاب. ورحم الله ابن الأمير الصنعاني إذ صورَّ هذه الحادثة بقوله:

أَعَادُوا بِهَا مَعْنَى سُوعٍ وَمِثْلِهِ ❀❀ يَغُوثٌ وَوَدٌ، بئس ذلك من وُدٍّ
وقد هتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ❀❀ كما يَهْتَفُ الْمُضْطَرُّ بِالصَّمَدِ الْفَرْدِ
وكم نَحَرُوا فِي سُوحِهَا مِنْ نَجِيرَةٍ ❀❀ أَهَلَّتْ لِغَيْرِ اللَّهِ جَهْرًا عَلَى عَمَدِ
وكم طَائِفٌ حَوْلَ الْقُبُورِ مَقْبَلًا ❀❀ وَيَسْتَلِمُ الْأَرْكَانَ مِنْهُنَّ بِالْيَدِ

«تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد» للصنعاني (٢٠).

قتجدهم يقولون: يا حسيناه، يا علياه، يا محمداه، يا ابن علوان، يا ابن عجيل، يا قادري، إلى غير ذلك.



الثاني: الخوف:

ومن العبارات التي هدى إليها القرآن محدثاً من صرفها لغير الله **عَزَّوَجَلَّ**: الخوف، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى مَخْبِراً عَنْ وَلَدِ آدَمَ: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِثَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

قال ابن حجر **رحمة الله**: هُوَ مِنَ الْمَقَامَاتِ الْعَلِيَّةِ وَهُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَآخِشُوا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَّةً»، وَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَقْرَبَ إِلَى رَبِّهِ كَانَ أَشَدَّ لَهُ خَشِيَّةً مِمَّنْ دُونَهُ وَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ وَالْأَنْبِيَاءَ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ وَإِنَّمَا كَانَ خَوْفُ الْمُقَرَّبِينَ أَشَدَّ لِأَنَّهُمْ يُطَالِبُونَ بِمَا لَا يُطَالَبُ بِهِ غَيْرُهُمْ فَيُرَاعُونَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ وَلِأَنَّ الْوَاجِبَ لِلَّهِ مِنْهُ الشُّكْرُ عَلَى الْمَنْزِلَةِ فَيُضَاعَفُ بِالنِّسْبَةِ لِعُلُوِّ تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ فَالْعَبْدُ إِنْ كَانَ مُسْتَقِيمًا فَخَوْفُهُ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ أَوْ نُقْصَانِ الدَّرَجَةِ بِالنِّسْبَةِ وَإِنْ كَانَ مَائِلاً فَخَوْفُهُ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ وَيَنْفَعُهُ ذَلِكَ مَعَ النَّدَمِ وَالْإِفْلَاحِ فَإِنَّ الْخَوْفَ يَنْشَأُ مِنْ مَعْرِفَةِ قُبْحِ الْجِنَايَةِ وَالتَّصَدِيقِ بِالْوَعِيدِ عَلَيْهَا وَأَنْ يُحْرَمَ التَّوْبَةَ أَوْ لَا يَكُونُ مِمَّنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ فَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ ذَنْبِهِ طَالِبٌ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ فِيْمَنْ يَغْفِرُ لَهُ. اهـ. «فتح الباري» لابن حجر (١١/٣١٣).



أقسام الخوف:

والخوف أقسام، قال ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللهُ**: والخوف أقسام:

الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع، وهو ما يسمى بخوف السر. وهذا لا يصلح إلا لله سبحانه، فمن أشرك فيه مع الله غيره فهو مشرك شركاً أكبر، وذلك مثل: من يخاف من الأصنام أو الأموات، أو من يزعمونهم أولياء ويعتقدون نفعهم وضرهم، كما يفعله بعض عباد القبور: يخاف من صاحب القبر أكثر مما يخاف الله.

الثاني: الخوف الطبيعي والجبلي، فهذا في الأصل مباح، لقوله تعالى عن موسى:

﴿فَنَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]، وقوله عنه أيضاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ

نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: ٣٣]، لكن إن حمل على ترك واجب أو فعل

محرم فهو محرم، وإن استلزم شيئاً مباحاً كان مباحاً، فمثلاً من خاف من شيء لا يؤثر عليه وحمله هذا الخوف على ترك صلاة الجماعة مع وجوبها، فهذا الخوف محرم، والواجب عليه أن لا يتأثر به.

وإن هدده إنسان على فعل محرم، فخاف وهو لا يستطيع أن ينفذ ما هدده به، فهذا خوف محرم لأنه يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر، وإن رأى ناراً ثم هرب منها ونجا بنفسه، فهذا خوف مباح، وقد يكون واجباً إذا كان يتوصل به إلى إنقاذ نفسه.

وهناك ما يسمى بالوهم وليس بخوف، مثل أن يرى ظل شجرة تهتز، فيظن أن هذا عدو يتهدده، فهذا لا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك، بل يطارد هذه الأوهام لأنه لا حقيقة لها، وإذا لم تطاردها فإنها تهلكك.

مناسبة الخوف للتوحيد: إن من أقسام الخوف ما يكون شركاً منافياً للتوحيد.

انتهى من «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (١٠/٤٢-٤٣).

الثالث: الرجاء:



ومنها: عبادة الله **عَزَّوَجَلَّ** بالرجاء، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ

اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩].

وهي من أعلى مراتب العبادة، والله **عَزَّوَجَلَّ** يُعْبَدُ بالخوف والرجاء والرغبة

والرهبة، وقد تكلم العلماء على هذه المنزلة وبينوا أنه ينبغي أن يكون المرء في الحياة

بين الخوف والرجاء كجناحي طائر، وعند الموت يغلب الرجاء.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**،

قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ**».

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٨٧٧).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ

ظَنِّ عَبْدِي بِي». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٠٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٧٥).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وَهُوَ عَبْدِيَّةٌ، وَتَعَلَّقَ بِاللَّهِ مِنْ حَيْثُ اسْمُهُ الْمُحْسِنُ

الْبِرُّ فَذَلِكَ التَّعَلُّقُ وَالتَّعَبُّدُ بِهَذَا الْإِسْمِ وَالْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ لِلْعَبْدِ الرَّجَاءَ،

مِنْ حَيْثُ يَدْرِي وَمِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي. فَقُوَّةُ الرَّجَاءِ عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ

وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَغَلَبَةُ رَحْمَتِهِ غَضَبُهُ. وَلَوْلَا رُوحُ الرَّجَاءِ لَعَطَلَتْ عَبْدِيَّةُ الْقَلْبِ

وَالْجَوَارِحِ. وَهُدْمَتْ صَوَامِعُ، وَبِنِعْ، وَصَلَوَاتُ، وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا. بَلْ

لَوْلَا رُوحُ الرَّجَاءِ لَمَا تَحَرَّكَتِ الْجَوَارِحُ بِالطَّاعَةِ. وَلَوْلَا رِيحُ الطَّيِّبَةِ لَمَا جَرَتْ سُفُنُ

الْأَعْمَالِ فِي بَحْرِ الْإِرَادَاتِ، وَلِي مِنْ آيَاتِ:

لَوْلَا التَّعَلُّقُ بِالرَّجَاءِ تَقَطَّعَتْ ❀❀ نَفْسُ الْمُجِبِّ تَحَسُّرًا وَتَمَزَّقَا

وَكَذَلِكَ لَوْلَا بَرْدُهُ بِحَرَارَةِ الْأَكْبَادِ ❀❀ ذَابَتْ بِالْحِجَابِ تَحَرُّقًا



فتح المجيد بيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



أَيُّكُونُ قَطُّ حَلِيفٌ حُبًّا لَا يُرَى ❀❀ بِرَجَائِهِ لِحَبِيبِهِ مُتَعَلِّقًا؟!
 أَمْ كُلَّمَا قَوِيَتْ مَحَبَّتُهُ لَهُ ❀❀ قَوِيَ الرَّجَاءُ فَزَادَ فِيهِ تَشَوُّقًا
 لَوْلَا الرَّجَاءُ يَحْدُو الْمَطْيَّ لَمَا سَرَتْ ❀❀ بِحُمُولِهَا لِإِدْيَارِهِمْ تَرْجُو اللَّقَا
 وَعَلَى حَسَبِ الْمَحَبَّةِ وَقُوَّتِهَا يَكُونُ الرَّجَاءُ. فَكُلُّ مُحِبٍّ رَاجٍ خَائِفٌ بِالضَّرُورَةِ فَهُوَ
 أَرْجَى مَا يَكُونُ لِحَبِيبِهِ، أَحَبُّ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ. وَكَذَلِكَ خَوْفُهُ. فَإِنَّهُ يَخَافُ سُقُوطَهُ مِنْ
 عَيْنِيهِ. وَطَرْدَ مَحْبُوبِهِ لَهُ وَإِبْعَادَهُ. وَاحْتِجَابَهُ عَنْهُ. فَخَوْفُهُ أَشَدُّ خَوْفٍ. وَرَجَاؤُهُ ذَاتِي
 لِلْمَحَبَّةِ. فَإِنَّهُ يَرْجُوهُ قَبْلَ لِقَائِهِ وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ. فَإِذَا لَقِيَهُ وَوَصَلَ إِلَيْهِ اشْتَدَّ الرَّجَاءُ لَهُ،
 لِمَا يَحْصُلُ لَهُ بِهِ مِنْ حَيَاةِ رُوحِهِ، وَنَعِيمِ قَلْبِهِ مِنْ أَلْطَافِ مَحْبُوبِهِ، وَبِرِّهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَيْهِ،
 وَنَظَرِهِ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الرِّضَا، وَتَأْهِيلِهِ فِي مَحَبَّتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا حَيَاةَ لِلْمُحِبِّ، وَلَا نَعِيمَ
 وَلَا فَوْزَ إِلَّا بِوُصُولِهِ إِلَيْهِ مِنْ مَحْبُوبِهِ. فَرَجَاؤُهُ أَعْظَمُ رَجَاءٍ، وَأَجَلُهُ وَأَتْمُهُ. اهـ. «مدارج
 السالكين» (٢/٤٢-٤٣).

الرابع: الخشية:

ومنها: عبادة الله عزَّوجلَّ بالخشية، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنَ عِبَادِهِ
 الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وَقَالَ
 تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
 رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ خَشِيَ
 الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَهًا بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ
 وَهُمْ مِنْ أَلْسَاعَةِ مُسْفِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ
 وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١].

فالخشية عبادة جليلة، وهي كما قال الراغب رَحْمَةُ اللَّهِ: الخشيّة: خوف يشوبه
 تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خصّ العلماء بها في



قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾﴾ [عبس: ٨-٩]، ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]، ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠]، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]، ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً﴾ [النساء: ٧٧]، وقال: ﴿الَّذِينَ يُبَاغُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ﴾ [الآية [النساء: ٩]، أي: ليستشعروا خوفا من معرفته، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، أي: لا تقتلوهم معتقدين مخافة أن يلحقهم إملاق، ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾ [النساء: ٢٥]، أي: لمن خاف خوفاً اقتضاه معرفته بذلك من نفسه. «مفردات القرآن» (٢٨٣).

الخامس: الإنابة:

ومنها: الإنابة، قال الله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾ [الروم: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُمْ﴾ [الزمر: ٥٤]، وهي صفة المؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]، وقال النبي شعيب **عليه السلام**: ﴿وَمَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [سبأ: ٩]، وقال تعالى عن داود **عليه السلام**: ﴿فَأَسْتَغْفِرُ رَبِّيَ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

وثمرتها عظيمة، قال تعالى: ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣١-٣٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ أَحْبَبُوا أَطْلَعْتُمْ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ
 ١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا
 الْأَلْبَابِ ١٨﴾ [الزمر: ١٧-١٨]. إلى غير ذلك.

والإنابة هي الإسراع إلى مرضاة الله مع الرجوع إليه في كل وقت وإخلاص العمل
 له، أفاده ابن القيم، قال **رحمة الله:**

وَالْإِنَابَةُ إِنَابَتَانِ: إِنَابَةٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ، وَهِيَ إِنَابَةُ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا، يَشْتَرِكُ فِيهَا الْمُؤْمِنُ
 وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾
 [الروم: ٣٣] فَهَذَا عَامٌّ فِي حَقِّ كُلِّ دَاعٍ أَصَابَهُ ضُرٌّ، كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ، وَهَذِهِ الْإِنَابَةُ لَا
 تَسْتَلِزُّمُ الْإِسْلَامَ، بَلْ تُجَامِعُ الشُّرْكَ وَالْكَفْرَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ: ﴿ثُمَّ إِذَا
 آذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ [الروم: ٣٣]
 فَهَذَا حَالُهُمْ بَعْدَ إِنَابَتِهِمْ.

وَالْإِنَابَةُ الثَّانِيَةُ إِنَابَةٌ أَوْلِيَائِهِ، وَهِيَ إِنَابَةٌ لِإِلَهِيَّتِهِ، إِنَابَةُ عِبُودِيَّةٍ وَمَحَبَّةٍ. وَهِيَ تَتَّصِنُ
 أَرْبَعَةَ أُمُورٍ: مَحَبَّتُهُ، وَالْخُضُوعَ لَهُ، وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا سِوَاهُ، فَلَا يَسْتَحِقُّ
 اسْمَ الْمُنِيبِ إِلَّا مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَرْبَعُ، وَتَنْفِسِيرُ السَّلْفِ لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ يَدُورُ عَلَى
 ذَلِكَ. اهـ. «مدارج السالكين» (١/ ٤٣٤).

السادس: الرهبة والرغبة:

وكلاهما عبادتان جليلتان في مرتبة رفيعة. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا
 يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾
 [الأنبياء: ٩٠]، وَقَالَ تَعَالَى آمْرًا بِهَا: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا
 بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ [البقرة: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ
 لِلَّذِينَ هُمْ لِربِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَ رَبِّكَ فَأَتَقَبَّ﴾ [الشرح: ٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا إِلَيْكَ رَبَّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢].

والرهبة هي الخوف، قال الراغب رَحْمَةُ اللَّهِ: الرَّهْبَةُ والرُّهْبُ: مخافة مع تحرُّز واضطراب، قال: لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً. «مفردات غريب القرآن» للأصفهاني (٢٠٤).
والرغبة هي الإرادة مع الحرص، فالله عَزَّوَجَلَّ يعبد رهبة منه ورغبة فيما عنده.

السابع: الإخلاص:

لما كان العمل لا يقبل إلا بإخلاصه لله عَزَّوَجَلَّ ومتابعته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد بيَّن القرآن هذا الأمر تبييناً بالغاً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند البخاري، حين سئل: «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ».

ومن أعظم ثمرات الإخلاص في الدنيا قبل الآخرة أن صاحبه ينجو من مكر إبليس اللعين، ومن جنوده أجمعين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مخبراً عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [٣٦] قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ يَمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ [الحجر: ٣٦-٤٠].

والمخلص ناج من العذاب الأليم وموعد بجنة النعيم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ [٣٨] وَمَا تُجْرَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾



أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَفَرُوا ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ [الصفات: ٣٨-٤٣]،
والإخلاص من أعظم الأسباب للحيلولة بين العبد والمعصية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ
هَمَّتْ بِهِمْ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَزَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْمَ وَالْفَحْشَاءَ
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

ومن حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عِنْدَ أَحْمَدَ (١٨٣/٥): أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«ثَلَاثٌ خِصَالٍ لَا يَغْلُظُ عَلَيْهِنَّ قَلْبٌ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ
الْأَمْرِ، وَكُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ». والحديث في «الصحیح المسند»
للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَالَ مَكْحُولٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، كَمَا فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٩٦/٢): مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ قَطُّ
أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا ظَهَرَتْ يَتَابِعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ. اهـ.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. وَهَذَانِ رُكْنَا الْعَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ. لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ
حَالِصًا لِلَّهِ، صَوَابًا عَلَى شَرِيعةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ كَمَا فِي تَرْجُمَتِهِ فِي «السَّيْرِ» (٢٥٤٢/٤): كُلُّ مَا لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ
يَضْمَحِلُّ. اهـ.

وقال ابن القيم في «الفوائد» (١٢٦٧): العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر
يملاً جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه. اهـ.

وما أجمل قول مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ - لو عمل به - كما في «السير» (٣٦٢/٥): مُدُّ
عَرَفْتُ النَّاسَ لَمْ أَفْرَحْ بِمَدْحِهِمْ، وَلَمْ أَكْرَهُ دَمَهُمْ؛ لِأَنَّ حَامِدَهُمْ مُفْرِطٌ، وَذَامَهُمْ
مُفْرِطٌ، إِذَا تَعَلَّمَ الْعَالِمُ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ، كَسَرَهُ، وَإِذَا تَعَلَّمَهُ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، زَادَهُ فَخْرًا. اهـ.



وذكر الذهبي في «السير» (٤٢٧/٨) في ترجمة الفضيل: تَزَكُّ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ رِيَاءً، وَالْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يُعَافِيكَ اللَّهُ عَنْهُمَا. اهـ.

قَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، كَمَا فِي «السير» (٤٤٨/٧): مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى مُكْرَبٍ بِهِ. اهـ.

وقال ابن المبارك، كما في «السير» (٩٧/٨): مَا رَأَيْتُ أَحَدًا ارْتَفَعَ مِثْلَ مَالِكٍ، لَيْسَ لَهُ كَثِيرٌ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ سَرِيرَةٌ.

قال الذهبي معقبًا على هذا الكلام: مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَنَشْرِهِ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ لِمَنْ أَرَادَ بِهِ اللَّهُ. اهـ.

وقال أبو حازم، كما في المرجع السابق (١٠٠/٦): لَا يُحَسِّنُ عَبْدٌ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، إِلَّا أَحَسَّنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادِ. اهـ.

ورحم الله ابن القيم إذ يقول في «المدارج» (٩/٢): إِذَا عُرِسَتْ شَجَرَةُ الْمَحَبَّةِ فِي الْقَلْبِ، وَسُقِيَتْ بِمَاءِ الْإِخْلَاصِ، وَمُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ، أَثْمَرَتْ أَنْوَاعَ الثَّمَارِ. وَأَتَتْ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا. أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي قَرَارِ الْقَلْبِ. وَفَرْعُهَا مُتَّصِلٌ بِسِدْرَةِ الْمُتَمَتِّهِ. اهـ.

وقال رحمه الله في «الفوائد» (٢٤٢١) دالًّا على طريقة تحصيل الإخلاص: لَا يَجْتَمِعُ الْإِخْلَاصُ فِي الْقَلْبِ وَمَحَبَّةُ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ إِلَّا كَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ وَالنَّارُ، وَالضَّبُّ وَالْحَوْتُ، فَإِذَا حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ بِطَلَبِ الْإِخْلَاصِ فَأَقْبَلِ عَلَى الطَّمَعِ أَوْ لَا فَادْبَحْهُ بِسَكِينِ الْيَأْسِ، وَأَقْبَلِ عَلَى الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ فَازْهَدْ فِيهِمَا زَهْدَ عَشَاقِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكَ ذَبْحُ الطَّمَعِ وَالزَّهْدِ فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ عَلَيْنِكَ الْإِخْلَاصُ. فَإِنْ قَلتَ وَمَا الَّذِي يَسْهَلُ عَلَيَّ ذَبْحُ الطَّمَعِ وَالزَّهْدِ فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ قَلتَ أَمَا ذَبْحُ الطَّمَعِ فَيَسْهَلُ عَلَيْنِكَ عِلْمُكَ يَقِينًا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يَطْمَعُ فِيهِ إِلَّا وَبِيدِ اللَّهِ وَحَدِّهِ خَزَائِنُهُ لَا يَمْلِكُهَا غَيْرُهُ وَلَا يُؤْتَى الْعَبْدُ مِنْهَا شَيْئًا سِوَاهُ وَأَمَا الزَّهْدُ فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ فَيَسْهَلُ عَلَيْنِكَ عِلْمُكَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَنْفَعُ مَدْحَهُ وَيَزِينُ وَيُضِرُّ ذَمَّهُ وَيَشِينُ إِلَّا



الله وحده كما قال ذلك الأعرابي للنبي **صلى الله عليه وسلم**: إن مدحي زين وذمي شين فقال: **«ذلك الله عز وجل»**، فازهد في مدح من لا يزينك مدحه وفي ذم من لا يشنيك ذمه وارغب في مدح من كل الزين في مدحه، وكل الشين في ذمه، ولن يُقدَّر على ذلك إلا بالصبر واليقين فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البحر في غير مركب، قال تعالى: **﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقُونَ﴾** [الروم: ٦٠]، وقال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ﴾** [السجدة: ٢٤]. اهـ

واعلم أن جميع الأعمال عائدة إلى نية العبد في قبولها وجعل البركة فيها، دل على ذلك حديث عمر **رضي الله عنه** عند الشيخين: **«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»**. وقال الله تعالى قبل ذلك: **﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾** [الإسراء: ١٩].

الثامن: المحبة:

إن المحبة عبادة عظيمة، قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾** [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾** الآية [المائدة: ٥٤].

عن أنس **رضي الله عنه**: عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: **«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»**. أخرجه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).



فمحببة الله من أعظم مقامات العبادة، وشرط محبة الله **عَزَّوَجَلَّ**: إحسان العمل وإتباع الشرع، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ويمتحن العبد في المحبة لله على ما كان يألفه من دواعي الهوى والنفس، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

والمشركون قد صرفوا هذه العبادة لمعبوداتهم، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال ابن كثير رحمه الله: يَذْكُرُ تَعَالَى حَالَ الْمُشْرِكِينَ فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، حَيْثُ جَعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا، أَي: أَمْثَالًا وَنُظْرَاءَ يَعْبُدُونَهُمْ مَعَهُ وَيُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا ضِدَّ لَهُ وَلَا نَدَّ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ مَعَهُ. وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ».

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ وَلِحُبِّهِمْ لِلَّهِ وَتَمَامِ مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ، وَتَوْقِيرِهِمْ وَتَوْحِيدِهِمْ لَهُ، لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، بَلْ يَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ، وَيَلْجَأُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ. انتهى من «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤٧٦).

التاسع: الشكر:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠]، أَي: فَهَلَا تَشْكُرُونَ اللهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]، فَحَثَّ وَرَغَّبَ وَأَمَرَ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَجَلِيلَةِ الَّتِي إِنَّمَا يَتَخَلَقُ بِهَا الْخُلَّصُ مِنْ عِبَادِ اللهِ تَعَالَى. وَيُذَكِّرُ عِبَادَهُ



بنعمه ليشكروه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِيَجْرِيَ فِيهِ فَاكْرَهُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البجائية: ١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونَ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]، وَأَخْبَرَ عَنْ قَلَّةِ الشَّاكِرِينَ فَقَالَ: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ [سبأ: ١٣]، وَأَخْبَرَ عَنِ الزِّيَادَةِ فِي الشُّكْرِ، فَقَالَ: ﴿ وَإِذَا تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

فالشكر منة من الله **عَزَّجَلَّ** يجب أن يُشكر عليها مع ما له من الميزات الجليلة والعطايا الجزيلة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [١٤٤] وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤-١٤٥].

وهؤلاء آل لوط نجاهم الله بالشكر، كما قال: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ ﴾ [٣٣] إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ ﴿ ٣٤ ﴾ نِعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ يَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿ ٣٥ ﴾ [القمر: ٣٣-٣٥].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠].

وفي آيات كثيرة تحث على هذه العبادة الجليلة، ولعظم شأنها كان رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يصلي من الليل حتى تنفطر قدماه، فقبل له في ذلك فقال: « **أَفَلَا أَكُونُ**



عَبْدًا شَكُورًا» كما في «الصحيحين» البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩)، من حديث عائشة والمغيرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

وقال معلماً معاذ بن جبل: **«يَا مُعَاذُ إِنِّي لِأَحِبُّكَ»**، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَحِبُّكَ، قَالَ: **«أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»**، قَالَ: وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذُ الصَّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى الصَّنَابِحِيَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَوْصَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ. أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، وأحمد (٤٥/٥).

وبين رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عظم الشكر في قوله: **«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**، الحديث عند مسلم (٢٩٩٩).

وأخرج أحمد (٢٢٧/١) من حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يقول: **«رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَأَمْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى إِلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَرًا، لَكَ ذَكَرًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، لَكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَتَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهِدْ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»**.

قال ابن القيم في «عدة الصابرين» (١١٨-١٢١): وقرن سبحانه الشكر بالإيمان وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به، فقال: **﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ﴾** [النساء: ١٤٧] أي: إن وفيتم ما خلقتكم له وهو الشكر والإيمان فما أصنع بعذابكم.



هذا وأخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمرتبة عليهم من بين عباده، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وقسم الناس إلى شكور وكفور، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله قَالَ تَعَالَى فِي الْإِنْسَانِ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وقال نبيه سليمان: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَءَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. اهـ.

قال ابن القيم في «عدة الصابرين» (٢٧٩-٢٨٠): وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر كشأن صبره فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور بل هو الشكور على الحقيقة فإنه يعطى العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثنى عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى ويلقى له الشكر بين عباده، ويشكره بفعله فإذا ترك له شيئاً أعطاه أفضل منه وإذا بذل له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة وهو الذي وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك، ولما عقر نبيه سليمان الخيل غضباً له إذ شغلته عن ذكره فأراد ألا تشغله مرة أخرى أعاضه عنها متن الريح، ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته أعاضهم عنها أن ملكهم الدنيا وفتحها عليهم، ولما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر له ذلك بأن مكن له في الأرض يتبوا منها حيث يشاء، ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتى مزقها أعداؤه شكر



لهم ذلك بأن أعضاهم منها طيرًا خضرًا أقر أرواحهم فيها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأباه، ولما بذل رسله أعراضهم فيه لأعدائهم فنالوا منهم وسبوهم أعضاهم من ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته وجعل لهم أطيب الثناء في سمواته وبين خلقه فأخلصهم بخالصة ذكرى الدار.

ومن شكره سبحانه أنه يجازي عدوه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا ويخفف به عنه يوم القيامة فلا يضيع عليه ما يعمله من الإحسان وهو من أبغض خلقه إليه، ومن شكره أنه غفر للمرأة البغي بسقيها كلبًا كان قد جهده العطش حتى أكل الثرى، وغفر لآخر بتنحيته غصن شوك عن طريق المسلمين. فهو سبحانه يشكر العبد على إحسانه لنفسه، والمخلوق إنما يشكر من أحسن إليه، وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يحسن به إلى نفسه وشكره على قليله بالأضعاف المضاعفة التي لا نسبة لإحسان العبد إليها فهو المحسن بإعطاء الإحسان وإعطاء الشكر فمن أحق باسم الشكور منه سبحانه.

وتأمل قوله سبحانه: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَاسَتْكُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، كيف تجد في ضمن هذا الخطاب أن شكره تعالى يأبى تعذيب عباده سدئ بغير جرم كما يأبى إضاعة سعيهم باطلا فالشكور لا يضيع أجر محسن ولا يعذب غير مسيء، وفي هذا رد لقول من زعم أنه سبحانه يكلفه ما لا يطيقه ثم يعذبه على ما لا يدخل تحت قدرته تعالى الله عن هذا الظن الكاذب والحسبان الباطل علوًا كبيرًا فشكره سبحانه اقتضى أن لا يعذب المؤمن الشكور ولا يضيع عمله وذلك من لوازم هذه الصفة فهو منزه عن خلاف ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص التي تنافي كماله وغناه وحمده.



ومن شكره سبحانه أنه يخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرة من خير ولا يضيع عليه هذا القدر، ومن شكره سبحانه أن العبد من عباده يقوم له مقاماً يرضيه بين الناس فيشكره له وينوه بذكره ويخبر به ملائكته وعباده المؤمنين كما شكر لمؤمن آل فرعون ذلك المقام وأثنى به عليه ونوه بذكره بين عباده، وكذلك شكره لصاحب يس مقامه ودعوته إليه فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته إلا هالك. اهـ.

وللشكر قواعد وأركان.

قال ابن القيم في «المدارج» (٢/٢٤٤): وَالشُّكْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى خَمْسٍ قَوَاعِدَ: خُضُوعُ الشَّاكِرِ لِلْمَشْكُورِ، وَحُبُّهُ لَهُ، وَاعْتِرَافُهُ بِنِعْمَتِهِ، وَتَنَاوُؤُهُ عَلَيْهِ بِهَا، وَأَنْ لَا يَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا يَكْرَهُ. فَهَذِهِ الْخَمْسُ: هِيَ أَسَاسُ الشُّكْرِ، وَبِنَاوُؤِهَا عَلَيْهَا، فَمَتَى عُدِمَ مِنْهَا وَاحِدَةٌ اخْتَلَّتْ مِنْ قَوَاعِدِ الشُّكْرِ قَاعِدَةٌ، وَكُلُّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الشُّكْرِ وَحَدَّهُ، فَكَلَامُهُ إِلَيْهَا يَرْجِعُ، وَعَلَيْهَا يَدُورُ. اهـ.

والشكر يجب أن يكون على جميع نعم الله **عَزَّوَجَلَّ**، وأعظمها الإسلام والتوحيد، **قال ابن القيم:** شكر العامة على المطعم والمشرب والملبس وقوت الأبدان وشكر الخاصة على التوحيد والإيمان وقوت القلوب. اهـ. «عدة الصابرين» (١٤٩).

ويا لله كم من أناس تفتانوا في هذه العبادة فمُكِّنُوا، وكم من أناس ضيعوها فضيَّعُوا، والجزاء من جنس العمل، نسوا الله فسيهم.

فهذا نوح **عَلَيْهِ السَّلَام** أول رسول الله إلى أهل الأرض يقول الله عنه: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

قال ابن القيم في «عدة الصابرين» (١١٣): وقد أثنى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على أول رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشكر فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وفي تخصيص نوح ها هنا بالذكر وخطاب العباد بأنهم ذريته إشارة إلى الاقتداء به فإنه أبوهم الثاني فان الله تعالى لم يجعل للخلق بعد الغرق نسلًا



إلا من ذريته كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ [فصلت: ٧٧]، فأمر الذرية أن يتشبهوا بأبيهم في الشكر فانه كان عبداً شكوراً.

وأُنزل الله عزَّ وجلَّ التوراة على موسى واصطفاه بكلامه ليكون من الشاكرين، وكان كما أراد الله منه، قال تعالى: ﴿قَالَ يَمْؤُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَىٰ فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وداود وسليمان كانا من الشاكرين، قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، وقوله: ﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وأعلم أن نعم الله عزَّ وجلَّ عليك كثيرة، وآلائه جزيلة، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فإذا كان الإحصاء متعذر فكيف بشكرها، لكن على المسلم أن يشكر ربه فلا يكفره، ويذكره فلا ينساه، ويطيعه فلا يعصيه.

وأعلم أن الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص، فهما يجتمعان في آلة اللسان والقلب، يبقى على حاله ويجتمعان في الشاء على المتعدي من الأفعال.

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح قيامه بذلك الدعاء العظيم، الذي أخرجه البخاري (٧٣٨٥)، ومسلم (٧٦٩)، من حديث ابن عباس قال:

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ



إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرِكَ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهِذَا وَقَالَ أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ».

وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في حديث أنس عند مسلم (٢٧٣٤): «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا».

والحمد لله من أحب الكلام إلى الله **عَزَّجَلَّ**، روي ذلك من أوجه متكاثرة، منها ما أخرجه مسلم (٢١٣٧) عَنْ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بَأْيُنَّ بَدَأَتْ»، والكلام عن الحمد يطول، وقد تكلمت عن مواطنه في غير ما موضع وبالله التوفيق.

فهل هنالك هداية أعظم من هداية القرآن لهذه العبادات الجليلات التي بها المصالح الدينية والدنيوية؟ والحمد لله رب العالمين.

العاشر: الصلاة:

إدخالها في هذا الباب لحديث جَابِرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ». أخرجه مسلم (٢٥٦).

وقد أمر الله **عَزَّجَلَّ** بها وحثَّ عليها ورغَّب وامتدح المصلي، وحثَّ من التفریط فيها بحال فقال: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤-٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٥٣﴾﴾ [المدثر: ٤٣-٤٤].

وأمر الله **عَزَّجَلَّ** بالمحافظة عليها فقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].



وأوقاتها ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ أَيْلٍ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

ومن أوضاع هذه الأوقات فقد أضع نصيبه من الإسلام، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٥٩]

وقد أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** أن تكون الصلاة له، فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُُ وَيَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. وذكرها في القرآن في مواطن كثيرة تزيد على التسعين. وبالنسبة لصفقتها ذكرتها في كتابي «أحكام صلاة الجالس».

الحادي عشر: الذبح:

الذبح لله **عَزَّوَجَلَّ** عبادة، وأما لغيره فشرک أكبر مخرج من الملة قَالَ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. فجمع بين الصلاة والنحر ليدل على كونهما عبادتين لله **عَزَّوَجَلَّ**، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُُ وَيَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

وحرّم الله **عَزَّوَجَلَّ** ما أهّل به لغير الله من الذبائح فقال: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وحرّم ما لم يُسمَّ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** عليه فقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وحرّم ما ذُبح على النصب فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَبِتَةُ وَالْمَوْوَدَةُ وَالْمُتَرَدِّتَةُ وَالنَّطِيطَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبحَ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



حتى ولو يسمي الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه ولكنه ذُبح على طريقة الكافرين أو في أماكن عباداتهم فهو حرام، ولما كان الذبح من أشهر العبادات فإن كل عابد لله **عَزَّوَجَلَّ** أو لغيره يتقرب إلى معبوده بالذبح. ولهذا حرم الله **عَزَّوَجَلَّ** الذبح لغيره وباسم غيره. وقد كان الكفار يوقفون الأنعام الكثيرة لذبحها لأصنامهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ طُحُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦-١٣٩].

الثاني عشر: النذر:

النذر عبادة جليلة حث عليها القرآن والسنة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُؤْتُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيُطَوِّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وصرفه لغير الله **عَزَّوَجَلَّ** شرك أكبر مخرج من الملة.

وأما ما جاء في السنة من تحريم النذر في حديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّهُ نَهَى عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ **الْبَخِيلِ**». أخرجه مسلم (١٦٣٩)، فالمراد به نذر المقابلة. وأما النذر المطلق وهو إلزام



المرء نفسه بالتقرب إلى الله بأنواع القرب فهو عبادة مرغّب فيها على ما تقدم وهو من أشهر أنواع العبادات.

إلى غير ذلك من التفاصيل في هذا الباب العظيم، وقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿مَا قَرَّظْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، على من فسّر الكتاب بأنه القرآن، وقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ** في وصف القرآن: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].





هداية القرآن في الحكم بما أنزل الله عز وجل

مما يعرفه الخاص والعام أنه لا بد للناس من شيء يتحاكمون إليه في حياتهم اليومية والشهيرة والعمرية وفي أقوالهم ومعتقداتهم وأفعالهم، وقد بين الله عز وجل في كتابه أنه الحاكم المطلق الذي يجب أن يتحاكم إليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، وقال عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠]، وحذر من حكم بغير حكمه فقال: ﴿لِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

قال الراغب رحمه الله: والحكم بالشيء: أن تقضي بأنه كذا، أو ليس بكذا، سواء ألزمت ذلك غيره أو لم تلزمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]. اهـ. «مفردات غريب القرآن» (١٢٦-١٢٧).

وقد قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال في التي تليها: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].



قال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] اِخْتَلَفَ فِيهِ الْمُفَسِّرُونَ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْكَافِرُونَ وَالظَّالِمُونَ وَالْفَاسِقُونَ كُلُّهُ لِلْيَهُودِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْكَافِرُونَ لِلْمُشْرِكِينَ، وَالظَّالِمُونَ لِلْيَهُودِ، وَالْفَاسِقُونَ لِلنَّصَارَى، وَبِهِ أَقُولُ؛ لِأَنَّهُ ظَاهِرُ الْآيَاتِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، وَابْنِ أَبِي زَائِدَةَ، وَابْنِ شُبْرَمَةَ. قَالَ طَاوُسٌ وَغَيْرُهُ: لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، وَلَكِنَّهُ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ.

وَهَذَا يَخْتَلَفُ إِنْ حَكَمَ بِمَا عِنْدَهُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ فَهُوَ تَبْدِيلٌ لَهُ يُوجِبُ الْكُفْرَ، وَإِنْ حَكَمَ بِهِ هَوَى وَمَعْصِيَةٌ فَهُوَ ذَنْبٌ تُدْرِكُهُ الْمَغْفِرَةُ عَلَى أَصْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْغُفْرَانِ لِلْمُذْنِبِينَ. اهـ. «أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ٢١٣).

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: هَلْ هِيَ فِي الْمُسْلِمِينَ، أَوْ فِي الْكُفَّارِ؟، فَرُوِيَ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهَا فِي الْمُسْلِمِينَ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهَا فِي الْيَهُودِ، وَرُوِيَ عَنِ طَاوُسٍ أَيْضًا أَنَّهَا فِي الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَفْرِ فِيهَا كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ الْكُفْرُ الْمُخْرَجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ الْكُفْرُ الَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ، رَوَاهُ عَنْهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، قَالَهُ ابْنُ كَثِيرٍ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا فِي الْيَهُودِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ فِيمَا قَبْلَهَا أَنَّهُمْ ﴿يُخْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴿إِنْ أوتيتهم هَذَا﴾، يَعْنِي الْحُكْمَ الْمُحَرَّفَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ حُكْمِ اللهِ ﴿فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُوْتُوهُ﴾ أَي الْمُحَرَّفَ، بَلْ أوتيتهم حُكْمَ اللهِ الْحَقَّ ﴿فَأَحْذَرُوا﴾، فَهَمْ يَأْمُرُونَ بِالْحَذَرِ مِنْ حُكْمِ اللهِ الَّذِي يَعْلَمُونَ أَنَّهُ حَقٌّ.



وَقَدْ قَالَ تَعَالَى بَعْدَهَا ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية [المائدة: ٤٥]، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ فِيهِمْ، وَمِمَّنْ قَالَ بِأَنَّ الْآيَةَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو مَجَلَزٍ، وَأَبُو رَجَاءِ الْعُطَارِدِيُّ، وَعِكْرِمَةُ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُهُمْ، وَزَادَ الْحَسَنُ، وَهِيَ عَلَيْنَا وَاجِبَةٌ، نَقَلَهُ عَنْهُمْ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَقَلَ نَحْوَ قَوْلِ الْحَسَنِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، و﴿الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، و﴿الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، نَزَلَتْ كُلُّهَا فِي الْكُفَّارِ، ثَبَتَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ - يَشِيرُ إِلَى قِصَّةِ الْيَهُودِيِّ الزَّانِي -، وَعَلَى هَذَا الْمُعْظَمِ، فَأَمَّا الْمُسْلِمُ فَلَا يَكْفُرُ وَإِنْ ارْتَكَبَ كَبِيرَةً، وَقِيلَ فِيهِ إِضْمَارٌ، أَيْ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، رَدًّا لِلْقُرْآنِ وَجَحْدًا لِقَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَافِرٌ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ.

فَالْآيَةُ عَامَّةٌ عَلَى هَذَا، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَالْحَسَنُ: هِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْيَهُودِ، وَالْكَفَّارِ، أَيْ مُعْتَقِدًا ذَلِكَ وَمُسْتَحِلًّا لَهُ. فَأَمَّا مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَهُوَ مُعْتَقِدٌ أَنَّهُ مُرْتَكِبٌ مُحَرَّمٌ فَهُوَ مِنْ فَسَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ عَذَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَرَهُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فَقَدْ فَعَلَ فِعْلًا يُضَاهِي أفعال الكفار، وَقِيلَ: أَيْ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ فَهُوَ كَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ حَكَمَ بِالتَّوْحِيدِ، وَلَمْ يَحْكَمْ بِبَعْضِ الشَّرَائِعِ فَلَا يَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ إِلَّا أَنَّ الشَّعْبِيَّ قَالَ: هِيَ فِي الْيَهُودِ خَاصَّةً، وَاخْتَارَهُ النَّحَّاسُ، قَالَ: وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ:



مِنْهَا أَنَّ الْيَهُودَ ذَكَرُوا قَبْلَ هَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤] فَعَادَ الضَّمِيرُ عَلَيْهِمْ.

وَمِنْهَا أَنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، أَلَا تَرَى أَنَّ بَعْدَهُ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٤٥]، فَهَذَا الضَّمِيرُ لِلْيَهُودِ بِإِجْمَاعٍ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْيَهُودَ هُمُ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الرَّجْمَ وَالْقِصَاصَ، فَإِنَّ قَالَ قَائِلٌ «مَنْ» إِذَا كَانَتْ لِلْمُجَازَاةِ فَهِيَ عَامَّةٌ إِلَّا أَنْ يَقَعَ دَلِيلٌ عَلَى تَخْصِيصِهَا، قِيلَ لَهُ: «مَنْ» هُنَا بِمَعْنَى الَّذِي، مَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالتَّقْرِيرِ؛ وَالْيَهُودُ الَّذِينَ لَمْ يَحْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، فَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي هَذَا. وَيُرْوَى أَنَّ حُدَيْفَةَ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، أَهِيَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ: نَعَمْ هِيَ فِيهِمْ، وَكَتَسَلَكُنَّ سَبِيلَهُمْ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، وَقِيلَ: ﴿الْكَافِرُونَ﴾ [٤٤] لِلْمُشْرِكِينَ، وَ﴿الظَّالِمُونَ﴾ [٤٥] لِلْيَهُودِ، وَ﴿الْفٰسِقُونَ﴾ [٤٧] لِلنَّصَارَى، وَهَذَا اخْتِيَارُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ، قَالَهُ: لِأَنَّهُ ظَاهِرُ الْآيَاتِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، وَابْنِ أَبِي زَائِدَةَ، وَابْنِ شُبْرَمَةَ، وَالشَّعْبِيِّ أَيْضًا قَالَ طَاوُسٌ وَغَيْرُهُ: لَيْسَ بِكَفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، وَلَكِنَّهُ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ.

وَهَذَا يَخْتَلِفُ إِنْ حَكَمَ بِمَا عِنْدَهُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَهُوَ تَبْدِيلٌ لَهُ يُوجِبُ الْكُفْرَ، وَإِنْ حَكَمَ بِهِ هَوَى وَمَعْصِيَةً فَهُوَ ذَنْبٌ تُدْرِكُهُ الْمَغْفِرَةُ عَلَى أَصْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْغُفْرَانِ لِلْمُذْنِبِينَ، قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَمَذْهَبُ الْخَوَارِجِ أَنَّ مَنْ ارْتَشَى، وَحَكَمَ بِحُكْمِ غَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَعَزَا هَذَا إِلَى الْحَسَنِ، وَالسُّدِّيِّ، وَقَالَ الْحَسَنُ أَيْضًا: أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْحُكَّامِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: أَلَّا يَتَّبِعُوا الْهَوَى، وَأَلَّا يَخْشَوْا النَّاسَ وَيَخْشَوْهُ، وَأَلَّا يَشْتَرُوا بِآيَاتِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَنْتَهَى كَلَامُ الْقُرْطُبِيِّ.

قَالَ مُقَيَّدُهُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ: الظَّاهِرُ الْمُتَبَادِرُ مِنْ سِيَاقِ الْآيَاتِ أَنَّ آيَةَ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، نَازِلَةٌ فِي الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ قَبْلَهَا مُحَاطِبًا لِمُسْلِمِي هَذِهِ



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



الْأُمَّةِ: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، فَالْخِطَابُ لِلْمُسْلِمِينَ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ مُتَّبِعًا مِنْ سِيَاقِ الْآيَةِ، وَعَلَيْهِ فَالْكَفْرُ إِذَا كُفِرَ دُونَ كَفْرٍ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ فَعَلَ ذَلِكَ مُسْتَحِيلًا لَهُ، أَوْ قَاصِدًا بِهِ جَحْدَ أَحْكَامِ اللَّهِ وَرَدَّهَا مَعَ الْعِلْمِ بِهَا. أَمَّا مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ حُكْمِ اللَّهِ، وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّهُ مُرْتَكِبٌ ذَنْبًا، فَاعِلٌ فِيهَا، وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْهَوَى فَهُوَ مِنْ سَائِرِ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَسِيَاقُ الْقُرْآنِ ظَاهِرٌ أَيْضًا فِي أَنَّ آيَةَ: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، فِي الْيَهُودِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ قَبْلَهَا: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

فَالْخِطَابُ لَهُمْ لَوْضُوحِ دَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ كَمَا أَنَّهُ ظَاهِرٌ أَيْضًا فِي أَنَّ آيَةَ: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [في النَّصَارَى؛ لِأَنَّهُ قَالَ قَبْلَهَا: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. وَعَلِمَ أَنَّ تَحْرِيرَ الْمَقَامِ فِي هَذَا الْبَحْثِ أَنَّ الْكُفْرَ، وَالظُّلْمَ، وَالْفِسْقَ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا رُبَّمَا أُطْلِقَ فِي الشَّرْعِ مُرَادًا بِهِ الْمَعْصِيَةُ تَارَةً، وَالْكَفْرَ الْمُخْرِجَ مِنَ الْمِلَّةِ أُخْرَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، مُعَارَضَةً لِلرُّسُلِ وَإِبْطَالًا لِأَحْكَامِ اللَّهِ، فَظَلَمَهُ وَفَسَقَهُ وَكُفَّرَهُ كُلُّهَا كُفْرٌ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ مُرْتَكِبٌ حَرَامًا فَاعِلٌ قَبِيحًا فَكُفْرُهُ وَظُلْمُهُ وَفِسْقُهُ غَيْرُ مُخْرِجٍ عَنِ الْمِلَّةِ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَوْلَى فِي الْمُسْلِمِينَ، وَالثَّانِيَةَ فِي الْيَهُودِ، وَالثَّلَاثَةَ فِي النَّصَارَى، وَالْعِبْرَةُ بِعُمُومِ الْأَلْفَاظِ لَا بِخُصُوصِ الْأَسْبَابِ، وَتَحْقِيقُ أَحْكَامِ الْكُلِّ هُوَ مَا رَأَيْتَ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. انتهى من «أضواء البيان» (١/٤٣٠-٤٣٢).



وقد فصل الإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** بتفصيل طيب، فقال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: فَأَمَّا الْكُفْرُ فَنَوْعَانِ: كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَكُفْرٌ أَصْغَرُ. فَالْكَفْرُ الْأَكْبَرُ هُوَ الْمَوْجِبُ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ، وَالْأَصْغَرُ مُوجِبٌ لِاسْتِحْقَاقِ الْوَعِيدِ دُونَ الْخُلُودِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى - وَكَانَ مِمَّا يُتْلَى فَنَسِخَ لَفْظُهُ - «لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ»، وَقَوْلِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي الْحَدِيثِ: «اِئْتَانِ فِي أُمَّتِي، هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ» وَقَوْلُهُ فِي السُّنَنِ: «مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ» وَقَوْلِهِ: «لَا تَرْجِعُوا بِعَدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» وَهَذَا تَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَامَّةِ الصَّحَابَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، بَلْ إِذَا فَعَلَهُ فَهُوَ بِهِ كُفْرٌ، وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَكَذَلِكَ قَالَ طَاوُسٌ، وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وَفَسْقٌ دُونَ فِسْقٍ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَ الْآيَةَ عَلَى تَرْكِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ جَاحِدًا لَهُ، وَهُوَ قَوْلُ عِكْرِمَةَ، وَهُوَ تَأْوِيلُ مَرْجُوْحٍ، فَإِنَّ نَفْسَ جُحُودِهِ كُفْرٌ، سِوَاءَ حَكَمَ أَوْ لَمْ يَحْكَمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى تَرْكِ الْحُكْمِ بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَالَ: وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْحُكْمُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ، وَهَذَا تَأْوِيلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيِّ، وَهُوَ أَيْضًا بَعِيدٌ، إِذِ الْوَعِيدُ عَلَى نَفْيِ الْحُكْمِ بِالْمُنَزَّلِ، وَهُوَ يَتَنَاوَلُ تَعْطِيلَ الْحُكْمِ بِجَمِيعِهِ وَبِبَعْضِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِمُخَالَفَةِ النَّصِّ، تَعَمُّدًا مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ بِهِ وَلَا خَطَأٍ فِي التَّأْوِيلِ، حَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنِ الْعُلَمَاءِ عُمُومًا. وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكَ وَغَيْرِهِمَا، وَهُوَ بَعِيدٌ، وَهُوَ خِلَافُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ، فَلَا يُصَارُ إِلَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ يَتَنَاوَلُ الْكُفْرَيْنِ، الْأَصْغَرَ وَالْأَكْبَرَ بِحَسَبِ حَالِ الْحَاكِمِ، فَإِنَّهُ إِنْ اعْتَقَدَ وَجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي هَذِهِ



الْوَاقِعَةِ، وَعَدَلَ عَنْهُ عِضْيَانًا، مَعَ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَصْغَرُ، وَإِنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ غَيْرٌ وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِيهِ، مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَإِنْ جَهِلَهُ وَأَخْطَأَهُ فَهَذَا مُخْطِئٌ، لَهُ حُكْمُ الْمُخْطِئِينَ. وَالْقَصْدُ أَنَّ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا مِنْ نَوْعِ الْكُفْرِ الْأَصْغَرِ، فَإِنَّهَا ضِدُّ الشُّكْرِ، الَّذِي هُوَ الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ، فَالْسَّعْيُ إِذَا شُكِرَ، وَإِذَا كَفِرَ، وَإِذَا تَالَتْ، لَا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. انتهى من «مدارج السالكين» (١/ ٣٣٥-٣٣٧).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: إن الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه؛ ولهذا سمى الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أربابًا لمتبوعهم فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] فسمى الله تعالى المتبوعين أربابًا حيث جعلوا مشرعين مع الله تعالى، وسمى المتبعين عبادًا حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وقد قال عدي بن حاتم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنهم لم يعبدوهم» فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بل إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم».

إذا فهمت ذلك فاعلم أن من لم يحكم بما أنزل الله، وأراد أن يكون التحاكم إلى غير الله ورسوله وردت فيه آيات بنفي الإيمان عنه، وآيات بكفره وظلمه، وفسقه.

فأما القسم الأول: فمثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٧﴾ فَكَيْفَ



إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
 إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضْ عَنْهُمْ
 وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ
 بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ
 لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٧﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ
 فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
 ﴿٦٨﴾ [النساء: ٦٥-٦٨].

فوصف الله تعالى هؤلاء المدعين للإيمان وهم منافقون بصفات:

الأولى: أنهم يريدون أن يكون التحاكم إلى الطاغوت، وهو كل ما خالف حكم الله تعالى ورسوله، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ لأن ما خالف حكم الله ورسوله فهو طغيان واعتداء على حكم من له الحكم وإليه يرجع الأمر كله وهو الله قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الثانية: أنهم إذا دُعُوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدوا وأعرضوا.

الثالثة: أنهم إذا أصيبوا بمصيبة بما قدمت أيديهم، ومنها أن يعثر على صنيعهم جاءوا يحلفون أنهم ما أرادوا إلا الإحسان والتوفيق كحال من يرفض اليوم أحكام الإسلام ويحكم بالقوانين المخالفة لها زعمًا منه أن ذلك هو الإحسان الموافق لأحوال العصر.

ثم حذر سبحانه هؤلاء المدعين للإيمان المتصفين بتلك الصفات بأنه سبحانه يعلم ما في قلوبهم وما يكونونه من أمور تخالف ما يقولون، وأمر نبيه أن يعظهم ويقول لهم في أنفسهم قولًا بليغًا، ثم بين أن الحكمة من إرسال الرسول أن يكون هو المطاع المتبوع لا غيره من الناس مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم، ثم أقسم تعالى



بربوبيته لرسوله التي هي أخص أنواع الربوبية والتي تتضمن الإشارة إلى صحة رسالته، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أقسم بها قسمًا مؤكدًا أنه لا يصلح الإيمان إلا بثلاثة أمور:

الأول: أن يكون التحاكم في كل نزاع إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

الثاني: أن تنشرح الصدور بحكمه ولا يكون في النفوس حرج وضيق منه.

الثالث: أن يحصل التسليم التام بقبول ما حكم به وتنفيذه بدون توان أو انحراف.

وأما القسم الثاني: فمثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، وهل هذه الأوصاف الثلاثة تنزل على موصوف واحد؟

بمعنى أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ظالم، فاسق؛ لأن الله تعالى

وصف الكافرين بالظلم والفسق فقال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]. فكل كافر

ظالم فاسق، أو هذه الأوصاف تنزل على موصوفين بحسب الحامل لهم على عدم

الحكم بما أنزل الله؟ هذا هو الأقرب عندي والله أعلم.

فنقول: من لم يحكم بما أنزل الله استخفافاً به، أو احتقاراً له، أو اعتقاداً أن غيره

أصلح منه، وأنفع للخلق فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، ومن هؤلاء من يضعون

للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجًا يسير الناس عليه،

فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها

أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية، والجبلة الفطرية أن الإنسان

لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما

عدل عنه.



ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافاً بحكم الله، ولا احتقاراً، ولا اعتقاداً أن غيره أصلح، وأنفع للخلق، وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر، وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله: إنهم على وجهين: أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبدل ويعتقدون تحليل ما حرم، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال - كذا المنقولة عنه - ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. اهـ.
«مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (٢/ ١١١-١١٥).

وقال أيضاً: والحكم بغير ما أنزل الله ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يستبدل هذا الحكم بحكم الله تعالى بحيث يكون عالمًا بحكم الله، ولكنه يرى أن الحكم المخالف له أولى وأنفع للعباد من حكم الله، أو أنه مساو لحكم الله، أو أن العدول عن حكم الله إليه جائز فيجعله القانون الذي يجب التحاكم إليه فمثل هذا كافر كفرًا مخرجًا عن الملة لأن فاعله لم يرض بالله ربًا ولا بمحمد رسولًا ولا بالإسلام دينًا وعليه ينطبق قوله تعالى: ﴿أَفَكُفِّرُوا بِلِئَالِيَّتِهِمْ وَيَبْغُؤُنَّ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ﴿٦٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَاهُمْ ﴿٧٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا



أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿١٨﴾ ولا ينفعه صلاة، ولا زكاة، ولا صوم، ولا حج؛ لأن الكافر ببعض كافر به كله قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

الثاني: أن يستبدل بحكم الله تعالى حكمًا مخالفًا له في قضية معينة دون أن يجعل ذلك قانونًا يجب التحاكم إليه فله ثلاث حالات: الأولى: أن يفعل ذلك عالمًا بحكم الله تعالى معتقدًا أن ما خالفه أولى منه وأنفع للعباد، أو أنه مساو له، أو أن العدول عن حكم الله إليه جائز فهذا كافر كفرًا مخرجًا عن الملة لما سبق في القسم الأول. الثانية: أن يفعل ذلك عالمًا بحكم الله معتقدًا أنه أولى وأنفع لكن خالفه بقصد الإضرار بالمحكوم عليه أو نفع المحكوم له، فهذا ظالم وليس بكافر وعليه يتنزل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

الثالثة: أن يكون كذلك لكن خالفه لهوى في نفسه أو مصلحة تعود إليه فهذا فاسق وليس بكافر وعليه يتنزل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبين له الحق؛ لأن المسألة خطيرة. اهـ. «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (١١٥-١١٧).



وهذا التفصيل الذي ذكره ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللهُ** هو الذي عليه الشيخ ابن باز، والألباني، والوادعي **رَحِمَهُمُ اللهُ**، وغيرهم ممن سبق ولحق، والله أعلم.

وللشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ مقال، قال فيه: إذا علم أن التحاكم إلى شرع الله من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فإن التحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرفان ونحوهم ينافي الإيمان بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وهو كفر وظلم وفسق، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ويقول: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ، وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ويقول: ﴿وَلِيَحْكَمْ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، وبين تعالى أن الحكم بغير ما أنزل الله حكم الجاهلين، وأن الإعراض عن حكم الله تعالى سبب لحلول عقابه، وبأسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين، يقول سبحانه: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠] وإن القارئ لهذه الآية والمتدبر لها يتبين له أن الأمر بالتحاكم إلى ما أنزل الله، أكَّد بمؤكدات ثمانية:

الأول: الأمر به في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

الثاني: أن لا تكون أهواء الناس ورغباتهم مانعة من الحكم به بأي حال من الأحوال وذلك في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].



الثالث: التحذير من عدم تحكيم شرع الله في القليل والكثير، والصغير والكبير، بقوله سبحانه: ﴿وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتُنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

الرابع: أن التولي عن حكم الله وعدم قبول شيء منه ذنب عظيم موجب للعقاب الأليم، قال تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

الخامس: التحذير من الاغترار بكثرة المعرضين عن حكم الله، فإن الشكور من عباد الله قليل، يقول تعالى: ﴿وَلَنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

السادس: وصف الحكم بغير ما أنزل الله بأنه حكم الجاهلية، يقول سبحانه: ﴿أَفُحِّسَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [المائدة: ٥٠].

السابع: تقرير المعنى العظيم بأن حكم الله أحسن الأحكام وأعدلها، يقول عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ [المائدة: ٥٠].

الثامن: أن مقتضى اليقين هو العلم بأن حكم الله هو خير الأحكام وأكملها، وأتمها وأعدلها، وأن الواجب الانقياد له، مع الرضا والتسليم، يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ

أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وهذه المعاني موجودة في آيات كثيرة في القرآن، وتدل عليها أقوال الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأفعاله، فمن ذلك قوله سبحانه:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقوله: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُخَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾

[النساء: ٦٥]. الآية، وقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[الأحزاب: ٣٦].

وروي عن الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» قال النووي: حديث صحيح روينا في كتاب الحجة بإسناد صحيح،



وروي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعدي بن حاتم: «أليس يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ».

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لبعض من جادله في بعض المسائل: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟»، ومعنى هذا: أن العبد يجب عليه الانقياد التام لقول الله تعالى، وقول رسوله، وتقديمهما على قول كل أحد، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

انتهى من «مجموع فتاوى ومقالات ابن باز» (١/ ٦٨-٧٠).





فضل التوحيد

إن توحيد الله **عَزَّوَجَلَّ** هو الدين العظيم الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب، ومهما تكلم المتكلم أو كتب الكاتب فلن يأتي بمثل ما حواه القرآن وسنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وفضائله كثيرة، منها:

الأولى: أنه عبادة لرب العالمين ومؤدي إلى مرضاته، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [٦٦] ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

وهو رأس التقوى إذ أنه كلمة الإخلاص، وكلمة التقوى، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّمَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

وكم في القرآن من آياتٍ بيناتٍ وأدلة واضحة تبين حال المتقين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِمَّن رَزَقَهُ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبا: ٣١-٣٦]، على ما يأتي بيانه في آخر المبحث.

والثانية: أنه سبب الأمن المطلق، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْسُوا بِإِيمَانِهِمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، والظلم هنا الشرك على ما يأتي بيانه إن شاء الله.



والثالثة: أنه سبب للحياة السعيدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ
أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وكل آية فيها عمل صالح فالتوحيد داخل فيه دخولاً أولياً.

والرابعة: أنه سبب للتمكين والاستخلاف، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا
يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

والخامسة: أنه سبب لعصمة الدم، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا
فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا
عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وقد ثبت من حديث ابنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ
النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا
الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى
اللهِ». أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

والسادسة: أنه سبب لحفظ المال، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِإِلْطِإٍ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا
تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وقد تقدم حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «.. فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ». أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).



والسابعة: أنه سبب لرضا الله **عَزَّجَلَّ**، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وقد ثبت عند مسلم في «الصحیح» (١٧١٥): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»، ومعلوم أن ما رضىه الله **عَزَّجَلَّ** فإنه يحبه ويشيب عليه.

الثامنة: أنه سبب للتقوى والكرامة الدنيوية والأخروية، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿بِأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، والتقوى سبب الدرجات العلى على ما تقدم ويأتي، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

التاسعة: أنه سبب للمغفرة، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٥٧] [الزمر: ٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وفي حديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا تَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وهو حديث صحيح.



العاشرة: أنه سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومن عذاب القبر، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ التَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ». أخرجه مسلم (٢٦).

وَعَنْ عَثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ». أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

وإن كانت عنده معاصي فيما دون الشرك فهو تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

الحادية عشرة: أنه سبب لبركة الأرزاق، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وكم من أمم كانت في غاية من القلة والذلة فلما استقامت على توحيد الله عَزَّوَجَلَّ تغير حالها، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن هود: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

وأول ما يدخل في الاستغفار تحقيق التوحيد وتجريده مما يشوبه من الشراكيات.



الثانية عشرة: أنه سبب لتفريج الكرب، ولهذا جاء في قصة ذي النون **عَلَيْهِ السَّلَام** أنه توسل إلى الله بالتوحيد، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَذَا التُّوبِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصَيِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وفي الدعاء الذي أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

الثالثة عشرة: أنه أعظم حسنة، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢].

ويوضح ذلك حديث البطاقة: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللهُ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنَشِّرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجْلًا كُلُّ سِجْلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنَكِّرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَرَنُوكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلَمُ»، قَالَ: «فَتَوْضَعُ السِّجَلَاتُ فِي كَفِّهِ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفِّهِ، فَطَاشَتِ السِّجَلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»
والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء».

أخرجه أحمد (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وهو حديث صحيح.



وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيجَانٍ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ - أَوْ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ - وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ»، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ فَقَالَ: «أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِيَأْسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصُّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، أَمْرُكَ بِائْتِنِينَ، وَأَنْتَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: أَمْرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمْتَهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنْتَ عَنِ الشُّرْكِ وَالْكِبْرِ»، فَقُلْتُ، أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الشُّرْكَ قَدْ عَرَفْتَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ، لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكُبُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: «سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ» أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٦٥٨٣)، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ» (٥٤٨)، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

والرابعة عشرة: أنه أفضل ما يلهج به الإنسان، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٨٣)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٨٠٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكِبْرِيِّ» (١٠٥٩٩)، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

الخامسة عشرة: أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَّمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ



وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ كَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رَفَعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَظَنَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرَ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَحَاصَّ النَّاسُ فِي أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَاعْلَمَهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَاعْلَمَهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخَوْضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَطِيرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحِصَنِ، فَقَالَ: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ»، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ؟» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ». أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

السادسة عشرة: أنه ثبت، قال الله تعالى: ﴿يَسِّرْتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

السابعة عشرة: ومن فضله وجوب تقديمه في الدعوة وغيرها، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ». أخرجه البخاري (٧٣٧٢).



وقد أجمع الرسل على وجوب تقديمه، وقصصهم في القرآن طافحة بذلك، قال الله **عَزَّجَلَّ** عن نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].
وهكذا هود **عَلَيْهِ السَّلَامُ** قال لهم: ﴿يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥].

وجميع الرسل على هذا المنوال كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

الثامنة عشرة: أنه سبب لقبول العمل، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، بينما قال في الكفار: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، فلا يقبل الله من عامل عملاً ما لم يكن موحدًا. عَنْ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمَسْكِينِ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» أخرجه مسلم (٢١٤).

أي: إنه لم يكن موحدًا بل كان مشركًا مندّدًا ينكر البعث والنشور.

التاسعة عشرة: ويدل على فضل التوحيد: المنزلة الرفيعة لأهله عند الله **عَزَّجَلَّ**، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩٠﴾﴾ [الزمر: ٩٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَجَعِلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمَجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

عَنْ سَهْلِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ،



قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشْفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا». أخرجه البخاري (٥٠٩١).

العشرون: ويدل على فضله: اتفاق الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ.

الحادية والعشرون: أن الله عَزَّجَلَّ شَرَعَ لإِعْلَاءِ هذه الكلمة الجهاد، ولو لم تكن في المنزلة الرفيعة ما كان ثمنها إزهاق النفس التي هي أغلى ما عند الإنسان، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿* إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وفضائله كثيرة عند التفصيل لكن هذه إشارات وإجماليات تكون طريقاً إلى غيرها. فكل فضيلة للإسلام، والإيمان، والإحسان، في كتاب الله عَزَّجَلَّ وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي فضيلة للتوحيد، ولو سردت كل ما يتعلق بذلك لخرجت عن المقصود ولطال الكتاب، واعلم أن التوحيد يكون بالقلب، واللسان، والجوارح، فكل عمل أمر الله عَزَّجَلَّ به ففعله مع الإخلاص توحيد لله عَزَّجَلَّ، وكل عمل نهى الله عَزَّجَلَّ فتركه مع الإخلاص توحيد كذلك، فإذا حققت هذا وعلمته عرفت أن الدين كله عائد إلى التوحيد.





فصل: خطر الشرك

ذكر الله **عَزَّجَلَّ** الشرك والمشركين بأقبح الأوصاف وما ذلك إلا لما في الشرك من فساد فهو الذنب العظيم الذي لا يغفره الله ولا يرضاه، وذلك لأن فيه من التعدي على حق الله **عَزَّجَلَّ** ما لا يجوز عقلاً ولا شرعاً ولا فطرةً ولا قدرًا ولذلك وصفه الله **عَزَّجَلَّ** بعدة أوصاف، منها:

الأول: أنه الذنب العظيم، فقال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟»، قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلْقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لِعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ». أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

الثاني: أنه الذنب الذي لا يغفره الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

الثالث: أنه يخلد صاحبه في النار، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذَى أَصْحَابِ النَّارِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٠-٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].



الرابع: أنه سبب لحياة الضنك، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]. وأشد أنواع الإعراض، إعراض المشركين والكافرين.

الخامس: أنه محبط لجميع الأعمال الصالحات إن وجدت، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَلَعْنَنَهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

السادس: ووصف أصحابه بأنهم لا يعقلون في موطن كثيرة من كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقِي بِمَاءٍ لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاةً وَنِدَاءً صُمًّا بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

السابع: ووصف أصحابه بأنهم لا يفقهون في عدة آيات، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣].

الثامن: ووصف أصحابه بأنهم لا يعلمون في عدة آيات، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾



[الأنعام: ٣٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

ومن هذه حاله فهو أجهل الناس بربه وبنفسه على ما يأتي.

وهو المذموم المخذول، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا

مُخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

التاسع: أنه سبب للبعد والطرده من رحمة الله، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ

سَعِيرًا ﴿٦٦﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءُ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

﴿٣٦﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦١-١٦٢]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ

رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ

سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأعراف: ٤٤-٤٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هٰؤُلَاءِ

الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّٰلِمِينَ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰفِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [هود: ١٨-١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ

حٰجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا

وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

العاشر: سمي الله أصحاب الشرك بالكاذبين والمكذبين، قَالَ تَعَالَى: ﴿* فَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنِ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ هُوَ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].



وهو المدحور الملموم، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقَلِبَ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

الحادي عشر: سَمَى اللهُ أَصْحَابَهُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفات: ٣٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

والكبر بطر الحق كما صح من حديث عبد الله بن مسعود، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: «إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ» أخرجَه مسلم (٩١).

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا... قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكِبَرُ؟ قَالَ: «سَفَهُةُ الْحَقِّ، وَغَمَضُ النَّاسِ». أخرجَه الإمام أحمد (٦٥٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨)، وهو حديث صحيح.

الثاني عشر: سَمَى اللهُ أَصْحَابَهُ بِالْمُعْرِضِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤].

عَنْ أَبِي وَقِيدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي



الْحَلْفَةِ فَبَجَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَذْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ». أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

الثالث عشر: أخبر الله أنهم غافلون، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [النحل: ١٠٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

الرابع عشر: شبههم الله بالأنعام بل هم أضلُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

الخامس عشر: صاحب الشرك حيران تتقاذفه الشبهات والشهوات، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ اعْتَبِرْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَهُ هُدًىٰ وَهُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِّسُلَيْمٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].



السادس عشر: المشركون صمّ بكم عمي، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعْوَةً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، وهذا وصف لهم في آيات كثيرة أنهم صم عن سماع الحق، وبكم عن النطق به، وعمي عن معرفته، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْتُمٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيهِ ءَاذَانُنَا وَقَدْ أُنزِلَتْ مِنَّا وَبَيْنَكَ حَبَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥]، وهم لا يعقلونه مع علمهم بكثير من أمور الدنيا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَعْمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

السابع عشر: طبع الله على قلوبهم بسبب إعراضهم، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْمُرُونَ﴾ [التوبة: ٩٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْمُرُونَ﴾ [الروم: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

ووصفت قلوبهم بأقبح الصفات، منها: أنها غلف، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، وأنها مريضة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، وأنها تعمي، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وأنها لا تفقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥]، وعليها أفعال، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُتُورَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبِ أَفْقَالِهِمْ﴾ [محمد: ٢٤]، وأنها تشمئز من سماع الحق، قَالَ



تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، إلى غير ذلك.

الثامن عشر: هم الضالون والمغضوب عليهم، قال الله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، وقال: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧]، في آيات كثيرة.

التاسع عشر: هم الكافرون، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [٧٣] لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [٧٤] أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [٧٥] مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [٧٥] قُلْ اتَّعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٧٦] [المائدة: ٧٢-٧٦]، وقال الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]، في آيات كثيرات.

العشرون: سماهم الله بالمشركين، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿مَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِنَ



الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأنعام: ١٣٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿*
 مُبِينٍ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا
 دِينَهُمْ وَكَلُوا شَيْعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، في آيات
 كثيرات.

الحادي والعشرون: هم شر البرية، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].
 وكم لهم من الأوصاف الذميمة في كتاب ربنا **عَزَّوَجَلَّ** وسنة نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بيانا
 لضلالهم وشرهم وحالهم في الدنيا والآخرة، فلا أشتر منهم ولا أضل ولا أكذب
 وأظلم، فقد ضيعوا حق الله **عَزَّوَجَلَّ** ونسوه، فهم لما سواه أنسى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا
 تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَالِسُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، وَقَالَ
 تَعَالَى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وهم الأشقياء دنيا وأخرى، قَالَ تَعَالَى:
 ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَتَجَنَّبَهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا
 وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١٠-١٣]، وهم أصحاب العسر، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَنِّيِسِرُهُ لِّلْعُسْرَى ﴿١٠﴾
 وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾﴾ [الليل: ١٠-١١].





فصل : تفصيل بعض أنواع الشرك المنتشرة

تقدم الكلام على خطر الشرك وضرره في الدنيا والآخرة إجمالاً، وبيان أنه الظلم العظيم الذي لا يغفره الله **عَزَّجَلَّ**، والذي يخلد صاحبه في نار جهنم التي أعدت لهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]. ولنذكر هنا بعض أنواع الشرك المنتشرة في الناس عامة وفي عباد القبور خاصة إقامة للحجة وبيانا للمحجة التي تركنا عليها رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حيث قال: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ». أخرجه ابن ماجه (٤٢)، وهو حديث صحيح، عن العَرُبِ بَاصِ بْنِ سَارِيَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ومعرفة الشر للبعد عنه أيضاً مطلوب، فقد صح عن حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَنِ الْشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»، أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

وقد تقدم مراراً ذكر الأدلة على وجوب إفراد الله **عَزَّجَلَّ** بالعبادة والكفر بالطاغوت. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

و(شيئاً) نكرة في سياق النهي تفيد العموم في النهي عن الشرك بجميع أنواعه الأكبر والأصغر، وما كان بالاعتقاد أو الفعل إذ أن الله **عَزَّجَلَّ** يُعبد بالقلب وباللسان وبالحوارج، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّ السَّبِيلَ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ



وَأَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتَى بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧].

فتضمنت الآية أنواع العبادة القلبية والقولية والفعلية ويدخل فيها المالية. ومعرفة هذا من المهمات حتى لا يلتبس الأمر على جاهل أو يلبس المشرك عن الحق غافل.

قال ابن الأمير الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: فاعلم أن الله تعالى جعل العبادة له أنواعاً:

اعتقادية: وهي أساسها، وذلك أن يعتقد أنه الربُّ الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر، ويده النفع والضرر، وأنه الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه لا معبود بحق غيره، وغير ذلك من لوازم الإلهية.

ومنها لفظية: وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقد ما ذكر وكَم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله، وكان كإبليس، فإنه يعتقد التوحيد، بل ويُقرُّ به كما أسلفناه عنه، إلا أنه لم يمثّل أمر الله بالسجود فكفر، ومن نطق بها وكَم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه على الله، وحكمه حكم المنافقين.

وبدنية: كالقيام والركوع والسجود في الصلاة، ومنها الصوم وأفعال الحج والطواف.

ومالية: كإخراج جزء من المال امتثالاً لِمَا أمر الله تعالى به، وأنواع الواجبات والمندوبات في الأموال والأبدان والأفعال والأقوال كثيرة، لكن هذه أمهاتها. اهـ.
«تطهير الاعتقاد» (١٠).

فكل ما أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** به فهو طاعة لله **عَزَّوَجَلَّ** وعبادة، وكل ما نهى الله **عَزَّوَجَلَّ** عنه ففعله معصية وتركه طاعة.

فكما أن الله يعبد بما ذكرنا من أنواع العبادة فكذلك يقع الشرك به بجميع الأنواع القلبية، والقولية، والفعلية، والمالية، وقد يقع في الشرك بها جميعاً أو بعضها، وهو



باب مهم يجب أن يتفطن له العبد، فكثير من الناس ربما يكون منطوقه لا حرج عليه، ولكن قد تعلق قلبه بغير الله **عَزَّوَجَلَّ** في دفع المضارّ وجلب المنافع.

فمن أنواع العبادة القلبية: الخوف، والرجاء، والرغبة، والرغبة، والتوكل، والخشية، والإنابة، إلى غير ذلك.

ومن أنواع العبادات القولية: الحلف، والدعاء، والاستعانة، والاستعاذة، وغير ذلك.

ومن أنواع العبادات الفعلية: الركوع، والسجود، والطواف، والحج، وغير ذلك.

ومن أنواع العبادات المالية: النذر، والزكاة، وغير ذلك.

إذا علم هذا فلنشرع في المقصود في بيان بعض ما يتعلق بهذا الباب وهو متمم لما تقدم في الفصل الأول، وبالله التوفيق.





هداية القرآن بأن أعظم الشرك هو التعلق بغير الله عز وجل في جلب المنافع ودفع المضار

من المعلوم: أن شرك بني آدم أغلبه إن لم يكن كله من هذا الباب، فما تعلق أحدٌ بحجرٍ أو شجرٍ أو شخصٍ إلا وكان مقصده جلب المنفعة إما عاجلة أو آجلة أو دفع مضرة إما عاجلة أو آجلة. ومن ذلك ما يفعله عباد القبور من النذر لها والذبح والعكوف حولها بل التضرع بساحتها مثل قولهم: يا جيلاني أو يا قادري أو يا عيدروس أو يا دسوقي ونحو ذلك من طلب المدد أو الغوث أو النصر أو الرزق أو الولد وربما بلغ الحال بهم أن يسألوهم مغفرة الذنوب وتفريج الكروب ولا حول ولا قوة إلا بالله في دفع ما يتعاطونه أو يضعونه من الشبه.

ومن أمثلة أقوالهم ما قاله البوصيري في قصيدته المشهورة:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنِ الْوُدِّ بِهِ ❀❀ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ
وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي ❀❀ إِذَا الْكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُتَّقِمِ
فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي ❀❀ مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذَّمِّ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ❀❀ فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ
فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا ❀❀ وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللُّوْحِ وَالْقَلَمِ

وقد تكلم العلماء قديماً وحديثاً في بيان ما في هذه القصيدة وغيرها من الغلو وطلب الحاجات وتعلق القلب في جلب المنافع ودفع المضار بغير الله عز وجل.

ومن الأمثلة كذلك، قول بعضهم:

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا سَنَدِي ❀❀ يَا وَاسِعَ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالْمَدَدِ
يَا مَنْ هُوَ الْمَرْتَجَى فِي كُلِّ نَازِلَةٍ ❀❀ وَمَنْ هُوَ الْمَوْرِدُ الْأَحْلَى لِكُلِّ صَيْدِ



- يمناك فوق البحار الزاخرات ندئ ❀❀ تعطي الجزيل بلا حصر ولا عدد
 كم شدة أنت كافيها وكم محن ❀❀ حلت يمينك منها سائر العقد
 أبواب ساحتك الفيحاء قد وسعت ❀❀ كل الأنام وما ضاقت على أحد
 وقفت بالباب يا مولاي لي أمل ❀❀ فاجبر به خاطري واشدد به عضدي
 وقفت بالباب أرجو كشف ضائقتي ❀❀ يا أكرم الخلق أدركني وخذ بيدي
 في القلب والجسم آلام تعاودني ❀❀ إذا نظرت إليها اليوم لم تعد
 أفي جوارك يا مأمون يلحقني ❀❀ ضيم وأصبح في هم وفي نكد
 أأشتكي الضيق والحرمان في بلد ❀❀ فيها غياث البرايا منحة الصمد
 فيها الحبيب الذي ترجي شفاعته ❀❀ ويستجار به في أعظم الشدد
 كل المطالب والحاجات إن فقدت ❀❀ فإنها ترتجى في هذه البلد
 فانظر إلى بعين العطف وارع حشا ❀❀ باق على العهد لم ينكث ولم يجد
 وراع صحبي وأحابي ومن طمعوا ❀❀ في نيل عطفك من أهلي ومن ولدي
 وانظر لجيشك جيش المسلمين تعد ❀❀ إليه هيبته في سالف الأمد
 واهزم جيوش العدئ مهما يكن ❀❀ من شدة البأس أو من كثرة العدد
 دامت عليك صلاة الله عاطرة ❀❀ ودام ذكرك مرفوعاً إلى الأبد

فانظر كم في هذه الأبيات من تعلقات بمخلوق مريبوب، وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم عن نفسه كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ
 عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٦]: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي
 عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ



المُطَلَّبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِينِي بِمَا شِئْتَ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا». أخرجه البخاري (٣٥٢٧)، ومسلم (٢٠٦).

وهو القائل بأمر الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وأنزل الله تعالى في شأنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿يَسْ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

ومن غلوهم: ما قاله ابن الحاج (٧٢٨ هـ) في بيان أدب زيارة قبر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وشد الرحال إليه للاستغاثة به: (فَصُلِّ زِيَارَةَ سَيِّدِ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ): فَصُلِّ وَأَمَّا فِي زِيَارَةِ سَيِّدِ الْأَوْلِيَيْنِ، وَالْآخِرِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ فَكُلُّ مَا ذُكِرَ يَزِيدُ عَلَيْهِ أَضْعَافُهُ أُعْنِي فِي الْإِنْكَسَارِ، وَالذُّلِّ، وَالْمَسْكِنَةِ؛ لِأَنَّهُ الشَّافِعُ الْمُشْفَعُ الَّذِي لَا تُرَدُّ شَفَاعَتُهُ وَلَا يَخِيبُ مَنْ قَصَدَهُ وَلَا مَنْ نَزَلَ بِسَاحَتِهِ وَلَا مَنْ اسْتَعَانَ، أَوْ اسْتَعَاثَ بِهِ، إِذْ أَنَّهُ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قُطِبُ دَائِرَةِ الْكَمَالِ وَعَرُوسُ الْمَمْلَكَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨] قَالَ عُلَمَاؤُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ رَأَى صُورَتَهُ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فَإِذَا هُوَ عَرُوسُ الْمَمْلَكَةِ فَمَنْ تَوَسَّلَ بِهِ، أَوْ اسْتَعَاثَ بِهِ، أَوْ طَلَبَ حَوَائِجَهُ مِنْهُ فَلَا يُرَدُّ وَلَا يَخِيبُ لِمَا شَهِدَتْ بِهِ الْمُعَايِنَةُ، وَالْآثَارُ وَيَحْتَاجُ إِلَى الْأَدَبِ الْكُلِّيِّ فِي زِيَارَتِهِ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وَقَدْ قَالَ عُلَمَاؤُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: إِنَّ الزَّائِرَ يُشْعِرُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كَمَا هُوَ فِي حَيَاتِهِ، إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَوْتِهِ وَحَيَاتِهِ أُعْنِي فِي مُشَاهَدَتِهِ لِأُمَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِأَحْوَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَعَزَائِمِهِمْ وَخَوَاطِرِهِمْ، وَذَلِكَ عِنْدَهُ جَلِيٌّ لَا خَفَاءَ فِيهِ. اهـ.



وقال النبهاني (١٣٥٠ هـ) القبوري أيضاً: من أهل السنة والجماعة وهم جمهور الأمة المحمدية: يعني القبورية، يعتقدون منه **صلى الله عليه وسلم** أنه يعلم الغيب، ويعطي ويمنع، ويقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء، فهذا من أصح الاعتقادات، وإنكاره من أقبح المنكرات. اهـ.

فانظر إلى هذا القول المبني على الغلو المفرط المخالف لكتاب ربنا **عز وجل** ولسنة نبينا **صلى الله عليه وسلم** ولإجماع سلفنا الصالح، بل إن هذا القول موافق لعقيدة المشركين فيما عبدوا من الأوثان والأصنام فجعلوا لها ما لله وطلبوا منها ما لا يطلب إلا من الله **عز وجل**.

ولو أردنا تتبع أقوال المخالفين لتوحيد رب العالمين في هذا الباب لصار مجلداً ضخماً.

وقد بين الله **عز وجل** في كتابه هداية للناس وبيانا وإخراجا من الظلمات إلى النور أن الذي بيده ملكوت كل شيء هو الله، قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدْعُوهُ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيبُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقال مبيناً أنه يكشف الضر ويجليه: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي



نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ
السُّوءُ إِنَّا إِنَّا لَا نَذِيرُ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٨﴾ [الأعراف: ١٧٨].

وهذا بيان عظيم من رب العالمين: أن النفع والضرر بيد الله **عَزَّوَجَلَّ** فلا يجوز أن تتعلق القلوب في جلب المنافع ودفع المضار بغير الله **عَزَّوَجَلَّ**. وانظر وتأمل ما قصه الله **عَزَّوَجَلَّ** علينا من قول إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لقومه حين تعلقت قلوبهم بالأصنام في جلب المنافع ودفع المضار: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ ﴿٦٧﴾ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧].

وما زال يقرر هذه المسألة العظيمة: ﴿وَأَنزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنظُلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٦٩﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا بَلَىٰ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء: ٦٩-٧١]. فاعترفوا بعجزها عن نفعهم وضررهم وإنما كانت عبادتهم تقليدًا.

وقال الله تعالى لنبيه محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى مُنْكَرًا عَلَىٰ مَنْ عَبَدَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ، وَمُبَيِّنًا لَهُ أَنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ شَيْئًا مِنَ الْإِلَهِيَّةِ: ﴿قُلْ﴾ أَي: يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْعَابِدِينَ غَيْرِ اللَّهِ مِنْ سَائِرِ فِرْقِ بَنِي آدَمَ، وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ النَّصَارَىٰ وَغَيْرُهُمْ: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أَي: لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إِصْصَالِ ضَرَرٍ إِلَيْكُمْ، وَلَا إِجَادِ نَفْعٍ ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أَي: فَلِمَ عَدَلْتُمْ عَنْ إِفْرَادِ السَّمِيعِ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ، الْعَلِيمِ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَىٰ عِبَادَةِ جَمَادٍ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَعْلَمُ شَيْئًا، وَلَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا لِغَيْرِهِ وَلَا لِنَفْسِهِ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ١٥٩).



ويقول تعالى مبكِّتًا للكافرين: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

قال ابن كثير رحمه الله: يُقَرَّرُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ لِأَنَّهُمْ مُعْتَرِفُونَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ رَبُّهَا وَمُدَبِّرُهَا، وَهُمْ مَعَ هَذَا قَدِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ يَعْبُدُونَهُمْ، وَأُولَئِكَ الْأِلَهَةُ لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا وَلَا لِعِبَادِهَا بِطَرِيقِ الْأَوْلَى ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أَي: لَا تُحْصِلُ مَنَفَعَةً، وَلَا تَدْفَعُ مَضَرَّةً. فَهَلْ يَسْتَوِي مَنْ عَبَدَ هَذِهِ الْأِلَهَةَ مَعَ اللَّهِ، وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ؟ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: أَجْعَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً تُنَاطِرُ الرَّبَّ وَتُمَاثِلُهُ فِي الْخَلْقِ، فَخَلَقُوا كَخَلْقِهِ، فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَدْرُونَ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ مَخْلُوقٍ غَيْرِهِ؟ أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يُشَابَهُ شَيْءٌ وَلَا يُمَازِلُهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ وَلَا عَدْلَ لَهُ، وَلَا وَزِيرَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ وَلَا صَاحِبَةَ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَإِنَّمَا عَبَدَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مَعَهُ آلِهَةً هُمْ يَعْتَرِفُونَ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لَهُ عَبِيدٌ لَهُ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيتِهِمْ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. وَكَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] فَأَنكَرَ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، حَيْثُ اعْتَقَدُوا ذَلِكَ، وَهُوَ تَعَالَى لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضِيَ﴾ ﴿٦١﴾ [النجم: ٢٦] وَقَالَ: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٣٧﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٣٨﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٩٣-٩٥]، فَإِذَا كَانَ الْجَمِيعُ عِبِيدًا، فَلِمَ يَعْبُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِلَا



دَلِيلٌ وَلَا بُرْهَانٌ، بَلْ بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ وَالْإِخْتِرَاعِ وَالْإِبْتِدَاعِ؟ ثُمَّ قَدْ أَرْسَلَ رَسُولَهُ مِنْ أَوْلِيهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ تَزْجُرُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَتَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ مَنْ سِوَى اللَّهِ، فَكَذَّبُوهُمْ وَخَالَفُوهُمْ، فَحَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ لَا مَحَالَةَ، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].
اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٤٦-٤٤٧).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧].

وهذا بيان عظيم لعجز المربوبين من الأصنام، والقبور، وغيرها عن كشف الضر بل عن تحويله وتخفيفه. فإذا كانت على هذا الأمر من العجز فما بالها تعبد من دون الله عز وجل أو مع الله عز وجل؟ إن هذا لشيء عجاب. وكانت خلاصة دعوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عبادة الله وحده، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاله كما قال الله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الجن: ٢٠-٢١].

فهل بعد هذه الهداية من هداية لمن ألقى السمع وهو شهيد؟
فهُدِمَتْ بهذا كل شبهة تعلق بها عباد الأصنام والأوثان والقبور أو غيرها من المعبودات، وسواء في ذلك كان دعاؤهم لهذه المعبودات دعاء مسألة أو عبادة فإنهم لن يتحصلوا إلا على الخزي في الدنيا والآخرة، نسأل الله السلامة.

حكم تعليق التمام:

ومن صور التعلقات في جلب المصالح ودفع المضار: ما يصنعه كثير من الناس من تعليق التمام والحروز وكذلك ربط الحلقة والخيط، ولما كان هذا الشر مستطيرًا



بَوَّب الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد باب: من الشرك لبس الحلقة والخيطة ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: قوله: «من الشرك»، من هنا للتبعيض؛ أي: أن هذا بعض الشرك، وليس كل الشرك، والشرك: اسم جنس يشمل الأصغر والأكبر، ولبس هذه الأشياء قد يكون أصغر وقد يكون أكبر بحسب اعتقاد لابسها، وكان لبس هذه الأشياء من الشرك؛ لأن كل من أثبت سبباً لم يجعله الله سبباً شرعياً ولا قدرياً؛ فقد جعل نفسه شريكاً مع الله.

فمثلاً: قراءة الفاتحة سبب شرعي للشفاء، وأكل المسهل سبب حسي لانطلاق البطن، وهو قدرتي؛ لأنه يعلم بالتجارب، والناس في الأسباب طرفان ووسط: **الأول:** من ينكر الأسباب، وهم كل من قال بنفي حكمة الله؛ كالجبرية، والأشعرية.

الثاني: من يغلو في إثبات الأسباب حتى يجعلوا ما ليس بسبب سبباً، وهؤلاء هم عامة الخرافيين من الصوفية ونحوهم.

الثالث: من يؤمن بالأسباب وتأثيراتها، ولكنهم لا يثبتون من الأسباب إلا ما أثبته الله سبحانه ورسوله، سواء كان سبباً شرعياً أو كونياً.

ولا شك أن هؤلاء هم الذين آمنوا إيماناً حقيقياً، وآمنوا بحكمته؛ حيث ربطوا الأسباب بمسبباتها، والعلل بمعلولاتها، وهذا من تمام الحكمة.

ولبس الحلقة ونحوها إن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله؛ فهو مشرك شركاً أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً غيره، وإن اعتقد أنها سبب ولكنه ليس مؤثراً بنفسه؛ فهو مشرك شركاً أصغر؛ لأنه لما اعتقد أن ما ليس بسبب سبباً؛ فقد شارك الله تعالى في الحكم لهذا الشيء بأنه سبب، والله تعالى لم يجعله سبباً.



وطريق العلم بأن الشيء سبب: إما عن طريق الشرع، وذلك كالعسل ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، وكقراءة القرآن فيها شفاء للناس، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]. وإما عن طريق القدر، كما إذا جربنا هذا الشيء فوجدناه نافعا في هذا الألم أو المرض، ولكن لا بد أن يكون أثره ظاهرا مباشرا كما لو اکتوى بالنار فبرئ بذلك مثلاً؛ فهذا سبب ظاهر بين، وإنما قلنا هذا لئلا يقول قائل: أنا جربت هذا وانتفعت به، وهو لم يكن مباشرا؛ كالحلقة، فقد يلبسها إنسان وهو يعتقد أنها نافعة، فينتفع لأن للانفعال النفسي للشيء أثرا بيّنا؛ فقد يقرأ إنسان على مريض فلا يرتاح له، ثم يأتي آخر يعتقد أن قراءته نافعة، فيقرأ عليه الآية نفسها فيرتاح له ويشعر بخفة الألم، كذلك الذين يلبسون الحلق ويربطون الخيوط، قد يحسون بخفة الألم أو اندفاعه أو ارتفاعه بناءً على اعتقادهم نفعها. وخفة الألم لمن اعتقد نفع تلك الحلقة مجرد شعور نفسي، والشعور النفسي ليس طريقاً شرعياً لإثبات الأسباب، كما أن الإلهام ليس طريقاً للتشريع.

انتهى من «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ١٠٥-١٠٦).

ويدخل في ذلك تعليق التمام فإن كانت من القرآن ونحوه من الأدعية فهي بدعة منكرة لم تكن على عهد السلف الصالح رضوان الله عليهم، وما وجد عنهم، فلا يصح كالأثر الذي روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه كان يعلق على أولاده آيات من القرآن.

وقد صح الإنكار عن عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما. فقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه، عند الحاكم في «المستدرک» (٧٥٥): عَنْ قَيْسِ بْنِ السَّكَنِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَلَى امْرَأَةٍ فَرَأَى عَلَيْهَا حِرْزًا مِنَ الْحُمْرَةِ فَقَطَعَهُ قَطْعًا عَنِيْفًا ثُمَّ قَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الشُّرْكِ أَغْنِيَاءُ وَقَالَ: كَانَ مِمَّا حَفِظْنَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلِيَةَ مِنَ الشُّرْكِ».



قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: قوله: «**إن الرقى**»، جمع رقية، وهذه ليست على عمومها، بل هي عام أريد به خاص، وهو الرقى بغير ما ورد به الشرع، أما ما ورد به الشرع؛ فليست من الشرك، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفاتحة: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنتَهَا رُقِيَةٌ**».

وهل المراد بالرقى في الحديث ما لم يرد به الشرع ولو كانت مباحة، أو المراد ما كان في شرك؟

الجواب: الثاني؛ لأن كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يناقض بعضه بعضًا؛ فالرقى المشروعة التي ورد بها الشرع جائزة. وكذا الرقى المباحة التي يرقى بها الإنسان المريض بدعاء من عنده ليس فيه شرك جائز أيضًا.

قوله: «**التائم**»، فسرها المؤلف بقوله: «**شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين**»، وهي من الشرك؛ لأن الشارع لم يجعلها سببًا تتقى به العين.

وإذا كان الإنسان يلبس أبناءه ملابس رثة وبالية خوفًا من العين؛ فهل هذا جائز؟
الظاهر: أنه لا بأس به؛ لأنه لم يفعل شيئًا، وإنما ترك شيئًا، وهو التحسين والتجميل، وقد ذكر ابن القيم في «زاد المعاد»: أَنَّ عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَأَى صَبِيًّا مَلِيحًا فَقَالَ: «**دَسَّمُوا نُونَتَهُ**»، والنونة: هي التي تخرج في الوجه عندما يضحك الصبي كالنقوة، ومعنى دسموا؛ أي: سودوا.

وأما الخط: وهي أوراق من القرآن تجمع وتوضع في جلد ويخاط عليها، ويلبسها الطفل على يده أو رقبته؛ ففيها خلاف بين العلماء. وظاهر الحديث: أنها ممنوعة، ولا تجوز. ومن ذلك أن بعضهم يكتب القرآن كله بحروف صغيرة في أوراق صغيرة، ويضعها في صندوق صغير، ويعلقها على الصبي، وهذا مع أنه محدث؛ فهو إهانة للقرآن الكريم؛ لأن هذا الصبي سوف يسيل عليه لعابه، وربما يتلوث بالنجاسة، ويدخل به الحمام والأماكن القذرة، وهذا كله إهانة للقرآن.



ومع الأسف أن بعض الناس اتخذوا من العبادات نوعاً من التبرك فقط؛ مثل ما يشاهد من أن بعض الناس يمسح الركن اليماني من باب التبرك لا التعبد، وهذا جهل، وقد قال عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، في الحجر: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجْرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُمَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ».

قوله: «التولة»، شيء يعلقونه على الزوج، يزعمون أنه يحبب الزوجة إلى زوجها والزوج إلى امرأته، وهذا شرك؛ لأنه ليس بسبب شرعي ولا قدري للمحبة.

ومثل ذلك الدبلة، والدبلة: خاتم يشتري عند الزواج يوضع في يد الزوج، وإذا ألقاه الزوج؛ قالت المرأة: إنه لا يحبها؛ فهم يعتقدون فيه النفع والضرر، ويقولون: إنه ما دام في يد الزوج؛ فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة، والعكس بالعكس، فإذا وجدت هذه النية؛ فإنه من الشرك الأصغر، وإن لم توجد هذه النية -وهي بعيدة ألا تصحبها-؛ ففيه تشبه بالنصارى، فإنها مأخوذة منهم.

وإن كانت من الذهب؛ فهي بالنسبة للرجل فيها محذور ثالث وهو لبس الذهب؛ فهي إما من الشرك، أو مضاهاة النصارى، أو تحريم النوع إن كانت للرجال، فإن خلت من ذلك فهي جائزة لأنها خاتم من الخواتم.

وقوله: «شرك»، هل هي شرك أصغر أو أكبر؟ نقول: بحسب ما يريد الإنسان منها إن اتخذها معتقداً أن المسبب للمحبة هو الله؛ فهي شرك أصغر، وإن اعتقد أنها تفعل بنفسها؛ فهي شرك أكبر. انتهى من «القول المفيد» (١/ ١١٦-١١٧).



أقسام التعلق بغير الله سبحانه وتعالى:

وقد ذكر العلماء للتعلق أقسامًا يختلف بحسبها، قال ابن عثيمين **رَحْمَةُ اللَّهِ**: أقسام التعلق بغير الله:

الأول: ما ينافي التوحيد من أصله، وهو أن يتعلق بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير، ويعتمد عليه اعتمادًا معرضًا عن الله، مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب، ولهذا إذا مستهم الضراء الشديدة يقولون: يا فلان! أنقذنا؛ فهذا لا شك أنه شرك أكبر مخرج من الملة.

الثاني: ما ينافي كمال التوحيد، وهو أن يعتمد على سبب شرعي صحيح من الغفلة عن المسبب، وهو الله **عَزَّجَلَّ**، وعدم صرف قلبه إليه؛ فهذا نوع من الشرك، ولا نقول شرك أكبر؛ لأن هذا السبب جعله الله سببًا.

الثالث: أن يتعلق بالسبب تعلقًا مجردًا لكونه سببًا فقط، مع اعتماده الأصلي على الله؛ فيعتقد أن هذا السبب من الله، وأن الله لو شاء لأبطل أثره، ولو شاء لأبقاه، وأنه لا أثر للسبب إلا بمشيئة الله **عَزَّجَلَّ**؛ فهذا لا ينافي التوحيد لا كمالًا ولا أصلًا، وعلى هذا لا إثم فيه.

ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة ينبغي للإنسان أن لا يعلق نفسه بالسبب، بل يعلقها بالله. فالموظف الذي يتعلق قلبه بمرتبته تعلقًا كاملاً، مع الغفلة عن المسبب، وهو الله، قد وقع في نوع من الشرك، أما إذا اعتقد أن المرتب سبب والمسبب هو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وجعل الاعتماد على الله، وهو يشعر أن المرتب سبب؛ فهذا لا ينافي التوكل.

وقد كان الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يأخذ بالأسباب مع اعتماده على المسبب، وهو الله **عَزَّجَلَّ**. وجاء في الحديث: «**من تعلق**»، ولم يقل: من علق؛ لأن المتعلق بالشيء



يتعلق به بقلبه وبنفسه، بحيث ينزل خوفه ورجاءه وأمله به، وليس كذلك من علق. انتهى من «القول المفيد» (١١٨-١١٩).

ولأهمية هذا الباب فقد أرسل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أبا بشير الأنصاري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بإزالتها، عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، أَنَّ أَبَا بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ - فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، رَسُولًا أَنْ: «لَا يَبْقَيْنَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتْرٍ، أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ». أخرجه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

وعَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحَيْتِهِ أَوْ تَقَلَّدَ وَتْرًا، أَوْ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ، أَوْ بَعْظَمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بَرِيءٌ مِنْهُ». أخرجه الإمام أحمد (١٧٠٣٦)، وأبو داود (٣٦)، والنسائي في «الكبرى» (٩٣٣٥)، وهو حديث صحيح. حكم التبرك بشجر أو حجر ونحوه:

ومن ذلك: التبرك بشجر أو حجر ونحوهما، فإن من يفعله من الناس فإنهم يفعلونه لجلب المنافع ودفع المضار، فلذلك نهى الله **عَزَّ وَجَلَّ** عنه، وإنما يتبرك بما جعله الله **عَزَّ وَجَلَّ** سبباً للبركة.

قال ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**: قوله: «تبرك»، تفعل من البركة، والبركة: هي كثرة الخير وثبوته، وهي مأخوذة من البركة بالكسر، والبركة: مجمع الماء، ومجمع الماء يتميز عن مجرى الماء بأمرين:

١- الكثرة.

٢- الثبوت.



والتبرك طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

١- أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم؛ مثل القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ

مُبْرَكًا﴾ [ص: ٢٩]، فمن بركته أن من أخذ به حصل له الفتح، فأنقذ الله بذلك أمما كثيرة من الشرك، ومن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات، وهذا يوفر للإنسان الوقت والجهد، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

٢- أن يكون بأمر حسي معلوم؛ مثل: التعليم، والدعاء، ونحوه؛ فهذا الرجل يتبرك بعلمه ودعوته إلى الخير؛ فيكون هذا بركة لأننا نلنا منه خيرا كثيرا.

وَقَالَ أَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ: "مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ"؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْرِي عَلَى بَعْضِ النَّاسِ مِنْ أُمُورِ الْخَيْرِ مَا لَا يَجْرِيهِ عَلَى يَدِ الْآخَرِ.

وهناك بركات موهومة باطلة؛ مثل ما يزعمه الدجالون: أن فلائنا الميت الذي يزعمون أنه ولي أنزل عليكم من بركته وما أشبه ذلك؛ فهذه بركة باطلة، لا أثر لها، وقد يكون للشيطان أثر في هذا الأمر، لكنها لا تعدو أن تكون آثارا حسية، بحيث إن الشيطان يخدم هذا الشيخ؛ فيكون في ذلك فتنة.

أما كيفية معرفة هل هذه من البركات الباطلة أو الصحيحة؛ فيعرف ذلك بحال الشخص، فإن كان من أولياء الله المتقين المتبعين للسنة المبتعدين عن البدعة؛ فإن الله قد يجعل على يديه من الخير والبركة ما لا يحصل لغيره.

ومن ذلك ما جعل الله على يد شيخ الإسلام ابن تيمية من البركة التي انتفع بها الناس في حياته وبعد موته. أما إن كان مخالفا للكتاب والسنة، أو يدعو إلى باطل؛ فإن بركته موهومة، وقد تضعها الشياطين له مساعدة على باطله، وذلك مثل ما يحصل لبعضهم أنه يقف مع الناس في عرفة ثم يأتي إلى بلده ويضحى مع أهل بلده.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الشياطين تحملهم لكي يغتر بهم الناس، وهؤلاء وقع منهم مخالفات، منها: عدم إتمام الحج، ومنها أنهم يمرون بالميقات ولا يحرمون منه. انتهى من «القول المفيد» (١/ ١٢٥-١٢٦).

وكان الكفار يتمسحون بالأصنام والأوثان يرجون بركتها، ولا أدل على ذلك من حديث أبي واقد الليثي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ إِلَى حَيْثُ، وَنَحْنُ حُدَنَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَكْفُونَ عِنْدَهَا، وَيُنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَزْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا هُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّ مَا هُمْ فِيهِ وَتَطِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٣٩]، لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». أخرجه أحمد (٢١٩٤٧)، والترمذي (٢٣٣٥)، وابن حبان (٦٨٢٦)، وهو حديث صحيح.

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: والبلية كل البلية ما صار يعتقد كغير من العوام، وبعض الخواص في أهل القبور، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء، من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله **جَلَّ وَعَلَا**، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله **عَزَّ وَجَلَّ**، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله، وتارة استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء. وقال: واعتقد استقلاله أو اشتراكه مع الله **عَزَّ وَجَلَّ**. انتهى من «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد».





هداية القرآن ببيان أن دعاء غير الله عز وجل شرك أكبر مخرج من الملة

قد تقدم معنا بعض من ذلك في الفصل الذي تقدم وعلمنا أن الله **عَزَّوَجَلَّ** أمر العباد بالتضرع والدعاء له فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقد تعلقت قلوب المشركين بمعبوداتهم من دون الله **عَزَّوَجَلَّ** من أحجارٍ أو أشجارٍ أو جنٍّ أو أولياءٍ أو غير ذلك فأصبحوا يستغيثون بها، ومن أمثلة ذلك قولهم في ابن العجيل:

هات لي منك يا ابن موسى إغاثة ❀❀ عاجلاً في سيرها حاثثة
بل إنهم يسألونهم الأرزاق وشفاء المرض ويطلبون منهم النصر، كقول بعضهم:
يا هارين من التتر ❀❀ لو ذوا بقبر أبي عمر
وهذا الصنيع هو نفس صنيع مشركي العرب وغيرهم من المشركين في كل زمان، وقد تقدم الكلام على هذه المسألة بما يغني عن الإعادة. ونضيف للفائدة ما ذكره ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ** حيث قال: والدعاء ينقسم إلى قسمين:

١- ما يقع عبادة، وهذا صرفه لغير الله شرك، وهو المقرون بالرهبة والرغبة، والحب، والتضرع.

٢- ما لا يقع عبادة؛ فهذا يجوز أن يوجه إلى المخلوق، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:
«مَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ»، وقال: «إِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْ»، وعلى هذا؛ فقوله: «أَوْ يَدْعُو غَيْرَهُ»



دعاء العبادة أو دعاء المسألة فيما لا يمكن للمسؤول إجابته. انتهى من «القول المفيد» (١/١٧٠).

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُدْرِكَ بِحَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: ١٦-١٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥-٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاسْكُرُوا لَهُ إِنَّهُ يَرْجِعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكُرُّ مِنْ تَعَمُّرٍ فِئِنَّ اللَّهَ ثُمَّ إِذَا مَسَّكَ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْعَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿* وَيَأْتِيكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].





هداية القرآن بتحريم الذبح لغير الله عز وجل

تقدم في الباب الذي قبل أن الذبح عبادة من أجل العبادات، وقد قرنت بالصلاة، وقد جعل الله **عَزَّوَجَلَّ** هذه العبادة في جميع الشرائع، قال جل ذكره: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدَىٰ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٦٧]، على تعريف النسك بالذبح.

بل كل من عبَد من دون الله فإن عابدوه يصرفون له النذور، ومنها: الذبح وإراقة الدماء تقربا إليه، وهذا هو عين الشرك الذي حرمه الله **عَزَّوَجَلَّ** ونهى عنه رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بقوله: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَىٰ مُخْدِتًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ». أخرجه مسلم (١٩٧٨) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وقال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن قلت: هذه النذور والنحائر ما حكمها؟ قلت: قد عَلِمَ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّ الْأَمْوَالَ عَزِيزَةٌ عِنْدَ أَهْلِهَا، يَسْعُونَ فِي جَمْعِهَا وَلَوْ بَارْتَكَبَ كُلُّ مَعْصِيَةٍ، وَيَقْطَعُونَ الْفِيَا فِي مَنِ أَدْنَى الْأَرْضِ وَالْأَقَاصِي، فَلَا يَبْذُلُ أَحَدٌ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا إِلَّا مَعْتَقِدًا لِجَلْبِ نَفْعٍ أَكْثَرَ مِنْهُ أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ، فَالْتَاذِرُ لِلْقَبْرِ مَا أَخْرَجَ مَالَهُ إِلَّا لِذَلِكَ، وَهَذَا اعْتِقَادٌ بَاطِلٌ، وَلَوْ عَرَفَ التَّاذِرُ بَطْلَانَ مَا أَرَادَهُ مَا أَخْرَجَ دَرَهْمًا، فَإِنَّ الْأَمْوَالَ عَزِيزَةٌ عِنْدَ أَهْلِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالِكُمْ ۖ إِن يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجَ أَصْغَرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦-٣٧]. اهـ. «تطهير الاعتقاد» (٣٤).

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: فانظر لعنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لمن ذبح لغير الله وإخباره بدخول من قرب لغير الله النار، وليس ذلك إلا مجرد كون ذلك مظنة للتعظيم الذي لا ينبغي إلا لله فما ظنك بما كان شركًا بحثًا؟ قال بعض أهل العلم: إن إراقة دماء الأنعام عبادة لأنها إما هدي وإما أضحية أو نسك، وكذلك ما يذبح للبيع لأنه مكسب



حلالٌ فهو عبادة يتحصل من ذلك شكل قطعي هو أن إراقة دماء الأنعام لا تكون إلا لله. انتهى من «الدرّ النضيد في إخلاص كلمة التوحيد».

ولفساد الذبح لغير الله **عَزَّجَلَّ** نهى رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كل ذريعة توصل إليه حتى أنه نهى أن يذبح لله تعالى بمكان يذبح فيه لغير الله **عَزَّجَلَّ**.

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةَ فَاتَى النَّبِيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عَيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيهَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ» أخرج أبو داود (٣٣١٣)، ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٦٣٤) وهو حديث صحيح.





هداية القرآن في بيان خطر السحر

حذر الله **عَزَّوَجَلَّ** من السحر في كتابه تعلمًا وتعليمًا وتعاطيًا، وأخبر أن ذلك كفر، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ ۗ النَّاسُ السَّحَرَاءُ وَمَا يُعَلِّمُونَ الْكُفْرَ إِلَّا يُعَلِّمُونَ مِمَّا شَرَوْا بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١].

وأخبر أن الساحر لا يفلح، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاجِدًا وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، وأخبر أن إبطال السحر بيد الله **عَزَّوَجَلَّ**، فقال: ﴿فَلَمَّا آتَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]. كما تضمنت الآية الأولى: أن السحر لا يضر أحدًا إلا بإذن الله **عَزَّوَجَلَّ** قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٠].

قال ابن الأمير الصنعاني رحمه الله: وقد يكون ذلك من باب السحر وهو أنواع، وتعلّمه ليس بالعسير، بل بآبئه الأعمّ هو الكفر بالله وإهانته ما عظّمه الله، من جعل مُصَحَّف في كَيْف ونحوه. اهـ. «تطهير الاعتقاد» (٥٠).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إذا قال قائل: ما وجه إدخال باب السحر في كتاب التوحيد؟ لأن من أقسام السحر ما لا يتأتى غالبًا إلا بالشرك؛ فالشياطين لا تخدم الإنسان غالبًا إلا لمصلحة، ومعلوم أن مصلحة الشيطان أن يغوي بني آدم



فيدخلهم في الشرك والمعاصي. انتهى من «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/٣٣٤).

والسحر من السبع الموبقات كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشُّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ». أخرجه البخاري (٦٨٥٧)، ومسلم (٨٩).

وقال الراغب رحمه الله: والسَّحْرُ يقال على معان: الأول: الخداع وتخيلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعبد بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقال: ﴿بُخِيلٌ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ﴾ [طه: ٦٦]، وبهذا النظر سموا موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ساحراً فقالوا: ﴿يَأْتِيَهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩].

والثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢]، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا كِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، والثالث: ما يذهب إليه الأعتام، وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغيّر الصور والطبائع، فيجعل الإنسان حماراً، ولا حقيقة لذلك عند المحصّلين. وقد تصوّر من السحر تارة حسنه، فقيل: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانَ لِسِحْرًا**»، وتارة دقة فعله حتى قالت الأطباء: الطَّبِيعِيَّةُ سَاحِرَةٌ، وسموا الغذاء سِحْرًا من حيث إنه يدقُّ ويلطف تأثيره. اهـ. «مفردات القرآن» (٢٣١-٢٣٢).



وقال الذهبي رحمه الله: الكَبِيرَةُ الثَّالِثَةُ فِي السُّحْرِ، لِأَنَّ السَّاحِرَ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكْفُرَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ الشَّيْطَانِ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وَمَا لِلشَّيْطَانِ الْمَلْعُونِ غَرَضٌ فِي تَعْلِيمِهِ الْإِنْسَانَ السُّحْرَ إِلَّا لِيُشْرِكَ بِهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى مَخْبِرًا عَنْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فترى خلقًا كثيرًا من الضلال يدخلون في السحر ويظنونونه حرامًا فقط وَمَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُ الْكُفْرُ فَيَدْخُلُونَ فِي تَعْلِيمِ السِّمِيَاءِ وَعَمَلِهَا وَهِيَ مَحْضُ السُّحْرِ وَفِي عَقْدِ الرَّجُلِ عَنْ زَوْجَتِهِ وَهُوَ سِحْرٌ وَفِي مَحَبَّةِ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ وَبِغْضِهَا لَهَا وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ مَجْهُولَةٌ أَكْثَرَهَا شُرَكَ وَضَلَالٌ. اهـ. «الكبائر» (١٤).

وما جاء به السحرة والكهَّان من ادعاء علم الغيب إنما هو تلبس من الشيطان، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٧﴾ إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٨﴾﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وقد صح عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** مجموعة من الأحاديث في بيان عظم هذا الذنب العظيم فمنها مع ما تقدم حديث ابن عباس **رضي الله عنهما**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ **صلى الله عليه وسلم**: «مَنْ أَقْبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، أَقْبَسَ شُعْبَةً مِنَ السُّحْرِ زَادَ مَا زَادَ» أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وهو حديث صحيح، وسيأتي بيانه وبالله التوفيق. والتعلق بالسحرة من العرافين والكهانة وغيرهم سبب للكفر مع تصديقهم أو حُبوب الصلاة إن كان بغير تصديق كما صح عن بعض أزواج النبي **صلى الله عليه وسلم**، عَنْ النَّبِيِّ **صلى الله عليه وسلم** قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً». أخرجه مسلم (٢٢٣٠).



وفي المسند: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وفي سنده أبو تيمية الهجيمي ولم يسمع من أبي هُرَيْرَةَ، ولكن له شاهد عند البزار بسند حسن عَنْ جَابِرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ولفظه: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**».

وذلك لما تقدم من كونه يصدقه في ادعاء علم الغيب، ومن المعلوم لدى من بصره الله بالحق أن هذا الغيب الذي قد يصدق فيه العراف هو من مسترق السمع مع ما يضاف إليه ويخلط من الكذب على ما يأتي إن شاء الله.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «**فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**». ظاهر الحديث أن مجرد سؤاله يوجب عدم قبول صلاته أربعين يوما، ولكنه ليس على إطلاقه، فسؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يسأله سؤالاً مجرداً، فهذا حرام لقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا...**»، فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه، إذ لا عقوبة إلا على فعل محرم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه، ويعتبر قوله، فهذا كفر لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن، حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [النمل: ٦٥].

القسم الثالث: أن يسأله ليختبره: هل هو صادق أو كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله، فهذا لا بأس به، ولا يدخل في الحديث.

وقد سأل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ابْنُ صَيَّادٍ، فقال: ماذا خبأت لك؟ قال: الدُّخُّ، فَقَالَ: «**أَخْسَأُ، فَلَنْ تَعُدَّوْا قَدْرَكَ**»، فالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سأله عن شيء أضمره له، لأجل أن يختبره، فأخبره به.

القسم الرابع: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فيمتحنه في أمور يتبين بها كذبه وعجزه، وهذا مطلوب، وقد يكون واجباً، وإبطال قول الكهنة لا شك أنه أمر



مطلوب، وقد يكون واجباً، فصار السؤال هنا ليس على إطلاقه، بل يفصل فيه هذا التفصيل على حسب ما دلت عليه الأدلة الشرعية الأخرى. اهـ. «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٣٦٢-٣٦٣).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةُ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فِيَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُومُهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحَ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» ثُمَّ قَالَ: «الَّذِينَ يَلُونِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُوهُمْ مَاذَا قَالَ: قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطِفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْدِفُونَ إِلَى أَوْلِيائِهِمْ، وَيُرْمُونَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرَفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ». أخرجه مسلم (٢٢٢٩).

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَأَلَ أَنَسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ، يَخْطِفُهَا الْجِنُّ، فَيَقْرؤها فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْطِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ». أخرجه البخاري (٦٢١٣)، ومسلم (٢٢٢٨).

وحدُّ الساحر: القتل ردة إن بقي على سحره، أو القتل حدًّا إن كان قد قتل بسحره. وإن تاب فالصحيح قبول توبته، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلذَّيْتِ كَفْرًا إِنْ



يَنْتَهُوْا يُعْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَكَفَ ﴿ [الأنفال: ٣٨]، وقد تقدم أن الساحر كافر، وقد صح عن
ثلاثة من الصحابة قتل الساحر، وهم عمر، وحفصة، وجندب، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.





هداية القرآن في بيان زيف ادعاء الكفار أن وحي الله إلى الرسل سحر

ومن هداية القرآن في هذا الباب: بيان زيف ما ادعاه الكفار من أن الوحي الذي جاء به الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سحر، أو أن الرسل سحرة. وكان الكفار يذكرون ذلك تحذيرًا من الحق الذي جاء به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [القصص: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى عن بعضهم: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿١٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى ﴿١٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿١٥﴾﴾ [المدثر: ٢٣، ٢٥]، وكم في القرآن من ذلك؟

كما قَالَ اللهُ تَعَالَى عن فرعون: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهَا فَاكْتَدَبَ وَإِنِّي ﴿٥٦﴾ قَالَ أِحْسَبْتُنَا إِتْحَاجِنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَلْمُوسَى ﴿٥٧﴾﴾ [طه: ٥٦-٥٧]، وَقَالَ تَعَالَى عن قوم فرعون: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ [القصص: ٤٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٠٩-١١٠].

وكان قول الكافرين جميعًا في رد دعوة كل نبي: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَنْوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

وقد حاجهم الله **عَزَّوَجَلَّ** بقوله: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد



الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدْعُوهُ مَلَكَتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ ﴿٩٢﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴿٩٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٩٥﴾ أَصَابَهَا فَأَصْبَرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ [الطور: ١٣-١٦].

فالكفار يحاولون طمس الحق بدعوى أنه السحر أو الذي جاء به ساحر، فكذبوا من حيث لا يشعرون إذ السحرة لا يُنصرون ولا يُفْلحون والأنبياء يُمَكِّنون ويُحَفَظُونَ ويُنصرون، ودعوتهم في التحذير عن الأحوال الشيطانية ويدعون إلى عبادة رب البرية بخلاف السحرة والمشعوذين والكهان والعرافين الذين ألقى الله **عَزَّوَجَلَّ** عليهم الذل والمهانة، وله الحمد والمنة.

وقد شهد أفحاح العرب أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعيد عن السحر والكهانة والشعر، كما جاء من حديث أبي ذرٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: «... قَالَ لِي أَنَيْسٌ: لَقَيْتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ، يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، قُلْتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ، وَكَانَ أَنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعْرَاءِ. قَالَ أَنَيْسٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَنَةِ، فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشُّعْرِ، فَمَا يَلْتَمِمْ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي، أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ». أخرجه مسلم (٢٤٧٣).

ومن ذلك ما قصه الله **عَزَّوَجَلَّ** في خبر موسى مع السحرة: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٧﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٨﴾ يَا تَوَكُّبِكُمْ لِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٩﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٢١﴾ قَالُوا يَمْمُوَسَىٰ إِمَامًا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٣﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٢٤﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ



﴿فَعَلِمُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَاحِرِينَ ﴿١١٦﴾ وَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١١٧﴾ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٨﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٩﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٠﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢١﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٢﴾ وَمَا نَنْفَعُ مِثًّا إِلَّا أَنْ ءَأَمَنَّا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

[الأعراف: ١٠٩-١٢٦].

وفي قصص غير هذه، في سورة يونس، وطه، والشعراء، فالحمد لله الذي أعز دينه وأظهره وأذل الشرك وحقره.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: فضل، حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السحر، قال: وربما كفروا من اعتقد وجوده. قال: وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر أن يطير في الهواء، ويقلب الإنسان حماراً، والحمار إنساناً، إلا أنهم قالوا: إن الله يخلق الأشياء عندما يقول الساحر تلك الرقى وتلك الكلمات المعينة، فأما أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك والنجوم فلا خلافاً للفلاسفة والمنجمين الصابغة، ثم استدلل على وقوع السحر وأنه بخلق الله تعالى، بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِصَاحِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ومن الأخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر، وأن السحر عمل فيه، ويقصه تلك المرأة مع عائشة، رضي الله عنها، وما ذكرت تلك المرأة من إتيانها بابل وتعلمها السحر، قال: وبما يذكركم في هذا الباب من الحكايات الكثيرة، ثم قال بعد هذا:

إِنَّ الْعِلْمَ بِالسَّحْرِ لَيْسَ بِقَبِيحٍ وَلَا مَحْظُورٍ: اتَّفَقَ الْمُحَقِّقُونَ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ لِذَاتِهِ شَرِيفٌ وَأَيْضًا لِعُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]؛ وَلِأَنَّ السَّحْرَ لَوْ لَمْ يَكُنْ يُعْلَمُ لِمَا أَمَكَّنَ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعْجَزَةِ، وَالْعِلْمُ بِكَوْنِ الْمُعْجَزِ مُعْجِزًا وَاجِبٌ، وَمَا يَتَوَقَّفُ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ فَهُوَ وَاجِبٌ؛ فَهَذَا



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ تَحْصِيلُ الْعِلْمِ بِالسَّحْرِ وَاجِبًا، وَمَا يَكُونُ وَاجِبًا فَكَيْفَ يَكُونُ حَرَامًا وَفَيْحًا؟!

هَذَا لَفْظُهُ بِحُرُوفِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَهَذَا الْكَلَامُ فِيهِ نَظَرٌ مِنْ وُجُوهٍ، أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: «**الْعِلْمُ بِالسَّحْرِ لَيْسَ بِقَبِيحٍ**». إِنْ عَنَى بِهِ لَيْسَ بِقَبِيحٍ عَقْلًا فَمُخَالَفُوهُ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ يَمْنَعُونَ هَذَا وَإِنْ عَنَى أَنَّهُ لَيْسَ بِقَبِيحٍ شَرْعًا، فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَبَشِيرٌ لِتَعَلُّمِ السَّحْرِ، وَفِي الصَّحِيحِ: «**مَنْ أَتَى عَرَفًا أَوْ كَاهِنًا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**». وَفِي السُّنَنِ: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً وَنَمَتَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ**». وَقَوْلُهُ: «**وَلَا مَحْظُورَ اتَّفَقَ الْمُحَقِّقُونَ عَلَى ذَلِكَ**». كَيْفَ لَا يَكُونُ مَحْظُورًا مَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ؟! وَاتَّفَاقُ الْمُحَقِّقِينَ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ قَدْ نَصَّ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَئِمَّةُ الْعُلَمَاءِ أَوْ أَكْثَرُهُمْ، وَأَيْنَ نُصُوصُهُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ ثُمَّ إِدْخَالُهُ عِلْمَ السَّحْرِ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَى مَدْحِ الْعَالِمِينَ بِالْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، وَلَمْ قُلْتَ إِنْ هَذَا مِنْهُ؟ ثُمَّ تَرْقِيهِ إِلَى وُجُوبِ تَعَلُّمِهِ بِأَنَّهُ لَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ بِالْمُعْجِزِ إِلَّا بِهِ، ضَعِيفٌ بَلْ فَاسِدٌ؛ لِأَنَّ مُعْظَمَ مُعْجِزَاتِ رَسُولِنَا، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ. ثُمَّ إِنْ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ مُعْجِزٌ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى عِلْمِ السَّحْرِ أَصْلًا ثُمَّ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتَهُمْ، كَانُوا يَعْلَمُونَ الْمُعْجِزَ، وَيَفْرُقُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ السَّحَرَ وَلَا تَعَلَّمُوهُ وَلَا عَلَّمُوهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٦٦-٣٦٧).





هداية القرآن في ردّ النعمة إلى الله عز وجل

قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

قال بعض العلماء: وفي هذه الآية سبب النزول وهو ما أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٧٣) عن ابن عباس قال: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَبِيُّ كَذَا وَكَذَا» قَالَ: فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿* فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ التَّجْوِيرِ ﴿٧٥﴾﴾ [الواقعة: ٧٥]، حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

وروى البخاري، ومسلم في «صحيحهما» من حديث زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَذُرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ». أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

وعند مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ. يَقُولُونَ الْكَوَاكِبُ وَالْكَوَاكِبُ» أخرجه مسلم (٧٢). وفي رواية له: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ، يُنْزِلُ اللَّهُ الْغَيْثَ فَيَقُولُونَ: الْكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا» أخرجه مسلم (٧٢).

وقد أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** وحثَّ على ذكر نعمه تعالى علينا لأن ذلك من دواعي شكرها فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٧]، وذكر أن نعمه كثيرة لا تعدد: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].



فإضافة النعمة إلى غير الله **عَزَّوَجَلَّ** على نوعين:

الأول: اعتقاد أن من أضيفت إليه هو موجدها ومعطيها فهذا كفر أكبر مخرج من الملة.

الثاني: إضافتها إلى غير الله **عَزَّوَجَلَّ** مع اعتقاد أن الله **عَزَّوَجَلَّ** هو الخالق والموجد لها فهذا شرك أصغر غير مخرج من الملة.

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث رقم (٧٢): وَأَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ فَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي كُفْرٍ مَنْ قَالَ مُطْرِنَا بِنَوْءٍ كَذَا عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: هُوَ كُفْرٌ بِاللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** سَالِبٌ لِأَصْلِ الْإِيمَانِ مُخْرِجٌ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ قَالُوا وَهَذَا فِيمَنْ قَالَ ذَلِكَ مُعْتَقِدًا أَنَّ الْكُوكَبَ فاعِلٌ مَدْبُرٌ مَنْشِئٌ لِلْمَطَرِ كَمَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَزْعُمُ وَمَنْ اعْتَقَدَ هَذَا فَلَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ وَالشَّافِعِيُّ مِنْهُمْ وَهُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ قَالُوا وَعَلَى هَذَا لَوْ قَالَ مُطْرِنَا بِنَوْءٍ كَذَا مُعْتَقِدًا أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبِرَحْمَتِهِ وَأَنَّ النَّوْءَ مِيقَاتٌ لَهُ وَعَلَامَةٌ اعْتِبَارًا بِالْعَادَةِ فَكَانَتْهُ قَالَ مُطْرِنَا فِي وَفْتٍ كَذَا فَهَذَا لَا يَكْفُرُ وَاخْتَلَفُوا فِي كَرَاهِيَةِ وَالْأَظْهَرُ كَرَاهِيَتُهُ لَكِنَّهَا كَرَاهَةٌ تَنْزِيهِ لَا إِثْمَ فِيهَا وَسَبَبُ الْكَرَاهَةِ أَنَّهَا كَلِمَةٌ مُتَرَدِّدَةٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَغَيْرِهِ فَيُسَاءُ الظَّنُّ بِصَاحِبِهَا وَلَا تَنَاهَا شِعَارُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: فِي أَصْلِ تَأْوِيلِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُرَادَ كُفْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِإِقْتِصَارِهِ عَلَى إِضَافَةِ الْغَيْثِ إِلَى الْكُوكَبِ وَهَذَا فِيمَنْ لَا يَعْتَقِدُ تَدْبِيرَ الْكُوكَبِ وَيُؤَيِّدُ هَذَا التَّأْوِيلَ الرَّوَايَةُ الْأَخِيرَةُ فِي الْبَابِ أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَكَافِرٌ وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَاتٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ فَقَوْلُهُ بِهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كُفْرٌ بِالنِّعْمَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمَّا النَّوْءُ فَفِيهِ كَلَامٌ طَوِيلٌ قَدْ لَخَّصَهُ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بِنُ الصَّلَاحِ **رحمته الله** فَقَالَ النَّوْءُ فِي أَصْلِهِ لَيْسَ هُوَ نَفْسُ الْكُوكَبِ فَإِنَّهُ مَصْدَرٌ نَاءٌ



النَّجْمُ نَوْءٌ نَوْءًا أَيْ سَقَطَ وَعَابَ وَقِيلَ أَيْ نَهَضَ وَطَلَعَ وَبَيَّانُ ذَلِكَ أَنَّ ثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ
 نَجْمًا مَعْرُوفَةً الْمَطَالِيعِ فِي أَرْبَعَةِ السَّنَةِ كُلِّهَا وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِمَنَازِلِ الْقَمَرِ الثَّمَانِيَةِ
 وَالْعِشْرِينَ يَسْقُطُ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ عَشْرَةَ لَيْلَةً مِنْهَا نَجْمٌ فِي الْمَغْرِبِ مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ
 وَيَطْلُعُ آخَرَ يُقَابِلُهُ فِي الْمَشْرِقِ مِنْ سَاعَتِهِ وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا كَانَ عِنْدَ ذَلِكَ مَطَرٌ
 يَنْسُبُونَهُ إِلَى السَّاقِطِ الْغَارِبِ مِنْهُمَا وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ إِلَى الطَّالِعِ مِنْهُمَا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ
 وَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا يَنْسُبُ النَّوْءَ لِلْسَّقُوطِ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ثُمَّ إِنَّ النَّجْمَ نَفْسَهُ قَدْ
 يُسَمَّى نَوْءًا تَسْمِيَةً لِلْفَاعِلِ بِالْمَصْدَرِ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ فِي بَعْضِ أَمَالِيهِ السَّاقِطَةُ
 فِي الْغَرْبِ هِيَ الْأَنْوَاءُ وَالطَّالِعَةُ فِي الْمَشْرِقِ هِيَ الْبُورَاحُ وَاللَّهُ اعْلَمَ. اهـ. من «شرح
 النووي على مسلم».





هداية القرآن إلى ترك التطير

قال الراغب الأصبهاني رَحْمَةُ اللَّهِ: وَتَطَيَّرَ فَلَانٌ، وَاطَيَّرَ أَصْلُهُ التَّفَاوُلُ بِالطَّيْرِ ثُمَّ يَسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ مَا يَتَفَاعَلُ بِهِ وَيَتَشَاءُ، قَالُوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: ١٨]، وَلِذَلِكَ قِيلَ: «لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ»، وَقَالَ نَعَالِي: ﴿وَأَنْ نُصِيبَهُمْ سَيِّئَةً يَظَيَّرُوا﴾ [الأعراف: ١٣١]، أَي: يَتَشَاءُ مَوَا بِهِ، ﴿أَلَا إِنَّمَا طَيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]، أَي: شَأْمَهُمْ: مَا قَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ بِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ. اهـ. «مفردات غريب القرآن» للأصفهاني (٣١٠).

وقد بَوَّبَ الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ بَابَ مَا جَاءَ فِي التَّطْيِيرِ. قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ رَحْمَةُ اللَّهِ: تَعْرِيفُ التَّطْيِيرِ: فِي اللُّغَةِ: مَصْدَرُ تَطْيِيرٍ، وَأَصْلُهُ مَاخُودٌ مِنَ الطَّيْرِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ يَتَشَاءُمُونَ أَوْ يَتَفَاعَلُونَ بِالطَّيُورِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَهُمْ بِزَجْرِ الطَّيْرِ، ثُمَّ يَنْظُرُ: هَلْ يَذْهَبُ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنْ ذَهَبَ إِلَى الْجِهَةِ الَّتِي فِيهَا التِّيَامَنُ؛ أَقْدَمَ، أَوْ فِيهَا التَّشَاؤْمُ؛ أَحْجَمَ.

أَمَا فِي الْإِصْطِلَاحِ فَهِيَ: التَّشَاؤْمُ بِمَرْتَبَةٍ أَوْ مَسْمُوعٍ، وَهَذَا مِنَ الْأُمُورِ النَّادِرَةِ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ اللُّغَةَ أَوْسَعُ مِنَ الْإِصْطِلَاحِ؛ لِأَنَّ الْإِصْطِلَاحَ يَدْخُلُ عَلَى الْأَلْفَاظِ قِيودًا تَخْصُهَا، مِثْلَ الصَّلَاةِ لُغَةً: الدُّعَاءُ، وَفِي الْإِصْطِلَاحِ أَخْصَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَكَذَلِكَ الزَّكَاةُ وَغَيْرَهَا، وَإِنْ شئتَ؛ فَقُلْ: التَّطْيِيرُ: هُوَ التَّشَاؤْمُ بِمَرْتَبَةٍ أَوْ مَسْمُوعٍ أَوْ مَعْلُومٍ.

بِمَرْتَبَةٍ مِثْلَ: لَوْ رَأَى طَيْرًا فَتَشَاءَمَ لِكَوْنِهِ مَوْحِشًا.

أَوْ مَسْمُوعٍ مِثْلَ: مَنْ هَمَّ بِأَمْرٍ فَسَمِعَ أَحَدًا يَقُولُ لِآخَرَ: يَا خَسْرَانَ، أَوْ يَا خَائِبًا؛ فَيَتَشَاءَمُ.

أَوْ مَعْلُومٍ؛ كَالْتَشَاؤْمِ بِبَعْضِ الْأَيَّامِ أَوْ بَعْضِ الشُّهُورِ أَوْ بَعْضِ السَّنَوَاتِ؛ فَهَذِهِ لَا تَرَى وَلَا تَسْمَعُ.



واعلم أن التطير ينافي التوحيد، ووجه منافاته له من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غير الله.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم وتخيل؛ فأى رابطة بين هذا الأمر،

وبين ما يحصل له، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة، قَالَ

تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ

عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

فالتطيرة محرمة، وهي منافية للتوحيد كما سبق، والمتطير لا يخلو من حالين:

الأول: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل، وهذا من أعظم التطير

والتشاؤم.

الثاني: أن يمضي لكن في قلق وهم وغم يخشى من تأثير هذا المتطير به، وهذا

أهون.

وكلا الأمرين نقص في التوحيد وضرر على العبيد، بل انطلق إلى ما تريد بانسراح

صدر وتيسير واعتماد على الله **عَزَّوَجَلَّ** ولا تسئ الظن بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وقد ذكر المؤلف

رَحْمَةُ اللَّهِ في هذا الباب آيتين:

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] هذه الآية

نزلت في قوم موسى كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿وَإِنْ نُصِبتُهُمْ سَبِيحَةً يُطَيَّرُونَ

بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]، ومعنى: ﴿يُطَيَّرُونَ بِمُوسَى وَمَنْ

مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]، أنه إذا جاءهم البلاء والجذب والقحط قالوا: هذا من موسى

وأصحابه؛ فأبطل الله هذه العقيدة بقوله: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١].



قوله: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، (ألا): أداة استفتاح تفيد التنبيه والتوكيد، و(إنما): أداة حصر. وقوله: ﴿طَلَيْتُهُمْ﴾ مبتدأ، و﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ خبر، والمعنى: أنما يصيبهم من الجذب والقحط ليس من موسى وقومه، ولكنه من الله؛ فهو الذي قدره ولا علاقة لموسى وقومه به، بل إن الأمر يقتضي أن موسى وقومه سبب للبركة والخير، ولكن هؤلاء - والعياذ بالله - يلبسون على العوام ويوهمون الناس خلاف الواقع.

قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣﴾ فهم في جهل؛ فلا يعلمون أن هناك إلهاً مدبراً، وأن ما أصابهم من الله وليس من موسى وقومه.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿قَالُوا طَلَيْتُكُمْ مَعَكُمْ﴾ [يس: ١٩] أي: قال الذين أرسلوا إلى القرية في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ [يس: ١٣] الآيات. فقالوا ذلك ردّاً على قول أهل القرية: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾؛ أي: تشاء منا بكم، وإننا لا نرى أنكم تدلوننا على الخير، بل على الشر وما فيه هلاكنا؛ فأجابهم الرسل بقولهم: ﴿طَلَيْتُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي: مصاحب لكم، فما يحصل لكم؛ فإنه منكم ومن أعمالكم، فأنتم السبب في ذلك.

ولا منافاة بين هذه الآية والتي ذكرها المؤلف قبلها؛ لأن الأولى تدل على أن المقدر لهذا الشيء هو الله، والثانية تبين سببه، وهو أنه منهم، فهم في الحقيقة طائرهم معهم (أي الشؤم) الحاصل عليهم معهم ملازم لهم؛ لأن أعمالهم تستلزمه؛ كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].



ويستفاد من الآيتين المذكورتين في الباب: أن التطير كان معروفاً من قبل العرب وفي غير العرب؛ لأن الأولى في فرعون وقومه، والثانية في أصحاب القرية. اهـ.
«القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٣٧٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ**». أخرجاه، وزاد مسلم: «**وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ**».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «**الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»، رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.
قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «**الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ**» هاتان الجملتان يؤكد بعضهما بعضًا من باب التوكيد اللفظي.

وقوله: «**شِرْكٌ**»: أي: إنها من أنواع الشرك، وليست الشرك كله، وإلا؛ لقال: الطيرة الشرك.

هل المراد بالشرك هنا الشرك الأكبر المخرج عن الملة، أو أنها نوع من أنواع الشرك؟ نقول: هي نوع من أنواع الشرك؛ كقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «**اِثْنَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ**» أي: ليس الكفر المخرج عن الملة، وإلا؛ لقال: «**هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ**»، بل هما نوع من الكفر.

لكن في ترك الصلاة قال: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**» فقال: «**الْكَفْرُ**»؛ فيجب أن نعرف الفرق بين «**أَل**» المعرفة أو الدالة على الاستغراق، وبين خلو اللفظ منها، فإذا قيل: هذا كفر؛ فالمراد أنه نوع من الكفر لا يخرج من الملة، وإذا قيل: هذا الكفر؛ فهو المخرج من الملة.

فإذا تطير إنسان بشيء رآه أو سمعه؛ فإنه لا يعد مشركاً شركاً يخرج من الملة، لكنه أشرك من حيث إنه اعتمد على هذا السبب الذي لم يجعله الله سبباً، وهذا



يضعف التوكل على الله ويوهن العزيمة، وبذلك يعتبر شركًا من هذه الناحية، والقاعدة: "إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببًا؛ فإنه مشرك شركًا أصغر".

وهذا نوع من الإشراك مع الله؛ إما في التشريع إن كان هذا السبب شرعيًا، وإما في التقدير إن كان هذا السبب كونيًا، لكن لو اعتقد هذا المتشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله؛ فهو مشرك شركًا أكبر؛ لأنه جعل لله شريكًا في الخلق والإيجاد. اهـ.
«القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/٣٩٠).





هداية القرآن في بيان الرياء والتحذير منه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦].

وقد قَالَ اللهُ تَعَالَى بيانًا لخطره: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْلُغُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَأَلَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَّالًا يَرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٣﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤-٧].

والرياء خطره عظيم، عَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَسْمَعُ يَسْمَعُ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ». أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللهُ بِهِ». أخرجه مسلم (٢٩٨٦).



وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ**».
أخرجه مسلم (٢٤٩٥).

وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «**إِنَّ**
أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ؟،
قَالَ: «**الرِّيَاءُ يُقَالُ لِمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُتِبَتْ تِرَاوُنٌ**
فَاطْلُبُوا ذَلِكَ عِنْدَهُمْ». أخرجه الإمام أحمد (٢٣٦٨٦)، والطبراني في «المعجم الكبير»
(٤٣٠١).

والأحاديث في بيان خطر الرياء كثيرة، وهو دائر بين الشرك الأكبر والأصغر.
فمن عمل العبادة لله **عَزَّوَجَلَّ** ثم طرأ عليه الرياء فهذا من الشرك الأصغر، فإن دافعه
سلم، وإن جراه بطل ذلك العمل بعينه.
وإن كان لا يعمل العبادة إلا للناس فهذا هو الشرك الأكبر المحبط لجميع
الأعمال، وعلى هذا تنزل آية سورة هود التي تقدم ذكرها.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: تعريف الرياء: مصدر راءى يرائى؛ أي: عمل
عملاً ليراه الناس، ويقال مرءاة كما يقال: جاهد جهاداً ومجاهدة، ويدخل في ذلك
من عمل العمل ليسمعه الناس ويقال له مسمع، وفي الحديث عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
أنه قَالَ: «**مَنْ رَأَى رَأَى اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ**».

والرياء خلق ذميم، وهو من صفات المنافقين، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ**
قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، [النساء: ١٤٢].



والرياء يبحث في مقامين:

المقام الأول: في حكمه، فنقول: الرياء من الشرك الأصغر؛ لأن الإنسان قصد بعبادته غير الله، وقد يصل إلى الأكبر، وقد مثل ابن القيم للشرك الأصغر؛ فقال: «مثل **سير الرياء**»، وهذا يدل على أن الرياء الكثير قد يصل إلى الأكبر.

المقام الثاني: في حكم العبادة إذا خالطها الرياء، وهو على ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون الباعث على العبادة مراعاة الناس من الأصل، كمن قام يصلي من أجل مراعاة الناس ولم يقصد وجه الله؛ فهذا شرك والعبادة باطلة.

الثاني: أن يكون مشاركاً للعبادة في أثنائها، بمعنى أن يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله ثم يطرأ الرياء في أثناء العبادة. فإن كانت العبادة لا يبنّي آخرها على أولها؛ فأولها صحيح بكل حال، والباطل آخرها. مثال ذلك: رجل عنده مئة ريال قد أهداها للصدقة فتصدق بخمسين مخلصاً وراءه في الخمسين الباقية؛ فالأولى حكمها صحيح، والثانية باطلة.

أما إذا كانت العبادة يبنّي آخرها على أولها؛ فهي على حالين:

أ- أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه، بل يعرض عنه ويكرهه؛ فإنه لا يؤثر عليه شيئاً؛ لقول النبي **صلى الله عليه وسلم:** «**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ**»، مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصاً لله، وفي الركعة الثانية أحس بالرياء، فصار يدافعه؛ فإن ذلك لا يضره ولا يؤثر على صلاته شيئاً.

ب- أن يطمئن إلى هذا الرياء ولا يدافعه؛ فحينئذ تبطل جميع العبادة؛ لأن آخرها مبني على أولها ومرتبطة به، مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصاً لله، وفي الركعة الثانية طرأ عليه الرياء لإحساسه بشخص ينظر إليه، فاطمأن لذلك ونزع إليه؛ فتبطل صلاته كلها لارتباط بعضها ببعض.



الثالث: ما يطرأ بعد انتهاء العبادة؛ فإنه لا يؤثر عليها شيئاً، اللهم إلا أن يكون فيه عدوان؛ كالممن والأذى بالصدقة، فإن هذا العدوان يكون إثمه مقابلاً لأجر الصدقة فيبطلها؛ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾، [البقرة: ٢٦٤].

وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طراً بعد الفراغ من العبادة.

وليس من الرياء أيضاً أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه، بل ذلك دليل على إيمانه، قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَاتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَاتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ»، وقد سئل النبي **صلى الله عليه وسلم** عن ذلك؛ فقال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ». اهـ. «القول المفيد على كتاب التوحيد» (٢/ ٧٧-٧٨).





هداية القرآن في باب النجوم

قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].
 وَقَالَ اللهُ تَعَالَى نَقْلًا عَنْ هَدِيدٍ: ﴿وَجَدْتُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٦١﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٦٢﴾ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل: ٢٤-٢٦].

وقال الله تعالى في قصة إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَام**: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُعْتَمَدُ فِي بَرِيءٍ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٩].

قال ابن كثير رحمه الله: وَالْحَقُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام**، كَانَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مُنَاطِرًا لِقَوْمِهِ، مُبَيِّنًا لَهُمْ بَطْلَانَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْهَيَاكِلِ وَالْأَصْنَامِ، فَبَيَّنَ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ مَعَ أَبِيهِ خَطَأَهُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الْأَرْضِيَّةِ، الَّتِي هِيَ عَلَى صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لِيَشْفَعُوا لَهُمْ إِلَى الْخَالِقِ الْعَظِيمِ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ أَحَقُّرٌ مِنْ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَإِنَّمَا يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ بِعِبَادَةِ مَلَائِكَتِهِ، لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَهُ فِي الرِّزْقِ وَالنَّصْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ. وَبَيَّنَ فِي هَذَا الْمَقَامِ خَطَأَهُمْ وَصَلَاتَهُمْ فِي عِبَادَةِ الْهَيَاكِلِ، وَهِيَ الْكَوَاكِبُ السِّيَّارَةُ السَّبْعَةُ الْمُتَحِيرَةُ، وَهِيَ: الْقَمَرُ، وَعُطَارِدُ، وَالزُّهْرَةُ، وَالشَّمْسُ، وَالْمَرْيَخُ، وَالْمُشْتَرَى، وَرُحْلُ، وَأَشْدُهُنَّ إِضَاءَةً وَأَشْرَقَهُنَّ عِنْدَهُمُ الشَّمْسُ، ثُمَّ الْقَمَرُ، ثُمَّ الزُّهْرَةُ. فَبَيَّنَ أَوْلَى أَنْ هَذِهِ الزُّهْرَةُ لَا تَصْلُحُ لِلْإِلَهِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا مُسَخَّرَةٌ مَقْدَرَةٌ



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



بَسِيرٍ مُعَيَّنٍ، لَا تَزِيغُ عَنْهُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَلَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا تَصَرُّفًا، بَلْ هِيَ جِزْمٌ مِنَ الْأَجْرَامِ خَلَقَهَا اللَّهُ مُنِيرَةً، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمِ الْعَظِيمَةِ، وَهِيَ تَطْلُعُ مِنَ الْمَشْرِقِ، ثُمَّ تَسِيرُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ حَتَّى تَغِيبَ عَنِ الْأَبْصَارِ فِيهِ، ثُمَّ تَبْدُو فِي اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ. وَمِثْلُ هَذِهِ لَا تَصْلُحُ لِلْإِلَهِيَّةِ. ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْقَمَرِ. فَبَيَّنَ فِيهِ مِثْلَ مَا بَيَّنَّ فِي النَّجْمِ.

ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الشَّمْسِ كَذَلِكَ. فَلَمَّا انْتَمَتِ الْإِلَهِيَّةُ عَنْ هَذِهِ الْأَجْرَامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي هِيَ أَنْوُرٌ مَا تَقَعُ عَلَيْهِ الْأَبْصَارُ، وَتَحَقَّقَ ذَلِكَ بِالذَّلِيلِ الْقَاطِعِ، ﴿قَالَ يَقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أَي: أَنَا بَرِيءٌ مِنْ عِبَادَتِهِنَّ وَمُؤَالَاتِهِنَّ، فَإِنْ كَانَتْ إِلَهَةً، فَكَيْدُونِي بِهَا جَمِيعًا ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ، ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أَي: إِنَّمَا أَعْبُدُ خَالِقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمُخْتَرِعَهَا وَمُسَخَّرَهَا وَمُقَدَّرَهَا وَمُدَبَّرَهَا، الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ وَإِلَهُهُ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٩٢).

وقد خلق الله عز وجل النجوم لثلاثة خصال، كما قال قتادة: إِنَّمَا خَلَقَ هَذِهِ النَّجُومَ لِثَلَاثِ خِصَالٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَجَعَلَهَا يَهْتَدِي بِهَا، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، فَمَنْ تَعَاطَى فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدَرَأْيُهُ، وَأَخْطَأَ حِظَّهُ، وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. «جامع البيان» (١٧/١٨٥)، وابن أبي حاتم (١٧٢٩٤).

فأما قوله: «زِينَةٌ لِلسَّمَاءِ، رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ» فيدل عليها قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ① وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ② لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ③ دُحُورًا ④ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ⑤ إِلَّا مَنْ ⑥ حِطَّ لِنُظْفَةِ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ⑦﴾ [الصافات: ٦-١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾

[النجم: ١].



وأما ما يدل على أنها علامات يهتدى بها قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكُم بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وهي مسخرات بأمر الله، لا تصرف لها في هذا الكون بل هي مصرفة بأمر الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه التوحيد: ما جاء في التنجيم، أي: حكمه، وذلك لأن كثيراً من الناس قد أضاعوا نصيبهم في هذا الباب فتعلقوا بالنجوم وزعموا تأثيرها في الحوادث الأرضية.

قال ابن رجب رحمه الله في «بيان فضل علم السلف» (٢): وقد ورد الأمر بأن يتعلم من الأنساب ما توصل به الأرحام من حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ». أخرجه الإمام أحمد، والترمذي، وخرجه حميد بن زنجويه من طريق آخر عن أبي هريرة مرفوعاً: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ثُمَّ انْتَهَوْا، وَتَعَلَّمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَهْتَدُونَ بِهِ فِي ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ثُمَّ انْتَهَوْا»، وفي إسناد روايته ابن لهيعة. وخرج أيضاً من رواية نعيم بن أبي هند قال: "قال عمر: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم امسكوا، وتعلموا من النسبة ما تصلون به أرحامكم، وتعلموا ما يحل لكم من النساء ويحرم عليكم ثم انتهوا"، وروى مسعر عن محمد بن عبد الله قال: "قال عمر بن الخطاب: تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق".

وكان النخعي لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به ورخص في تعلم منازل القمر أحمد، وإسحق، ويتعلم من أسماء النجوم ما يهتدي به: وكره قتادة



تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه ذكره حرب عنهما، وقال طاوس: رب ناظر في النجوم وتمعلم حروف أبي جاد ليس له عند الله خلاق خرجته حرب. وخرجه حميد بن زنجويه من رواية طاوس عن ابن عباس. وهذا محمول على علم التأثير لا علم التسيير فان علم التأثير باطل محرم وفيه ورد الحديث المرفوع: «ومن اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر». خرج أبو داود من حديث ابن عباس مرفوعاً، وخرج أيضاً من حديث قبيصة مرفوعاً. «الْعِيَافَةُ، وَالطَّيْرَةُ، وَالطَّرْقُ مِنَ الْجَبْتِ»، والعيافة: زجر الطير، والطرق: الخط في الأرض.

فعلم تأثير النجوم باطل محرم. والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم وتقريب القرابين لها كفر وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزاً عند الجمهور وما زاد عليه فلا حاجة إليه وهو يشغل عما هو أهم منه. وربما أدى التدقيق فيه إلى إساءة الظن بمحاربي المسلمين في أمصارهم كما وقع ذلك كثيراً من أهل هذا العلم قديماً وحديثاً وذلك يفضي إلى اعتقاد خطأ الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الأمصار وهو باطل.

وقد أنكر الأمام أحمد الاستدلال بالجدي وقال إنما ورد ما بين المشرق والمغرب قبلة: يعني لم يرد اعتبار الجدي ونحوه من النجوم. وقد أنكر ابن مسعود على كعب قوله أن الفلك تدور، وأنكر ذلك مالك وغيره. وأنكر الإمام أحمد على المنجمين قولهم: أن الزوال يختلف في البلدان. وقد يكون إنكارهم أو إنكار بعضهم لذلك لأن الرسل لم تتكلم في هذا وإن كان أهله يقطعون به وإن كان الاشتغال به ربما أدى إلى فساد عريض، وقد اعترض بعض من كان يعرف هذا على حديث النزول ثلث الليل الآخر، وقال ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان فلا يمكن أن يكون النزول في وقت معين. ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام قبح هذا الاعتراض.



وأن الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أو خلفاء الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه بل بادروا إلى عقوبته وإلحاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين. اهـ.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: التنجيم: مصدر نجّم بتشديد الجيم، أي: تعلم

علم النجوم، أو اعتقد تأثير النجوم، وعلم النجوم ينقسم إلى قسمين:

فالأول: علم التأثير، وهذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث والشروء، فهذا شرك أكبر؛ لأن من ادعى أن مع الله خالقاً، فهو مشرك شركاً أكبر، فهذا جعل المخلوق المسخر خالقاً مسخراً.

ب- أن يجعلها سبباً يدعي به علم الغيب، فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا؛ لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا، مثل أن يقول: هذا الإنسان ستكون حياته شقاء؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، فهذا اتخذ تعلم النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة؛ لأن الله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ **الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [النمل: ٦٥]، وهذا من أقوى أنواع الحصر؛ لأنه بالنفي والإثبات، فإذا ادعى أحد علم الغيب، فقد كذب القرآن.

ت- أن يعتقد ما سبباً لحدوث الخير والشر، أي أنه إذا وقع شيء نسبة إلى النجوم، ولا ينسب إلى النجوم شيئاً إلا بعد وقوعه، فهذا شرك أصغر.

فإن قيل: ينتقض هذا بما ثبت عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في قوله في الكسوف: «إن

الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده»، فمعنى ذلك أنهما علامة

إنذار.



والجواب من وجهين:

١- أنه لا يسلم أن للكسوف تأثيراً في الحوادث والعقوبات من الجذب والقحط والحروب، ولذلك قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنَّهَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ**»، لا في ما مضى ولا في المستقبل، وإنما يخوف الله بهما العباد لعلهم يرجعون، وهذا أقرب.

٢- أنه لو سلمنا أن لهما تأثيراً، فإن النص قد دل على ذلك، وما دل عليه النص يجب القول به، لكن يكون خاصاً به.

لكن الوجه الأول هو الأقرب: أننا لا نسلم أصلاً أن لهما تأثيراً في هذا؛ لأن الحديث لا يقتضيه، فالحديث ينص على التخويف، والمخوف هو الله تعالى، والمخوفة عقوبته، ولا أثر للكسوف في ذلك، وإنما هو علامة فقط.

الثاني: علم التسيير، وهذا ينقسم إلى قسمين:

١- أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية، فهذا مطلوب، وإذا كان يعين على مصالح دينية واجبة كان تعلمها واجباً، كما لو أراد أن يستدل بالنجوم على جهة القبلة، فالنجم الفلاني يكون ثلث الليل قبلة، والنجم الفلاني يكون ربع الليل قبلة، فهذا فيه فائدة عظيمة.

٢- أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية، فهذا لا بأس به، وهو نوعان:

النوع الأول: أن يستدل بها على الجهات، كعرفة أن القطب يقع شمالاً، والجدي وهو قريب منه يدور حوله شمالاً، وهكذا، فهذا جائز، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَعَلَّمَتْ**

وَيَا تَجْمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

النوع الثاني: أن يستدل بها على الفصول، وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر، فهذا كرهه بعض السلف، وأباحه آخرون، والذين كرهوه قالوا: يخشى إذا قيل: طلع النجم الفلاني، فهو وقت الشتاء أو الصيف: أن بعض العامة يعتقد أنه هو الذي يأتي



بالبرد أو بالحر أو بالرياح، والصحيح عدم الكراهة. اهـ. «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٣٩٦-٣٩٨).





الشفاعة

الهداية في هذا الباب من أهم أنواع الهدايات وذلك لأن الكفار عبدوا الأصنام لذلك، قال الله **عَزَّوَجَلَّ** مخبراً عنهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ﴾ [الزمر: ٤٣]، فتركوا الوحد ووقعوا في الشرك والتنديد، قال الراغب الأصبهاني **رَحِمَهُ اللهُ**: الشَّفْعُ: ضمّ الشيء إلى مثله، ويقال لِلْمَشْفُوعِ: شَفَعُ، وقوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]، قيل: الشَّفْعُ المخلوقات من حيث إنها مركّبات، كما قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ حَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، والوتر: هو الله من حيث أنّ له الوحدة من كلّ وجه.

وقيل: الشَّفْعُ: يوم النحر من حيث أنّ له نظيراً يليه، والوتر يوم عرفة، وقيل: الشَّفْعُ: ولد آدم، والوتر: آدم لأنه لا عن والد، والشَّفَاعَةُ: الانضمام إلى آخر ناصر له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى، ومنه: الشَّفَاعَةُ في القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [طه: ١٠٩]، ﴿لَا تُقْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٦]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿فَمَا تَشْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّفَاعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، أي: لا يشفع لهم، ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ﴿مِن حَمِيمٍ وَلَا سَفِيحٍ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ [النساء: ٨٥]، ﴿وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ [النساء: ٨٥]، أي: من انضم إلى غيره وعاونه، وصار شافعاً له، أو شافعياً في فعل الخير والشرّ، فعاونه وقواه، وشاركه في نفعه وضرّه.

وقيل: الشَّفَاعَةُ هاهنا: أن يشرع الإنسان للآخر طريق خير، أو طريق شرّ فيقتدي به، فصار كأنه شفع له، وذلك كما قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر



من عمل بها، ومن سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها» أي: إثمها وإثم من عمل بها، وقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣]، أي: يدبر الأمر وحده لا ثاني له في فصل الأمر إلا أن يأذن للمدبرّات، والمقسّمات من الملائكة فيفعلون ما يفعلونه بعد إذنه. واستشفعتُ بفلان على فلان فتشفع لي، وشفّعه: أجاب شفاعته، ومنه قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «**الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ**» والشفّعه هو: طلب مبيع في شركته بما بيع به ليضمّه إلى ملكه، وهو من الشّفْع، وقال **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «**إِذَا وَقَعَتِ الْخُدُودُ فَلَا شَفْعَةَ**». اهـ. «مفردات غريب القرآن» للأصفهاني (٢٦٣).

وقد جاءت الشفاعة في القرآن مثبتة ومنفية. فأما المنفية، فالشفاعة التي تطلب من الأصنام والأوثان وما في بابها من المعبودات، أو تكون لمن يعبدها فلا يشفع فيه، قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال: ﴿مَا تَنْفَعُهُمْ شَفْعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفْعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَذَكَرَ يَدَهُ أَنْ يُبَسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

فانتفت الشفاعة عن هؤلاء القوم لأنهم سألوها من غير الله تعالى وعبدوا الأصنام، لذلك قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وقال: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ



شَفَعَاءُ قُلُوبَهُمْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ
شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

فهم كانوا يؤمنون بالله وهم مشركون مع ذلك، فانظر كيف يزعمون أن هذه
المعبودات تقربهم من الله زلفى، وأنهم شفاعؤهم عند الله، ومع ذلك هذه الشفاعة
شركية على كلا الحالين حيث جعلوهم وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويتوكلون
عليهم وحيث جعلوهم شركاء مع الله **عَزَّوَجَلَّ**.

بينما نجد أيضًا أن الله **عَزَّوَجَلَّ** أثبت شفاعة وهي تضمنت ثلاثة شروط: إذن الله
عَزَّوَجَلَّ للشافع، ورضاه عن الشافع والمشفوع، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ
عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾
[الأنبياء: ٢٨].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: قوله: «باب الشفاعة» أي
بيان ما أثبتته القرآن منها وما نفاه، وحقيقة ما دل القرآن على إثباته.

قوله: وقول الله **عَزَّوَجَلَّ** ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾، المخافة والتحذير
منها.

قوله: «به» قال ابن عباس: «**بِالْقُرْآنِ**» ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ «وهم
المؤمنون»، وعن الفضيل بن عياض: ليس كل خلقه عاتب، إنما عاتب الذين يعقلون؛
فقال: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ وهم المؤمنون أصحاب
العقول الواعية.



قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ قال الزجاج: موضع «ليس» نصب على الحال، كأنه قال: متخلين من كل ولي وشفيع. والعامل فيه «يخافون».

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة.

وقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾، وقبلها ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ أُولُو كَأْنُ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾، وهذه كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُتَّبِعُونَ اللَّهَ يَمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. فبين تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه متنف وممتنع، وأن اتخاذهم شفعاء شرك؛ يتنزه الرب تعالى عنه، وقد قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكِ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَمْقُتُونَ﴾ فبين تعالى أن دعواهم أنهم يشفعون لهم بتأليهم، أن ذلك منهم إفك وافتراء.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ أي هو مالکها، فليس لمن تطلب منه شيء منها، وإنما تطلب ممن يملكها دون كل من سواه؛ لأن ذلك عبادة وتأليه لا يصلح إلا لله. قال البيضاوي: لعله رد لما عسى أن يجيبوا به، وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه، لأنه مالك الملك، فاندرج في ذلك ملك الشفاعة، فإذا كان هو مالکها بطل أن تطلب ممن لا يملكها ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾.



قال ابن جرير: نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أوثنانا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

قال: وقوله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، قد تبين مما تقدم من الآيات أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله، وفي هذه الآية بيان أن الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾، فبين أنها لا تقع لأحد إلا بشرطين: إذن الرب تعالى للشافع أن يشفع؛ ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه، وهو تعالى لا يرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إلا ما أريد به وجهه، ولقي العبد به ربه مخلصاً غير شك في ذلك، كما دل على ذلك الحديث الصحيح، وسيأتي ذلك مقرراً أيضاً في كلام شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللهِ**.

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

وقوله: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢] وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ [سبأ].

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

قال ابن كثير رَحْمَةُ اللهِ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]، كَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فَكَيْفَ تَرْجُونَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ شَفَاعَةَ هَذِهِ الْأَصْنَامِ



وَالْأَنْدَادِ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ لَمْ يُشْرِعْ عِبَادَتَهَا وَلَا أَدِنَ فِيهَا، بَلْ قَدْ نَهَى عَنْهَا عَلَى أَلْسِنَةِ جَمِيعِ رُسُلِهِ، وَأَنْزَلَ بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ جَمِيعَ كِتَابِهِ؟.

قال: وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْثِقَالِ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٣٦﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في الكلام على هذه الآيات: وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا الْمُشْرِكُونَ جَمِيعَهَا، فَالْمُشْرِكُ إِنَّمَا يَتَّخِذُ مَعْبُودَهُ لِمَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ بِهِ مِنَ النَّفْعِ، وَالنَّفْعُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ: إِمَّا مَالِكٌ لِمَا يُرِيدُهُ عِبَادُهُ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَالِكًا كَانَ شَرِيكًا لِلْمَالِكِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَرِيكًا لَهُ كَانَ مُعِينًا لَهُ وَظَهِيرًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعِينًا وَلَا ظَهِيرًا كَانَ شَفِيعًا عِنْدَهُ.

فَنَفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ نَفْيًا مُتْرَتَّبًا، مُتَّصِلًا مِنَ الْأَعْلَى إِلَى مَا دُونَهُ، فَنَفَى الْمَلِكَ، وَالشَّرَكَةَ، وَالْمُظَاهَرَةَ، وَالشَّفَاعَةَ، الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُ، وَأَثَبَتْ شَفَاعَةَ لَا نَصِيبَ فِيهَا لِمُشْرِكٍ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ بِإِذْنِهِ.

فَكَفَى بِهَذِهِ الْآيَةِ نُورًا، وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً، وَتَجْرِيدًا لِلتَّوْحِيدِ، وَقَطْعًا لِأَصُولِ الشَّرِكِ وَمُؤَدَّاهُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَالْقُرْآنَ مَمْلُوءًا مِنْ أَمْثَالِهَا وَنَظَائِرِهَا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْعُرُونَ بِدُخُولِ الْوَاقِعِ تَحْتَهُ، وَتَضَمُّنِهِ لَهُ، وَيَظُنُّونَهُ فِي نَوْعٍ وَفِي قَوْمٍ قَدْ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يُعْقِبُوا وَارِثًا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ فَهْمِ الْقُرْآنِ. وَلَعَمْرُ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَوْلِيكَ قَدْ خَلَوْا، فَقَدْ وَرِثَهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُمْ، أَوْ شَرُّ مِنْهُمْ، أَوْ دُونَهُمْ، وَتَنَاوَلُ الْقُرْآنَ لَهُمْ كَتَنَاوَلِهِ لِأَوْلِيكَ.

ثم قال: وَمِنْ أَنْوَاعِهِ - أَي: الشَّرِكِ - طَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الْمَوْتَى، وَالِاسْتِعَاثَةُ بِهِمْ، وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِمْ. وَهَذَا أَصْلُ شَرِكِ الْعَالَمِ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ قَدْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ



لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَضَلًّا عَمَّنِ اسْتَعَاثَ بِهِ وَسَأَلَهُ قَضَاءَ حَاجَتِهِ، أَوْ سَأَلَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ إِلَى اللَّهِ فِيهَا، وَهَذَا مِنْ جَهْلِهِ بِالشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ لَهُ عِنْدَهُ، كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَاللَّهُ لَمْ يَجْعَلِ اسْتِعَاثَتَهُ وَسُؤَالَهُ سَبَبًا لِإِذْنِهِ، وَإِنَّمَا السَّبَبُ لِإِذْنِهِ كَمَا لِالتَّوْحِيدِ، فَجَاءَ هَذَا الْمُشْرِكُ بِسَبَبٍ يَمْنَعُ الإِذْنَ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ اسْتَعَانَ فِي حَاجَةٍ بِمَا يَمْنَعُ حُصُولَهَا، وَهَذِهِ حَالَةُ كُلِّ مُشْرِكٍ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الشَّرِكِ بِالمَعْبُودِ الحَقِّ، وَتَغْيِيرِ دِينِهِ، وَمُعَادَاةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَنَسَبَةِ أَهْلِهِ إِلَى التَّنْقِصِ لِلْأَمْوَاتِ، وَهُمْ قَدْ تَنَقَّصُوا الخَالِقَ بِالشَّرِكِ، وَأَوْلِيَاءَهُ المُوَحِّدِينَ لَهُ، الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا بِذَمِّهِمْ وَعَيْبِهِمْ وَمُعَادَاتِهِمْ، وَتَنَقَّصُوا مَنْ أَشْرَكُوا بِهِ غَايَةَ التَّنْقِصِ، إِذْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ رَاضُونَ مِنْهُمْ بِهِدَا، وَأَنَّهَمْ أَمْرُوهُمْ بِهِ، وَأَنَّهَمْ يُؤَالُونَهُمْ عَلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ وَالتَّوْحِيدِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَمَا أَكْثَرَ المُسْتَجِيبِينَ لَهُمْ!

وَمَا نَجَا مِنْ شَرِكِ هَذَا الشَّرِكِ الأَكْبَرِ إِلَّا مَنْ جَرَدَ تَوْحِيدَهُ لِلَّهِ، وَعَادَى المُشْرِكِينَ فِي اللَّهِ، وَتَقَرَّبَ بِمَقْتَبِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَاتَّخَذَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَلِيَّةً وَإِلَهَةً وَمَعْبُودَةً، فَجَرَدَ حُبَّهُ لِلَّهِ، وَخَوْفَهُ لِلَّهِ، وَرَجَاءَهُ لِلَّهِ، وَذُلَّهُ لِلَّهِ، وَتَوَكَّلَهُ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتِعَاثَتَهُ بِاللَّهِ، وَالتَّجَاءُءُ إِلَى اللَّهِ، وَاسْتِعَاثَتَهُ بِاللَّهِ، وَأَخْلَصَ قَصْدَهُ لِلَّهِ، مُتَّبِعًا لِأَمْرِهِ، مُتَطَلِّبًا لِمَرْضَاتِهِ، إِذَا سَأَلَ سَأَلَ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَانَ اسْتَعَانَ بِاللَّهِ، وَإِذَا عَمِلَ عَمِلَ لِلَّهِ، فَهُوَ لِلَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَمَعَ اللَّهِ. انتهى كلامه رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى.

وهذا الذي ذكره هذا الإمام في معنى الآية هو حقيقة دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾.

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلّق به المُشْرِكُونَ فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة؛ فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الربُّ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، فهذه الشفاعة



الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ؛ هِيَ مُنْتَهِيَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَاها الْقُرْآنُ. وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ: «أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوْلًا. ثُمَّ يَقَالُ لَهُ: ازْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ تُسْمَعُ وَسَلْ تُعْطَى وَاشْفَعْ تُشْفَعُ».

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. اهـ كلامه مختصرًا.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي معنى حديث أبي هريرة في البخاري: تأمل هذا الحديث

كَيْفَ جَعَلَ أَعْظَمَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا شَفَاعَتُهُ تَجْرِيدَ التَّوْحِيدِ، عَكْسَ مَا عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ تُنَالُ بِاتِّخَاذِهِمْ أَوْلِيَاءَهُمْ شُفَعَاءَ، وَعِبَادَتِهِمْ وَمَوَالِيَتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَلَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فِي رَعْمِهِمُ الْكَاذِبِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ سَبَبَ الشَّفَاعَةِ هُوَ تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ، فَحِينَئِذٍ يَأْذُنُ اللَّهُ لِلشَّافِعِ أَنْ يُشْفَعَ.

وَمِنْ جَهْلِ الْمُشْرِكِ اعْتِقَادُهُ أَنَّ مَنْ اتَّخَذَهُ وِلِيًّا أَوْ شَفِيعًا أَنَّهُ يَشْفَعُ لَهُ، وَيَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا يَكُونُ خَوَاصُّ الْمُلُوكِ وَالْوَلَاةِ تَنْفَعُ شَفَاعَتُهُمْ مَنْ وَالَاهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَأْذُنُ فِي الشَّفَاعَةِ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وَفِي الْفَصْلِ الثَّانِي ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وَبَقِيَ فَضْلٌ ثَالِثٌ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا التَّوْحِيدَ، وَاتِّبَاعَ الرَّسُولِ فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَصُولٍ، تَقَطُّعُ شَجَرَةَ الشُّرْكِ مِنْ قَلْبِ مَنْ وَعَاهَا وَعَقَلَهَا. اهـ. «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (٢٠٤-٢١١) مختصرًا.





خاتمة الفصل

وحذر الله **عَزَّوَجَلَّ** من الشرك مفصلاً ومجملاً على ما تقدم في النواقض محذراً من مخالفة التوحيد، ولما كان المشركون قد نَوَّعُوا عباداتهم فضحهم الله تعالى، وبين شركهم حيث لا يبقى عذر لمعتذر وحجة لمتكبر، فقال في عبَاد الأنبياء: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٨﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٩﴾ قُلْ اتَّبِعُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: ٧٢-٧٦].

وقال الله تعالى في عبَاد الشجر: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿٨١﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٨٢﴾ الْكُوفُ الْأَكْرَ وَالْأَنْثَىٰ ﴿٨٣﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٨٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٨٥﴾﴾ [النجم: ١٩-٢٣].

وقال الله تعالى في الرد على عبَاد الكواكب: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِقَ ﴿٨٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٨٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٩﴾﴾

[الأنعام: ٧٦-٧٩].



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا
لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].
وَقَالَ تَعَالَى مَبِينًا حَالٍ مِنْ عَبْدِهِمْ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا تَعْبُدُهُمْ
إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ اتَّخَذَهُمْ شُفَعَاءَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا
يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ
مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٦﴾
وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

هذا غيظ من فيض في هذا الباب، ولو أردنا التفصيل والاستيعاب لكبر الكتاب.
وتفاصيل الشرك كثيرة لكن فيما ذكر كفاية لمن رام سبيل الهداية، وأما المعرض
فيكفي في بيان حاله قول الله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
[يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْقَيْظِ كَمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾
وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ
السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ٨-١١]، وقال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ فُتِّحَتْ إِلَّا
أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].





هداية القرآن في سد ذرائع الشرك والبدع والمعاصي

لما كان الناس يصلون إلى ما تقدم ذكره بوسائل، فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** قد بينَ في القرآن ما يلزم من سد ذرائع تلك المخالفات الشرعية، وفي هذا الباب نجد أن الإسلام حَرَّمَ الشرك وكلَّ وسيلة تؤدي إلى الشرك، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، إلى غير ذلك.

أولاً: سد ذريعة الغلو:

فمما حرّمه الله **عَزَّوَجَلَّ** الغلو، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١]، وقال: ﴿قُلْ يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

فالغلو من أعظم الوسائل التي تؤدي إلى الشرك والبدع.

قال ابن كثير رحمه الله: يَنْهَى تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ عَنِ الْغُلُوِّ وَالْإِطْرَاءِ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي النَّصَارَى، فَإِنَّهُمْ تَجَاوَزُوا حَدَّ التَّصَدِيقِ بِعِيسَى، حَتَّى رَفَعُوهُ فَوْقَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَتَقَلَّبُوا مِنْ حَيْزِ النُّبُوَّةِ إِلَى أَنْ اتَّخَذُوهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ يَعْبُدُونَهُ كَمَا يَعْبُدُونَهُ، بَلْ قَدْ غَلَّوْا فِي أَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ، مِمَّنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى دِينِهِ، فَادَّعَوْا فِيهِمُ الْعِصْمَةَ وَاتَّبَعُوهُمْ فِي كُلِّ مَا قَالُوهُ، سِوَاءَ كَانَتْ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا أَوْ ضَلَالًا أَوْ رَشَادًا، أَوْ صَحِيحًا أَوْ



كذِبًا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ
وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التَّوْبَةِ: ٣١].

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ قَالَ: رَعِمَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا
تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَبَ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

ثُمَّ رَوَاهُ هُوَ وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ كَذَلِكَ. وَقَالَ
عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ سَنَدُهُ وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَنِ الْحُمَيْدِيِّ، عَنْ
سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهِ. وَلَفْظُهُ: «فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتِ
الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: مُحَمَّدٌ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرِنَا وَابْنَ
خَيْرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِينَكُمْ
الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي
الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ». تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، أَي: لَا تَفْتَرُوا عَلَيْهِ وَتَجْعَلُوا لَهُ صَاحِبَةً
وَوَلَدًا - تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَتَنْزَهُ وَتَقَدَّسَ وَتَوَحَّدَ فِي سُؤْدُدِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ
وَعَظَمَتِهِ - فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أَي: إِنَّمَا هُوَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
وَخَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَ لَهُ: كُنْ فَكَانَ، وَرَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ، وَكَلِمَتُهُ أُلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، أَي:
خَلَقَهُ بِالْكَلامَةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا جِبْرِيْلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى مَرْيَمَ، فَفَنَخَّ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِ، عَزَّوَجَلَّ، فَكَانَ عِيسَى بِإِذْنِ اللَّهِ، عَزَّوَجَلَّ، وَصَارَتْ تِلْكَ النَّفْخَةُ الَّتِي نَفَخَهَا فِي جَيْبِ



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



درعها، فَنَزَلَتْ حَتَّىٰ وَلَجَتْ فَرَجَهَا بِمَنْزِلَةِ لِقَاحِ الْأَبِ الْأُمِّ وَالْجَمِيعِ مَخْلُوقٍ لِلَّهِ، **عَزَّوَجَلَّ**؛ وَلِهَذَا قِيلَ لِعِيسَى: إِنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبٌ تَوَلَّدَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا هُوَ نَاشِئٌ عَنِ الْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَ لَهُ بِهَا: كُنْ، فَكَانَ. وَالرُّوحِ الَّتِي أُرْسِلَ بِهَا جِبْرِيلُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٧٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٩١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتُمْ مِنَ الْفَائِزِينَ﴾ [التَّحْرِيمِ: ١٢]، وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنِ الْمَسِيحِ: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزُّحُرْفِ: ٥٩].

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿وَكَلِمَتُهُ: أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ هُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿كُنْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥٩] فَكَانَ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ الْوَائِسِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ شَاذَّ بْنَ يَحْيَى يَقُولُ: فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَكَلِمَتُهُ: أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ قَالَ: لَيْسَ الْكَلِمَةُ صَارَتْ عِيسَى، وَلَكِنْ بِالْكَلِمَةِ صَارَ عِيسَى. اهـ.

وقد بين الله تعالى في كتابه الكريم هداية وحجة فقال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥٩].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمَّ، بَلْ ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَالَّذِي خَلَقَ آدَمَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ عِيسَى بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْآخِرَى، وَإِنْ جَازَ ادِّعَاءُ الْبُتُوَّةِ فِي عِيسَى بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا مِنْ



عَبْرَ أَبِي، فَجَوَّازُ ذَلِكَ فِي آدَمَ بِالطَّرِيقِ الْأَوْلَى، وَمَعْلُومٌ بِالِاتِّفَاقِ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ، فَدَعَوَاهَا فِي عَيْسَى أَشَدُّ بَطْلَانًا وَأَظْهَرُ فَسَادًا. وَلَكِنَّ الرَّبَّ، **عَزَّجَلَّ**، أَرَادَ أَنْ يُظْهَرَ قُدْرَتَهُ لِخَلْقِهِ، حِينَ خَلَقَ آدَمَ لَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا مِنْ أُنْثَى؛ وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى، وَخَلَقَ عَيْسَى مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ كَمَا خَلَقَ بَقِيَّةَ الْبَرِيَّةِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [مَرْيَمَ: ٢١].

وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿لِحَقِّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أَي: هَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْحَقُّ فِي عَيْسَى، الَّذِي لَا مَجِيدَ عَنْهُ وَلَا صَحِيحَ سِوَاهُ، وَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٤٩ / ٢).

فادعى كما ترى النصارى في عيسى الألوهية أو البنوة أو المشاركة، وكل ذلك قد رده عليهم الله تعالى حتى لا تبقى شبهة لمن أراد الله **عَزَّجَلَّ** له الهداية، فعيسى مخلوق مربوب، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٥١﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٣﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٥٤﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٦﴾ إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

﴿آل عمران: ٤٥ - ٥١﴾.



فبين هنا أن الله عز وجل خلق عيسى عليه السلام بقوله كن، لا أنه هو الكلمة كما زعمت النصارى، قال الله تعالى عن عيسى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا ۗ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۗ﴾ [٣٣] ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴿٣٤﴾ ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ [مريم: ٣٠-٣٦].

قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: عَلَيْهِ ذَلِكَ الَّذِي قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ خَبَرِ عِيسَى، ﴿قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يختلف المبطلون والمحققون ممن آمن به وكفر به؛ ولهذا قرأ الأكثرون: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ برفع قول، وقرأ عاصم، وعبد الله بن عامر: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾.

وعن ابن مسعود أنه قرأ: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَالَ الْحَقُّ﴾، والرفع أظهر إعراباً، ويشهد له قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠].

ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبداً نبياً، نزه نفسه المقدسة فقال: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ أي: عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علواً كبيراً، ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٣٥﴾ أي: إذا أراد شيئاً فإنما يأمُر به، فيصير كما يشاء، كما قال تعالى: ﴿إِن مِّثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٣٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٣٦﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٠].

وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: ومما أمر عيسى به قومه وهو في مهده، أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربهم، وأمرهم بعبادته، فقال: ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٣٦﴾ أي: هذا الذي جئتمكم به عن الله صراطاً مستقيماً،



أَيُّ: قَوِيْمٌ، مَنِ اتَّبَعَهُ رَشَدَ وَهَدَى، وَمَنْ خَالَفَهُ ضَلَّ وَغَوَى. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٢٣٠/٥ - ٢٣١).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمَّهُ صِدِّيْقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٥ - ٧٦]. إلى غير ذلك من الآيات في الباب وكما أنها ردُّ على شبه النصارى واليهود وغيرهم ففيها سدُّ عظيم لطرق الشرك وسبله من غلوٍّ وغير ذلك.

وهكذا القول في محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقد بيَّن الله تعالى في كتابه هدايةً لأُمَّته وردًّا على الطلبات التعجيزية من الكفار أن محمدًا عبدٌ ورسولٌ مبينٌ ردًّا على الغلاة والجفاة في حقه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فأخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** أن محمدًا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عبدٌ في عدة مواطن من القرآن فقال: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ﴾ [الإسراء: ١].

وبيَّن الله **عَزَّوَجَلَّ** أن محمدًا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بشرٌ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وبيَّن تعالى أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ



إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٥٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٥١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٥٢﴾ [سورة الجن: ٢١-٢٣].

قال ابن كثير رحمه الله: وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أَي: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ، وَعَبَدْتُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ فِي هِدَايَتِكُمْ وَلَا غَوَايَتِكُمْ، بَلِ الْمَرْجِعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَيْضًا أَنَّهُ لَا يُجِيرُهُ مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ، أَي: لَوْ عَصَيْتُهُ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَيَّ إِتْقَادِي مِنْ عَذَابِهِ، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ: لَا مَلْجَأَ. وَقَالَ قَتَادَةُ أَيْضًا: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أَي: لَا نَصِيرَ وَلَا مَلْجَأَ. وَفِي رِوَايَةٍ: لَا وِلْيَ وَلَا مَوْلَى. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٢٤٥).

وإذا كان هذا حال النبي الكريم العظيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف بغيره ممن يُدعى ويُرجى من دون الله تعالى؟ فهلا فقه عبَاد القبور ومن يسمونهم بالأولياء أو الأشراف أو السادة مثل هذه الأدلة التي أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه حجة على عباده، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

وفي جانب آخر جفا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أناسٌ ولم يعزروه ويوقروه، وقد بين الله تعالى حقه فقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٤﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [الأحزاب: ٥٤-٥٥]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْأَمِينِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا



أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ [الفتح: ٨-٩].

فحق النبي **صلى الله عليه وسلم** علينا عظيم، ومنزلته رفيعة، ومع ذلك هو عبدُ الله تعالى
يطاع بأمر الله ويتأسى به تعبدًا لله، ولا يجوز أن تصرف له شيء من العبادات.





بعض شمائل وخصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم

لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من الصفات الجليلة والمراتب الرفيعة ما تبين فضله على العالمين، وأنه أكرم الخلق وسيدهم أجمعين، فهو القائل: **«أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**، الحديث. أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، عن أبي هريرة، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**. وقد أكرم الله تعالى هذه الأمة أن بعث إليها محمداً **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وجعله ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ٤٤ **وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا** ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

ولقيامه بما أمره الله **عَزَّجَلَّ** رفع له قدره ووضع عنه وزره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ۖ ۝ ٢ ۝ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ﴾ [الشرح: ١-٤]، وقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۖ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۖ﴾ [الفتح: ١-٣].

ومن نعمة الله تعالى أن جعله حريصاً على المؤمنين، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وجعله رحمة للعالمين، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومن تأمل دعوته وطريقته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وجدها متضمنة لهذا المعنى العظيم، سواء كان ذلك في أقواله أم أفعاله أم عباداته، وكان **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حريصاً على هداية الناس عامة، وعشيرته خاصة حتى أنزل الله **عَزَّجَلَّ** في شأنه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].



فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْكُمْ»، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ، فَأُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَاتَجَوَّزُ بِمَا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ» متفق عليه.

فمن فضائله أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشريفًا له وتنويهاً بفضله في مواطن من كتابه:

أولها: موطن الإسراء قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

ثانيها: موطن إنزال الكتاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ثالثها: موطن الدعوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنذَرْتَهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

رابعها: موطن المعراج، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحٰى إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحٰى﴾ [النجم: ١٠]. فحريٌّ بمن هذه منزلته عند ربه أن تُدرس سيرته، وتُعرف أيامه، وأعوامه، فهو الرحمة المهداة والمنة من الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].



فأحیی الله به قلوبًا موتی، وبصَّر به من العمی قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

إلى غير ذلك مما يطول شرحه في هذه العُجالة، وقد تكلمت بشيء من التوسع عن فضائله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في كتاب «السيرة» عَجَّلَ اللهُ بِاتِّمَامِهِ، وفي كتابي «الزجر والبيان على دعاء التقارب بين الأديان»، والله الحمد والمنة.

ومما حدّاني إلى ذكر بعض الشمائل المحمدية أمور:

الأول: معرفة شمائل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، الخَلْقِيَّةِ وَالخُلُقِيَّةِ، لما في ذلك من الأهمية من حيث العلم والعمل، فهو القائل: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ» أخرجه مسلم، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، والقائل: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي» أخرجه البخاري من حديث مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الثاني: الاقتداء بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ حيث حوى الكثير من أوصاف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأخلاقه، ويكون هذا الشرح كالتفسير لتلك الآيات، ويدخل في ذلك موافقة مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ ومحابه.

قال القاضي عياض في «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (٤٥/١): قَالَ الْقَاضِي الْقَاضِي الْإِمَامُ أَبُو الْفَضْلِ وَفَقَّهُ اللهُ تَعَالَى وَسَدَّدَهُ: لَا خِفَاءَ عَلَيَّ مَنْ مَارَسَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ، أَوْ خُصَّ بِأَدْنَى لَمَحَاحَةٍ مِنَ الْفَهْمِ، بِتَعْظِيمِ اللهِ قَدْرَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُصُوصِهِ إِيَّاهُ بِفَضَائِلَ وَمَحَاسِنَ وَمَنَاقِبَ لَا تَنْضَبِطُ لِزِمَامٍ، وَتَنْوِيهِهِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ بِمَا تَكَلَّلَ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ وَالْأَقْلَامُ، فَمِنْهَا مَا صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: وَنَبَّهَ بِهِ عَلَيَّ جَلِيلِ نَصَائِهِ، وَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَأَدَابِهِ، وَخُصَّ الْعِبَادَ عَلَيَّ التَّزَامِهِ وَتَقَلُّدِ إِجَابِهِ، فَكَانَ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَوْلَى، ثُمَّ طَهَّرَ وَزَكَّى، ثُمَّ مَدَحَ بِذَلِكَ وَأَثْنَى، ثُمَّ أَثَابَ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، فَلَهُ الْفَضْلُ بَدَأًا وَعَوْدًا، وَالْحَمْدُ أَوْلَى وَأُخْرَى، وَمِنْهَا مَا أَبْرَزَهُ لِلْعِيَانِ مِنْ



حَلْفِهِ عَلَى أُمَّتٍ وَجُوهِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَتَخْصِيصِهِ بِالْمَحَاسِنِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْكَرِيمَةِ وَالْفَضَائِلِ الْعَدِيدَةِ وَتَأْيِيدِهِ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ وَالْكَرَامَاتِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا مَنْ عَاصَرَهُ، وَرَأَاهَا مَنْ أَدْرَكَهُ، وَعَلِمَهَا عِلْمٌ يَتَقَيَّنُ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، حَتَّى انْتَهَى عِلْمُ حَقِيقَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَفَاضَتْ أَنْوَارُهُ عَلَيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ.

الثالث: الرد على المخالفين لسبيل المؤمنين في حق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الرابع: إظهار شمائل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليقتردى به ويتعرف عليه عملاً بقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾ [الأحزاب: ٢١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

وذلك يعود لوجوب محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حيث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَاَلِدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». أخرجه البخاري ومسلم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومحبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تزداد في قلوب المؤمنين بمعرفتهم لشمائله وسيرته فقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

١- رحمة بالمؤمنين ولهم، وسماه الله رؤوفاً رحيماً، وأسمائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أعلام وأوصاف ففي «الصحاحين»: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءَ، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا



الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِِ الْكُفْرِ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُخَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَاءَ اللَّهُ رَعُوفًا رَحِيمًا».

٢- حريصًا على هدايتهم وإرشادهم إلى أقوم السبل، وأحسن الطرق، ففي

«صحيح مسلم» عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصَلِّحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَاقِبَتُهَا فِي أَوْلَاهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُتَكْرَمُ وَنَهَى، وَنَجِيءٌ فِتْنَةٌ فَيُرْفَقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَنَجِيءٌ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَنَجِيءٌ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَدْيَةٌ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيئَتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمَرَةً قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخِرُ يُبَارِزُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ». أخرجه مسلم (١٨٤٤).

٣- ذا خلق عظيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، وذلك لتخلقه

بالقرآن، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» أخرجه مسلم، وهو القائل: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» أخرجه أحمد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- شجاعًا، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْجَعَ

النَّاسِ». متفق عليه، وقيل للبراء: «أَفْرَزْتُمْ عَن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ الْبَرَاءُ: وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ»، متفق عليه، وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّا كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ - وَيُرْوَى اشْتَدَّ الْبَأْسُ - وَاحْمَرَّتِ الْحَدَقُ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ»، وَقَالَ: «وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمَ بَدْرٍ



وَنَحْنُ نَلُودُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمِيذٍ بِأَسَا».

وقال القاضي عياض في «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (١/٢٣٥): وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمَا بِالْمَكَانِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ قَدْ حَصَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ وَفَرَ الْكُمَاهُ وَالْأَبْطَالَ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرُحُ وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا يَتَرَخِزُحُ، وَمَا سُجَّاعٌ إِلَّا وَقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ فِرَّةٌ وَحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ سِوَاهُ. اهـ.

٥- كريماً، قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا». أخرجه مسلم، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ»، متفق عليه، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَقْرَ». أخرجه مسلم.

٦- حيياً، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِ مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا» أخرجه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

٧- بشوشاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وَقَالَ جَرِيرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ اسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ» متفق عليه.

٨- غضبه لله، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُتْهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»، متفق عليه، فكان لا يغضب لنفسه صَلَّى اللهُ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ تُتْهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَغْضِبُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، أَخْذًا بِقَوْلِ اللَّهِ: ﴿حُذِ الْمَعْفَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].



٩- نظيفاً طيباً، قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «هَذَا عَرَقُكَ نَجَعَلُهُ فِي طَبِينَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيْبِ». أخرجه، وفي حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «... فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ». أخرجه مسلم (٢٣٢٩).

١٠- جميلاً، فقد تميز بصفات جميلة جليلة خُلِقِيَّةٌ وَخُلِقِيَّةٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على ما ترى، وكان وجهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كالسيف بريقاً وكالقمر استدارةً ولم يكن بالطويل ولا بالقصير ولكن بين ذلك.

١١- فصيحاً، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ». أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣)، وكان إذا تكلم تكلم ثلاثاً، وإذا سلم سلم ثلاثاً.

١٢- شريفاً، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ، إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». أخرجه الترمذي (٣٦٥)، وأصله في مسلم (٢٢٧٦)، وفي قصة أبي سفيان مع هرقل: «... قَالَ هِرَقْلٌ: كَيْفَ نَسَبُهُ فَيْكُمْ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ...، فَقَالَ هِرَقْلٌ: فَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا»، متفق عليه.

١٣- وفيّاً، فهو القائل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»، خرجته في تحقيق «الإيمان» لابن أبي شيبة رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو القائل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نَفِي لَّهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ» أخرجه مسلم (١٧٨٧)، عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



١٤- متواضعًا، فقد خيره الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بين أن يكون ملكًا رسولًا أو عبدًا رسولًا، فاختر أن يكون عبدًا رسولًا، وهو القائل: **«إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، أَكُلُّ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»**، أخرجه أبو يعلى عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وله طرق عن غيرها. أمينا، قَالَ تَعَالَى: **﴿مُطَاعٌ تَمَّ آمِينَ﴾**، على تفسير من فسرها بأنه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَا تَأْمُونِي، وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ»**. أخرجاه عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وكانت قريش تلقبه بالأمين قبل مبعثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

١٦- عادلاً، فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خَبْتُ وَخَيْرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ»**. متفق عليه، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

١٧- صادقًا، فقد كانت قريش تلقبه بالصادق، وهو الذي قال لهم: هل جربتم علي كذبا؟ قالوا: لا. وقال هرقل لابي سفيان: **«... هَلْ كُنتُمْ تَتَهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟»** قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **فَذَكَرْتُ أَنْ لَا، قَالَ هِرَقْلُ: فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ...»**، الحديث. أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

١٨- وأما خوفه من ربه وحسن عبادته فهو القائل: **«قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَنْتَقِئُكُمْ بِاللَّهِ وَأُضَدُّكُمْ وَأَبْرِكُكُمْ»** فكان متصفاً بكل خلق نبيل متزهاً عن كل رذيل.

١٩- صبورًا شكورًا، فقد كان يصلي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَفْطَرَ قَدَمَاهُ، وَيَقُولُ: **«أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»**. أخرجاه عن الْمُغِيرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وانفرد به مسلم عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** وفيه كلام، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ



الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»، أخرجه البخاري (٣٤٧٧).

٢٠- وكاملاً متميزاً بجميع صفات الكمال الخلقية والخلقية.

ودراسة حياة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ القولية، والفعلية، والاعتقادية، والخلقية، والخلقية، هي دراسة لدين الإسلام الذي أنزله الله **عَزَّوَجَلَّ** على محمد الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والتابعين.

ثانياً: سدُّ ذريعة اتباع الهوى:

ومن سد ذرائع الشرك، البعد عن إتيان الهوى، فإن أغلب ما جرَّ الكفار إلى عبادة غير الله **عَزَّوَجَلَّ** والرضا بالطاغوت وعبادته، لهو إتيان الهوى والركون إلى أهله، ولهذا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَرَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال الراغب رَحِمَهُ اللهُ: الهوى: ميل النفس إلى الشهوة. ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل: سمِّي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية، والهوي: سقوط من علو إلى سفلى، وقوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩] قيل: هو مثل قولهم: هوت أمه أي: ثكلت. وقيل: معناه مقره النار، والهاوية: هي النار، وقيل: ﴿وَأَفْعِدْتُهُمْ هَوَاهُ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أي: خالية كقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوسَى فَرِغًا﴾ [القصص: ١٠]، وقد عظم الله تعالى ذم إتيان الهوى، فقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [ص: ٢٦]، ﴿وَأَتَّبِعْ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦] وقوله: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] فإنما قاله بلفظ الجمع تنبيها على أن لكل واحد هوى غير هوى الآخر، ثم هوى كل واحد لا يتناهى، فإذا إتيان أهوائهم نهاية الضلال والحيرة، وقال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾



[الجاثية: ١٨]، ﴿كَأَنِّي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأنعام: ٧١] أي: حملته على إتباع الهوى.
 ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾ [المائدة: ٧٧]، ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعْ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَّكَ﴾
 [الأنعام: ٥٦]، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الشورى: ١٥]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ
 مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]. اهـ. «مفردات غريب القرآن»
 للأصفهاني (٥٤٨).

وقال الشوكاني رحمه الله: ثُمَّ عَجِبَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَالِ الْكُفَّارِ فَقَالَ: ﴿أَفَرَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ
 إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: ذَلِكَ الْكَافِرُ اتَّخَذَ دِينَهُ مَا يَهْوَاهُ فَلَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا
 رَكِبَهُ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: يَعْبُدُ مَا يَهْوَاهُ أَوْ يَسْتَحْسِنُهُ، فَإِذَا اسْتَحْسِنَ شَيْئًا وَهَوِيَهُ اتَّخَذَهُ إِلَهًا.
 قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: كَانَ أَحَدُهُمْ يَعْبُدُ الْحَجَرَ، فَإِذَا رَأَى مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ رَمَى بِهِ وَعَبَدَ
 الْآخَرَ. ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمِهِ﴾ أَي: عَلَىٰ عِلْمٍ قَدْ عَلِمَهُ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى: أَضَلَّهُ عَنِ الثَّوَابِ
 عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ بِأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّهُ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ أَنَّهُ ضَالٌّ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الصَّنَمَ
 لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ. قَالَ الزَّجَّاجُ: عَلَىٰ سُوءٍ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ ضَالٌّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ. اهـ. «فتح
 القدير» (٦/٤٤١-٤٤٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (١٣) أَمْ
 تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (١٤)
 [الفرقان: ٤٣-٤٤].

قال الشوكاني رحمه الله: ثُمَّ بَيَّنَّ لَهُمْ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا تَمَسُّكَ لَهُمْ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ سِوَى
 التَّقْلِيدِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، فَقَالَ مُعْجَبًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ
 هَوَاهُ﴾، أَي: أَطَاعَ هَوَاهُ طَاعَةً كَطَاعَةِ الْإِلَهِ، أَي: انْظُرْ إِلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ وَتَعَجَّبْ مِنْهُ. قَالَ
 الْحَسَنُ: مَعْنَى الْآيَةِ لَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا اتَّبَعَهُ ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ الْإِسْتِنْفَهَامُ
 لِلْإِنْكَارِ وَالِاسْتِبْعَادِ، أَي: أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ حَفِيزًا وَكَفِيلًا حَتَّى تَرُدَّهُ إِلَى الْإِيمَانِ



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



وَتُخْرِجُهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَكُنْتَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا تُطِيقُهُ، فَلَيْسَتْ الْهِدَايَةُ وَالصَّلَاةُ مَوْكُولَتَيْنِ إِلَيَّ مَشِيئَتِكَ، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ الْقِتَالِ.

ثُمَّ انْتَقَلَ سُبْحَانَهُ مِنَ الْإِنْكَارِ الْأَوَّلِ إِلَى الْإِنْكَارِ آخَرَ فَقَالَ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ أَي: أَتَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ مَا تَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَمِنَ الْمَوَاعِظِ، أَوْ يَعْقِلُونَ مَعَانِي ذَلِكَ وَيُفْهِمُونَهُ حَتَّى تَعْتَبِي بِشَأْنِهِمْ وَتَطْمَعَ فِي إِيْمَانِهِمْ، لَيْسُوا كَذَلِكَ، بَلْ هُمْ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْقِلُ. ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ حَالَهُمْ وَقَطَعَ مَادَّةَ الطَّمَعِ فِيهِمْ فَقَالَ: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ أَي: مَا هُمْ فِي الْإِنْتِفَاعِ بِمَا يَسْمَعُونَهُ إِلَّا كَالْبَهَائِمِ الَّتِي هِيَ مَسْئُوبَةُ الْفَهْمِ وَالْعَقْلِ فَلَا تَطْمَعُ فِيهِمْ، فَإِنَّ فَائِدَةَ السَّمْعِ وَالْعَقْلِ مَفْقُودَةٌ، وَإِنْ كَانُوا يَسْمَعُونَ مَا يُقَالُ لَهُمْ وَيَعْقِلُونَ مَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ كَانُوا كَالْفَاقِدِ لَهُ. ثُمَّ أَضْرَبَ سُبْحَانَهُ عَنِ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ كَالْأَنْعَامِ إِلَى مَا هُوَ فَوْقَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أَي: أَضَلُّ مِنَ الْأَنْعَامِ طَرِيقًا. قَالَ مُقَاتِلٌ: الْبَهَائِمُ تَعْرِفُ رَبَّهَا وَتَهْتَدِي إِلَى مَرَاعِيهَا وَتَقْدَأُ لِأَرْبَابِهَا، وَهَؤُلَاءِ لَا يَتَقَادُونَ وَلَا يَعْرِفُونَ رَبَّهُمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَرَزَقَهُمْ. وَقِيلَ: إِنَّمَا كَانُوا أَضَلَّ مِنَ الْأَنْعَامِ، لِأَنَّهُ لَا حِسَابَ عَلَيْهَا وَلَا عِقَابَ لَهَا، وَقِيلَ: إِنَّمَا كَانُوا أَضَلَّ لِأَنَّ الْبَهَائِمَ إِذَا لَمْ تَعْقِلْ صِحَّةَ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ لَمْ تَعْتَقِدْ بَطْلَانَ ذَلِكَ، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا الْبَطْلَانَ عِنَادًا وَمُكَابَرَةً غَمَطًا لِلْحَقِّ. اهـ. «فتح القدير» (٥/ ٢٧٩-٢٨٠).

وقد قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ



أُولِيَائِهِ بَعْضٌ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ [الجاثية: ١٨-١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥].

وكم بين الله **عَزَّوَجَلَّ** في كتابه خطر إتياع الهوى وحذر من إتياع أهواء المشركين والمعرضين عن دين الله **عَزَّوَجَلَّ**، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]. هذا حال اليهود مع أنبيائهم.

ثم بين الله تعالى خطورة إتياع أهواء الكفار من أهل الكتاب وغيرهم فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وَقَالَ: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٦]، وَقَالَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وَقَالَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠]، وَقَالَ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَائِهِ بَعْضٌ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الجاثية: ١٨-١٩]، وَقَالَ: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وكل هذه الآيات ما لم تذكر لتدل دلالة صريحة على أن إتياع الهوى سبب الشرك، فلذلك حرمه الله تعالى سداً للذريعة وإقامة للشريعة.



ثالثًا: من سدّ ذرائع الشرك تقديم النقل على العقل:

ومن ذلك: أن الله **عَزَّوَجَلَّ** أمر بالعودة إلى الكتاب والسنة، وخالف في ذلك المشركون ومن إليهم فقدموا العقل على النقل فضلوا ضلالًا بعيدًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. [النساء: ٥٩].

قال ابن كثير رحمه الله: وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرٌ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَي: إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ. وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ، **عَزَّوَجَلَّ**، بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ تَنَازَعَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ أَنْ يَرُدَّ التَّنَازُعَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] فَمَا حَكَمَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ وَشَهِدَا لَهُ بِالصَّحَّةِ فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَاذَا بَعُدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أَي: رَدُوا الْخُصُومَاتِ وَالْجِهَالَاتِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، فَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِمَا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَكُمْ ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَحَاكَمْ فِي مَجَالِ النَّزَاعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا يَرْجِعَ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ، فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أَي: التَّحَاكُمُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ. وَالرُّجُوعُ فِي فَصْلِ النَّزَاعِ إِلَيْهِمَا خَيْرٌ ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٦) أَي: وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمَالًا كَمَا قَالَهُ السُّدِّيُّ وَغَيْرٌ وَاحِدٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَأَحْسَنُ جَزَاءً. وَهُوَ قَرِيبٌ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٤٥-٣٤٦).



وأما تقديم العقل على النقل فهو قول مخالف لدلالة العقل والنقل معاً. فلو كانت العقول تهدي السبيل مجردة لكان إنزال الكتاب وإرسال الرسول تحصيل حاصل، بل إن الله أنزل الكتاب وأرسل الرسول وجعل وحيه وتنزيله هو ما يتحتم الأخذ به بعيداً عن الأهواء المضلة والفتن المزلّة، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَالَّذِي نَزَّلَ عَلٰى رَسُوْلِهِ ءَالَّذِي اَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ وَاليَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللّٰهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِيْنٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِيْ بِهٖ اللّٰهُ مِنَ اَنْتَبَعِ رِضْوَانَهٗ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ بِاِذْنِهٖ وَيَهْدِيْهِمْ اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ رُوْحًا مِّنْ اَمْرًا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا اَلْكِتٰبُ وَلَا الْاٰيْمٰنُ وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهٗ نُورًا تَهْدِيْ بِهٖ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَاِنَّكَ لَتَهْدِيْ اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُوْرِ وَهٰذِيْ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [يونس: ٥٧].

وكم من الآيات البيّنات والأحاديث الصحيحة الواضحات في وجوب الأخذ بالكتاب والسنة.

وما ثبت وأجمع عليه سلف الأمة ولم يرد في دليل واحد نصّاً، ولا ظاهراً، بالأخذ بالعقل فضلاً عن تقديمه على النقل، فيا لله كم من عبدٍ انحرف عن سواء السبيل بسبب هذا الطاغوت الذي لا يدل عليه دليل من سنة ولا تنزيل وقد تكلم العلماء في بيان ضلال هذا الطاغوت بكلام كثير يشفي العليل ويروي الغليل يتابعه من أراد أكثر مما ذكر.



رابعًا: سد ذريعة تشييد القبور واتخاذها مساجد:

ومن ذلك نبيه عن اتخاذ القبور مساجد بحيث يصلى إليها أو عندها، وما ذلك إلا ما تفضي إليه هذه البدعة من الشرك العظيم، وقد زعم عبّاد القبور أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إنما نهى عن الصلاة في المقبرة خشية النجاسة، وهذا قول عاري من الصحة، بل الكتاب والسنة والنظر يرده. وإنما نهى عنه سدًا لذريعة الشرك الذي لا يغفره الله.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ فِي شرحه على كتابه التوحيد:

قوله: «باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟». أي الرجل الصالح؛ فإن عبادته هي الشرك الأكبر. وعبادة الله عنده وسيلة إلى عبادته، ووسائل الشرك محرمة؛ لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر وهو أعظم الذنوب.

قوله: "في الصحيح: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّورِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَيَّ قَبْرَهُ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ». فهو لاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل".

قوله: «في الصحيح» أي الصحيحين.

قوله: «أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ» هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية، تزوجها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أبي سلمة سنة أربع، وقيل: ثلاث؛ وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة ماتت سنة اثنتين وستين.

قوله: «ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ» وفي الصحيحين: «أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا ذَلِكَ

لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». و«الكنسية» بفتح الكاف وكسر النون: معبد النصراني.



قوله: «**أَوْلَيْتِكَ**» بكسر الكاف، خطاب للمرأة.

قوله: «**قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوْ الْعَبْدُ الصَّالِحُ**» هذا - والله أعلم - شك من بعض رواة الحديث: هل قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هذا أو هذا؟ ففيه التحري في الرواية. وجواز الرواية بالمعنى.

قوله: «**وَصَوِّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ**» الإشارة إلى ما ذكرت أم سلمة، وأم حبيبة من التصاوير التي في الكنيسة.

قوله: «**أَوْلَيْتِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ**» وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد على القبور، وقد لعن **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من فعل ذلك كما سيأتي.

قَالَ الْبَيْضاوِيُّ: لَمَّا كَانَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَسْجُدُونَ لِقُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِمْ وَيَجْعَلُونَهَا قِبْلَةً يَتَوَجَّهُونَ فِي الصَّلَاةِ نَحْوَهَا، وَاتَّخَذُوهَا أَوْثَانًا لَعَنَهُمُ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

قال القرطبي: وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بها ويتذكروا أعمالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم؛ ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها. فحذر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن مثل ذلك، سدا للذريعة المؤدية إلى ذلك.

قوله: «**فهؤلاء جمعوا بين الفنتين: فنتة القبور وفتنة التماثيل**» هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى**، ذكره المصنف **رَحِمَهُ اللَّهُ** تنبيهًا على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل؛ فإن الفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام أو أشد.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن اتخاذ المساجد على القبور؛ لأنها هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك. فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك؛ فإن الشرك بقبر الرجل الذي يُعتقد



صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر. ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السَّحَر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد؛ فلأجل هذه المفسدة حسم النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقات يقصد فيها المشركون الصلاة للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذ وإن لم يقصد ما قصده المشركون؛ سداً للذريعة. وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركاً بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله؛ فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لعن من اتخذها مساجد، فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك: الصلاة عندها واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها. وقد تواترت النصوص عن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه. وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة. وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك. وطائفة أطلقت الكراهة والذي ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم؛ إحساناً للظن بالعلماء، وأن لا يظن بهم أن يُجَوِّزوا فعل ما تواتر عن رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لعن فاعله والنهي عنه. اهـ كلامه **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى**.

قوله: ولهما عنها، أي: عَنْ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**، قالت: "لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، طَفِقَ يَطْرُحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا"، فَقَالَ وَهُوَ



كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، يُحَدِّثُونَ مَا صَنَعُوا». ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً" أخرجاه.

قوله: «لَمَّا نُزِّلَ» هو بضم النون وكسر الزاي. أي نزل به ملك الموت والملائكة الكرام عليهم السلام.

قوله: «طَفِقَ» بكسر الفاء وفتحها، والكسر أفصح. وبه جاء القرآن، ومعناه جعل.

قوله: «خَمِيصَةً» بفتح المعجمة والصاد المهملة. كساء له أعلام.

قوله: «فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا» أي عن وجهه.

قوله: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يبين أن من فعل مثل ذلك حل عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى.

قوله: «يُحَدِّثُونَ مَا صَنَعُوا» الظاهر أن هذا من كلام عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لأنها فهمت من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك تحذير أمته من هذا الصنيع الذي كانت تفعله اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم؛ فإنه من الغلو في الأنبياء، ومن أعظم الوسائل إلى الشرك. ومن غربة الإسلام أن هذا الذي لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعليه - تحذيراً لأُمَّته أن يفعلوه معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع الصالحين من أمته - قد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة، واعتقدوه قرابة من القربات، وهو من أعظم السيئات والمنكرات، وما شعروا أن ذلك محادّة لله ورسوله.

قال القرطبي في معنى الحديث: وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام. انتهى.

إذ لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه وعبادة الصنم، وتأمل قول الله تعالى عن نبيه يوسف بن يعقوب حيث قال: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق النفي تعم كل شرك.



قوله: «ولولا ذلك» أي ما كان يحذر من اتخاذ قبر النبي **صلى الله عليه وسلم** مسجدًا لأبرز قبره، وجعل مع قبور الصحابة الذين كانت قبورهم في البقيع.
قوله: "غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا، روي بفتح الخاء وضمها، فعلى الفتح يكون هو الذي خشي ذلك **صلى الله عليه وسلم** وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه".

وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة، فلم يبرزوا قبره، خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة غلوًا وتعظيمًا بما أبدئ وأعاد من النهي والتحذير منه ولعن فاعله.

قال القرطبي: "ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي **صلى الله عليه وسلم** فأعلوا حيطان تربته وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره **صلى الله عليه وسلم** ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين، فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يمكنوا أحدًا من استقبال قبره". انتهى.

قوله: "ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»".

قوله: «عن جندب بن عبد الله»: أي ابن سفيان البجلي، وينسب إلى جده، صحابي مشهور، مات بعد الستين.



قوله: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ» أي: أمتنع عما لا يجوز لي أن أفعله، والخلة فوق المحبة، والخليل هو المحبوب غاية الحب، مشتق من الخلة - بفتح الخاء - وهي تخلل المودة في القلب، كما قال الشاعر:

قَدْ تَخَلَّلَتْ مَسَلِّكَ الرُّوحَ مِنِّي ❀❀ ❀❀ وَبِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا

هذا هو الصحيح في معناها. كما ذكره شيخ الإسلام وابن القيم وابن كثير وغيرهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

قال القرطبي: "وإنما كان ذلك؛ لأن قلبه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته فلا يسع خلة غيره".

قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا» فيه بيان أن الخلة فوق المحبة، قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ:** وَأَمَّا مَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الْغَالِطِينَ - أَنَّ الْمَحَبَّةَ أَكْمَلُ مِنَ الْخُلَّةِ، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ، وَمُحَمَّدًا حَبِيبُ اللَّهِ - فَمِنْ جَهْلِهِ، فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ عَامَّةٌ، وَالْخُلَّةَ خَاصَّةٌ، وَالْخُلَّةَ نَهَايَةُ الْمَحَبَّةِ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَنَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ خَلِيلٌ غَيْرُ رَبِّهِ مَعَ إِخْبَارِهِ بِحُبِّهِ لِعَائِشَةَ وَلِأَيُّهَا وَلِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَغَيْرِهِمْ، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وَأَيْضًا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، و﴿يُحِبُّ الصَّادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وَخُلَّتْهُ خَاصَّةً بِالْخَلِيلَيْنِ. اهـ.

قوله: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»، فيه بيان: أن الصديق أفضل الصحابة، وفيه الرد على الرافضة وعلى الجهمية وهما شر أهل البدع، وأخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد. قاله المصنف **رَحِمَهُ اللَّهُ**، وهو كما قال بلا ريب.



وفيه إشارة إلى خلافة أبي بكر؛ لأن من كانت محبته لشخص أشد كان أولى به من غيره، وقد استخلفه على الصلاة بالناس، وغضب **صلى الله عليه وسلم** لما قيل يصلي بهم عمر، وذلك في مرضه الذي توفي فيه **صلى الله عليه وسلم**.

واسم أبي بكر: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة الصديق الأكبر، خليفة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأفضل الصحابة بإجماع من يعتد بقوله من أهل العلم. مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة **رضي الله عنه**.

قوله: «**ألا**» حرف استفتاح «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد**» الحديث. **قال الخليلي**: وإنكار النبي **صلى الله عليه وسلم** صنيعهم هذا مخرج على وجهين:

أحدهما: أنهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً.

الثاني: أنهم يجوزون الصلاة في مدافن الأنبياء والتوجه إليها حالة الصلاة، نظراً منهم بذلك إلى عبادة الله والمبالغة في تعظيم الأنبياء. والأول: هو الشرك الجلي. والثاني: الخفي. فلذلك استحقوا اللعن.

قوله: «**فقد نبى عنه في آخر حياته**»: أي كما في حديث جندب. وهذا من كلام شيخ الإسلام. وكذا ما بعده. ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله. والصلاة عندها من ذلك وإن لم يُنَّ مسجد.

قلت: فكيف يسوغ بعد هذا التعليل من سيد المرسلين أن تعظم القبور ويبنى عليها، ويصلى عندها وإليها؟ هذا أعظم مشاقة ومحادة لله تعالى ولرسوله لو كانوا يعقلون.

قوله: «**الصلاة عندها من ذلك، وإن لم بين مسجداً**»: أي من اتخاذها مساجد الملعون فاعله. وهذا يقتضي تحريم الصلاة عند القبور وإليها، وعن أبي سعيد



الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعاً: «الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمُقْبِرَةَ وَالْحِمَامَ» رواه أحمد، وأهل السنن، وصححه ابن حبان، والحاكم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقاصده، جزم جزماً لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغته، صيغة «لا تفعلوا»، وصيغة «إني أنهاكم عن ذلك»، ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أو عُدْم من «لا إله إلا الله» فإن هذا وأمثاله من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه، وهو معنى قولها: «خشي أن يتخذ مسجداً»؛ فإن الصحابة لم يكونوا يلبسوا حول قبره مسجداً. وكل موضع قُصد الصلاة فيه فقد أُتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً».

أن يعدل به سواه، فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكاباً لنهييه، وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين. وكلما كتتم لها أشد تعظيماً وأشد فيهم غلواً كتتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد، ولعمر الله، من هذا الباب دخل الشيطان على عبّاد يعوق ويغوث ونسر؛ ودخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة؛ فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم، فهدى الله أهل التوحيد لسلك طريقتهم وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم. اهـ

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: وممن علل بخوف الفتنة بالشرك: الإمام الشافعي، وأبو بكر الأثرم، وأبو محمد المقدسي، وشيخ الإسلام وغيرهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وهو الحق الذي لا ريب فيه.



قوله: «**فإن الصحابة لم يكونوا لينوا حول قبره مسجداً**»: أي لما علموا من تشديده في ذلك وتغليظه النهي عنه، ولعن من فعله.

قوله: «**وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً**»: أي وإن لم يبن مسجد، بل كل موضع يصلي فيه يسمى مسجداً، يعني وإن لم يقصد بذلك، كما إذا عرض لمن أراد أن يصلي فأوقع الصلاة في ذلك الموضع الذي حانت الصلاة عنده من غير أن يقصد ذلك الموضع بخصوصه، فصار بفعل الصلاة فيه مسجداً.

قوله: كما قال **صلى الله عليه وسلم**: «**جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً**» أي فسمى الأرض مسجداً، تجوز الصلاة في كل بقعة منها إلا ما استثنى من المواضع التي لا تجوز الصلاة فيها، كالمقبرة ونحوها.

قال البغوي في شرح السنة: "أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعهم وكنائسهم؛ فأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا، تخفيفاً عليهم وتيسيراً، ثم خص من جميع المواضع: الحمام والمقبرة والمكان النجس". انتهى.

قوله: "ولأحمد بسند جيد، عن ابن مسعود **رضي الله عنه** مرفوعاً: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»، ورواه ابن حبان في «**صحيحه**»".

قوله: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ**» بكسر الشين جمع شرير.

قوله: «**مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ**» أي مقدماتها، كخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها. وبعد ذلك ينفخ في الصور نفخة الفزع.

قوله: «**وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»، أي وإن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد أي بالصلاة عندها وإليها، وبناء المساجد عليها، وتقدم في الأحاديث الصحيحة أن هذا من عمل اليهود والنصارى، وأن النبي **صلى الله عليه وسلم** لعنهم على



ذلك، تحذيرًا للأمة أن يفعلوا مع نبيهم وصالحهم مثل اليهود والنصارى. فما رفع أكثرهم بذلك رأسًا، بل اعتقدوا أن هذا الأمر قربة لله تعالى، وهو مما يبعدهم عن الله ويطردهم عن رحمته ومغفرته. والعجب أن أكثر من يدعي العلم ممن هو من هذه الأمة لا ينكرون ذلك، بل ربما استحسنوه ورغبوا في فعله، فلقد اشتدت غربة الإسلام وعاد المعروف منكراً والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير.

قال شيخ الإسلام: أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه، متابعة للأحاديث الصحيحة. وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه، قال: ولا ريب في القطع بتحريمه.

ثم ذكر الأحاديث في ذلك، إلى أن قال: وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين، أو الملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو غيره. هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين. اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: يجب هدم القباب التي بنيت على القبور؛ لأنها أسست على معصية الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما في القرافة من الأبنية، منهم ابن الجميزي والظهير الترميني وغيرهما.

وقال القاضي ابن كج: ولا يجوز أن تجصص القبور، ولا أن يبنى عليها قباب، ولا غير قباب، والوصية بها باطلة.

وقال الأذري: وأما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الأبنية وإنفاق الأموال الكثيرة، فلا ريب في تحريمه.

وقال القرطبي في حديث جابر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:** «بِهِ أَنْ يُجْصَّصَ الْقَبْرُ أَوْ يُبْنَى عَلَيْهِ»: وبظاهر هذا الحديث قال مالك، وكره البناء والجصص على القبور، وقد أجازه غيره، وهذا الحديث حجة عليه.



وقال ابن رشد: كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة المكتوبة، وهو من بدع أهل الطول، أحدثوه إرادة الفخر والمباهاة والسمعة، وهو مما لا اختلاف عليه.

وقال الزيلعي في شرح الكنز: ويكره أن يبنى على القبر، وذكر قاضي خان: أنه لا يجصص القبر ولا يبنى عليه؛ لما روي عن النبي **صلى الله عليه وسلم** أنه نهى عن التجصيص والبناء فوق القبر. والمراد بالكرهة - عند الحنفية رَحْمَهُمُ اللهُ - كراهة التحريم. وقد ذكر ذلك ابن نجيم في شرح الكنز.

وقال الشافعي رَحْمَةُ اللهِ: أكره أن يعظم مخلوق، حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس، وكلام الشافعي **رَحْمَةُ اللهِ** يبين أن مراده بالكرهة كراهة التحريم.

قال الشارح رَحْمَةُ اللهِ تعالى: وجزم النووي **رَحْمَةُ اللهِ** في شرح المهذب بتحريم البناء مطلقاً، وذكر في شرح مسلم نحوه أيضاً.

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة إمام الحنابلة صاحب المصنفات الكبار كالمغني، والكافي وغيرهما **رَحْمَةُ اللهِ** تعالى: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى» الحديث، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام: تعظيم الأموات واتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها. انتهى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللهِ: وأما المقبرة فلا فرق فيها بين الجديدة والعتيقة، انقلبت تربتها أو لم تنقلب. ولا فرق بين أن يكون بينه وبين الأرض حائل أو لا؛ لعموم الاسم وعموم العلة؛ ولأن النبي **صلى الله عليه وسلم** لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ومعلوم أن قبور الأنبياء لا تنجس. اهـ

وبالجملة فمن علل النهي عن الصلاة في المقبرة بنجاسة التربة خاصة فهو بعيد عن مقصود النبي **صلى الله عليه وسلم**، ثم لا يخلو أن يكون القبر قد بني عليه مسجد، فلا



يصلي في هذا المسجد سواء صلى خلف القبر أو أمامه بغير خلاف في المذهب؛ لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**». وخص قبور الأنبياء لأن عكوف الناس على قبورهم أعظم؛ واتخاذها مساجد أشد، وكذلك إن لم يكن عليه بني مسجد، فهذا قد ارتكب حقيقة المفسدة التي كان النهي عن الصلاة عند القبور من أجلها، فإن كل مكان صلي فيه يسمى مسجداً، كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً**». وإن كان موضع قبر أو قبرين، وقال بعض أصحابنا: لا يمنع الصلاة فيها؛ لأنه لا يتناولها اسم المقبرة، وليس في كلام أحمد ولا بعض أصحابه هذا الفرق، بل عموم كلامهم يقتضي منع الصلاة عند كل قبر، وقد تقدم عن علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه قال: «**لا أصلي في حمام ولا عند قبر**».

فعلى هذا ينبغي أن يكون النهي متناولاً لتحريم القبر وفنائه، ولا تجوز الصلاة في مسجد بني في مقبرة، سواء كان له حيطان تحجز بينه وبين القبور أو كان مكشوفاً. **قال في رواية الأثرم**: إذا كان المسجد بين القبور لا يصلى فيه الفريضة، وإن كان بينها وبين المسجد حاجز فرخص أن يصلى فيه على الجنائز، ولا يصلى فيه على غير الجنائز. وذكر حديث أبي مرثد عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**لَا تُصَلُّوا عَلَى الْقُبُورِ**». وقال: إسناده جيد. انتهى.

ولو تتبعنا كلام العلماء في ذلك لاحتمل عدة أوراق. فتبين بهذا أن العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ بينوا أن علة النهي ما يؤدي إليه ذلك من الغلو فيها وعبادتها من دون الله كما هو الواقع والله المستعان.

وقد حدث بعد الأئمة الذين يعتد بقولهم أناس كثير في أبواب العلم بالله اضطرابهم، وغلظ عن معرفة ما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم حجابهم، فقيدوا نصوص الكتاب والسنة بقيود أوهنت الانقياد، وغيروا بها ما قصده الرسول



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنهي وأراد، فقال بعضهم: النهي عن البناء على القبور يختص المقبرة المسبلة، والنهي عن الصلاة فيها لتنجسها بصديد الموتى، وهذا كله باطل من وجوه: منها: أنه من القول على الله بلا علم، وهو حرام بنص الكتاب.

ومنها: أن ما قالوه لا يقتضي لعن فاعله والتغليظ عليه، وما المانع له أن يقول: من صلى في بقعة نجسة فعليه لعنة الله، ويلزم على ما قاله هؤلاء أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لم يبين العلة، وأحال الأمة في بيانها على من يجيء بعده **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وبعد القرون المفضلة والأئمة، وهذا باطل قطعاً وعقلاً وشرعاً؛ لما يلزم عليه من أن الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عجز عن البيان أو قصر في البلاغ، وهذا من أبطل الباطل؛ فإن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بلغ البلاغ المبين، وقدرته في البيان فوق قدرة كل أحد، فإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

ويقال أيضاً: هذا اللعن والتغليظ الشديد إنما هو فيمن اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وجاء في بعض النصوص ما يعم الأنبياء وغيرهم، فلو كانت هذه هي العلة لكانت متنتية في قبور الأنبياء، لكون أجسادهم طرية لا يكون لها صديد يمنع من الصلاة عند قبورهم، فإذا كان النهي عن اتخاذ المساجد عند القبور يتناول قبور الأنبياء بالنص، علم أن العلة ما ذكره هؤلاء العلماء الذين قد نقلت أقوالهم، والحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. انتهى من «فتح المجيد» (٢٢٩-٢٤٤).

خامساً: سد ذريعة الشرك بالنهي عن العصبية:

ومن ذلك: العصبية وهي داخلة تحت التقليد فإن الكفار تعصبوا لبعضهم ولقومهم ولآلهتهم فما زالوا في غيهم يعمون وللباطل معاقرون ومعاشرون، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** هادياً للتي هي أقوم ومحذراً من هذا الداء العضال: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي



قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَيْثَ الْجَهْلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿[الفتح: ٢٦].﴾

وقد أمر الله **عَزَّجَلَّ** بالأخوة فيه فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

سادسًا: سد ذريعة الشرك بالنهي عن مودة الكفار:

وحرّم الله تقليد الكافرين ومودتهم ومشابهم لما يجر ذلك من كل شر، قَالَ تَعَالَى: ﴿* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٦﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَعُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَحْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَقْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٠﴾﴾ [المتحنة: ١].

سابعًا: سد ذريعة الشرك بعبادة الله في أماكن عبادة المشركين:

وكذلك حرّم الله تعالى التبعّد له في أماكن عبادتهم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَلْحُسُوفَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٣٧﴾﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ



يُجِبُونَ أَنْ يَتَّظَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٣٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤٠﴾ [التوبة: ١٣٧-١٤٠].

وقد بَوَّبَ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب **رَحْمَةُ اللَّهِ** في كتابه التوحيد: باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟
ثامناً: سد ذريعة الشرك بتحريم التقليد:

وحرَّم الله التقليد وهو باب من أبواب الشرك العظام، قَالَ اللهُ تَعَالَى مخبراً عن الكفار: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٦١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٦٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٦٣﴾ * قُلْ أُولَٰئِكَ جَحِشْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزخرف: ٦١-٦٥].

قال الشوكاني رَحْمَةُ اللَّهِ: ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ بِأَيْدِيهِمْ وَلَا شُبْهَةَ وَلَكِنَّهُمْ اتَّبَعُوا آبَاءَهُمْ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ فاعترفوا بأنه لا مُسْتَنَدَ لَهُمْ سِوَى تَقْلِيدِ آبَائِهِمْ، وَمَعْنَى ﴿عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾: عَلَى طَرِيقَةٍ وَمَذْهَبٍ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هِيَ الطَّرِيقَةُ وَالِدِينُ، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَالْأُمَّةُ الطَّرِيقَةُ وَالِدِينُ، يُقَالُ فُلَانٌ لَا أُمَّةَ لَهُ: أَي لَا دِينَ لَهُ، وَلَا نِحْلَةَ، وَمِنْهُ قَوْلُ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ:

كُنَّا عَلَىٰ أُمَّةٍ آبَائِنَا ❀❀ وَيَقْتَدِي الْآخِرُ بِالْأَوَّلِ
 وقول الآخر: "وهل يستوي ذو أُمَّةٍ وَكُفُورٌ..."، وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَقَطْرُبٌ: عَلَى قِبْلَةٍ.
 وَقَالَ الْأَخْفَشُ: عَلَى اسْتِقَامَةٍ، وَأَنْشَدَ قَوْلَ النَّابِغَةِ:



حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً ❀❀ وَهَلْ يَأْتُمَنُ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعٌ
قَرَأَ الْجُمْهُورُ أُمَّةً بِضَمِّ الْهَمْزَةِ، وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
بِكَسْرِهَا. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَالْإِمَّةُ بِالْكَسْرِ: النُّعْمَةُ، وَالْإِمَّةُ: أَيْضًا لُغَةٌ فِي الْأُمَّةِ، وَمِنْهُ
قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ:

ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمَلِكِ وَالْإِمَةِ ❀❀ وَارْتَهَبَهُمْ هُنَاكَ قُبُورُ
ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ غَيْرَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْكُفَّارِ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ وَقَالَ بِهَا
فَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرُوهاً إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى
أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾، ﴿مُتْرُوهاً﴾: أَغْنِيَاؤُهَا وَرُؤُوسَاؤُهَا، قَالَ قَتَادَةُ:
﴿مُّقْتَدُونَ﴾ مُتَّبِعُونَ، وَمَعْنَى الْإِهْتِدَاءِ وَالْإِقْتِدَاءِ مُتَّقَارِبٌ، وَخَصَّصَ الْمُتْرَفِينَ تَنْبِيْهَا
عَلَى أَنَّ التَّنَعُّمَ هُوَ سَبَبُ إِهْمَالِ النَّظَرِ. وَقَدْ أَوْضَحْتُ هَذَا غَايَةَ الْإِيضَاحِ فِي كِتَابِي
الَّذِي سَمَّيْتُهُ «أَدَبُ الطَّلَبِ وَمَتَهَى الْأَرْبِ» فَارْجِعْ إِلَيْهِ إِنْ رَمْتَ أَنْ تَجْلِيَ عَنْكَ
ظِلْمَاتُ التَّعَصُّبِ وَتَتَشَقَّعَ لَكَ سَحَابُ التَّقْلِيدِ. اهـ. «فتح القدير» (٦/٣٩٩-٤٠١)،
مختصرًا.

وقد قال الله عزَّوجلَّ ذِمًّا لِلْكَفَّارِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ وَمَا أَرْسَلْنَا قَالُوا
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾
[المائدة: ١٠٤]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا
عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿٧٧﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ
كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاةً وَنِدَاةً صُمُّ بِكُمْ عَمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿٧٧﴾ [البقرة: ١٧٠-١٧١].

تاسعًا: سد ذريعة الشرك بالنهي عن القياس الفاسد:



ومن ذرائع الشرك القياس الفاسد، فقد زعم إبليس عليه لعنة الله تعالى أنه خير من آدم **عَلَيْهِ السَّلَام** معتمداً على قياس فاسد، بل وجميع المشركين سلكوا هذا السبيل معتمدين على هذا النوع من القياس الفاسد قاسوا المخلوق بالخالق، والخالق بالمخلوق.

وسياتي الكلام على الأمثلة في باب الأسماء والصفات، ونذكر هنا ما يتعلق بالباب حيث إن المشركين عبدوا الأصنام بقياسهم الفاسد فقال الله تعالى: ﴿فَكَبِّرُوا فِيهَا هُمُ وَالْقَاوُونَ ﴿١٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿١٦﴾ تَأَلَّهَ إِنْ كُنَّا لِنُبْتَلَىٰ بِمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ إِذْ يَنْسَوِيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٤-٩٨]، من حيث أنها تشفع وتنتفع وترفع وتدفع، فصرفوا لها الصلاة، والدعاء، والنذر، والخوف، والرجاء، والتوكل، وغير ذلك من العبادات القلبية، والقولية، والفعلية. وهنالك رسالة من الجامعة الإسلامية حول القياس الفاسد وأثره على العقيدة، فليُنظر فيها.

عاشراً: سد ذريعة الشرك بالنهي عن القول على الله بلا علم:

ومن سبل سد الذرائع: نهيه عن القول على الله بلا علم، فهو رأس كل شرٍّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. وقد عدَّ بعض أهل العلم القول على الله تعالى بلا علم من أعظم الذنوب إذ منه وبه يقع الشرك، واستدل على ذلك بترتيب الآية من الأدنى إلى الأعلى.

وقال الشوكاني **رَحِمَهُ اللهُ**: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بِحَقِيقَتِهِ وَأَنَّ اللَّهَ قَالَهُ، وَهَذَا مِثْلُ مَا كَانُوا يَنْسُبُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ التَّحْلِيلَاتِ وَالتَّحْرِيمَاتِ الَّتِي لَمْ يَأْذَنْ بِهَا. اهـ. «فتح القدير» (٣/٣١).



وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن كثير رحمه الله: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَقُولُ: لَا تَقُلْ، وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْهُ: لَا تَزْمُ أَحَدًا بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ: يَعْنِي شَهَادَةَ الزُّورِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: لَا تَقُلْ: رَأَيْتُ، وَلَمْ تَرَ، وَسَمِعْتُ، وَلَمْ تُسْمِعْ، وَعَلِمْتُ، وَلَمْ تَعْلَمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُكَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَمَضْمُونُ مَا ذَكَرُوهُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَهَى عَنِ الْقَوْلِ بِلَا عِلْمٍ، بَلْ بِالظَّنِّ الَّذِي هُوَ التَّوَهُّمُ وَالْخِيَالُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجُرَاتِ: ١٤]، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: «بِئْسَ مَطِيئَةُ الرَّجُلِ: زَعَمُوا»، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «إِنَّ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرَى عَيْنِيهِ مَا لَمْ تَرِيَا». وَفِي الصَّحِيحِ: «مَنْ تَحَلَّمَ حُلْمًا كُفِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَغْقَدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَيْسَ بِعَاقِدٍ».

وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾ أَي: هَذِهِ الصِّفَاتُ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَالْفُؤَادِ ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ أَي: سَيَسْأَلُ الْعَبْدُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُسْأَلُ عَنْهُ وَعَمَّا عَمِلَ فِيهَا. وَيَصِحُّ اسْتِعْمَالُ «أُولَئِكَ» مَكَانَ «تِلْكَ»، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

ذَمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنَزَلَةِ اللَّوَى ❀ ❀ ❀ وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَئِكَ الْآيَامِ
انتهى من «تفسير القرآن العظيم» (٧٥/٥).

وقال الشوكاني رحمه الله: وَمَعْنَى الْآيَةِ: النَّهْيُ عَنِ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ مَا لَا يَعْلَمُ أَوْ يَعْمَلُ بِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَهَذِهِ فَضِيَّةٌ كَلِيَّةٌ، وَقَدْ جَعَلَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ خَاصَّةً بِأُمُورٍ. اهـ. «فتح القدير» (٣٠٩/٤).

فالقول على الله بلا علم هو مفتاح كل شر من شرك وبدعة وغيرها.



الحادي عشر: سد ذريعة الشرك بالنهي عن الجهل:

ومنها: نهي الله **عَزَّجَلَّ** عن الجهل وترغيبه في العلم لأن كل بلاء سببه الجهل بدين الله **عَزَّجَلَّ** وكل خير ناتج عن العلم بالله **عَزَّجَلَّ** وبدين الله تعالى.

قال الراغب **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (١٦٥/١-١٦٦)**: الإنسان

في الجهل على أربع منازل:

الأول: من لا يعتقد اعتقادًا لا صالحًا ولا طالحًا، فأمره في إرشاده سهل، إذا كان له طبع سليم، فإنه كلوح أبيض لم يشغله نقش، وكأرض بيضاء لم يلتق فيها بذر، ويقال له باعتبار العلم النظري: عُفْل، وباعتبار العلم العملي: عُمر، ويقال له: سليم الصدر.

والثاني: معتقد لرأي فاسد لكنه لم ينشأ عليه ولم يترب به، واستنزاه عنه سهل وإن كان أصعب من الأول فإنه كلوح يحتاج فيه إلى محو وكتابة، وكأرض يحتاج فيها إلى تنظيف، ويقال له: غاوٍ وضال.

والثالث: معتقد لرأي فاسد قد ران على قلبه، وتراءت له صحته فركن إليه لجهله وضعف نحيزته، فهو ممن وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ** **الْبُكْرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾، فهذا ذو داءٍ أعياء الأطباء فما كل داءٍ له دواء، فلا سبيل إلى تهذيبه وتنبيهه، كما قيل لحكيم يعظ شيخًا جاهلًا: ما تصنع، فقال: أغسل مسحًا لعله يبيض.

والرابع: معتقدًا اعتقادًا فاسدًا عرف فسادَه، أو تمكن من معرفته، لكنه اكتسب ذنية لرأسه، وكرسيًا لرئاسته، فهو يحامي عليها فيجادل بالباطل ليدحض به الحق، ويذم أهل العلم ليجر إلى نفسه الخلق، ويقال له: فاسق ومنافق، وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر في نحو قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**



رَسُولُ اللَّهِ لَوْأَ دُرُوسَهُمْ ﴿١﴾، وقوله: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٢﴾، فنبه تعالى أنهم ينكرون ما يقولونه ويفعلونه لمعرفتهم ببطلانه، ولكن يستكبرون عن التزام الحق وذلك حال إبليس فيما دعي إليه من السجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ. اهـ.

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أهل الجَهْلِ وَالظُّلْمِ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْجَهْلِ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَالظُّلْمِ بِاتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ، الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، وَهُوَ لَأَيِّ قَسَمَانِ:

أَحَدُهُمَا: الَّذِينَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَهُدًى وَهُمْ أَهْلُ جَهْلٍ وَضَلَالٍ، فَهُوَ لَأَيِّ أَهْلِ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ الْحَقَّ وَيَعَادُونَهُ وَيَعَادُونَ أَهْلَهُ، وَيَنْصُرُونَ الْبَاطِلَ وَيُؤَالُونَ وَيُؤَالُونَ أَهْلَهُ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَادِبُونَ، فَهُمْ لِإِعْتِقَادِهِمْ الشَّيْءَ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ بِمَنْزِلَةِ رَائِي السَّرَابِ الَّذِي يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا، فَهَكَذَا هُوَ لَأَيِّ أَعْمَالِهِمْ وَعُلُومِهِمْ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ الَّذِي يَحُونُ صَاحِبُهُ أَحْوَجَ مَا هُوَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى مُجَرَّدِ الْحَبِيَّةِ وَالْحِرْمَانِ كَمَا هُوَ حَالُ مَنْ أَمَّ السَّرَابَ فَلَمْ يَجِدْهُ مَاءً بَلْ انْصَافَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ وَجَدَ عِنْدَهُ أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ وَأَعْدَلَ الْعَادِلِينَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فَحَسَبَ لَهُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَوَفَّاهُ إِيَّاهُ بِمَثَاقِيلِ الذَّرِّ، وَقَدِمَ إِلَى مَا عَمِلَ مِنْ عَمَلٍ يَرْجُو نَفْعَهُ فَجَعَلَهُ هَبَاءً مَثُورًا: إِذْ لَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَوَجْهِهِ، وَلَا عَلَى سُنَّةِ رَسُولِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَصَارَتْ تِلْكَ الشُّبُهَاتُ الْبَاطِلَةُ الَّتِي كَانَ يظُنُّهَا عُلُومًا نَافِعَةً كَذَلِكَ هَبَاءً مَثُورًا، فَصَارَتْ أَعْمَالُهُ وَعُلُومُهُ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِ.

وَالسَّرَابُ مَا يُرَى فِي الْفَلَوَاتِ الْمُنْبَسِطَةِ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَقَتِ الظَّهِيرَةِ يُسْرَبُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُ مَاءٌ يَجْرِي. وَالْقَيْعَةُ وَالْقَاعُ هُوَ: الْمُنْبَسِطُ مِنَ الْأَرْضِ الَّذِي لَا جَبَلَ فِيهِ وَلَا وَادٍ فَشَبَّهَ عُلُومَ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ عُلُومَهُ مِنَ الْوَحْيِ وَأَعْمَالَهُ، بِسَرَابٍ يَرَاهُ



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



الْمُسَافِرُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ فَيَوْمُهُ فَيَخِيبُ ظَنَّهُ وَيَجِدُهُ نَارًا تَلْظِي، فَهَكَذَا عَلُومُ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَأَعْمَالُهُمْ إِذَا حُشِرَ النَّاسُ وَاشْتَدَّ بِهِمُ الْعَطَشُ بَدَتْ لَهُمْ كَالسَّرَابِ فَيَحْسَبُونَ مَاءً فَإِذَا تَوَّهُ وَجَدُوا اللَّهَ عِنْدَهُ فَأَخَذَتْهُمْ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ فَعَتَلُوهُمْ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ فَسَقُوا مَاءَ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ، وَذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي سَقَوْهُ هُوَ تِلْكَ الْعُلُومُ الَّتِي لَا تَنْفَعُ. وَالْأَعْمَالُ الَّتِي كَانَتْ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى صَيَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى حَمِيمًا سَقَاهُمْ إِيَّاهُ كَمَا أَنَّ طَعَامَهُمْ مِنْ ضَرِيحٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، وَهُوَ تِلْكَ الْعُلُومُ وَالْأَعْمَالُ الْبَاطِلَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، كَذَلِكَ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝﴾ [الكهف: ١٠٣] وَهُمُ الَّذِينَ عَنَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وَهُمُ الَّذِينَ عَنَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وَالْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الصَّنْفِ: أَصْحَابُ الظُّلْمَاتِ وَهُمُ الْمُنْعَمُونَ فِي الْجَهْلِ بِحَيْثُ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَصْلُ سَبِيلًا، فَهَؤُلَاءِ أَعْمَالُهُمْ - الَّتِي عَمِلُوهَا عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ بَلْ بِمَجْرَدِ التَّقْلِيدِ وَاتِّبَاعِ الْأَبَاءِ مِنْ غَيْرِ نُورٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى - كَظُلْمَاتٍ - جَمْعُ ظُلْمَةٍ - وَهِيَ ظُلْمَةُ الْجَهْلِ، وَظُلْمَةُ الْكُفْرِ، وَظُلْمَةُ الظُّلْمِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، وَظُلْمَةُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ، وَظُلْمَةُ الْأِعْرَاضِ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ رَسُولَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَالنُّورُ الَّذِي أَنْزَلَهُ مَعَهُمْ لِيُخْرِجَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ، فَإِنَّ الْمُعْرِضَ عَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ يَتَقَلَّبُ فِي خَمْسِ ظُلْمَاتٍ، قَوْلُهُ ظُلْمَةٌ، وَعَمَلُهُ ظُلْمَةٌ، وَمُدْخَلُهُ ظُلْمَةٌ، وَمُخْرَجُهُ ظُلْمَةٌ، وَمَصِيرُهُ إِلَى الظُّلْمَةِ، فَقَلْبُهُ مُظْلِمٌ، وَوَجْهُهُ مُظْلِمٌ، وَكَلَامُهُ مُظْلِمٌ، وَحَالُهُ مُظْلِمَةٌ، وَإِذَا قَابَلَتْ بِصِيرَتِهِ الْخَفَاشِيَّةَ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ



مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ النُّورِ جَدِّ فِي الْهَرَبِ مِنْهُ وَكَأَدُ نُورُهُ يَخْطِفُ بَصَرَهُ فَهَرَبَ إِلَى ظُلُمَاتِ الْأَرَاءِ الَّتِي هِيَ بِهِ أَنْسَبُ وَأَوْلَى كَمَا قِيلَ:

خَفَافِشُ أَعْشَاهَا النَّهَارُ بِضَوْوِهِ ❀❀ وَوَافَقَهَا قِطْعُ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٌ فَإِذَا جَاءَ إِلَى زُبَالَةِ الْأَفْكَارِ وَنَحَاتَةِ الْأَذْهَانِ، جَالَ وَصَالَ، وَأَبْدَى وَأَعَادَ، وَقَعَقَعَ وَفَرَّقَعَ. فَإِذَا طَلَعَ نُورُ الْوَحْيِ وَشَمْسُ الرَّسَالَةِ، انْحَجَرَ فِي أَحْجَرَةِ الْحَشْرَاتِ. اهـ.
«اجتماع الجيوش الإسلامية» (٨-٩).

الثاني عشر: سد ذريعة الشرك بالأمر بالهجرة:

ومن ذلك: أمره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالهجرة ومباينة الكفار، فكم من الآيات التي حث الله **عَزَّوَجَلَّ** فيها على الهجرة وفضلها وحذر فيها من مخالطة الكفار لما فيها من أضرار دينية ودنيوية على المسلم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي فَضْلِ الْهَجْرَةِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولِيكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الحج: ٥٨]، إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ.

وقال محذرًا من البقاء بين ظهري الكفار وتكثير سوادهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٧٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٧٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّيَّ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٨٩]،



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلائِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآيات السابقة من سورة النساء: قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُتَمَرِيُّ، حَدَّثَنَا حَيْوَةَ وَغَيْرُهُ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْأَسْوَدِ قَالَ: قُطِعَ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ، فَكَتَبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ مَوْلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرْتُهُ، فَنَهَانِي عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ، يُكْثِرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَىٰ بِهِ، فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ، أَوْ يُضْرِبُ عُنُقَهُ فَيَقْتُلُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ رَوَاهُ اللَّيْثُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنصُورٍ الرَّمَادِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ - يَعْنِي الزَّبِيرِي - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيكَ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ اسْلَمُوا، وَكَانُوا يَسْتَخِفُّونَ بِالْإِسْلَامِ، فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَهُمْ، فَأَصِيبَ بَعْضُهُمْ بِفِعْلِ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ: كَانَ أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ وَأَكْرَهُوهُ، فَاسْتَغْفَرُوا لَهُمْ، فَتَزَلَّتْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيَّ مِنْ بَقِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: لَا عُذْرَ لَهُمْ. قَالَ: فَخَرَجُوا فَاحْقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَأَعطَوْهُمُ الْفِتْنَةَ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٨].

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي شَبَابٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا تَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ بِمَكَّةَ، مِنْهُمْ: عَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَأَبُو قَيْسٍ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأَبُو الْعَاصِ بْنِ مُبَيْهِ بْنِ الْحَجَّاجِ، وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ.



وَقَالَ الضَّحَّاكُ: نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنَ الْمُتَنَافِقِينَ، تَحَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ، وَخَرَجُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَأُصِيبُوا فِيمَنْ أُصِيبَ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَامَّةً فِي كُلِّ مَنْ أَقَامَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَلَيْسَ مُتَمَكِّنًا مِنْ إِقَامَةِ الدِّينِ، فَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُرْتَكِبٌ حَرَامًا بِالْإِجْمَاعِ، وَبِنَصِّ هَذِهِ الْآيَةِ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِبِينَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أَي: بَتَرَكِ الْهِجْرَةَ ﴿قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾ أَي: لِمَ مَكَثْتُمْ هَاهُنَا وَتَرَكْتُمُ الْهِجْرَةَ؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: لَا نَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْبَلَدِ، وَلَا الذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ سُنَيَانَ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ، أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانَ بْنُ مُوسَى أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ جَنْدَبَ، حَدَّثَنِي خَبِيبُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جَنْدَبَ: أَمَا بَعْدَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ».

وَقَالَ السُّدِّيُّ: لَمَّا أُسِرَ الْعَبَّاسُ وَعَقِيلٌ وَنُوفَلٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ: «أَفِدْ نَفْسَكَ وَابْنَ أَخِيكَ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَمْ نُصَلِّ قِبْلَتَكَ، وَنَشْهَدَ شَهَادَتَكَ؟ قَالَ: «يَا عَبَّاسُ، إِنَّكُمْ خَاصِمْتُمْ فَخَصِمْتُمْ». ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ هَذَا عُدْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِهَوْلَاءِ فِي تَرَكِ الْهِجْرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ قَدَرُوا مَا عَرَفُوا يَسْلُكُونَ الطَّرِيقَ،



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ، وَالسُّدِّيُّ: يَعْنِي طَرِيقًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ أَي: يَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ بِتَرْكِ الْهَجْرَةِ، وَعَسَى مِنَ اللَّهِ مُوجِبَةٌ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الْعِشَاءَ إِذْ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» ثُمَّ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ «اللَّهُمَّ نَجِّ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ نَجِّ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ نَجِّ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ نَجِّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضْرٍ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كِسْفِي يَوْمِي».

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ الْمَقْرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسْبُوبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَعَ يَدَهُ بَعْدَمَا سَلَّمَ، وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ خَلِّصِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَضَعْفَةَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا مِنَ أَيْدِي الْكُفَّارِ».

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - أَوْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي دُبُرِ صَلَاةِ الظُّهْرِ: «اللَّهُمَّ خَلِّصِ الْوَلِيدَ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَضَعْفَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا». وَلِهَذَا الْحَدِيثِ شَاهِدٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَنْبَأَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْوَالِدَانِ»، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ:



أَبَانَا أَبُو النَّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ قَالَ: «كَانَتْ أُمِّي مِمَّنْ عَدَّرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ».

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ هذا تحريض على الهجرة، وَتَرْغِيبٌ فِي مُفَارَقَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ حَيْثُمَا ذَهَبَ وَجَدَ عَنْهُمْ مَنُذُوحَةً وَمَلَجَأً يَتَحَصَّنُ فِيهِ، وَ«الْمُرَاعِمُ» مَصْدَرٌ، تَقُولُ الْعَرَبُ: رَاعَمَ فَلَانٌ قَوْمَهُ مُرَاعِمًا وَمُرَاعِمَةً، قَالَ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ:

كَطَوْدٍ يُبْلَاذُ بِأَرْكَانِهِ ❀❀ عَزِيزُ الْمُرَاعِمِ وَالْمَهْرِبِ
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «الْمُرَاعِمُ»: التَّحَوُّلُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ، وَكَذَا رُوي عَنْ الضَّحَّاكِ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، الثَّوْرِيِّ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿مُرَاعِمًا كَثِيرًا﴾ يَعْنِي: مُتَزَحِّزِحًا عَمَّا يُكْرَهُ. وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: ﴿مُرَاعِمًا كَثِيرًا﴾ يَعْنِي: بُرُوجًا. وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ التَّمَنُّعُ الَّذِي يَتَحَصَّنُ بِهِ، وَيُرَاعِمُ بِهِ الْأَعْدَاءَ.

قَوْلُهُ: ﴿وَسَعَةً﴾ يَعْنِي: الرِّزْقَ. قَالَهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ، مِنْهُمْ: قَتَادَةُ، حَيْثُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ إِي، وَاللَّهُ، مِنْ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى، وَمِنْ الْقِلَّةِ إِلَى الْغِنَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أَي: وَمَنْ خَرَجَ مِنْ مَنَزَلِهِ بِنِيَّةِ الْهَجْرَةِ، فَمَاتَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَقَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ اللَّهِ ثَوَابٌ مَنْ هَاجَرَ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الصَّحَّاحِ وَالْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ، مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصِ اللَّيْثِيِّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ،



فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

وَهَذَا عَامٌّ فِي الْهَجْرَةِ وَفِي كُلِّ الْأَعْمَالِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الثَّابِتُ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا. ثُمَّ أَكْمَلَ بِذَلِكَ الْعَابِدِ الْمِائَةَ، ثُمَّ سَأَلَ عَالِمًا: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ ثُمَّ أَرْشَدَهُ إِلَى أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ مِنْ بَلَدِهِ مُهَاجِرًا إِلَى الْبَلَدِ الْآخِرِ، أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَ هُوَ لَاءٍ: إِنَّهُ جَاءَ تَائِبًا. وَقَالَ هُوَ لَاءٍ: إِنَّهُ لَمْ يَصِلْ بَعْدُ. فَأَمَرُوا أَنْ يَقْسِمُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَقْرَبُ كَانَ مِنْهَا، فَأَمَرَ اللَّهُ هَذِهِ أَنْ يُقْرَبَ مِنْ هَذِهِ، وَهَذِهِ أَنْ تَبْعُدَ فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا بِشَبْرٍ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ لَمَّا جَاءَهُ الْمَوْتُ نَاءَ بَصْدَرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٨٨-٣٩٢).

وتكون الهجرة واجبة إذا كان لا يستطيع أن يقيم دينه أو كان في تحوله إلى المسلمين تكثيرًا لسوادهم وإعانة لهم على دينهم.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: أقسام الهجرة: الهجرة تكون للعمل، وتكون للعامل، وتكون للمكان.

القسم الأول: هجرة المكان: فأن يتنقل الإنسان من مكان تكثر فيه المعاصي، ويكثر فيه الفسوق، وربما يكون بلد كفر إلى بلد لا يوجد فيه ذلك، وأعظمه الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وقد ذكر أهل العلم إنه يجب على الإنسان أن يهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام إذا كان غير قادر على إظهار دينه.

وأما إذا كان قادرًا على إظهار دينه، ولا يعارض إذا أقام شعائر الإسلام؛ فإن الهجرة لا تجب عليه، ولكنها تستحب، وبناء على ذلك يكون السفر إلى بلد الكفر



أعظم من البقاء فيه، فإذا كان بلد الكفر الذي كان وطن الإنسان؛ إذا لم يستطع إقامة دينه فيه؛ وجب عليه مغادرته، والهجرة منه. فذلك إذا كان الإنسان من أهل الإسلام، ومن بلاد المسلمين؛ فإنه لا يجوز له أن يسافر إلى بلد الكفر؛ لما في ذلك من الخطر على دينه، وعلى أخلاقه، ولما في ذلك من إضاعة ماله، ولما في ذلك من تقوية اقتصاد الكفار، ونحن مأمورون بأن نغيظ الكفار بكل ما نستطيع، كما قال الله **تَبَارَكَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾** [التوبة: ١٢٣]، وقال تعالى: **﴿وَلَا يَطْفُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [التوبة: ١٢٠].

فالكافر أيًا كان، سواء كان من النصارى، أو من اليهود، أو من الملحدين، وسواء تسمى بالإسلام أم لم يتسم بالإسلام، الكافر عدو لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين جميعًا، مهما تلبس بما تلبس به؛ فإنه عدو!!

فلا يجوز للإنسان أن يسافر إلى بلد الكفر إلا بشروط ثلاثة:

الشرط الأول: أن يكون عنده علم يدفع به الشبهات؛ لأن الكفار يوردون على المسلمين شبهًا في أخلاقهم، وفي كل شيء يوردون الشبهة؛ ليبقي الإنسان شاكرًا متذبذبًا، ومن المعلوم أن الإنسان إذا شك في الأمور التي يجب فيها اليقين؛ فإنه لم يطمع بالواجب، فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره - الإيمان بهذه - يجب أن يكون يقينًا؛ فإن شك الإنسان في شيء من ذلك فهو كافر.

فالكفار يدخلون على المسلمين الشك، حتى إن بعض زعمائهم صرح قائلًا: لا تحاولوا أن تخرجوا المسلم من دينه إلى دين النصارى، ولكن يكفي أن تشكوه في دينه؛ لأنكم إذا شكتموه في دينه سلبتموه الدين، وهذا كاف، أنتم أخرجوه من هذه الحظيرة التي فيها الغلبة والعزة والكرامة ويكفي. أما أن تحاولوا أن تدخلوه في دين



النصارى - المبني على الضلال والسفاهة - فهذا لا يمكن، لأن النصارى ضالون، كما جاء في الحديث عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، وإن كان دين المسيح **عليه الصلاة والسلام** دين حق، لكنه دين الحق في وقته قبل أن ينسخ برسالة النبي **صلى الله عليه وسلم** فإن الهدى والحق فيما جاء به الرسول **صلى الله عليه وسلم**.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يحميه من الشهوات؛ لأن الإنسان يدفع به الشبهات. الذي ليس عنده دين إذا ذهب إلى بلاد الكفر انغمس؛ لأنه يجد زهرة الدنيا، هناك شهوات، من خمر، وزنى، ولوط. كل إجرام موجود في بلاد الكفر، فإذا ذهب إلى هذه البلاد يخشى عليه أن ينزلق في هذه الأوحال، إلا إذا كان عنده دين يحميه، فلا بد أن يكون عند الإنسان دين يحميه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلى ذلك؛ مثل أن يكون مريضاً؛ يحتاج إلى السفر إلى بلاد الكفر للاستشفاء، أو يكون محتاجاً إلى علم لا يوجد في بلد الإسلام تخصص فيه؛ فيذهب إلى هناك ويتعلم، أو يكون الإنسان محتاجاً إلى تجارة، يذهب ويتجر ويرجع، المهم أنه لا بد أن يكون هناك حاجة ولهذا أرى أن الذين يسافرون إلى بلاد الكفر من أجل السياحة فقط. أرى أنهم آثمون، وأن كل قرش يصرفونه لهذا السفر فإنه حرام عليهم، وإضاعة لمالهم، وسيحاسبون عنه يوم القيامة؛ حين لا يجدون مكاناً يتفسحون فيه أو يتزهون فيه، حين لا يجدون إلا أعمالهم، لأن هؤلاء يضيعون أوقاتهم، ويتلفون أموالهم، ويفسدون أخلاقهم، وكذلك ربما يكون معهم عوائلهم، ومن عجب أن هؤلاء يذهبون إلى بلاد الكفر التي لا يسمع فيها صوت مؤذن، ولا ذكر ذاك، وإنما يسمع فيها أبواق اليهود، ونواقيس النصارى، ثم يقعون فيها مدة هم وأهلهم وبنوهم وبناتهم، فيحصل في هذا شر كثير، نسأل الله العافية والسلامة.



وهذا من البلاء الذي يحل الله به النكبات التي تأتينا، والتي نحن الآن نعيشها كلها بسبب الذنوب والمعاصي، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] نحن غافلون، نحن آمنون في بلادنا، كأن ربنا غافل عنا كأنه لا يعلم، كأنه لا يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. اهـ.
«شرح رياض الصالحين» للعثيمين (١/٥-٩).

الثالث عشر: سد ذرائع الشرك عن مجالسة الكافرين:

نبيه عن مجالسة المشركين الذين يخوضون في آيات الله عز وجل بالباطل، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].
وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ جَامِعُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

قال ابن كثير رحمه الله: أي: إذا ارتكبتُم النهي بعد وُصُولِهِ إِلَيْكُمْ، وَرَضِيتُم بِالْجُلُوسِ مَعَهُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُكْفَرُ فِيهِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيُسْتَهْزَأُ وَيُنْتَقَصُ بِهَا، وَأَقْرَرْتُمُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ شَارَكْتُمُوهُمْ فِي الَّذِي هُمْ فِيهِ. اهـ. «تفسير القرآن العظيم» (٢/٤٣٥).

وقد تكلمنا عن خطر مجالسة أهل البدع في عدة من كتبي، وفي مجالسة الكافرين من باب أولى لضررها على اللب والدين، وبالله العون.

بينما نجد في المقابل حث القرآن على مجالسة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَأَصِدِّرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ



لُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

قال الشنقيطي رحمه الله: نهى الله جلَّ وعلا نبيه **صلى الله عليه وسلم** في هذه الآية الكريمة أن تعدو عيانه عن ضعف المؤمنين وفقرائهم، طموحاً إلى الأغنياء وما لديهم من زينة الحياة الدنيا، ومعنى ﴿وَلَا تُعَدُّ عَيْنَاكَ﴾ [الكهف: ٢٨]، أي: لا تتجاوزهم عينك وتنبو عن رثاثة زبيهم، مُحْتَقِرًا لَهُمْ طَامِحًا إِلَى أَهْلِ الْغِنَى وَالْجَاهِ وَالشَّرَفِ بَدَلًا مِنْهُمْ.

وقال رحمه الله: وما نهى الله عنه نبيه **صلى الله عليه وسلم** في هذه الآية الكريمة من طموح العين إلى زينة الحياة الدنيا، مع الإنصاف بما يرضيه جلَّ وعلا من الثبات على الحق، كمنجاسة فقراء المؤمنين، أشار له أيضاً في مواضع أخر، كقوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠-١٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ﴿٧٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الحجر: ٨٧-٨٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمَنَ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. نهى الله جلَّ وعلا نبيه **صلى الله عليه وسلم** في هذه الآية الكريمة عن طاعة من أعفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه، وكان أمره فرطاً، وقد كرر في القرآن نهى نبيه **صلى الله عليه وسلم** عن اتباع مثل هذا الغافل عن ذكر الله المتبوع هواه، كقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطْعَمَنَ مِنْهُمْ آثِمًا وَلَا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، وقوله: ﴿وَلَا تُطْعَمَنَ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعَّ أَدْنَاهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطْعَمَنَ الْمَكْدِبِينَ ﴿٥١﴾ وَدُّوا لَوْ نُدْهِنُ﴾



فَيَذَهُونَ ﴿١٠﴾ وَلَا تَطْعَ كُلَّ حَلَاظٍ مَّهِينٍ ﴿١١﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١٢﴾ مَتَّاعٍ لِلْحَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٣﴾ [القلم: ٨-١٢] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَقَدْ أَمَرَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُتَوَلِّينَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
غَيْرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَيَّنَّ لَهُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ؛ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَن قَوْلَىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴿١٤﴾
[النجم: ٢٩-٣٠]. اهـ. «أضواء البيان» (٣/ ٣٣٢-٣٣٣).

الرابع عشر: تصحيح الألفاظ سداً لذريعة الشرك:

ومن هذا الباب: تصحيح الألفاظ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا
رِعْبًا وَقُولُوا نُنْظَرًا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وقد عمل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بهذه الآية وغيرها محذراً من الحلف بغير الله
عَزَّوَجَلَّ، وحذر من قول: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ».

عَنْ طَفِيلِ بْنِ سَخْبَرَةَ، أَخِي عَائِشَةَ لِأُمَّهَا، أَنَّهُ رَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّهُ مَرَّ بِرَهْطٍ
مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْيَهُودُ، قَالَ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ
تَزْعُمُونَ أَنَّ عَزْرِيًّا ابْنُ اللَّهِ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ،
وَشَاءَ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ النَّصَارَى، فَقَالَ:
إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ
تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتِ بِهَا أَحَدًا؟» قَالَ عَفَّانُ: قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا
صَلَّوْا، خَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ طَفِيلًا رَأَى رُؤْيَا فَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ
مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْكُمْ، أَنْ أَتَاهَاكُمْ عَنْهَا»، قَالَ: «لَا



تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ. أخرجه الإمام أحمد بن حنبل (٢٠٧١٣)، والدارمي (٢٦٩٩)، وأبو يعلى (٤٦٥٥)، وهو حديث صحيح.

وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فَلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فَلَانٌ»**. أخرجه أبو داود (٤٩٨٨)، وابن ماجه (٢١١٨)، وهو حديث صحيح.

وَعَنْ قُتَيْبَةَ، امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **«إِنَّكُمْ تَبْدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُمْ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ؟ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُمْ»**. أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٢٢) وهو حديث صحيح.

وقد تكلمت على هذا الباب بتوسع في كتابي «معجم المصطلحات العصرية وأثره على الشريعة الإسلامية».

وتلخص في هذا: أن الله **عَزَّوَجَلَّ** قد أنزل في القرآن هداية للناس، الأمر بالتوحيد وبكل ما هو من لوازمه، وذكر الشرك محذراً منه وبكل ما هو من لوازمه، وسدَّ كل ذريعة توصل إليه من قول أو فعل أو اعتقاد، وهذا من كمال هداية القرآن العظيم وتحقيق لخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** الحق: **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾**، وقوله تعالى: **﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾** [الإسراء: ٨٢]، وقوله تعالى: **﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** [فصلت: ٤٢]، وقوله تعالى: **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي قَدَّمْنَا الْحَدِيثَ لِقَائِهِ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾** [البقرة: ١-٢].





هداية القرآن للتي هي أقوم في باب الأسماء والصفات

لما كانت معرفة العبد لربه تعالى من أهم المهمات وأوجب الواجبات فإن الله جل ذكره قد تعرف إلى عباده بالآيات الشرعية والكونية، وقد تضمن القرآن البيان لهذا الباب غايته وكماله، فقد أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** بالتفكر في ملكوت السماوات والأرض وأمر بالتدبر والتعقل لما يحصل في هذا العالم سفليه وعلويه للوصول إلى هذه الحقيقة العظيمة من أن انتظام العالم يدل على الملك العليم الخبير الحي القيوم الذي ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، إلى غير ذلك.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ۝﴾ [الفاتحة: ٢-٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٨]، وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝﴾ [الأعلى: ١-٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ۝﴾ [البروج: ١٢-١٦]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝﴾ [الملك: ٢٣-٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَىٰ ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



وَالْأَنْبِيَاءُ ﴿٤٥﴾ مِنْ نُظْفَةٍ إِذَا تُمَتَّى ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَنَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِمَّن قَبُلَ إِيْتَهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى ﴿٥٢﴾ وَالْمُرْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَغَشَّهَا مَا عَشَى ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ آيَةٍ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴿٥٥﴾ ﴿النجم: ٤٢-٥٥﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ [الحديد: ١-٦]، وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ [التغابن: ١-٤]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرِجْ أَبْصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرِجْ أَبْصَرَ كَرْتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيدٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك: ١-٥]، وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي



الْأَسْمَاءُ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿٧﴾ [الملك: ١٦-١٧]، إلى غير ذلك مما هو في القرآن كثير، وبالله التوفيق.

وفي باب أسماء الله **عَزَّجَلَّ** وصفاته: فإن الله **عَزَّجَلَّ** قد تكلم في هذا الكتاب بما يكفي ويشفي ويزيل كل شبهة وعالق في القلوب إلا من أعرض، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّبَعَتِ الذُّكْرَى ۝ سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْتَبَى ۝ وَتَجَنَّبَهَا فَأَسْقَى ۝ الَّذِي يَصَلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝﴾ [الأعلى: ٩-١٢]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١]. إلى غير ذلك.

وقد تكلمت على باب الأسماء والصفات في مؤلفات مستقلة، وفيها بيان ما تضمنه القرآن من الأجمال والتفصيل ووجوب التعبد لله **عَزَّجَلَّ** بمقتضى أسمائه وصفاته ونشير هنا إلى بعض هذه القواعد إجمالاً:

١- أسماء الله كلها حسنى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

ومن حسنها أنها أسماء مدح وكمال، وتتضمن صفات مدح وكمال، وأنها مذكورة في الكتاب والسنة، وأن الله **عَزَّجَلَّ** أمرنا أن ندعوه بها، وقد ذكر نحو هذا شيخ الإسلام، والشيخ السعدي رَحِمَهُمَا اللهُ.

٢- أسماء الله أعلام وأوصاف فكل اسم يتضمن صفة، وهذا من كمالها وحسنها، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، فالرحيم هو ذو الرحمة، كما أن الغفور هو ذو المغفرة.



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠]، أي: صاحب العزة المتصف بها.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، أي: صاحب القوة.

وهو السميع يسمع، والبصير يبصر، والعليم يعلم، كما هو معلوم عقلاً، وشرعاً، وعرفاً، خلافاً لمن زعم أنه سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

٣- أن الله **عَزَّوَجَلَّ** موصف بما وصف به نفسه في كتابه الكريم، وما صح عن نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الصادق الأمين، وبيان ذلك أن باب أسماء الله **عَزَّوَجَلَّ** وصفاته توقيفية، يُتوقف في أثبتها على الكتاب والسنة الصحيحة؛ لأنه لا يعرف كيف الله إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**، وقد أوحى اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** بذلك إلى محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

والدليل على هذه القاعدة: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَابْتِغَىٰ بَعْضِ الْأَحْقَابِ وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

٤- يجب على جميع المسلمين أن ينقادوا للكتاب وسنة رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، لا سيما في هذا الباب الذي بابه النصوص الشرعية، فما أثبتته الله **عَزَّوَجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أثبتناه، وما نفاه الله **عَزَّوَجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نفينا، والدليل قوله الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَاطِيعُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

فمثال الإثبات، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. فثبت لله **عَزَّوَجَلَّ** السمع والبصر.



ومثال النفي، قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فينزه الله **عَزَّجَلَّ** عن النوم، ومقدماته لكمال قيوميته **عَزَّجَلَّ**؛ ولأنه نفى ذلك عن نفسه، وهنا تنبيه: وهو أن الصفات المنفية لا بد أن تتضمن كمال الضد لأن النفي وحده عدم، وإذا اثبت به كمال الضد صار كمالاً، فنقول: يُنفى عن الله تعالى الظلم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْتَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢] لكمال عدله تعالى، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤] لكمال علمه وقدرته وهكذا.

٥- عند الإثبات والنفي يجب التخلي من محاذير تجر إلى الباطل والضلال وتجري إلى الزيغ والانحراف.

أولاً: عند الإثبات: الحذر كل الحذر من التكييف والتمثيل.

والتكييف: أن تتخيل لصفة الله **عَزَّجَلَّ** كيفية وهيئة، فإن اقترن هذا التكييف بشيء موجود كان تمثيلاً، وإن لم يقترن كان تكييفاً، والتكييف والتمثيل من أعظم الإلحاد في أسماء الله وصفاته، فالله يقول: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ويقول: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٧].

وفي أثر نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري قال: مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا مَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا.

ويجب أن نؤمن أن لصفات الله **عَزَّجَلَّ** كيفية وحقيقة لكننا نجهلها؛ لأنها لا تعلم كيفية الشيء إلا بالنظر إليه أو إلى مثيله، أو يحدثك من رآه عنه، وكل هذه منتفية في حق الله تعالى.



ثانيًا: عند التنزيه: يجب التخلي من محذورين: الأول: التعطيل، والثاني: التحريف.

والتعطيل في اللغة: هو التفرغ، وفي الاصطلاح: هو تعطيل الله **عَزَّوَجَلَّ** من أسماء وصفاته وأفعاله أو من بعضها.

والتحريف: هو الميل، وفي الاصطلاح: هو الميل بأدلة الكتاب والسنة عما دلت عليه، ويكون التحريف إما بتغيير اللفظ بزيادة أو نقصان أو بهما أو تغيير المعنى.

ومن هذه الأمثلة المحذورة، قول القائل: يد الله كيدي، فهذا باطل وكفر، أو قوله: يد الله **عَزَّوَجَلَّ** كذا وكذا على كيفية ليست كالمخلوقات، نقول: وهذا باطل، وكفر، وحرام؛ لأنك تقول على الله ما لا تعلم.

ومن أمثلتها في باب التحريف والتعطيل، أن يقول القائل: يد الله، هي نعمته، نقول: هذا باطل وحرام، وكفر؛ لأنك صرفت اللفظ عن ظاهره الذي أرداه الله **عَزَّوَجَلَّ**، وهو إثبات اليد لله سبحانه يداً تليق بجلاله لا تماثل صفات المخلوقين؛ إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٦- كل اسم من أسماء الله **عَزَّوَجَلَّ** يتضمن صفة: كقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فاسم الحي يتضمن صفة الحياة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، وكقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، يتضمن اسم السميع صفة السمع، واسم العليم صفة العلم؛ لأن أسماء الله أعلام وأوصاف، وهذا من حسناتها فهي تدل على الذات والوصفية.

٧- كل فعل أضافه الله **عَزَّوَجَلَّ** إلى نفسه يشتق منه صفة، كقوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى﴾ [آل عمران: ٥٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، فنشبت لله صفة الكلام كما يليق بجلاله. وكقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ»، الحديث في «الصحيحين»، البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فنثبت لله **عَزَّجَلَّ** صفة النزول كما يليق بجلاله.

٨- ما أضيف إلى الله **عَزَّجَلَّ** من المعاني التي تقوم بغيرها كالوجه، والعين، والكلام، واليد، وغير ذلك، فهو إضافة صفة إلى موصوف، وما أضيف إلى الله **عَزَّجَلَّ** من المعاني التي تقوم بنفسها فإضافتها إلى الله إضافة خلق أو ملك، كناية الله **عَزَّجَلَّ**، وبيت الله، وعبد الله، وهكذا.

٩- كل دليل يدل على وصف الله **عَزَّجَلَّ** فإنه يبقى على ظاهره المتبادر للسان العربي، والفطرة السليمة المستقيمة ولا يجوز تحريفه؛ لأن هذا من الإلحاد الذي حرمه الله **عَزَّجَلَّ**، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

ومعلوم: أن الله **عَزَّجَلَّ** أنزل القرآن ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، فصرف اللفظ من المعاني الحقة إلى معاني باطلة يعتبر جناية على القرآن وعلى رب العالمين.

١٠- ليعلم أن المتصف بالصفات أكمل من الذين لا صفات له، فلا يعقل أن يكون المخلوق المرئوب الضعيف المحتاج يسمع، ويبصر، ويعلم، ويقدر، والله **عَزَّجَلَّ** معطل عن ذلك، بل يثبت لله **عَزَّجَلَّ** الكمال اللائق به مما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

١١- لسنا أحرص واتقى من السلف رضوان الله عليهم، فهم قد أثبتوا لله **عَزَّجَلَّ** ما أثبتته لنفسه، وما أثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل، فلا يلبس علينا شياطين الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة،



والقرامطة، والفلاسفة، وشبهه أوهى من خيط العنكبوت «وكل خير في إتباع من سلف».

١٢- طريقة السلف أعلم وأحكم، فالسير عليها في جميع جوانب الحياة فما من خير إلا وسبقونا إليه، وما من شر وضير إلا وحذرونا منه، قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: «عَلَيْكَ بِأَثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ». اهـ. أخرجه الآجري في «الشریعة» (١/ ٤٤٥).

١٣- إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن وذكر فيه صفاته وأسمائه وما يتعلق بذلك، وذكر فيه الأحكام وما يتعلق بها، وذكر فيه القصص وغير ذلك، وكل هذه الآيات تُتلى على العالم والجاهل، والذكر والأنثى، فليبلغ دين الله الحق وخصوصاً في هذا الباب.

١٤- القول في بعض الصفات كالقول في الصفات الأخرى، وهذه القاعدة رد على الأشاعرة الذين يثبتون لله عَزَّوَجَلَّ سبع صفات، وهي المجموعة في قول السفاريني: حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ عَالِمٌ ❀❀ لَهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلامُ زاعمين أن هذه دل عليها العقل، فيلزمهم أن يثبتوا لله عَزَّوَجَلَّ الصفات التي دل عليها الشرع كالغضب، والرضى، والسخط، والكرهية، وغير ذلك مما ثبتت به النصوص، والعقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح، والعقل يعتبر في هذا الباب وفي غيره من أبواب الشرع منقاداً لا قائداً.

١٥- العلم بأن الله عَزَّوَجَلَّ موصوف بالنفي والإثبات والأصل الإثبات، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝﴾ [البقرة: ٢٥٥].



والنفي لا بد أن يتضمن كمال الضد، على ما تقدم ويكون لبيان عموم كماله المقدس كما في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ويكون لدفع توهم النقص، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [النجم: ٣٨]، ويكون لرد ما ادعاه في حقه المبطلون، كما في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

١٦- أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معلوم لنا، لحديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»، رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، وهو صحيح، وقد خرجته في كتابي «التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين».

ويدل على عدم الحصر، حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عند الإمام مسلم (٤٨٦): أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول وهو ساجد: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»، والثناء على الله تعالى إنما يكون بالصفات العلى والأسماء الحسنی.



قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «درء تعارض العقل والنقل» (٣/٣٣٢-٣٣٣) فِي كَلَامِهِ عَلَى حَدِيثِ عَائِشَةَ الْآنِفِ الذِّكْرُ: فَأَخْبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا يَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، وَلَوْ أَحْصَى أَسْمَاءَهُ تَعَالَى لِأَحْصَى صِفَاتِهِ كُلِّهَا، فَكَانَ يَحْصِي الثَّنَاءَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ صِفَاتِهِ إِنَّمَا يَعْبُرُ بِهَا عَنْ أَسْمَائِهِ. اهـ.

وَجَاءَ فِي حَدِيثِي أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنْسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فِي «الصَّحِيحِينَ»: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى رَبِّهِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الشَّفَاعَةِ، قَالَ: «فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدِ عَلَمِيهَا رَبِّي»، وَفِي رِوَايَةٍ: «بِمَحَامِدِ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ»، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ مَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا.

وَأَمَّا مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا مَحْصُورَةٌ فَقَدْ اضْطَرَبُوا غَايَةَ الْاضْطِرَابِ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا ثَلَاثُمِائَةٌ فَقَطْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ثَلَاثُمِائَةٌ وَوَاحِدٌ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا خَمْسَةٌ أَلْفٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرْبَعَةٌ أَلْفٌ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ كُلِّهَا.

وَحَصَرَهَا بَعْضُهُمْ بِتِسْعَةٍ وَتَسْعِينَ اسْمًا مُسْتَدْلِينَ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عِنْدَ الشَّيْخِينَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وَلَا دَلَالَهَ لَهُمْ فِيهِ، وَإِنَّمَا قَالَ بِحَصَرِهَا بِتِسْعٍ وَتَسْعِينَ ابْنُ حَزْمٍ - وَمُخَالَفَاتِهِ فِي هَذَا الْبَابِ مَشْهُورَةٌ - وَظَاهِرُ كَلَامِ ابْنِ كَيْجٍ، وَلَهُ مَا يَنْتَقِدُ كَمَا أُشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنِ كَثِيرٍ فِي «الْبَدَايَةِ». قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: وَقَدْ صَحَّ أَنَّهَا تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ اسْمًا فَقَطْ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُجِيزَ أَنْ يَكُونَ لَهُ اسْمٌ زَائِدٌ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مِائَةٌ غَيْرَ وَاحِدٍ» فَلَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ لَهُ تَعَالَى اسْمٌ زَائِدٌ لَكَانَتْ مِائَةٌ اسْمٍ، وَلَوْ كَانَ هَذَا لَكَانَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مِائَةٌ غَيْرَ وَاحِدٍ» كَذِبًا وَمَنْ أَجَازَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ. اهـ. «المحلى بالآثار».

وَرَدَ عَلَيْهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَغَيْرُهُ، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «درء تعارض العقل والنقل» (٣/٣٣٢): وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ: أَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ



وَتَسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا»، من أحصاها دخل الجنة؛ معناه: أن من أحصى التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة، وليس المراد أنه ليس له إلا تسعة وتسعين اسمًا. اهـ

وقال رحمه الله: فإن الذي عليه جماهير المسلمين أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين، قالوا، ومنهم الخطابي: قوله: **«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»**، التقيد بالعدد عائد إلى الأسماء الموصوفة بأنها هذه الأسماء. اهـ

قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (٢٧٧): قوله: **«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا»**، لا ينفي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة أي له أسماء موصوفة بهذه الصفة، يقال لفلان مائة عبد أعدهم للتجارة، وله مائة فرس أعدهم للجهاد، وهذا قول الجمهور، وخالفهم ابن حزم، فزعم أن أسماء الله تنحصر. اهـ

وقال النووي رحمه الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَيْسَ فِيهِ حَضْرٌ لِأَسْمَائِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءٌ غَيْرَ هَذِهِ التَّسْعَةِ وَالتَّسْعِينَ وَإِنَّمَا مَقْصُودُ الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ التَّسْعَةَ وَالتَّسْعِينَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَالْمُرَادُ الْإِخْبَارُ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ بِإِحْصَائِهَا لَا الْإِخْبَارَ بِحَضْرِ الْأَسْمَاءِ. اهـ

* **فائدة**: مراتب الإحصاء، **قال ابن القيم رحمه الله في «البدائع» (١٦٤/١)**:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها، ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاء بها كما قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾**

[الأعراف: ١٨٠]، وهو مرتبتان: أحدها: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلب ومسألة. اهـ.



١٧- يحرم الإلحاد في أسماء الله وصفاته وآياته، والإلحاد: هو الميل بها عن معانيها الحقّة إلى معاني باطلة، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والملحدون في هذا الباب أنواع، كما ذكرت في كتابي «القواعد الحسان» حيث قلت: وهو أنواع:

الأول: إلحاد المعطلة:

أن ينكرها، أو ينكر شيئاً منها، أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام كما فعل أهل التعطيل من الجهمية الذين يعطلون الأسماء، والصفات، والمعتزلة الذين يثبتون الأسماء، وينفون الصفات، أو كالأشاعرة الذين يثبتون الأسماء، وسبغاً من الصفات.

الثاني: إلحاد الممثلة:

وهو أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين.

الثالث: إلحاد من سمى الله بغير أسمائه الثابتة له:

كتسمية النصراني له «الأب»، والفلاسفة «العلة الفاعلة، والعشق، واللذة»، وهذا من القول على الله تعالى بلا علم مع ما تتضمن من المعاني الباطلة، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِنْتِهَىٰ وَأَبغىٰ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

الرابع: إلحاد المشركين، ومن إليهم:

حيث يشتقون من أسماء الله تعالى لأصنام، كاشتقاق العزى من العزيز، واللات من الإله ومناة من المنان، في قول لأهل العلم، ومنه أن يُسمى غير الله تعالى بأسمائه المختصة به.



قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «تحفة المودود بأحكام المولود» (١٢٥): وَمِمَّا يَمْنَعُ تَسْمِيَةَ الْإِنْسَانِ بِهِ أَسْمَاءُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَلَا يَجُوزُ التَّسْمِيَةُ بِالْأَحَدِ وَالصَّمَدِ وَلَا بِالْخَالِقِ وَلَا بِالرَّازِقِ وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَسْمَاءِ الْمَخْتَصَةِ بِالرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَا تَجُوزُ تَسْمِيَةُ الْمَلُوكِ بِالْقَاهِرِ وَالظَّاهِرِ كَمَا لَا يَجُوزُ تَسْمِيَتُهُمُ بِالْجَبَّارِ وَالْمَتَكَبِّرِ وَالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالْبَاطِنِ وَعِلَامِ الْغُيُوبِ.

وَقَدْ قَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ يَزِيدَ يَعْنِي ابْنَ الْمُقَدَّامِ بْنِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ هَانِيٍّ أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يَكْتُمُونَ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تَكْتُمُونَ أَبَا الْحَكَمِ؟» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَالِدِ؟» قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلَمَةٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَكَرَ الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ، رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلاكِ».

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ الْمُفْضَلِ، حَدَّثَنَا أَبُو مَسْلَمَةَ سَعِيدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضُ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِبَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». وَلَا يُنَافِي هَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ» فَإِنَّ هَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ عَمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ سِيَادَةِ النَّوْعِ الْإِنْسَانِي وَفَضْلِهِ وَشَرَفِهِ عَلَيْهِمْ وَأَمَّا وَصْفُ الرَّبِّ تَعَالَى بِأَنَّهُ السَّيِّدُ فَذَلِكَ وَصْفٌ لِرَبِّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَإِنَّ سَيِّدَ الْخَلْقِ هُوَ مَالِكٌ أَمْرَهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ وَبِأَمْرِهِ يَعْلَمُونَ وَعَنْ قَوْلِهِ يَصْدُرُونَ. اهـ.



وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ (١٢٧): وَأما الأَسْمَاءُ الَّتِي تَطْلُقُ عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ كَالسَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ وَالرَّءُوفِ وَالرَّحِيمِ فَيَجُوزُ أَنْ يَخْبَرَ بِمَعَانِيهَا عَنِ الْمَخْلُوقِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَسَمَّى بِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ بِحَيْثُ يُطْلَقُ عَلَيْهِ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الرَّبِّ تَعَالَى. اهـ.

الخامس: إلهاد المفوضة:

الذين يثبتون ألفاظاً لا معاني لها، ويرد هذا المذهب الردي كل دليل يدل على تدبر وتعقل وتفهم للقرآن، إلى غير ذلك مما هو مبين في موطنه.

١٨- أسماء الله وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها، بمعنى أنه يثبت الله ما أثبتته

لنفسه، وما أثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا

بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ولا سبيل

لمعرفة ما يجب لله **عَزَّوَجَلَّ** وما يجوز له وما يمتنع إلا من طريق الوحي، وهذا باب مجمع عليه عند أهل السنة قاطبة.

إجمال مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات:

والمذهب الحق في هذا الباب وفي غيره من الأبواب هو مذهب أهل السنة

والجماعة حيث يثبتون لله **عَزَّوَجَلَّ** ما أثبتته لنفسه وما أثبتته رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير

تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل بل هو سبحانه **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ**

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وطريقة أهل السنة والجماعة فيه، ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** وغيره.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: فَأَلْصُقُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا

وَصَفَّتُهُ بِهِ رُسُلُهُ: نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا؛ فَيُثَبِّتُ لِلَّهِ مَا أَثَبَّتَهُ لِنَفْسِهِ وَيَنْفِي عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ.



وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ طَرِيقَةَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَيْمَّتِهَا إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَكَذَلِكَ يُنْفُونَ عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ مَعَ إِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ إِلْحَادٍ؛ لَا فِي أَسْمَائِهِ وَلَا فِي آيَاتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَمَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيَجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُيْلَقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ الآية. فَطَرِيقَتُهُمْ تَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مَعَ نَفْيِ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ: إِثْبَاتًا بِلَا تَشْبِيهِ وَتَنْزِيهَا بِلَا تَعْطِيلٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رَدٌّ لِلتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. رَدٌّ لِلْإِلْحَادِ وَالتَّعْطِيلِ.

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ: بَعَثَ رَسُولَهُ بِإِثْبَاتِ مُفْضَلٍ وَنَفْيِ مُجْمَلٍ فَاتَّبَعُوا لِلَّهِ الصِّفَاتِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّفْصِيلِ وَنَفَوْا عَنْهُ مَا لَا يَصْلُحُ لَهُ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أَيُّ نَظِيرًا يَسْتَحِقُّ مِثْلَ اسْمِهِ. وَيُقَالُ: مُسَامِيًّا يُسَامِيهِ وَهَذَا مَعْنَىٰ مَا يُرْوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مَثِيلًا أَوْ شَبِيهَا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجُونُهُمْ كَحَبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبْتِ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُمْ بَيْنَ وَبَيْنَ يَغْيِرَ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٣﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: ١٣-١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ



مَلِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ [الفرقان: ١-٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٥٦﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥٨﴾ وَلَدَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٥٩﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٦٠﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٦٢﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ ﴿١٦٣﴾ فَأَتُوا بِكِنَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٤﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٦٥﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٦٦﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٧﴾ [الصافات: ١٦٥-١٦٠] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٦٨﴾ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٩﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٠﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]. فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْمُفْتَرُونَ الْمُشْرِكُونَ وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ لِسَلَامَةٍ مَا قَالُوهُ مِنَ الْإِفْكِ وَالشَّرْكِ وَحَمِدَ نَفْسَهُ؛ إِذْ هُوَ سُبْحَانَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْحَمْدِ بِمَا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَبَدِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَمَّا الْإِبْتِاثُ الْمَفْصَلُ: فَإِنَّهُ ذَكَرَ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مَا أَنْزَلَهُ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الْآيَةُ بِكَمَالِهَا وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ السُّورَةُ وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ الْعَفُورُ أَدُودٌ﴾، ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾، ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكِلُ شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعَلِّمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الْآيَةُ وَقَوْلِهِ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ



كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿٢٤﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضِ أْتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْعَلَمُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٥﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمِيقُ الْفُؤَادِ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٦﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الحشر: ٢٤-٢٧].

إلى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي **صلى الله عليه وسلم** في أسماء الرب تعالى وصفاته فإن في ذلك من إثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل وإثبات وحدانيته بنفي التمثيل ما هدى الله به عباده إلى سوا السبيل فهذه طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. انتهى من «العقيدة التدمرية» (٢-٥).

فهذا بعض من كل، وغيض من فيض في هدى القرآن للتي هي أقوم في باب التوحيد الذي هو حق الله **عز وجل** على العبيد، التوحيد الذي به السعادة في الدنيا والآخرة، والأمن في الدنيا والآخرة، التوحيد الذي انقسم الناس فيه إلى مؤمنين أبرار ومشركين كفار، وبهذا تعلم خطأ من أعرض عن التوحيد علماً وعملاً حيث أن كل صلاح في العبد فمصدره التوحيد، وكل فساد يحصل له في الدنيا أو الآخرة فسببه الشرك والتنديد.



فملخص هذا الباب أن كل هداية هي تابعة للهداية في هذا الباب، فمن حرم الهداية إلى التوحيد فهو لسواها محروم، والقرآن من أوله إلى آخره يتكلم عن باب التوحيد جملةً وتفصيلاً، أمرًا به ونهيًا عن ضده، ويتكلم عن حال الموحدين في الدارين وعن حال المشركين المعرضين في الدارين، وذكر ما هو من لوازمه على ما قرره ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** وغيره.

وقد تكلمت على هذا النوع من التوحيد في عدة كتبٍ من كتبي لحاجة الناس إليه ولأن الله **عَزَّجَلَّ** عَرَّفَ خلقه بها ليعرفوه وليتبعوا له بها.

مذاهب أهل البدع في باب الأسماء والصفات:

القسم الأول: قول الجهمية والقرامطة ومن نحا نحوهم:

والجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان الذي تلقى عقيدته من الجعد بن درهم، وكلاهما قُتِلَ على الزندقة، والإلحاد. **قال شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٢٤٤/٥):** ولكن لما حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين، كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم ومع هذا فكانوا قليلين مقموعين في الأمة.

وأولهم الجعد بن درهم، ضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بواسط، وقال: **أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا، تَقَبَّلَ اللهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مُضَحٌّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَعْدُ عَلُّوا كَبِيرًا! ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ.** اهـ.

وقال (٣١٣/١): قال الإمام أحمد: وكان يقال إنه من أهل حران، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات، وكان بحران أئمة هؤلاء الصابئة الفلاسفة، بقايا أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات والأفعال. اهـ.

وقال (١٦٥/٥): وكذلك وصف الإمام أحمد وأمثاله قول الجهمية النفاة، قال أحمد: وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث



وأضلوا بكلامهم بشرًا كثيرًا فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله إنه كان من أهل خراسان من أهل الترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله فلقى أناسًا من المشركين يقال لهم السمنية، فعرفوا الجهم، فقالوا: نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا: أأنت تزعم أن لك إلهًا. قال الجهم: نعم. فقالوا له: فهل رأيت إلهك؟! قال: لا. قالوا: فهل سمعت كلامه؟! قال: لا. قالوا: فشممت له رائحة؟! قال: لا. قالوا: فوجدت له حسًا؟! قال: لا. قالوا: فوجدت له مجسًا؟! قال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إله؟! قال: فتحير الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يومًا، ثم إنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله. اهـ

وطريقتهم أنهم يصفون الله بالسلب على وجه التفصيل، فيقولون لا يسمع، ولا يبصر، ولا كذا، ثم يرجعون وينفون النفي فيقولون: ولا ليس بعالم، ولا ليس بسميع، ولا هو خارج العالم، ولا هو داخله، وهذه الطريقة مخالفة لطريقة السلف، ويعطلون الله تعالى من أسمائه، وصفاته، إلى غير ذلك من زندقته.

القسم الثاني: قول المعتزلة ومن وافقهم:

وهم أتباع عمرو بن عبيد بن باب الضال المضل، وواصل بن عطاء الغزال ظهوروا في أول القرن الثاني الهجري وبلغت بدعتهم قوتها في العصر العباسي الأول؛ ويرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري لقول واصل بأن مرتكب الكبيرة ليس كافرًا ولا مؤمنًا بل هو في منزلة بين المنزلتين، ولما اعتزل واصل مجلس الحسن وجلس عمرو بن عبيد إلى واصل وتبعهما أنصارهما قيل لهم: معتزلة. وهذه الفرقة تعظم العقل، وتغلو فيه، وتقدمه على النقل.



وللمعتزلة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم وهي: العدل: ويريدون به نفي القدر، والتوحيد: ويعنون به نفي الصفات، والمنزلة بين المنزلتين: ومرادهم أن صاحب الكبيرة في الدنيا لا مؤمن ولا كافر، والوعد والوعيد: يوجبون به على الله تخليد أصحاب الكبائر في النار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويريدون به الخروج على الحكام، فأثبتوا لله **عَزَّوَجَلَّ** الأسماء دون ما تضمنته من الصفات، وهم على طريقتين:

الأول: من جعل العليم والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفات، ومؤدى هذا القول إلى أن الله تعالى لا صفات له.

الثاني: من قال: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بصير بلا سمع ولا بصر، فأثبتوا الاسم وصرحوا بنفي ما تضمنه من الصفات.

القسم الثالث: الأشاعرة، ومن إليهم:

الأشعرية: هم أتباع أبي الحسن الأشعري - قبل أن يرجع إلى معتقد أهل السنة - وهو علي بن إسماعيل وينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وهم في الجملة لا يثبتون من الصفات إلا سبعا، ويؤولون بقية الصفات بتأويلات عقلية رادين لأدلة الكتاب والسنة، كالوجه واليد وغيرهما من الصفات التي ثبتت لله تعالى كما يليق بجلاله، أثبتها لنفسه في كتابه وفي صحيح سنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأخذ الأشاعرة هذه الطريقة عن محمد بن عبد الله بن كلاب حيث ردّ على المعتزلة سالكا للطريقة العقلية قالياً للطريقة السلفية.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الاستقامة» (١/١٠٥): والكلابية: هم مَشَايخ

الأشعرية فَإِنَّ أَبَا الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ إِنَّمَا أَقْتَدَى بِطَرِيقَةِ أَبِي مُحَمَّدَ بْنِ كَلَابٍ. اهـ

القسم الرابع: أهل التمثيل:



وهم الذين يثبتون لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الصفات، ولكنهم يشبهونها بصفات المخلوقين ففهموا من أدلة الصفات مثل ما للمخلوقين وظنوا أن لا حقيقة لها سوى ذلك، وقالوا: محال أن يخاطبنا الله سبحانه بما لا نعقله ثم يقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿لِيَذَّبَ رُءُوسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص: ٢٩]، ونظائر ذلك، والممثلة كفار لتعطيهم الله تعالى من الكمال المقدس وتمثيلهم له بالمخلوق الناقص رادين قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، والسمي هو المثل، والنظير، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]. فتعالى الله عن أقوال المبطلين علواً كبيراً.

القسم الخامس: وهم أهل التجهيل «المفوضة»:

وهم من شر أهل البدع، والإلحاد كما قال شيخ الإسلام، وهم يثبتون ألفاظ الصفات كما وردت في الكتاب والسنة مع تفويضهم العلم بمعانيها إلى الله تعالى، فلا يعلم معناها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا أحد أبداً، وربما ذهب بعضهم إلى أنه لا معنى لها بالمرّة.

قال ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «درء تعارض العقل والنقل» (١/١٥): وهؤلاء أهل التضليل والتجهيل الذين حقيقة قولهم: إن الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء.



ثم هؤلاء منهم من يقول: المراد بها خلاف مدلولها الظاهر والمفهوم، ولا يعرف أحد من الأنبياء والملائكة والصحابة والعلماء ما أراد الله بها، كما لا يعلمون وقت الساعة.

ومنهم من يقول: بل تجري على ظاهرها، وتحمل على ظاهرها، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله، فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلاً يخالف ظاهرها، وقالوا - مع هذا - إنها تحمل على ظاهرها، وهذا ما أنكره ابن عقيل على شيخه القاضي أبي يعلى في كتاب ذم التأويل. اهـ

ولازم قولهم أن الله خاطبنا بكلام لا نعرف معناه، والله يقول: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [فصلت: ١-٣].

ويقول: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ويقول تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وأمر بتدبر القرآن، وتعقله، وكل هذا يدل على المعاني التي تتضمنها الآيات القرآنية، والسنة النبوية، وهم يُجهِّلون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام بأنهم لم يعرفوا مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى غير ذلك، أو أنهم عرفوا ثم كتموا، وكلا القولين ضلال مبين، ولا حول ولا قوة إلا بالله الملك الحق المبين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ فِي «درء تعارض العقل والنقل» (٢٠٤/١): وأما على قول أكابرهم: إن معاني هذه النصوص المشككة المتشابهة لا يعلمه إلا الله، وأن معناها الذي أراده الله بها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحيثئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه، لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه، وكذلك



نصوص المثبتين للقدر عند طائفة، والنصوص المثبتة للأمر والنهي والوعد والوعيد عند طائفة، والنصوص المثبتة للمعاد عند طائفة.

ومعلوم: أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله هدي وبيانا للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نُزِلَ إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه - وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقاً لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر ونهي، ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر - لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين.

وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به.

فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدي والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدي والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون: فضلاً عن أن يبينوا مرادهم.

فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد. اهـ

ومن العجب أن الإمام النووي **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وغيره من المؤلّفة يجعلون طريقة المفوضة هي طريقة السلف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: فهذه الفرق لا تزال تبعد بعضهم بعضاً وتضلله وتجهله وقد تصادمت كما ترى فهم كزمرة من العميان تلاقوا فتصادموا كما قال أعمى البصر والبصيرة منهم:



وَنَظِيرِي فِي الْعِلْمِ مِثْلِي أَعْمَى ❀❀ فِكِلَانَا فِي حِنْدِسٍ نَتَصَادَمُ
 وهدى الله أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلى. فلم يتلوثوا بشيء من أوصار
 هذه الفرق وأدناسها وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة
 المخلوقات فكان مذهبهم مذهبا بين مذهبين وهدى بين ضاللتين خرج من بين
 مذاهب المعطلين، والمخيلين، والمجهلين، والمشبهين، كما خرج اللبن من بين
 فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، وقالوا: نصف الله بما وصف به نفسه وبما
 وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل بل طريقتنا
 إثبات حقائق الأسماء والصفات ونفي مشابهة المخلوقات فلا نعطل ولا نؤول ولا
 نمثل ولا نجهل ولا نقول ليس لله يدان ولا وجه ولا سمع ولا بصر ولا حياة ولا
 قدرة ولا استوى على عرشه ولا نقول له يدان كأيدي المخلوق ووجه كوجوههم
 وسمع وبصر وحياة وقدرة واستوى كأسماعهم وأبصارهم وقدرتهم واستوائهم بل
 نقول له ذات حقيقة ليست كالذوات وله صفات حقيقة لا مجازًا ليست كصفات
 المخلوقين وكذلك قولنا في وجهه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ويديه وسمعه وبصره وكلامه واستوائه.
 اهـ

ذكر الأسماء التسعة والتسعين التي أرجو أن أحصاها دخل الجنة:

تقدم القول في أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معلوم لنا، وهنا أذكر إن
 شاء الله تعالى ما أرجو أن تكون المرادة بقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ
 وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». أخرجه الشيخان، عَنْ أَبِي
 هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

* وقبل ذكرها أذكر تنبيهين:



الأول: أن الأسماء المشتقة من صفة واحدة لا تعد كلها أسماً واحداً بل كل صيغة من صيغ الاسم تعتبر اسماً مستقلاً.

الثاني: الأسماء المقترنة لا يصح فيها إطلاق اسم منها دون الآخر.

قال ابن الوزير في «إيثار الحق على الخلق» (١٧٤): على تقدير صحة أن اسم الضار لا يجوز إفراده عن النافع فحين لم يجز إفراده لم يكن مفرداً من أسماء الله تعالى، وإذا وجب ضمه إلى النافع كأننا معاً كالاسم الواحد المركب من كلمتين، مثل: عبد الله، وبعلمك، فلو نطقت بالضار وحده لم يكن اسماً لذلك المسمى به ومتى كان الاسم هو الضار النافع معاً كان في معنى مالك الضر والنعف وذلك في معنى مالك الأمر كله ومالك الملك وهذا المعنى من الأسماء الحسنى وهو في معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّقُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ الآية وهو في معنى القدير على كل شيء.

وميزان الأسماء الحسنى يدور على المدح بالملك والاستقلال وما يعود إلى هذا المعنى وعلى المدح بالحمد والثناء وما يعود إلى ذلك وكل اسم دل على هذين الأمرين فهو صالح دخوله فيها والضرار النافع يرجع إلى ذلك مع الجمع وعدم الفرق ومع القصد فيلزم من أطلقه قصد ذلك مع الجمع. اهـ.

١- الله، وهو الاسم الأعظم وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وقد ذكر اسم الله في القرآن (٢٧٢٤) مرة، وهو من الأسماء الخاصة بالله تعالى، وهو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، ومن الأدلة عليه قوله تعالى لموسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٢]، وفي السنة الكثير من ذلك.



٢- الْأَحَدُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وفي البخاري (٤٩٧٤)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْتًا أَحَدٌ».

٣- الْآخِرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

٤- الْأَعْلَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ أَسْمَاءَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

٥- الْأَكْرَمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣].

٦- الْإِلَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْهَكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

[البقرة: ١٦٣]..

٧- الْأَوَّلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[الحديد: ٣]، ومن السنة قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ

الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ

وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ

فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ

الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ أَفْضِ عَنَّا الدِّينَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ». أخرجه مسلم (٢٧١٣)،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٨- الْبَارِيُّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِيُّ﴾ [الحشر: ٢٤].

٩- الْبَاسِطُ، جاء عند أبي داود (٣٤٥١)، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، غَلَا

السُّعْرُ فَسَعَّرْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ

الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمُظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ».



١٠- الباطن، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[الحديد: ٣].

١١- البُرِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

١٢- البصير، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا

يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠]، ومن السنة حديث أبي موسى

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْزِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ

تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا» ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،

فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ» أَوْ

قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». أخرجه

البخاري (٦٣٨٤).

١٣- التَّوَابُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ

الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وعند أبي داود (١٥١٦) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: إِذَا كُنَّا لَتَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ

التَّوَابُ الرَّحِيمُ».

١٤- الْجَبَّارُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ

الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[الحشر: ٢٣].

١٥- الْجَمِيلُ، فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٩١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد



الرَّجُلُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكَبِيرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ».

١٦- الحَافِظُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

١٧- العُحَيْبُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيْتُمْ بِتَجْوِيزِهِ فاحيوا بأحسن منها أو ردوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

١٨- الحَفِيفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَاسْتَخْلَفَ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ [هود: ٥٧].

١٩- الحَقُّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ آلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، وفي البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

٢٠- الحَكْمُ، عَنِ شُرَيْحِ بْنِ هَانِي، عَنِ أَبِيهِ أَنَّهُ لَمَّا وَقَفَ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَى الْمَدِينَةَ فَسَمِعَهُمْ يُكْتَبُونَ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكْمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَيَرْضَى كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا



أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَالِدِ؟»، قَالَ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: **«فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟»**، قَالَ: قُلْتُ شُرَيْحٌ، قَالَ: **«فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»**. أخرجه النسائي (٥٤٠٢).

٢١- **الْحَكِيمُ**، وأدلته كثيرة منها قوله تعالى: **﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾** [البقرة: ٣٢].

٢٢- **الْحَلِيمُ**، قَالَ تَعَالَى: **﴿لَا يُؤْخَذُكَ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكَ بِمَا كَسَبْتَ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٢٥].

٢٣- **الْحَمِيدُ**، قَالَ تَعَالَى: **﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾** [إبراهيم: ١].

٢٤- **الْحَيُّ**، قَالَ تَعَالَى: **﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [غافر: ٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾** [الفرقان: ٥٨]، وفي «صحيح مسلم» (٢٧١٧)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ آتَيْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»**.

٢٥- **الْحَيُّ**، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الْعَبْدُ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا صِفْرًا حَتَّى يَضَعَ فِيهَا خَيْرًا»**، وهذا لفظ معمر في «الجامع» (١٩٦٤٨)، وعنه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٢٥٠) من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والمحاملي في «الأمالي» (٤٣٣)، من حديث سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورد من حديث جَابِرٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

٢٦- **الْعَالِقُ**، قَالَ تَعَالَى: **﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمَصُورُ﴾** [الحشر: ٢٤]، وَقَالَ

تَعَالَى: **﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** [الأنعام: ١٠٢].



٢٧- الْعَبِيرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾

[الأنعام: ١٨].

٢٨- الْخَلَّاقُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

٢٩- الْخَيْرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

٣٠- الرَّءُوفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[النحل: ٤٧].

٣١- الرَّبُّ، فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٤٧٩)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: «أَلَا وَإِنِّي مُنِيَّتُ أَنْ أَفْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّجَلَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ».

٣٢- الرَّحْمَنُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّخِيمَ الرَّحِيمَ ۝١﴾ [الفاتحة: ١]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وَقَالَ

تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

٣٣- الرَّحِيمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝١١﴾ [الحجر: ٤٩]،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

٣٤- الرَّزَّاقُ، الرَّازِقُ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

[الذاريات: ٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٢﴾ [البقرة: ٢١٢].

٣٥- الرَّفِيقُ، فِي الْبُخَارِيِّ (٦٩٢٧)، وَمُسْلِمٍ (٢٥٩٣)، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ

وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ».



٣٦- الرَّقِيبُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ

أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

٣٧- السُّبُوْحُ، فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٤٨٧)، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ أَنَّ

عَائِشَةَ نَبَّأَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ «سُبُوْحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ».

٣٨- السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾

[الحشر: ٢٣]، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٥٩١)، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِذَا أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا

الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ». قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ الْإِسْتِغْفَارُ قَالَ: تَقُولُ اسْتَغْفِرُ

اللَّهُ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

٣٩- السَّمِيعُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ

قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

٤٠- السَّيِّدُ، عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: «قَالَ: أَبِي انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا،

وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا. فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِبَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٨٠٦).

٤١- الشَّافِي، فِي الْبُخَارِيِّ (٥٧٥٠)، وَمُسْلِمٍ (٢١٩١)، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ: «أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ

وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا».



٤٢- الشاكِرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ

وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

٤٣- الشُّكُورُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ

شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَقْرِبُوا اللَّهَ قَرَّبْنَا حَسَنَاتٍ لَكُمْ يَضْعَفُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

٤٤- الشَّهِيدُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى

مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

٤٥- الصَّمَدُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢].

٤٦- الطَّيِّبُ، فِي «مَسْنَدِ أَحْمَدَ ط الرِّسَالَةِ» (٣٩/٢٩)، عَنْ أَبِي رِمَّةَ، قَالَ: أَتَيْتُ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَبِي، فَرَأَى النَّبِيَّ بَظَهْرِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَعَالِجُهَا لَكَ فَإِنِّي طَيِّبٌ؟ قَالَ: «أَنْتَ رَفِيقٌ، وَاللَّهُ الطَّيِّبُ».

وَفِي «الْمَجَالِسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ» لِأَبِي بَكْرِ الْمَالِكِيِّ (٣٠٥٤) قَالَ: دَخَلَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى

عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرَةَ يُعُودُهُ، وَعِنْدَهُ مِطْبَبٌ يَذُوفٌ لَهُ دَرِيَاقَا؛ فَأَنْشَأَ الْفَرَزْدَقُ يَقُولُ:

يَا طَالِبَ الطَّبِّ مِنْ دَاءٍ تَخَوَّفَهُ ❀❀ ❀❀ إِنَّ الطَّيِّبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالدَّاءِ

هُوَ الطَّيِّبُ فَمِنْهُ الْبَرُّ فَالتَّمَسْ ❀❀ ❀❀ لَا مَنْ يَذُوفُ لَكَ الدَّرِيَاقَ بِالمَاءِ

فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: وَاللَّهِ! لَا أَشْرَبُهُ أَبَدًا، فَمَا أَمْسَى حَتَّى وَجَدَ الْعَافِيَةَ.

٤٧- الطَّيِّبُ، فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١٠١٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ

الرُّسُلِينَ فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

❀ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾



[البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ».

٤٨- الظَّاهِرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

٤٩- الْعَالِمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾

[الأنعام: ٧٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا

يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].

٥٠- الْعَزِيزُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠].

٥١- الْعَظِيمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

٥٢- الْعَفُوُّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ

تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ نَخَفُوا أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

٥٣- الْعَلِيُّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ

يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَتَتْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَتِ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ

الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

٥٤- الْعَلِيمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ

الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ تَبَّأَيُّ الْعَلِيمِ الْخَبِيرُ﴾ [التحریم: ٣]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].



٥٥- الْعَفَّارُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [ص: ٦٦]،

في ثلاثة مواطن من القرآن كلها مقترنة بالعزير.

٥٦- الْغَفُورُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

٥٧- الْغَنِيِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤].

٥٨- الْفَتَّاحُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ

الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

٥٩- الْقَابِضُ، جَاءَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ (٣٤٥١)، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، غَلَا

السَّعْرُ فَسَعَّرَ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ

الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ».

٦٠- الْقَادِرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ

أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسْكُرُ سَيْحًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

٦١- الْقَاهِرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾

[الأنعام: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾

[الأنعام: ٦١].

٦٢- الْقُدُّوسُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

٦٣- الْقَدِيرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، وَقَالَ

تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠].

٦٤- الْقَرِيبُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن

أَهْتَدَيْتُمْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ رَبِّيَ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].



٦٥- الْقَهَّارُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مُتَفَرِّقُونَ حَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

[يوسف: ٣٩]، في ستة مواطن من القرآن كلها مقترنة بالواحد.

٦٦- الْقَوِيُّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزْقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

٦٧- الْقَيُّومُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]، في ثلاثة

مواطن من القرآن كلها مقترنة بالحي.

٦٨- الْكَبِيرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، في خمسة مواطن من القرآن.

٦٩- الْكَرِيمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، وَقَالَ

تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، في هذين المواطنين من القرآن.

٧٠- اللَّطِيفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وَقَالَ

تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

٧١- الْمَالِكُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

٧٢- الْمُبِينُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ

الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

٧٣- الْمُتَعَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٣].

٧٤- الْمُتَكَبِّرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمُهَيِّمِينَ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْمُتَكَبِّرِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، في مواطن واحد، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٧].



٧٥- الْمَتِينُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، في موطن واحد.

٧٦- الْمُجِيبُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، في موطن واحد، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

٧٧- الْمَجِيدُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُوَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، ذكر في هذين الموطنين.

٧٨- الْمُحِيطُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤].

٧٩- الْمُسْتَعَانُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، في موطن واحد.

٨٠- الْمُسَعَّرُ، جاء عند أبي داود (٣٤٥١)، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، غَلَا السَّعْرُ فَسَعَّرْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعَّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ».

٨١- الْمُصَوَّرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، في موطن واحد، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣].

٨٢- الْمُعْطِي، في البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧)، عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ».

٨٣- الْمُقْتَدِرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].



٨٤- الْمُقَدَّمُ، فِي مُسَلِمٍ (٧٧١)، عَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشْهُدِ وَالتَّسْلِيمِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

٨٥- الْمَقِيتُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

٨٦- الْمَلِكُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

٨٧- الْمَلِيكُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

٨٨- الْمَنَّانُ، فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ طِ الرَّسَالَةِ» (١٩٢/٢١)، عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فِي الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللَّهُ؟» قَالَ: فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ».

٨٩- الْمُهَيِّمُنُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ

الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، فِي مَوْطِنٍ وَاحِدٍ.

٩٠- الْمُؤَخَّرُ، فِي مُسَلِمٍ (٢٧١٩)، عَنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».



٩١- الْمُؤْمِنُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، في موطن واحد.

٩٢- الثُّورُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

٩٣- الْوَاحِدُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]، في ستة مواطن كلها مقترنة بالقهار.

٩٤- الْوَاسِعُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًَّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

٩٥- الْوِثْرُ، فِي الْبَخَارِيِّ (٦٤١٠)، وَمُسْلِمٍ (٢٦٧٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَن حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنَّ اللَّهَ وَثْرٌ يُحِبُّ الْوِثْرَ».

٩٦- الْوُدُودُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِن رَّبِّي رَجِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

٩٧- الْوَكِيلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

٩٨- الْوَلِيُّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الشورى: ٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

٩٩- الْوَهَّابُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩].

هذه الأسماء أرجو أن تكون هي المرادة من حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَن حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنَّ اللَّهَ وَثْرٌ يُحِبُّ الْوِثْرَ»، وإلا فأسماء الله



تعالى الحسنى غير محصورة بعدد معلوم لنا على ما تقدم، زد على ذلك أنني لم أذكر الأسماء المركبة ك: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ﴿جَامِعِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩]، والحمد لله رب العالمين.

* **تنبيه:** سرد الأسماء الحسنى لم يثبت مرفوعاً عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ شيخ الإسلام في «الفتاوى الكبرى» (٣٨٠/٢): أَنَّ التَّسْعَةَ وَالتَّسْعِينَ اسْمًا لَمْ يَرِدْ فِي تَعْيِينِهَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْهُرُ مَا عِنْدَ النَّاسِ فِيهَا، حَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ، الَّذِي رَوَاهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، وَحُفَّازُ أَهْلِ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِمَّا جَمَعَهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ شُيُوخِهِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَفِيهَا حَدِيثٌ ثَانٍ أَوْعَفُ مِنْ هَذَا، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ. اهـ





باب الصفات

تقدم سرد ما أردنا من أسماء الله **عَزَّوَجَلَّ** الحسنَى في القرآن والسنة بياناً لهداية القرآن في هذا الباب، نزيد هنا بياناً لبعض ما تضمنه من صفات الله **عَزَّوَجَلَّ**، فمنها:

الأولى: صفة الوجه لله **عَزَّوَجَلَّ:**

وهي صفة ثابتة بدلالة القرآن والسنة والإجماع، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وهو وجه حقيقي يليق بالله **عَزَّوَجَلَّ**، ولا يقال هو الثواب أو الإحسان كما تقول المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ومما يدل على أنه صفة لله **عَزَّوَجَلَّ** أمور:

الأول: بيان القرآن والسنة لذلك.

الثاني: أن الوجه يقوم بغيره، وما يقوم بغيره فهو صفة لمن أضيف إليه.

الثالث: أن الوجه كمال، ومعطي الكمال أولى به.

الرابع: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يستعيز بوجه الله فدل على أن الوجه صفة لله **عَزَّوَجَلَّ**، ولو كان مخلوقاً لما جازت الاستعاذة به، بل كان مشركاً إذا استعاذ بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**، وقد قال الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

عَنْ جَابِرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْسَكُ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ



بَأْسٍ بَعْضٌ ﴿٦٥﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا أَهْوَنُ أَوْ هَذَا أَيْسَرُ». أخرجه البخاري (٤٦٢٨).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، قَالَ: أَقْطُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ: ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ. أخرجه أبو داود (٤٦٦)، صحيح.

الخامس: أن الله عزَّ وجلَّ وصف وجهه بأنه ذو الجلال والإكرام، وهذا الوصف لا يكون لمخلوق البتة، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَالِيهَا قَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

السادس: قد جاء في وصف وجه الله أن سبحاته تحرق جميع ما انتهى إليه بصره من المخلوقين.

عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». أخرجه مسلم (١٧٩).

السابع: أن وجه الله يُنظَرُ إليه يوم القيامة، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُمَا: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشِرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ،



فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَائِنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا» أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

وجاء نحوه عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

وفي حديث عمّار بن ياسر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مرفوعاً: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْبَبَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّيَنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءِ مُضِرَّةٍ، وَمِنْ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيْنًا بَرِيئَةَ الْإِيْمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيَّينَ». أخرجه الإمام أحمد بن حنبل (١٨٣٥١)، والنسائي في الكبرى (١٢٢٩)، وهو حديث صحيح.

إلى غير ذلك من أوجه البيان.

وأما من فسّر الوجه بالجهة فلا حجة له إلا ما تشبث به عن مجاهدٍ والشافعيّ في تفسيرهم لقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَشَرَّ وَجْهٍ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَسِعُ عِلْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٥]، أي: جهة الله، ووجهه: أن هذه الآية ليست من آيات الصفات عند جمع من أهل العلم إنما هي من آيات الأحكام، وعند غيرهم: أنها من آيات الصفات، ووجهه أن المصلي إذا قام يصلي فإن الله ينصب وجهه قبل وجه المصلي، كما ثبت في حديث رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، والله **عَزَّجَلَّ** محيط بكل شيء وفوقه.

وعن جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي مَسْجِدِنَا هَذَا، وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ، فَرَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَحَكَّهَا بِالْعُرْجُونِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا



فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قَالَ فَخَشَعْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قَالَ: فَخَشَعْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قُلْنَا: لَا أَيُّنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبَلَ وَجْهَهُ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قَبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى، فَإِنْ عَجَلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيُقِلْ بِثَوْبِهِ هَكَذَا» ثُمَّ طَوَى ثَوْبَهُ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: «أُرُونِي عَيْبًا» فَقَامَ فَتَى مِنْ الْحَيِّ يَشْتَدُّ إِلَى أَهْلِهِ، فَجَاءَ بِخَلْقٍ فِي رَاحَتِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ الْعُرْجُونِ، ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَثَرِ النَّخَامَةِ، فَقَالَ جَابِرٌ: فَمِنْ هُنَاكَ جَعَلْتُمْ الْخَلْقَ فِي مَسَاجِدِكُمْ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣٠٠٨).

وَعَنْ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، مَرْفُوعًا فِي قِصَّةِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا: «... وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ»، الْحَدِيثُ. أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٧٢٠٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٨٦٣)، وَالْحَاكِمُ (٨٦٣)، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. فَهَذِهِ أَحَادِيثٌ صَحِيحَةٌ يُثْبِتُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِاللَّهِ بَعِيدًا عَنِ الْوَسَاوِسِ وَالظُّنُونِ.

الثانية: إثبات النفس لله عزَّ وجلَّ:

قَالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢]، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ [المائدة: ١١٦].

وَفِي حَدِيثِ جُوَيْرِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكَرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا



زَلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتِكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ قُلْتُ بِعَدْلِكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». أخرجه البخاري (٧٤٥٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

إلى غير ذلك من الأدلة، ونفس الله ذاته المتصفة بالصفات فيكون الوجه والسمع والبصر والقدرة والغضب من صفات النفس.

وقال بعض أهل العلم: إن النفس صفة من صفات الذات، وليست هي الذات، والصحيح: الأول، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**، فتقول: جاء زيد نفسه، وتريد ذاته.

وقد جاءت النصوص في إثبات الذات، فمنها: ما أخرجه البخاري (٣٠٤٥) أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَاةِ، وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُدَيْلٍ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ كُلُّهُمْ رَامَ، فَافْتَضُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَا كُلُّهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرٌ يَثْرِبُ فَافْتَضُّوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا رَأَهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَّجُوا إِلَى فِدْفِدٍ وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ، فَقَالُوا لَهُمْ: انزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ، وَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا، قَالَ عَاصِمٌ بِنُ ثَابِتِ أَمِيرِ السَّرِيَّةِ: أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَاقْتُلُوا عَاصِمًا



فِي سَبْعَةٍ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، مِنْهُمْ حُبَيْبُ الْأَنْصَارِيِّ، وَابْنُ دَثِينَةَ، وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، وَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكُمْ إِنْ لِي فِي هَؤُلَاءِ لَأَسْوَأَ يُرِيدُ الْقَتْلَى، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى فَقَتَلُوهُ، فَاذْطَلَقُوا بِحُبَيْبٍ، وَابْنِ دَثِينَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقَعَةِ بَدْرٍ، فَابْتِئَاعَ حُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَ حُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَبِثَ حُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَاضٍ، أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ، فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا عَافِلَةٌ حِينَ آتَاهُ قَالَتْ: فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعْتُ فَرَعَةً عَرَفَهَا حُبَيْبٌ فِي وَجْهِي، فَقَالَ: تَخْشِينَ أَنْ أَقْتَلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ حُبَيْبٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثِقٌ فِي الْحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لِرِزْقٍ مِنَ اللَّهِ رَزَقَهُ حُبَيْبًا، فَلَمَّا حَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ، قَالَ لَهُمْ حُبَيْبٌ: ذُرُونِي أَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ، فَتَرْكُوهُ، فَارْكَعُ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتَهَا، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا:

مَا أَبَالِي حِينَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا ❀❀ عَلَى أَيِّ شِقِّ كَانَ لِلَّهِ مَضْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأُ ❀❀ يُبَارِكُ عَلَيَّ أَوْصَالِ شَلْوٍ مُمَزَّعٍ
فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ فَكَانَ حُبَيْبٌ هُوَ سَنُّ الرَّكَعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قَتِلَ صَبْرًا،
الحديث.

الثالثة: صفة اليمين لله عز وجل:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَقَالَ تَعَالَى:
﴿قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]،



فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

وفي الأحاديث أكثر من ذلك، منها: حديث أنس: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَىٰ رَبِّنَا حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا...»، الحديث. أخرجه البخاري (٧٤١٠).

ومنها: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلَأَىٰ لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَنْفِضُ وَيَرْفَعُ». أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).

ومنها: حديث ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِبَيْمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ» أخرجه البخاري (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨).

ومنها: حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَعْبُدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بَقِضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).



ومنها: حديث أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَسْطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مِثِّي نَهَارًا، وَيَسْطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مِثِّي لَيْلًا، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَزُبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرْبِي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ أَوْ فَصِيلُهُ». أخرجه مسلم (١٠١٤).

ومنها: حديث أبي الأحوص، عن أبيه، قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَصَعَدَ فِي النَّظَرِ، وَصَوَّبَ، وَقَالَ: «أَرَبُّ إِبِلٍ أَنْتَ أَوْ رَبُّ غَنَمٍ؟» قَالَ: مِنْ كُلِّ قَدْ آتَانِي اللَّهُ، فَأَكْثَرَ وَأَطْيَبَ، قَالَ: «فَتَتَّجِهَا وَافِيَةً أَعْيُنُهَا وَأَذَانُهَا، فَتَجِدُ هَذِهِ، فَتَقُولُ صَرْمًا - ثُمَّ تَكَلِّمُ سُفْيَانَ بِكَلِمَةٍ لَمْ أَفْهَمْهَا - وَتَقُولُ: بَحِيرَةَ اللَّهِ؟ فَسَاعِدِ اللَّهَ أَشَدُّ، وَمُوسَاهُ أَحَدٌ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَأْتِيكَ بِهَا صَرْمًا أَتَاكَ». قُلْتُ: إِلَى مَا تَدْعُو؟ قَالَ: «إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّحِمِ». قُلْتُ: يَأْتِينِي الرَّجُلُ مِنْ بَنِي عَمِّي، فَأَحْلِفُ أَنْ لَا أُعْطِيَهُ ثُمَّ أُعْطِيهِ؟ قَالَ: «فَكْفُرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ عَبْدَانِ أَحَدُهُمَا يُطِيعُكَ وَلَا يُخُونُكَ وَلَا يَكْذِبُكَ، وَالْآخَرُ يُخُونُكَ وَيَكْذِبُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا، بَلِ الَّذِي لَا يُخُونُنِي، وَلَا يَكْذِبُنِي، وَيَصْدُقُنِي الْحَدِيثَ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: «كَذَّاكُمْ أَنْتُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ عَزَّجَلَّ». أخرجه أحمد بن حنبل (١٧٢٦٧)، وهو حديث صحيح.

والشاهد مما تقدم: إثبات يدين حقيقتين لله عزَّجَلَّ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُسْطِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنْابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّجَلَّ، وَكَلَّمْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا». أخرجه مسلم (١٨٢٧).



وقد فسّر أهل البدع اليد بالقوة أو النعمة أو القدرة، وكلها تفاسير تخالف عقيدة السلف أصحاب الحديث، ومن أوجه الرد عليهم:

الأول: إن الله **عَزَّجَلَّ** يدين حقيقتين وأنها متصفة بالأصابع، والساعد، والكفّ، وأن الله يقبض ويبسط، ويرفع ويخفض، ويأخذ، وكلتاها يمين، وكل هذا يمنع القول بالمجاز كما تزعم المبتدعة.

الثاني: إن صفة القوة لله **عَزَّجَلَّ** واحدة وكذلك القدرة، وهنا إثبات يدين فلو كانت هي القوة أو القدرة لكانت له قوتان وقدرتان وهذا خلاف إجماع العقلاء.

الثالث: إن نعم الله **عَزَّجَلَّ** كثيرة لا تعد ولا تحصى وليست نعمتان فقط، قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

الرابع: أن خلق آدم إن كان بالنعمة أو القدرة أو القوة على تفسير المبتدعة لما كان له فضل على إبليس من حيث الخلقة ولقال إبليس خلقتة بقوتك وخلقتني بقوتك.

وأما أفراد اليد في قول الله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، فإن القاعدة على أن المفرد إذا أضيف دل على العموم لا الحصر، والشبهة تدل على الحصر، والجمع يدل على التعظيم وإن كان أقل الجمع اثنين فلا تعارض، وبالله التوفيق.

الرابعة: صفة الساق لله **عَزَّجَلَّ**:

وجاء وصفه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** في القرآن بالساق، ودلت عليه السنة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ١٤].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «... فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا



أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ»، الحديث. أخرجه البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعاً: «... ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ». أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

ويضع ربنا عَزَّ وَجَلَّ قدمه ورجله على النار كما ثبت في الآثار، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَحَابَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبَّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغَيْرُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَسَاءٍ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أَعْدَبُ بِكَ مِنْ أَسَاءٍ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رِجْلَهُ، تَقُولُ: قَطُّ قَطُّ قَطُّ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِي، وَيُزَوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا». أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦)، واللفظ له.

سُقْتُ هذا الحديث لبيان أن قوله في رواية أخرى: «يُنْشِئُ لِلنَّارِ مِنْ يَشَاءُ» لا يثبت، بل هو وهمٌ من بعض الرواة، وإنما هذا في حق الجنة حيث يتفضل الله على من يشاء، وأما النار فلا يدخل فيها أحدٌ إلا بذنوبه على ما هو مقرر في موطنه.



الخامسة: صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ:

أدلة هذه الصفة أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، والكلام عليها من وجهين:

الوجه الأول: إثبات أن الله عَزَّوَجَلَّ متكلم أزلاً وأبداً، وأنه متكلم بحرف وصوت، وأنه كلم موسى تكليماً.

فقد قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿رَتَدْتَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، إلى غير ذلك من الأدلة في هذا الباب.

ومنها: حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَقِيَ آدَمَ مُوسَى، فَقَالَ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَأَسْكَنْكَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ فَعَلْتَ، فَقَالَ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ، وَاصْطَفَاكَ بِرِسَالَتِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْرَةَ، ثُمَّ أَنَا أَقْدَمُ أُمَّ الذِّكْرُ؟ قَالَ: لَا، بَلِ الذِّكْرُ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى». أخرجه أحمد بن حنبل (٩٩٩٠)، وهو حديث صحيح.



وفي رواية: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك حطيتك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمرٍ قدّر عليّ قبل أن أخلق»، فقال رسول الله ﷺ: «فحج آدم موسى مرتين». أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

الوجه الثاني: أن القرآن كلام الله عز وجل ووحيه وتنزيله وأنه غير مخلوق، قال الله عز وجل: ﴿وَلَنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلغَهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].

عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف، فقال: «ألا رجل يحملني إلى قومي، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي». أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجه (٢٠١)، وهو حديث صحيح.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «... والله يعلم أي حبيذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في أمر»، الحديث. أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

ومما يدل على إثبات صفة الكلام الأمر بالاستعاذة بكلمات الله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرّب لدعيتي البارحة، قال: «أما لو قلت، حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك». أخرجه مسلم (٢٧٠٩).



وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ السُّلَمِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنَزَلًا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ». أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

وهنا أمور:

الأول: أن الله **عَزَّجَلَّ** متكلم بحرف وصوت متى شاء وكيف شاء، ودليل الحرف والصوت قوله: ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ فإن النداء بصوت عالٍ، وقوله: ﴿نَجِيًّا﴾ والمناجاة بصوت خافت.

الثاني: أن صفة الكلام كمال، ومعطي الكمال أولى به.

الثالث: أن الكلام معني يقوم بغيره، فإضافته إلى الله إضافة صفة إلى موصوفها.

الرابع: أن الخلق يكون بأمره الذي هو كلامه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ففرق بين الخلق والأمر.

الخامس: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد استعاذ بصفة الكلام لله **عَزَّجَلَّ**، ولو كان الكلام مخلوقًا ما جاز الاستعاذة به.

السادس: أن القول بخلق القرآن يلزم منه القول بخلق الأسماء والصفات.

السابع: قول المبتدعة إن القرآن مخلوق لأنه شيء، وقد قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فالجواب من وجهين:

أحدهما: أي: خالق كل شيء من الأشياء المخلوقة، و(كل) تفيد العموم بحسبها، كما قال الله تَعَالَى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، ومسكنهم أشياء لا تدمر.

الوجه الثاني: أن الله شيء، كما قال **عَزَّجَلَّ** عن نفسه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، فهل يقال مخلوق على أصلهم.



الثامن: أن «جعل» ليست بمعنى «خلق» مطلقاً كما ظنه المبتدعة الضلال فقالوا في قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [الزخرف: ٣]، أي: خلقناه.

ووجهه: أن «جعل» إذا نصبت مفعولاً واحداً فهي بمعنى «خلق»، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** ﴾ [الأنعام: ١]، وإذا نصبت مفعولين فهي بمعنى صير، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا** ﴾ [الزخرف: ٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، أي: لا تصيروه.

إلى غير ذلك من الأوجه التي تدل على بطلان قول المبتدعة، ولهذا نقل العلماء تكفير من قال بخلق القرآن حتى قال الإمام ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كَفَرَهُمْ خَمْسُونَ فِي عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبِلَادِ وَاللَّالِكَائِي الْأَمَامِ حَكَاهُ عَنْهُمْ ❀❀ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِيُّ
انتهى من «القصيدة النونية» (١/ ٣٣).

وقال الإمام الأجري رَحِمَهُ اللهُ: فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** لَمْ يَكَلِّمْ مُوسَى فَقَدْ رَدَّ نَصَّ الْقُرْآنِ وَكَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فَإِنَّ قَوْلَ مَنْهُمْ قَائِلٌ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ كَلَامًا فِي الشَّجَرَةِ، فَكَلَّمَ بِهِ مُوسَى قِيلَ لَهُ: هَذَا هُوَ الْكُفْرُ، لِأَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ الْكَلَامَ مَخْلُوقٌ، تَعَالَى اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** عَنْ ذَلِكَ وَيَزْعُمُ أَنَّ مَخْلُوقًا يَدْعِي الرُّبُوبِيَّةَ، وَهَذَا مِنْ أَفْبَحِ الْقَوْلِ وَأَسْمَجِهِ وَقِيلَ لَهُ: يَا مُلْحِدُ، هَلْ يَجُوزُ لِغَيْرِ اللَّهِ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ؟ نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ قَائِلٌ هَذَا مُسْلِمًا، هَكَذَا كَافِرٌ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَرَجَعَ عَنْ مَذْهَبِهِ السُّوءِ وَإِلَّا قَتَلَهُ الْإِمَامُ، فَإِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ الْإِمَامُ وَلَمْ يَسْتَبِهُ وَعَلِمَ مِنْهُ أَنَّ هَذَا مَذْهَبُهُ هَجَرَ وَلَمْ يَكَلِّمْ، وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ وَلَمْ يُصَلِّ خَلْفَهُ، وَلَمْ تُقْبَلْ شَهَادَتُهُ، وَلَمْ يُزَوَّجْهُ الْمُسْلِمُ كَرِيْمَتَهُ. اهـ. «الشریعة» (٢/ ٢٥٢).



السادسة: صفة العلو والاستواء على العرش والنزول وبيان معنى المعية:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢].

والاستواء بمعنى العلو والارتفاع والصعود والاستقرار كما حكاه ابن القيم إجماعاً، وسيأتي بيانه إن شاء الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وذلك شامل لعلو القدر والقهر والذات.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ [١٦] أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ١٦-١٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].



ومن أدلة السنة ما صح عن أبي سعيد الخُدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً». أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ». أخرجه الترمذي (١٩٢٤)، والبيهقي في «الكبرى» (١٧٦٨٣)، وهو حسن لغيره.

وكل أحاديث المعراج تدل على أن الله **عَزَّوَجَلَّ** في السماء، ومعنى ذلك أنه على السماء فإن أحرف الجر يجري بينها التناوب، ويدل على ذلك قول الله تعالى عن فرعون: ﴿وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وقصد: على جذوعها.

وقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]، وأراد: امشوا على ظهرها.

وَقَوْلُهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْتَقَهَا، فَإِنَّمَا مُؤْمِنَةٌ». أخرجه مسلم (٥٣٧)، عن معاوية بن الحكم السلمي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

والأدلة على علو الله فطرية، وعقلية، وشرعية، كما تقدمت. فلو خلّي بين النفس وبين المؤثرات الخارجية لوجدتها لا تعدل عن اعتقاد أن الله **عَزَّوَجَلَّ** في العلو بل إن القلوب مفطورة على التعلق بالعلو، وهكذا العقل يدل على أن العلو أفضل من النزول، فإذا لم يكن الله **عَزَّوَجَلَّ** في العلو فهو في النزول، والثاني ممتنع عقلاً وشرعاً.

وإضافة إلى ما تقدم، ما جاء عن جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، في حجة الوداع: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ



قَدْ بَلَغَتْ وَأَدَّتْ وَنَصَحَتْ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابِيَّةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكِتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». أخرجه مسلم (١٢١٨).

وأدلة النزول قد رواها جمع من الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهي تدل على علو الله **عَزَّوَجَلَّ** على خلقه إذ النزول يكون من الأعلى إلى الأدنى.

منها: قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ لَيْلَةٍ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». الحديث متواتر، من ذلك أنه أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وجاء عن أبي سعيد وغيره مرفوعاً أيضاً.

وهو نزول حقيقي يليق بجلال الله **عَزَّوَجَلَّ**، على ما تقدم فيما يجب علينا من صيانة صفات الباري عن الظنون الكاذبة والأقيسة الفاسدة واحذر كل الحذر من زعم أو اعتقاد أن الله **عَزَّوَجَلَّ** حل في مخلوقاته أو متحد بها، وقد ذكر ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** نونيته عشرين وجهاً لإثبات علو الله **عَزَّوَجَلَّ** على عرشه ومبايئته لخلقته.

وقال الأجري رَحْمَةُ اللَّهِ: أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَحْذَرُ إِخْوَانِي الْمُؤْمِنِينَ مَذْهَبَ الْحُلُولَةِ الَّذِينَ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ فَخَرَجُوا بِسُوءِ مَذْهَبِهِمْ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، مَذَاهِبُهُمْ قَبِيحَةٌ، لَا يَكُونُ إِلَّا فِي كُلِّ مَفْتُونٍ هَالِكٍ، زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** حَالٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى أَخْرَجَهُمْ سُوءُ مَذْهَبِهِمْ إِلَى أَنْ تَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ** بِمَا يُنْكِرُهُ الْعُلَمَاءُ الْعُقَلَاءُ، لَا يُوَافِقُ قَوْلَهُمْ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ وَلَا قَوْلُ الصَّحَابَةِ وَلَا قَوْلُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنِّي لَأَسْتَوْحِشُّ أَنْ أذْكَرُ قَبِيحَ أفعالِهِمْ تَزْيِهَا مِنِّي لِجَلَالِ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ** وَعَظَمَتِهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ **رَحْمَةُ اللَّهِ**: إِنَّا لَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ سُوءُ مَذْهَبِهِمْ قَالُوا: لَنَا حُجَّةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ** فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَا الْحُجَّةُ؟ قَالُوا: قَالَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ



سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴿[المجادلة: ٧]﴾، وَيَقُولُهُ
عَرَجَلٌ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا
 كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فَلَبَّسُوا عَلَى السَّمِيعِ مِنْهُمْ بِمَا تَأَوَّلُوا، وَفَسَّرُوا الْقُرْآنَ عَلَىٰ مَا تَهَوَّى
 نُفُوسُهُمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، فَمَنْ سَمِعَهُمْ مِمَّنْ جَهَلَ الْعِلْمَ ظَنَّ أَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالُوهُ،
 وَلَيْسَ هُوَ كَمَا تَأَوَّلُوهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ: أَنَّ اللَّهَ **عَرَجَلٌ**
 سُبْحَانَهُ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ مَا
 خَلَقَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَا، وَبِجَمِيعِ مَا فِي سَبْعِ أَرْضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ،
 يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَيَعْلَمُ الْخَطَرَ وَالْهَمَّةَ،
 وَيَعْلَمُ مَا تُوسِسُ بِهِ النُّفُوسُ يَسْمَعُ وَيَرَىٰ، وَلَا يَعْزُبُ عَنِ اللَّهِ **عَرَجَلٌ** مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا بَيْنَهُنَّ، إِلَّا وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِهِ فَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ سُبْحَانَهُ
 الْعَلِيِّ الْأَعْلَىٰ تَرْفَعُ إِلَيْهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَرْفَعُونَهَا
 بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَايَسُّ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ
 وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الْآيَةُ الَّتِي بِهَا يَحْتَجُّونَ؟ قِيلَ لَهُ: عِلْمُهُ **عَرَجَلٌ** وَاللَّهُ
 عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِهِمْ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، كَذَا فَسَّرَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْآيَةُ
 يُدَلُّ أَوْلَاهَا وَآخِرُهَا عَلَى أَنَّهُ الْعِلْمُ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ؟ قِيلَ: قَالَ اللَّهُ **عَرَجَلٌ**: ﴿أَلَمْ تَرَ
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إِلَىٰ
 آخِرِ الْآيَةِ ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] وَابْتَدَأَ
 اللَّهُ **عَرَجَلٌ** الْآيَةَ بِالْعِلْمِ، وَخَتَمَهَا بِالْعِلْمِ، فَعِلْمُهُ **عَرَجَلٌ** مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ عَلَى
 عَرْشِهِ، وَهَذَا قَوْلُ الْمُسْلِمِينَ.



حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: نا أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنِي سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ قَالَ: قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللَّهُ عَزَّجَلَّ فِي السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ».

وَحَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: «اللَّهُ عَزَّجَلَّ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ» فَقُلْتُ: مَنْ أَخْبَرَكَ عَنْ مَالِكٍ بِهَذَا؟ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنْ سُرَيْجِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ.

وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: نا النَّضْرُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَوَزِيُّ قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: أَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾؟ قَالَ: «عِلْمُهُ».

وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: نا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: نا نُوحُ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ: نا بُكَيْرُ بْنُ مَعْرُوفٍ، عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] قَالَ: «هُوَ عَلَى الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ مَعَهُمْ».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [٧] [الملك: ١٧]، وَقَالَ عَزَّجَلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وَقَالَ عَزَّجَلَّ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ:



﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧]، وَقَالَ
عَرَبَجَلٌ: ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
 [الطلاق: ١٢]. اهـ. «الشريعة» للأجري (٢/ ٢٢٣-٢٢٧).

وقال الإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

- | | |
|--|--|
| وسل الْمُعْطَلُ عَن مَسَائِلِ خَمْسَةِ ❀❀ | تردي قَوَاعِدِهِ مِنَ الْأَرْكَانِ |
| قل للمعطّل هل تقول إلهنا ❀❀ | المعبود حَقًّا خَارِجَ الْأَذْهَانِ |
| فإِذَا نَفْسِي هَذَا فَذَاكَ مُعْطَلٌ ❀❀ | لِلرَّبِّ حَقًّا بَالِغَ الْكُفْرَانِ |
| وَإِذَا أَقْرَبَهُ فَسَلْهُ ثَانِيًا ❀❀ | أَتَرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ |
| فإِذَا نَفْسِي هَذَا وَقَالَ بِأَنَّهُ ❀❀ | هُوَ عَيْنَهَا مَا هَا هُنَا غَيْرَانِ |
| فقد ارتدئ بالاتحاد مُصْرَحًا ❀❀ | بِالْكَفْرِ جَا حِد رِبِهِ الرَّحْمَنِ |
| حاشا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ ❀❀ | وَهُمُ الْحَمِيرُ وَعَابِدُوا الصَّلْبَانَ |
| هُمُ خَصَمُوهُ بِالْمَسِيحِ وَأَمَهُ ❀❀ | وَأَوْلَاءُ مَا صَانُوهُ عَن حَيَوَانِ |
| وَإِذَا أَقْرَبَ بِأَنَّهُ غَيْرُ الْوَرَى ❀❀ | عَبْدٌ وَمُعْبُودٌ هُمَا شَيْئَانِ |
| فَأَسْأَلُهُ هَلْ هَذَا الْوَرَى فِي ذَاتِهِ ❀❀ | أَمْ ذَاتُهُ فِيهِ هُنَا أَمْرَانِ |
| فإِذَا أَقْرَبَ بِوَأَحِدٍ مِّنْ ذَيْنِكَ ❀❀ | الْأَمْرَيْنِ قَبْلَ خَدِّهِ النَّصْرَانِي |
| وَيَقُولُ أَهْلًا بِالَّذِي هُوَ مِثْلَنَا ❀❀ | خَشِدَاشِنَا وَحَبِيبِنَا الْحَقَّانِ |
| وَإِذَا نَفْسِي الْأَمْرَيْنِ فَاسْأَلُهُ إِذَا ❀❀ | هَلْ ذَاتُهُ اسْتَغْنَتْ عَنِ الْأَكْوَانِ |
| فَلِذَاكَ قَامَ بِنَفْسِهِ أَمْ قَامَ ❀❀ | بِالْأَعْيَانِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَكْوَانِ |
| فإِذَا أَقْرَبَ وَقَالَ بَلْ هُوَ قَائِمٌ ❀❀ | بِالنَّفْسِ فَاسْأَلُهُ وَقُلْ ذَاتَانِ |



بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ أَخْبَرَنِي هَمَا ❀❀ مَثَلَانِ أَوْ ضِدَانِ أَوْ غَيْرَانِ
 وَعَلَى التَّقَادِيرِ الثَّلَاثِ فَإِنَّهُ ❀❀ لَوْلَا التَّبَايُنَ لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ
 ضِدِّينِ أَوْ مَثَلَيْنِ أَوْ غَيْرَيْنِ كَمَا ❀❀ نَابِلُ هَمَا لَا شَكَّ مُتَّحِدَانِ
 فَلِذَلِكَ قُلْنَا إِنَّكُمْ بَابٌ لِمَنْ ❀❀ بِالاتِّحَادِ يَقُولُ بَلْ بَابَانِ
 نَقَطْتُمْ لَهُمْ وَهُمْ خَطُّوا عَلَيَّ ❀❀ نَقَطَ لَكُمْ كَمَا عَلَّمَ الصَّبِيَّانِ
 انتهى من «القصيدة النونية» (١/ ٤٩).

وأما دعوى أن «استوى» بمعنى «استولى» فهي دعوى عارية عن الدليل، وغاية ما
 يتشبث به المبتدعة بيت من الشعر ينسب إلى الأخطل:

قَدْ اسْتَوَى بِشُرِّ عَلَى الْعِرَاقِ ❀❀ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ
 وقد قال الإمام ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي بَيَانِ ذَلِكَ:
 ودليلهم في ذاك بيت قاله ❀❀ فِيمَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي
 يَا قَوْمَ قَدْ غَلَطَ النَّصَارَى قَبْلَ فِي ❀❀ مَعْنَى الْكَلَامِ وَمَا اهْتَدَوْا لِبَيَانِ
 وَلِأَجْلِ ذَا جَعَلُوا الْمَسِيحَ إِلَهُمَ ❀❀ إِذْ قِيلَ كَلِمَةٌ خَالِقُ رَحْمَانَ
 وَلِأَجْلِ ذَا جَعَلُوهُ نَاسُوتًا وَلَا ❀❀ هُوَ تَا قَدِيمًا بَعْدَ مُتَّحِدَانِ
 انتهى من «القصيدة النونية» (١/ ٣١).



وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

نون اليَهُودِ وَلَا مِ جَهْمِي هَمَا ❀❀ فِي وَحْيِ رَبِّ الْعَرْشِ زَائِدَتَانِ
انتهى من «**القصيدة النونية**» (١/ ٧٦).

وقال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** في لاميته:

فُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرَانَ وَرَاءَهُ ❀❀ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ
وهنا أمور:

الأول: أن «**استوى**» في لغة العرب لا يعرف بمعنى «**استولى**» بإجماع أهل اللغة.

الثاني: أن «**استوى**» بمعنى «**استولى**» يدل على المغالبة بين الله وبين آخر كان
العرش معه، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً.

الثالث: أن «**استوى**» إن عُدَّتْ بِنَفْسِهَا دَلَّتْ عَلَى الْكَمَالِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا
بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤]، وتدل على المساواة كقولهم:
استوى الماء والخشبة إذا عدت بالواو، وتدل على العلو إذا عُدَّتْ بَعْلَى، كقوله
تعالى: ﴿لِنَسْتَوِيَا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣]،
وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فافهم هذا تسلّم من تخرصات
القوم.

قال الإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

وأقرا تفاسير الأئمّة ذاكري ❀❀ الإسناد فهَي هِدَايَةَ الْحِيرَانِ
وَانظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِنَفْسِهِ ❀❀ سِيرَ اسْتَوَىٰ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانَ
وَانظُرْ إِلَى أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ ❀❀ كَمَجَاهِدٍ وَمُقَاتِلِ حَبْرَانَ
وَانظُرْ إِلَى الْكَلْبِيِّ أَيْضًا وَالَّذِي ❀❀ قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا نَكَرَانَ



- وَكَدَّا رَفِيعَ التَّابِعِيِّ أَجْلَهُمْ ❀❀ ذَاكَ الرَّيَّاحِي الْعَظِيمَ الشَّانَ
- كَمْ صَاحِبَ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ ❀❀ فَلِذَلِكَ مَا اخْتَلَفَا عَلَيْهِ اِثْنَانِ
- فَلِيَهْنِ مَنْ قَدِ سَبَّهُ إِذْ لَمْ يُوَافِقْ ❀❀ قَوْلُهُ تَحْرِيفَ ذِي الْبُهْتَانِ
- فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ ❀❀ قَدْ حَصَلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَانِ
- وَهِيَ اسْتَقْرَرَتْ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ ❀❀ ارْتَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نَكَرَانِ
- وَكَذَلِكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ ❀❀ وَأَبُو عُيَيْدَةَ صَاحِبَ الشَّيْبَانِيِّ
- يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ ❀❀ أَدْرِي مَنْ الْجَهْمِيُّ بِالْقُرْآنِ
- وَالْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ تَفْسِيرَ اسْتَوَى ❀❀ بِحَقِيقَةِ اسْتَوْلَى مِنَ الْبُهْتَانِ
- هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْاِعْتِزَالِ وَقَوْلُ ❀❀ أَبْبَاعِ لَجْهَمٍ وَهُوَ ذُو بَطْلَانَ
- فِي كِتَابِهِ قَدْ قَالَهَذَا مِنْ مَوْجِزٍ ❀❀ وَإِبَانَةٍ وَمَقَالَةٍ بَيِّنَانِ
- وَكَذَلِكَ الْبَغَوِيُّ أَيْضًا قَدْ حَكَاهُ ❀❀ عَنْهُمْ بِمَعَالِمِ الْقُرْآنِ
- وَانظُرْ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكٌ ❀❀ قَدْ صَحَّ عَنْهُ قَوْلُ ذِي اِئْتِقَانِ
- فِي اِلسْتَوَاءِ بِأَنَّهُ الْمَعْلُومُ لَكِنْ ❀❀ كَيْفَهُ خَافَ عَلَى الْأَذْهَانِ
- وَرَوَى ابْنُ نَافِعِ الصَّدُوقِ سَمَاعَهُ ❀❀ مِنْهُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالِئْتِقَانِ
- اللَّهُ حَقًّا فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ ❀❀ سُبْحَانَهُ حَقًّا بِكُلِّ مَكَانِ
- فَإَنْظُرْ إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ الذَّاتِ ❀❀ وَالْمَعْلُومِ مِنْ ذَا الْعَالَمِ الرَّبَّانِيِّ
- فَالذَّاتُ خَصَتْ بِالسَّمَاءِ وَإِنَّمَا ❀❀ الْمَعْلُومُ عَمَّ جَمِيعَ ذِي الْأَكْوَانِ

انتهى من «القصيدة النونية» (١/ ٥٧-٥٨).



السابعة: صفات الأفعال:

ونجمل هنا الكلام على صفات الأفعال فإن الله يقول عن نفسه: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] ومن أمثلة هذه الصفات صفة الغضب، والرضا، والسخط، والكرهية، والضحك، وغيرها من صفات الفعل.

وقد تجلت دلالة القرآن والسنة في إثبات صفات الفعل لله **عَزَّوَجَلَّ** وأنه فعَّال لما يريد، فيغضب، ويسخط، ويكره، ويرضى، لا كأحد من الورى، تعالى الله أن يكون لا صفات له وتنزه أن يماثله أحد من خلقه، وقد أخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** عن نفسه أنه: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، وقال: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦]، وقال: ﴿غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ [الزخرف: ٥٥]، والأسف شدة الغضب.

وأما الأسف بمعنى الحزن فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** منزه عنه، ومنه قول تعالى في قصة يعقوب **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُونُسَ﴾ [يوسف: ٨٤]. وقال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، في آيات كثيرة، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وعن أبي هريرة، عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قالت: فقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَىٰ بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ» أخرجه مسلم (٤٨٦).



وفي قصة الأعمى والأبرص والأقرع قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقَالَ - يعني الملك - أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». أخرجه البخاري (٣٤٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا سَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ». أخرجه مسلم (٤٤٨١).

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [غافر: ٣٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: والمقت البغض الشديد وهو من جنس الغضب المناسب لحال هؤلاء. اهـ. «الاستقامة» (١/ ١٨).

ويحب الله سبحانه وتعالى حبًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ



اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ [البقرة: ١٩٥] إِلَى غير ذلك من الآيات.

وفي حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ النَّقِيَّ، الْغَنِيِّ، الْحَفِيَّ». أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أَنَّهُ قَالَ: «عِظْمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظْمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وهو حديث حسن. ويضحك الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ضحكك يليق بجلاله.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يُضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ». أخرجه البخاري (٢٦٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، بِرِجْمَةِ اللَّهِ؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيِّفِي رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصَّبِيَّةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَّةُ الْعِشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَى فَأَطْفِئِي السَّرَاجَ وَنَطْوِي بَطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. أخرجه البخاري (٤٨٨٩) واللفظ له، ومسلم (٢٠٥٤).

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أيضًا مرفوعًا في قصة آخر من يدخل الجنة: «... حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتَكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي



رَبَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِقٍ، فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟، وَيَلِكُ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشَقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: مَمَّنَّ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيَدْكُرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَخْرُ مِنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلًا، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُ مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا التَّتَمَّتْ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأُولَى وَالْآخِرِينَ، فَتَرَفُّعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخَلَنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا سِتْظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْدِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُذِنُّهُ مِنْهَا، فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخَلَنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَسْأَلْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْدِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُذِنُّهُ مِنْهَا فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخَلَنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْدِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُذِنُّهُ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا



فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخَلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِيفِي مِنْكَ؟ أَيُّرِضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟».

فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكَ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكَ، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَتَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ». أخرجه مسلم (١٨٧).

ويعجب الله عزَّ وجلَّ عجبًا يليق بجلاله.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصفات: ١٢]، بضمّ التاء على قراءة ابنِ

مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «مَنْ يَصِفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاذْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدِكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتٌ صَبْيَانِي، قَالَ: فَعَلَّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ صَيَّفْنَا فَأَطْفِئِ السَّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السَّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَفَعَدُوا وَأَكَلَّ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «قَدْ عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمْ بِصَيْفِكُمْ اللَّيْلَةَ». أخرجه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) واللفظ له.

والعجب هنا لخروج الشيء عن نظائره، لا من خفاء الأسباب، فإن الله عزَّ وجلَّ لا

تخفي عليه خافية.



ومنها: أنه يرحم من يشاء من عباده، فهو الغفور الرحيم، الغفور: ذو المغفرة، كما أن الرحيم: ذو الرحمة، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مِنْ «صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى» مَا قَدْ يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ كَمَا يُعْلَمُ أَنَّهُ عَالِمٌ وَأَنَّهُ قَادِرٌ وَأَنَّهُ حَيٌّ؛ كَمَا أُرْسِدَ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ وَقَدْ اتَّفَقَ النَّظَارُ مِنْ مُثَبِّتَةِ الصِّفَاتِ: عَلَى أَنَّهُ يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهُ حَيٌّ؛ عَلَيْهِمْ؛ قَدِيرٌ؛ مُرِيدٌ؛ وَكَذَلِكَ السَّمْعُ؛ وَالْبَصَرُ وَالْكَلامُ. يَثْبُتُ بِالْعَقْلِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ بَلْ وَكَذَلِكَ الْحُبُّ وَالرِّضَا وَالْعَضْبُ. يُمَكِّنُ إِثْبَاتُهُ بِالْعَقْلِ وَكَذَلِكَ عَلُوهُ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ وَمُبَايَنَتُهُ لَهَا مِمَّا يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ كَمَا أَثْبَتَهُ بِذَلِكَ الْأَئِمَّةُ: مِثْلُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ. وَمِثْلُ: عَبْدِ الْعَالِيِّ الْمَكِّيِّ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كِلَابٍ؛ بَلْ وَكَذَلِكَ إِمْكَانُ الرُّؤْيَةِ: يَثْبُتُ بِالْعَقْلِ، لَكِنْ مِنْهُمْ مَنْ أَثْبَتَهَا بِأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ تَصِحُّ رُؤْيَتُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَثْبَتَهَا بِأَنَّ كُلَّ قَائِمٍ بِنَفْسِهِ يُمَكِّنُ رُؤْيَتَهُ. وَهَذِهِ الطَّرِيقُ أَصَحُّ مِنْ تِلْكَ وَقَدْ يُمَكِّنُ إِثْبَاتُ الرُّؤْيَةِ بِغَيْرِ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ بِتَقْسِيمِ دَائِرِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ كَمَا يُقَالُ: إِنَّ الرُّؤْيَةَ لَا تَتَوَقَّفُ إِلَّا عَلَى أُمُورٍ وَجُودِيَّةٍ فَإِنَّ مَا لَا يَتَوَقَّفُ إِلَّا عَلَى أُمُورٍ وَجُودِيَّةٍ يَكُونُ الْمَوْجُودُ الْوَاجِبُ الْقَدِيمُ: أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْمُمْكِنِ الْمُحَدَّثِ وَالْكَلامُ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مِنَ الطَّرِيقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا الْأَئِمَّةُ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ نَظَارِ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَوْصُوفًا بِإِحْدَى الصِّفَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ: لَلَزِمَ اتِّصَافُهُ بِالْأُخْرَى؛ فَلَوْ لَمْ يُوصَفْ بِالْحَيَاةِ لُوصِفَ بِالْمَوْتِ؛ وَلَوْ لَمْ يُوصَفْ بِالْقُدْرَةِ لُوصِفَ بِالْعَجْزِ؛ وَلَوْ لَمْ يُوصَفْ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلامِ لُوصِفَ بِالصَّمَمِ وَالْخَرَسِ وَالْبُكْمِ وَطَرْدُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُوصَفْ بِأَنَّهُ مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ لَكَانَ دَاخِلًا



فِيهِ. فَسَلَبُ إِحْدَى الصِّفَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ عَنْهُ يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الْأُخْرَى وَتِلْكَ صِفَةٌ نَقْصٍ يُنَزَّهُ عَنْهَا الْكَامِلُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فَتَنْزِيهِهِ الْخَالِقِ عَنْهَا أَوْلَى. وَهَذِهِ الطَّرِيقُ غَيْرُ قَوْلِنَا إِنَّ هَذِهِ صِفَاتٌ كَمَالٍ يَتَّصِفُ بِهَا الْمَخْلُوقُ؛ فَالْخَالِقُ أَوْلَى فَإِنَّ طَرِيقَ إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ بِأَنْفُسِهَا مُعَايِرٌ لِطَرِيقِ إِثْبَاتِهَا بِنَفْيِ مَا يُنَاقِضُهَا. انتهى من «العقيدة التدمرية» (٥٩-٦٠).

فكل هذه الصفات وما في بابها تثبت لله **عَزَّجَلَّ** على ما يليق بجلاله.

طرق المبتدعة في نفي الصفات:

وللمبتدعة طريقتان في نفي هذه الصفات:

الطريق الأول: تفسير هذه الصفات بلازمها، فيقولون في الغضب، والسخط،

والكراهة: الانتقام. ويقولون في الحب، والرضا، والضحك: الإحسان.

الطريق الثاني: تفسيرها بإرادة اللازم، فيقولون: الغضب: إرادة الانتقام، والرضا:

إرادة الإحسان.

والواجب على المسلم أن يثبت لله ما أثبتته تعالى لنفسه بعيداً عن تخرصات

المبطلين وتحريف المبتدعين الضالين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فَإِنْ كَانَ الْمُحَاطَبُ مِمَّنْ يَقُولُ: بِأَنَّ اللَّهَ حَيٌّ بِحَيَاةِ عَلِيمٍ

بِعِلْمٍ قَدِيرٌ بِقُدْرَةٍ سَمِيعٌ بِسَمْعٍ بَصِيرٌ بِبَصَرٍ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ مُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ وَيَجْعَلُ ذَلِكَ كَلَّةً

حَقِيقَةً وَيُنَازِعُ فِي مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ وَغَضَبِهِ وَكِرَاهَتِهِ فَيَجْعَلُ ذَلِكَ مَجَازًا وَيُفَسِّرُهُ إِمَّا

بِالإِرَادَةِ وَإِمَّا بِبَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ النَّعَمِ وَالْعُقُوبَاتِ فَيَقَالُ لَهُ: لَا فَرْقَ بَيْنَ مَا نَفَيْتَهُ

وَبَيْنَ مَا أَثْبَتَهُ بَلْ الْقَوْلُ فِي أَحَدِهِمَا كَالْقَوْلِ فِي الْآخَرِ؛ فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ إِرَادَتَهُ مِثْلُ إِرَادَةِ

الْمَخْلُوقِينَ فَكَذَلِكَ مَحَبَّتُهُ وَرِضَاهُ وَغَضَبُهُ وَهَذَا هُوَ التَّمْثِيلُ وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ لَهُ إِرَادَةً

تَلِيْقُ بِهِ؛ كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِ إِرَادَةً تَلِيْقُ بِهِ قَبْلَ لَكَ: وَكَذَلِكَ لَهُ مَحَبَّةٌ تَلِيْقُ بِهِ وَلِلْمَخْلُوقِ

مَحَبَّةٌ تَلِيْقُ بِهِ وَكَهَ رِضَاً وَغَضَبٌ يَلِيْقُ بِهِ وَلِلْمَخْلُوقِ رِضَاً وَغَضَبٌ يَلِيْقُ بِهِ وَإِنْ قُلْتَ:



الْعَضْبُ عَلَيَانِ دَمِ الْقَلْبِ لَطَبِ الْإِنْتِقَامِ فَيَقَالُ لَهُ: وَالْإِرَادَةُ مِثْلُ النَّفْسِ إِلَى جَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضْرَّةٍ فَإِنْ قُلْتَ: هَذِهِ إِرَادَةُ الْمَخْلُوقِ قِيلَ لَكَ: وَهَذَا عَضْبُ الْمَخْلُوقِ وَكَذَلِكَ يَلْزَمُ الْقَوْلُ فِي كَلَامِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ إِنْ نَفَيْ عَنْهُ الْعَضْبُ وَالْمَحَبَّةَ وَالرِّضَا وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَهَذَا مُتَنَبِّ عَنِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلامِ وَجَمِيعِ الصِّفَاتِ وَإِنْ قَالَ: أَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لِهَذَا إِلَّا مَا يَخْتَصُّ بِالْمَخْلُوقِينَ؛ فَيَجِبُ نَفْيُهُ عَنْهُ قِيلَ لَهُ: وَهَكَذَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلامُ وَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ فَهَذَا الْمُفَرَّقُ بَيْنَ بَعْضِ الصِّفَاتِ وَبَعْضِ يُقَالُ لَهُ: فِيمَا نَفَاهُ كَمَا يَقُولُهُ هُوَ لِمُنَازَعِهِ فِيمَا أَثْبَتَهُ فَإِذَا قَالَ الْمُعْتَرِضُ: لَيْسَ لَهُ إِرَادَةٌ وَلَا كَلَامٌ قَائِمٌ بِهِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَا تَقُومُ إِلَّا بِالْمَخْلُوقَاتِ فَإِنَّهُ يُبَيِّنُ لِلْمُعْتَرِضِ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ يَتَّصِفُ بِهَا الْقَدِيمُ وَلَا تَكُونُ كَصِفَاتِ الْمُحَدَّثَاتِ فَهَكَذَا يَقُولُ لَهُ الْمُثْبِتُونَ لِسَائِرِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالرِّضَا وَنَحْوِ ذَلِكَ فَإِنْ قَالَ: تِلْكَ الصِّفَاتُ أَثْبَتَهَا بِالْعَقْلِ لِأَنَّ الْفِعْلَ الْحَادِثَ دَلَّ عَلَى الْقُدْرَةِ وَالتَّخْصِيسِ دَلَّ عَلَى الْإِرَادَةِ وَالْإِحْكَامِ دَلَّ عَلَى الْعِلْمِ وَهَذِهِ الصِّفَاتُ مُسْتَلْزِمَةٌ لِلْحَيَاةِ وَالْحَيُّ لَا يَخْلُو عَنِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلامِ أَوْ ضِدُّ ذَلِكَ قَالَ لَهُ سَائِرُ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ:

لَكَ جَوَابَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يُقَالَ: عَدَمُ الدَّلِيلِ الْمُعَيَّنِ لَا يَسْتَلْزِمُ عَدَمَ الْمَدْلُولِ الْمُعَيَّنِ فَهَبْ أَنْ مَا سَلَكَتَ مِنَ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ لَا يُثْبِتُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفِيهِ وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَنْفِيَهُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ لِأَنَّ النَّافِيَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ كَمَا عَلَى الْمُثْبِتِ وَالسَّمْعُ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يُعَارِضْ ذَلِكَ مُعَارِضٌ عَقْلِيٌّ وَلَا سَمْعِيٌّ فَيَجِبُ إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ الدَّلِيلُ السَّالِمُ عَنِ الْمُعَارِضِ الْمُقَاوِمِ الثَّانِي أَنْ يُقَالَ: يُمَكِّنُ إِثْبَاتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِنَظِيرِ مَا أَثْبَتَ بِهِ تِلْكَ مِنَ الْعَقْلِيَّاتِ فَيُقَالُ نَفْعُ الْعِبَادِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ دَلَّ عَلَى الرَّحْمَةِ كَدَلَالَةِ التَّخْصِيسِ عَلَى الْمَشِيئَةِ وَإِكْرَامِ الطَّائِعِينَ يَدُلُّ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ وَعِقَابِ الْكَافِرِينَ يَدُلُّ عَلَى بُغْضِهِمْ كَمَا قَدْ ثَبَتَ بِالشَّهَادَةِ وَالْخَبَرِ: مِنْ إِكْرَامِ أَوْلِيَائِهِ وَعِقَابِ أَعْدَائِهِ وَالغَايَاتِ الْمَحْمُودَةِ



فِي مَفْعُولَاتِهِ وَمَأْمُورَاتِهِ - وَهِيَ مَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ مَفْعُولَاتُهُ وَمَأْمُورَاتُهُ مِنْ الْعَوَاقِبِ
الْحَمِيدَةِ - تَدُلُّ عَلَى حِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ؛ كَمَا يَدُلُّ التَّخْصِيصُ عَلَى الْمَشِيئَةِ وَأَوْلَى لِقُوَّةِ
الْعِلَّةِ الْغَائِيَةِ؛ وَلِهَذَا كَانَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَيَانِ مَا فِي مَخْلُوقَاتِهِ مِنَ النِّعَمِ وَالْحِكْمِ:
أَعْظَمُ مِمَّا فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَيَانِ مَا فِيهَا مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى مَحْضِ الْمَشِيئَةِ. انتهى من
«العقيدة التدمرية» (١٢-١٣).

والإتيان على شبه المبتدعة في كل صفة بعينها يطول جدًا لكن الواجب تحقيق
مراد الله عز وجل ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما سار عليه السلف في هذا الباب ويكون عند
الإنسان طريقة كلية يسير عليها على ما تقدم.

الإيمان بالنزول والإتيان والمجيء:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ
رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وفيها إثبات إتيان الله تعالى، وهو إتيان حقيقي، وإتيانه هو
المجيء.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَشَقُّ
السَّمَاءَ بِالْفُجْرِ وَنُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ نَزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، وذلك استعدادًا لنزول الجبار تعالى
للفصل بين العباد.

وأما من تأول ذلك بمجيء أو نزول أو إتيان ملك من ملائكته فقد أساء وخالف
طريقة السلف الصالحين، فالله تعالى يأتي ويجيء وينزل وهو تعالى على عرشه
استوى إذ ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير.



الثامنة: صفة العينين، وإثبات السمع والبصر والرؤية:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيُضْمَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وَقَالَ عَزَّجَلَّ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وفي حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَالُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ، وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ». أخرجه البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (١٦٩).

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٧٨﴾ وَتَقُوبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿٧٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢٢٠].

والله عَزَّجَلَّ يرى بعينين حقيقيتين ويبصر بهما، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَالَ جَل وَعَلَا لِكَلِيمِهِ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهو تعالى مع عباده بسمعِهِ وبصرِهِ وسلطانِهِ وقهرِهِ وعلمِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَيَّ وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْزِعُوا عَلَيَّ



أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ». أخرجه البخاري (٤٢٠٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

إذ هو السميع البصير يسمع ويبصر ويرى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللهُ يَرَى﴾ [العلق: ١٤].

والله عز وجل يرى يوم القيامة، ولا يرى في الدنيا:

عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ يَوْمَ حَدَّرَ النَّاسَ الدَّجَالَ: «إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرُؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ، أَوْ يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ»، وَقَالَ: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدًا مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ». أخرجه مسلم (١٦٩).

وأدلة رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة متواترة وقد أفردتها بمؤلف مستقل، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَجِيئُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أَي: تراه ولكن لا تحيط به على ما هو مبين في موطنه.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى.

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيحه» فِي: بَابِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣].

٧٤٣٤- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، وَهَشِيمٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالَ:



«إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا».

٧٤٣٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيَتِ الطَّوَاغِيَتِ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا - شَكَ إِبْرَاهِيمُ -، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فِإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرَّسُلُ، وَدَعَا الرَّسُلُ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَاكِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عَظِيمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخَطَّفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤْتِقُ بَقِيَّ بَعْمَلِهِ - أَوْ الْمُؤْتِقُ بَعْمَلِهِ -، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ، أَوْ الْمُجَازِي، أَوْ نَحْوَهُ، ثُمَّ يَتَجَلَّى، حَتَّى إِذَا فَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا



الجنة، فيقول: أَي رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَسَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللَّهَ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتَكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟، فيقول: لَا، وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِقٍ مَا شَاءَ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَي رَبِّ، قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فيقولُ اللهُ لَهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطَيْتَ أَبَدًا؟ وَيُنْكَرُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَعْدَرَكَ، فيقولُ: أَي رَبِّ، وَيَدْعُو اللَّهَ، حَتَّى يَقُولَ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فيقولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِقٍ، فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَبْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَي رَبِّ، أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، فيقولُ اللهُ لَهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطَيْتَ؟ فيقولُ: وَيُنْكَرُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَعْدَرَكَ، فيقولُ: أَي رَبِّ، لَا أَكُونَنَّ أَشَقَى خَلْقِكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ، قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّهُ، فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّى، حَتَّى إِنْ اللَّهُ لَيَذْكُرُهُ، يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ: اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

ولي بحمد الله مؤلف مستقل في هذا الباب.

التاسعة: وصف الله عز وجل بالمكر، والكيد، والاستهزاء، والمخادعة، في حال المقابلة:

اعلم أن الصفات من حيث هي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- ١- صفات كمالٍ لا نقص فيها، مثل العلم، والسمع، والوجه، فهذه تثبت لله عزَّوجلَّ.
- ٢- صفات نقصٍ لا كمال فيها، مثل الصمم، والعجز، فهذه تنفى عن الله عزَّوجلَّ مع إثبات كمال ضدها.



فتح المجيد بيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتدبير



٣- صفات نقص من وجه وكمال من وجه، فهذه لا تثبت مطلقاً ولا تنفي مطلقاً، مثل الكيد والمكر فهي في حالة المقابلة كمالاً.

فإنه تعالى يكيّد بالكائدين، ويمكر بالماكرين، ويستهزئ بالمستهزئين، ويخادع المخادعين، ويسخر بالساحرين، ولم يرد أنه تعالى يخون الخائنين لأن الخيانة صفة نقص مطلقاً.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۖ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۖ﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ۗ وَاللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۗ﴾ [البقرة: ١٤-١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]، وغير ذلك مما في بابها، فتثبت لله عزَّ وجلَّ على الوجه الذي يليق به تعالى.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكَيْدِ وَالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالِاسْتِهْزَاءِ مُطْلَقًا، وَلَا ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَمَنْ ظَنَّ مِنَ الْجُهَالِ الْمُصَنِّفِينَ فِي شَرْحِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى أَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ الْمَاكِرِ الْمُخَادِعِ الْمُسْتَهْزِئِ الْكَائِدِ فَقَدْ فَاهَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْجُلُودُ، وَتَكَادُ الْأَسْمَاعُ تُصَمُّ عِنْدَ سَمَاعِهِ، وَعَرَّ هَذَا الْجَاهِلَ أَنَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَطْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ هَذِهِ الْأَفْعَالَ فَاسْتَقَّ لَهُ مِنْهَا أَسْمَاءٌ وَأَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَى فَأَدْخَلَهَا فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَأَدْخَلَهَا وَقَرَنَهَا بِالرَّحِيمِ الْوُدُودِ الْحَكِيمِ الْكَرِيمِ، وَهَذَا جَهْلٌ عَظِيمٌ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَفْعَالَ لَيْسَتْ مَمْدُوحَةٌ مُطْلَقًا، بَلْ تَمْدُحُ فِي مَوْضِعٍ وَتَدْمُ فِي مَوْضِعٍ، فَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ أَفْعَالِهَا عَلَى اللَّهِ مُطْلَقًا، فَلَا يُقَالُ: إِنَّهُ تَعَالَى يَمَكُرُ وَيُخَادِعُ وَيَسْتَهْزِئُ وَيَكِيدُ.



فَكَذَلِكَ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى لَا يُشْتَقُّ لَهُ مِنْهَا أَسْمَاءٌ يُسَمَّى بِهَا، بَلْ إِذَا كَانَ لَمْ يَأْتِ فِي
 أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْمُرِيدُ وَلَا الْمُتَكَلِّمُ وَلَا الْفَاعِلُ وَلَا الصَّانِعُ، لِأَنَّ مُسَمِّيَاتِهَا تَنْقَسِمُ
 إِلَى مَمْدُوحٍ وَمَذْمُومٍ، وَإِنَّمَا يُوصَفُ بِالْأَنْوَاعِ الْمَحْمُودَةِ مِنْهَا، كَالْحَلِيمِ وَالْحَكِيمِ،
 وَالْعَزِيزِ وَالْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ، فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْهَا الْمَاكِرُ الْمُخَادِعُ الْمُسْتَهْزِئُ، ثُمَّ يَلْزَمُ هَذَا
 الْعَالِطُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الدَّاعِي وَالْآتِي، وَالْجَائِي وَالذَّاهِبُ وَالْقَادِمُ
 وَالرَّائِدُ، وَالنَّاسِي وَالْقَاسِمُ، وَالسَّاخِطُ وَالغَضْبَانُ وَاللَّاعِنُ، إِلَى أضعافِ ذَلِكَ مِنْ
 الْأَسْمَاءِ الَّتِي أُطْلِقَ عَلَى نَفْسِهِ أَفْعَالُهَا فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا لَا يَقُولُهُ مُسْلِمٌ وَلَا عَاقِلٌ،
 وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ بِالْكَفِيدِ وَالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ إِلَّا عَلَى وَجْهِ
 الْجَزَاءِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْمُجَازَاةَ عَلَى ذَلِكَ حَسَنَةٌ مِنْ
 الْمَخْلُوقِ، فَكَيْفَ مِنَ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا إِذَا نَزَّلْنَا ذَلِكَ عَلَى قَاعِدَةِ التَّحْسِينِ
 وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيِّينَ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُنْزَهُ عَمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِمَّا لَا يَلِيْقُ بِكَمَالِهِ، وَلَكِنَّهُ لَا
 يَفْعَلُهُ لِقُبْحِهِ وَغِنَاهُ عَنْهُ، وَإِنْ نَزَّلْنَا ذَلِكَ عَلَى نَفْيِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ عَقْلًا، وَأَنَّهُ يَجُوزُ
 عَلَيْهِ كُلُّ مُمَكِنٍ وَلَا يَكُونُ قَبِيحًا، فَلَا يَكُونُ الْإِسْتِهْزَاءُ وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ مِنْهُ قَبِيحًا
 الْبَتَّةَ، فَلَا يَمْتَنِعُ وَصْفُهُ بِهِ ابْتِدَاءً لَا عَلَى سَبِيلِ الْمُقَابَلَةِ عَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ، وَعَلَى
 التَّقْدِيرَيْنِ فإِطْلَاقُ ذَلِكَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ دُونَ مَجَازِهِ، إِذِ الْمَوْجِبُ لِلْمَجَازِ
 مُنْتَفٍ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ، فَتَأَمَّلْهُ فَإِنَّهُ قَاطِعٌ، فَهَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَمْرِ الْمَعْنَوِيِّ.

أَمَّا الْأَمْرُ اللَّفْظِيُّ فإِطْلَاقُ هَذِهِ الْأَلْفَازِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى إِطْلَاقِهَا عَلَى
 الْمَخْلُوقِ لِيُعْلَمَ أَنَّهَا مَجَازٌ لِتَوَقُّفِهَا عَلَى الْمُسَمَّى الْآخِرِ كَمَا قَدَّمْنَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ
 شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] وَقَوْلِهِ: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا
 الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] فَظَهَرَ أَنَّ هَذَا الْفَرْقَ الَّذِي اعْتَبَرُوهُ فَاسِدٌ لَفْظًا وَمَعْنَى.

اهـ. «الصواعق المرسله» (٣٠٦-٣٠٧).



وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: فَإِنَّ الْمَكْرَ إِیْصَالُ الشَّيْءِ إِلَى الْغَيْرِ بِطَرِيقِ خَفِيٍّ، وَكَذَلِكَ الْكَيْدُ وَالْمُخَادَعَةُ، وَلَكِنَّهُ نَوْعَانِ: فَيَبِيحُ وَهُوَ إِیْصَالُ ذَلِكَ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ، وَحَسَنٌ وَهُوَ إِیْصَالُهُ إِلَى مُسْتَحِقِّهِ عُقُوبَةً لَهُ؛ فَالْأَوَّلُ مَذْمُومٌ وَالثَّانِي مَمْدُوحٌ، وَالرَّبُّ تَعَالَى إِنَّمَا يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ عَدْلًا مِنْهُ وَحِكْمَةً، وَهُوَ تَعَالَى يَأْخُذُ الظَّالِمَ وَالْفَاجِرَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ لَا كَمَا يَفْعَلُ الظَّالِمَةُ بِعِبَادِهِ. اهـ. «إعلام الموقعين» (٣/ ٢١٨).

العاشرة: إجمال الله عزَّ وجلَّ في كتابه لعموم كماله المقدس، وإجماله لعموم تنزهه عن النقص والعيب:

الأصل في وصف الله عزَّ وجلَّ بصفات الإثبات: التفصيل، لأن صفات المدح كمال، فكلما كثرت وتنوعت دلَّ على كمال الموصوف بها ما لم يكن ظاهرًا، وقد تقدم بيان شيء من ذلك. وأما الإجمال في الإثبات أو النفي فهي لبيان عموم كماله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المقدس إذ أن النفي هنا لا بد أن يتضمن كمال الضدِّ.

قال شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ: وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ: بَعَثَ رُسُلَهُ بِإِثْبَاتِ مُفْصَلٍ وَنَفْيِ مُجْمَلٍ فَأَثْبَتُوا لِلَّهِ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ وَنَفَوْا عَنْهُ مَا لَا يَصْلُحُ لَهُ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أَي نَظِيرًا يَسْتَحِقُّ مِثْلَ اسْمِهِ. وَيُقَالُ: مُسَامِيًّا يُسَامِيهِ وَهَذَا مَعْنَى مَا يُرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مِثْلًا أَوْ شَبِيهَا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ﴿١٣﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٤﴾ [الأنعام: ١٣-١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ



لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١٠١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ
 فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿١٠٢﴾ ﴿الفرقان: ١-٢﴾، وَقَالَ تَعَالَى:
 ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمَ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ ﴿١٠٣﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ
 ﴿١٠٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٠٥﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٦﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى
 الْبَنِينَ ﴿١٠٧﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٠٨﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٠٩﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ فَأَتُوا بِكِنَابِكُمْ إِن
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١١٢﴾ سُبْحٰنَ
 اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١١٤﴾ ﴿الصفات: ١٤٩-١٦٠﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سُبْحٰنَ
 رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١١٥﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٦﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٧﴾
 [الصفات: ١٨٠-١٨٢]. فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْمُفْتَرُونَ الْمُشْرِكُونَ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
 لِسَلَامَةٍ مَا قَالُوهُ مِنَ الْإِفْكِ وَالشَّرْكِ وَحَمِدَ نَفْسَهُ؛ إِذْ هُوَ سُبْحٰنُهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْحَمْدِ بِمَا
 لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَبَدِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَمَّا الْإِنْبَاتُ الْمُفْصَّلُ: فَإِنَّهُ ذَكَرَ مِنْ
 أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مَا أَنْزَلَهُ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾
 الْآيَةُ بِكَمَالِهَا وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ السُّورَةُ وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ
 الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٣﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤﴾ وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ ﴿٧﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿٨﴾ فَعَالَ
 لِمَا يُرِيدُ ﴿٩﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ
 مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾
 وَقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ
 أَعْمَالَهُمْ ﴿١٢﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى
 الْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾ الْآيَةُ وَقَوْلِهِ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ حِشَى رَبَّهُ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ
 يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ



وَلَعَنَهُ ﴿٢٤﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَيَلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا نِيطًا طَائِعِينَ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَتَذَرِينَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٧﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

إلى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي **صلى الله عليه وسلم** في أسماء الرب تعالي وصفاته فإن في ذلك من إثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل وإثبات وحدانيته بنفي التمثيل ما هدى الله به عباده إلى سواء السبيل فهذه طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. انتهى من «العقيدة التدمرية» (٣-٥).

الحادي عشرة: الصفات المنفية:

تنفى عن الله **عز وجل** مع إثبات كمال ضدها كما في القرآن كثير من الصفات المنفية، منها: قول الله **عز وجل**: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].



فالسنة مقدمة النوم، فنفى الله **عَزَّوَجَلَّ** عن نفسه هذه الصفات بياناً لكمال حياته وقيوميته، فالنوم أخو الموت والذي لا ينام هو الحي الذي لا يموت.

ونفى الله تعالى عن نفسه العجز لتضمنه كمال ضده وهو القدرة والعلم، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

ونفى عن نفسه العزوب فلا يعزب عنه شيء، وذلك لبيان علمه المحيط بكل شيء، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: ٣].

ونفى عن نفسه الظلم لكامل عدله، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ونفى عن نفسه اللغوب، وهو التعب والإعياء لكامل حياته وقيوميته وقدرته وقوته، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

ونفى عن نفسه أن يكون له مثل أو مساوي أو كفو، كل ذلك لبيان عموم كماله المقدس، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

وأخبر أن له المثل الأعلى، وهو الوصف الأعلى على أرجح أقوال المفسرين، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].



ونفى عن نفسه تعالى الصاحبة والولد لبيان كمال حياته وغناه، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَدِجَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَاقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١﴾ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالشَّهَادَةُ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢].

وهذا في القرآن والسنة كثير لكن هذه عبارات يتوصل بها إلى معرفة غيرها.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وَالْمَحْمُودُ لَا يُحْمَدُ عَلَى الْعَدَمِ وَالسَّلْبِ الْبُتَّةَ، إِذَا كَانَتْ سَلْبَ عِيُوبٍ وَنَقَائِصٍ، تَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ أَضْدَادِهَا مِنَ الْكِمَالَاتِ الثُّبُوتِيَّةِ، وَإِلَّا فَالسَّلْبُ الْمَحْضُ لَا حَمْدَ فِيهِ، وَلَا مَدْحَ وَلَا كَمَالَ، وَكَذَلِكَ حَمْدُهُ لِنَفْسِهِ عَلَى عَدَمِ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ الْمُتَضَمِّنِ لِكَمَالِ صَمَدِيَّتِهِ وَغِنَاهُ وَمُلْكِهِ، وَتَعْيِيدِ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ، فَاتَّخَاذُ الْوَلَدِ يُنَافِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ الْعَلِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨].

وَحَمْدُ نَفْسِهِ عَلَى عَدَمِ الشَّرِيكِ، الْمُتَضَمِّنِ تَفَرُّدَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وَنَوْحَهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا يُوصَفُ بِهَا غَيْرُهُ، فَيَكُونُ شَرِيكًا لَهُ، فَلَوْ عُدِمَهَا لَكَانَ كُلُّ مَوْجُودٍ أَكْمَلَ مِنْهُ، لِأَنَّ الْمَوْجُودَ أَكْمَلَ مِنَ الْمَعْدُومِ، وَلِهَذَا لَا يَحْمَدُ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ بَعْدَمٍ إِلَّا إِذَا كَانَ مُتَضَمِّنًا لِثُبُوتِ كَمَالِهِ، كَمَا حَمِدَ نَفْسَهُ بِكَوْنِهِ لَا يَمُوتُ لِتَضَمُّنِهِ كَمَالَ حَيَاتِهِ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ بِكَوْنِهِ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ، لِتَضَمُّنِ ذَلِكَ كَمَالَ قِيُومِيَّتِهِ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ، لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، لِكَمَالِ عَدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَحَمِدَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، لِكَمَالِ عَظَمَتِهِ، يَرَى وَلَا يُدْرِكُ، كَمَا أَنَّهُ يَعْلَمُ وَلَا يُحَاطُ بِهِ عِلْمًا، فَمَجْرَدُ نَفْيِ الرُّؤْيِيَّةِ لَيْسَ بِكَمَالٍ؛ لِأَنَّ الْعَدَمَ لَا يَرَى، فَلَيْسَ فِي كَوْنِ الشَّيْءِ لَا يَرَى كَمَالَ الْبُتَّةِ، وَإِنَّمَا الْكَمَالَ فِي كَوْنِهِ لَا يُحَاطُ بِهِ رُؤْيِيَّةً وَلَا



إِدْرَاكًا، لِعَظَمَتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَتَعَالِيهِ عَنِ إِدْرَاكِ الْمَخْلُوقِ لَهُ، وَكَذَلِكَ حَمِدَ نَفْسَهُ بِعَدَمِ
الْغَفْلَةِ وَالنَّسْيَانِ، لِكَمَالِ عِلْمِهِ.

فَكُلُّ سَلْبٍ فِي الْقُرْآنِ حَمِدَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَلِمُضَادَّتِهِ لِثُبُوتِ ضِدِّهِ، وَلِتَضَمُّنِهِ كَمَالَ
ثُبُوتِ ضِدِّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ حَقِيقَةَ الْحَمْدِ تَابِعَةٌ لِثُبُوتِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ، وَأَنَّ نَفْيَهَا نَفْيٌ
لِحَمْدِهِ، وَنَفْيُ الْحَمْدِ مُسْتَلْزِمٌ لِثُبُوتِ ضِدِّهِ. فَضَلُّ فَهَذِهِ دِلَالَةٌ عَلَى تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ
وَالصِّفَاتِ. اهـ. «مدارج السالكين» (١/٢٧-٢٨).

هذا بيان مختصر لما تضمنته هذه الآية: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

[الإسراء: ٩]، في باب التوحيد، ولو أراد مؤلف أن يذكر ما دلت عليه هذه الآية في جميع
أبواب الدين لطال الكتاب؛ لكن أردت ذكر أعظم ما دلت عليه من أبواب الدين
الحنيف والتنبيه على المهمات تذكيرًا للعالم، وتعليمًا للجاهل، ومع ذلك قد تقدم
أن القرآن كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**، ووحيه، وتنزيله، الكتاب المبارك، ومن أعظم بركاته
اختصار المباني وسعة المعاني وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**، ووحيه،
وتنزيله، ونوره، ورحمته، ونسبته إلى بقية الكلام كنسبة المتصف به إلى غيره، فالله
أسأله التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين.



رؤية المؤمنین للجبار فی المحشر ودار القرار



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، ذي الوجه الكريم الحق المبين، القائل عن المؤمنين: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَيْكَ رِجَاؤُنَا فَاطِرُ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، والوصف لحال الكافرين، في يوم العرض العظيم، ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجوا بها لقياء وبره وعطاياه، والصلاة والسلام على النبي العدنان محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** صاحب الحجة والبرهان، والسنة والقرآن من أخبر عن رؤية المؤمنين لربهم عيان، والقائل: «**إنكم سترون ربكم**»، «وما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان» وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أهل التقى والإيمان.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أشرف مسائل الاعتقاد قدرًا وأعلاها خطرًا، وأقربها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدّها على أهل البدعة والضلالة والغاية التي شمر إليها المشمرون،



وتنافس فيها المتنافسون، وتسبق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم وحرمانه الحجاب عنه لأهل الجحيم، أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليه الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الدين منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** عاكفون، وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم لمحجوبون، وعن بابه مطرودون، لهي مسألة النظر إلى وجه الله الكريم، الذي هو أعظم لذة في جنة النعيم، ولذلك صح عن نبينا الكريم أنه كان يقول: **«وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم»**.

ولما كانت هذه المسألة بالمكان الذي أشرنا إليه أحببت أن أكتب فيها مصنفاً جامعاً - إن شاء الله - لصحيح أدلتها، مانعاً من الشبهة التي يوردها المعطلون مرتباً لفوائدها، منسقاً لشواردها، أرجوا به الزلفى عند ربي الذي هو ناصري وحسبي، فالله أسأل أن تكون خالصة لوجهه الكريم، وأسميته: «الجامع الصحيح في الرؤية».

واعلم أن الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وفي الجنة هو معتقد أهل السنة والجماعة المؤيد بالأدلة الجلية والبراهين النقلية والشواهد العقلية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (لاميته):

والمؤمنون يرون حقاً ربهم ❀❀ وإلى السماء بغير كيف ينزل

وقال أبو بكر بن أبي داود في «حائته»:

وقل يتجلى الله للخلق جهرَةً ❀❀ كما البدر لا يخفى وربك أوضح

وليس بمولدٍ وليس بوالدٍ ❀❀ وليس له شبةٌ تعالیٰ المسيحُ



وقد يُكبر الجهمي هذا عندنا ❀❀ بمصداق ما قلنا حديثُ مصرحُ
رواه جريّرٌ عن مقالِ محمدٍ ❀❀ فقلُّ مثل ما قد قال في ذاك تنجُحُ

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ (١٨٨) مع الشرح:

والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٣٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٣٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وتفسيره على ما أراد الله وعلمه،
وكلما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو كما قال،
ومعناه ما أراد. اهـ

وقال الدارمي رَحِمَهُ اللهُ ص (١٠٤): قَدْ صَحَّتِ الْأَثَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ بِهِ، فَإِذَا اجْتَمَعَ الْكِتَابُ وَقَوْلُ الرَّسُولِ
وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ لَمْ يَبْقَ لِمُتَأَوِّلٍ عِنْدَهَا تَأْوِيلٌ، إِلَّا لِمُكَابِرٍ أَوْ جَاحِدٍ. اهـ

وقال عبدالغني المقدسي في «الاقتصاد في الاعتقاد» ص (١٢٥): وأجمع أهل الحق
واتفق أهل التوحيد والصدق أن الله تعالى يُرى في الآخرة، كما جاء في كتابه، وصح
عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ

وأدلة الرؤية متواترة متكاثرة حتى قيل:

مما تواتر حديث من كذب ❀❀ ومن بنى لله بيتاً واحتسب
ورؤية شفاعة والحوض ❀❀ ومسح خفين وهذي بعض



وقد أُفردَ هذا الباب بمصنفات منها: «الرؤية» للدارقطني، «التصديق بالنظر إلى وجه الله» للأجري، و«الرؤية» لأبي شامة.
وسبحانك ربنا رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

كتبه:

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

١٣ / جماد ثاني / ١٤٣٢ هـ

مكتبة دار الحديث بدماج اليمن - صعدة





مذاهب الناس في رؤية الجبار سبحانه وتعالى

انقسم الناس في هذه المسألة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من نفى الرؤية مطلقاً وهم الجهمية، ومن إليهم من المعتزلة والخوارج.

وهذه المعطلة قولهم مردود بالكتاب والسنة وإجماع السلف، على ما يأتي بيانه إن شاء الله **عَزَّوَجَلَّ**.

والقسم الثاني: من أثبتها في الدنيا والآخرة، وهم الصوفية الحلولية والاتحادية ومن إليهم.

وهؤلاء الضلال الكفرة قولهم مردود بالكتاب والسنة وإجماع السلف. **والقسم الثالث:** من أثبتها في الآخرة ونفاها في الدنيا على ما جاءت بها الأدلة، وهم أهل السنة والجماعة.

وقول أهل السنة هو القول الحق الذي دلت عليه الآيات الواضحة الجليلة، والأحاديث المروية والآثار الزكية.

وهنالك قسيم آخر سيأتي الكلام عليه في الرد على المبطلين في هذا الباب، وهم الأشاعرة حيث زعموا أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يُرى لكن لا في جهة، اطراداً لمذهبهم الفاسد أن الله **عَزَّوَجَلَّ** ليس في العلو.

وقولهم في غاية التناقض على ما يأتي بيانه إن شاء الله **عَزَّوَجَلَّ**.

قال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (٢/٣٣٦-٣٣٧): وَالنَّاسُ فِي رُؤْيَى اللَّهِ عَالِي

ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ:



- فَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَيُّمَةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَرَى فِي الْآخِرَةِ بِالْأَبْصَارِ عِيَانًا وَأَنَّ أَحَدًا لَا يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ؛ لَكِنْ يَرَى فِي الْمَنَامِ وَيَحْصُلُ لِلْقُلُوبِ - مِنْ الْمُكَاشَفَاتِ وَالْمُشَاهَدَاتِ - مَا يُنَاسِبُ حَالَهَا.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَقَوَّى مُشَاهَدَةَ قَلْبِهِ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ بِعَيْنِهِ؛ وَهُوَ غَالِطٌ وَمُشَاهَدَاتُ الْقُلُوبِ تَحْصُلُ بِحَسَبِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ وَمَعْرِفَتِهِ فِي صُورَةٍ مِثَالِيَّةٍ كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

(وَالْقَوْلُ الثَّانِي) قَوْلُ نِفَاةِ الْجَهْمِيَّةِ أَنَّهُ لَا يَرَى فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

(وَالثَّلَاثُ) قَوْلُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَرَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَحُلُولِيَّةُ الْجَهْمِيَّةِ يَجْمَعُونَ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَا يَرَى فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَإِنَّهُ يَرَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. اهـ





فصل البيان لما أخذ الناس في هذا الباب

والتصويب لطريقة السلف وما عليه طريقة الخلف من التلبيس والبهتان:

اعلم وفقك الله **عَزَّوَجَلَّ** لطاعته ومرضاته: أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد بلغ ما أوحى إليه ربه بلاغاً شافياً كافياً لمن ألقى السمع وهو شهيد، امتثالاً لأمر الله **عَزَّوَجَلَّ**، ﴿يَأْتِيهَا رَسُولٌ يَلْغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

ومن هذا الباب باب الإيمان والمعتقد بما في ذلك الأسماء والصفات وغيره، وسار على طريقه السلف الصالحين من الصحابة والتابعين أهل الخير والأثر، والفقهاء والنظر.

حتى خلف من بعدهم خلوف حرفوا الكلم عن مواضعه، سلفهم اليهود والنصارى، فوق من وافقهم في ضلال مبين.

حتى زعم من زعم من هؤلاء الضلال أن طريقة السلف أسلم - من حيث عدم الخوض والبحث والتنقيب على حد زعمهم - وطريقة الخلف أعلم وأحكم - ولا والله ما هو إلا الجهل والحيرة والندم -.

فأي علم لديهم إن لم يكن من علم النبوة الذي نقله إلينا الصحابة الكرام، ومن تبعهم بإحسان، وأي حكمة لديهم وقد حرفوا الكلم عن مواضعه، وردوا الأدلة الثابتة بدعوى إما أنها تخالف العقل، وإذا خالف العقل النقل قدم العقل.

وهذه من مقدماتهم الفاسدات، وآرائهم الكاسدات، وإلا فإن العقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح، وهذا الدليل باطل من أصله.

قال شيخ الإسلام ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** في «الصواعق المرسلات» (٢/٧٩٧): إن هذا

التقسيم باطل من أصله، والتقسيم الصحيح أن يقال: إذا تعارض دليان سمعيان، أو



عقليان، أو سمعي وعقلي، فإما أن يكونا قطعيين، وإما أن يكونا ظنيين، وإما أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً.

فأما القطعيان فلا يمكن تعارضهما في الأقسام الثلاثة؛ لأن الدليل القطعي هو الذي يستلزم مدلوله قطعاً فلو تعارضا لزم الجمع بين النقيضين وهذا لا يشك فيه أحد من العقلاء.

وإن كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً تعين تقديم القطعي سواء كان جمعياً ظنين صرنا إلى الترجيح ووجب تقديم الراجح منهما سمعياً كان أو عقلياً.

فهذا تقسيم واضح متفق على مضمونه بين العقلاء.

فأما إثبات التعارض بين الدليل العقلي والسمعي والجزم بتقديم العقلي مطلقاً فخطأ واضح معلوم الفساد عند العقلاء. اهـ

ثم تكلم ملخصاً لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «**درء تعارض العقل والنقل**» بكلام نفيس طويل ليس هذا موطن بسطه، والذي بعده زعمهم أن أخبار الآحاد لا تفيد العلم، ولا تؤخذ بها العقائد مع أن رسل الله **عَزَّجَلَّ** الذين أرسلهم بالهدى ودين الحق آحاد، وكذا الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، كان القائم بها آحاد وبعث أبا عبيدة إلى نجران يعلمهم الدين، وكان آحاد، وبعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن وكانا آحاد إلى غير ذلك، مما لا يتسمع المجال لذكره.

وزعم بعضهم أن الظاهر غير مراد فذهبوا يعطلون الأسماء عن معانيها الحقبة التي تتضمنها وتدل عليها، وجعلوا يصرفون ظواهر النصوص إلى معاني باطلة تخالف المعقول والمنقول، وتناقض الأصول، مع أن الله **عَزَّجَلَّ** أنزل القرآن للهدى لا للتعمية.



فلا إله إلا الله ما أعظم جناية أهل البدع على أنفسهم وعلى غيرهم، ومن هذا المنطلق جعل المبتدعة جميع ظواهر نصوص الكتاب والسنة مجاز على ما انتحلته عقولهم، واعتقدته أفكارهم، فضلوا وأضلوا، وتاهوا وتوهوا، وحاروا وتحيروا، على ما يأتي بيانه إن شاء الله **عَزَّوَجَلَّ**.

ومن سبلهم في رد الحق تحريف أدلة الكتاب والسنة، مستترين بالتأويل (والتأويل يتجاذبه أصلان: التفسير والتحريف، فتأويل التفسير هو الحق، وتأويل التحريف هو الباطل، فتأويل التحريف من جنس الإلحاد فإنه هو الميل بالنصوص عما هي عليه، إما بالظعن فيها، أو بإخراجها عن حقائقها، مع الإقرار بلفظها) أفاده ابن القيم في «الصواعق» (١/٢١٩).

وقد بين ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «الصواعق المرسلّة» (١٦١/١-١٧٠) ضلال أهل الكلام

حيث قال: فإن قيل القوم كانوا عن هذا الباب معرضين وبالزهد والعبادة والجهاد مشتغلين لم يكن هذا الباب من همّهم ولا عنايتهم به قيل هذا من أبين المحال وأبطل الباطل بل كانت عنايتهم بهذا الباب فوق كل عناية واهتمامهم به فوق كل اهتمام وذلك بحسب حياة قلوبهم ومحبتهم لمعبودهم ومنافستهم في القرب منه فمن في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التبصر فيه وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وأجل غاياته وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه فكيف يمكن مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه أثره في خيار الأمة وسادات أهل العلم والإيمان الذين همهمهم أشرف الهمم ومطالبهم أجل المطالب ونفوسهم أزكى النفوس فكيف يظن بهم الإعراض عن مثل هذا الأمر العظيم أو الغفلة عنه أو التكلم بخلاف



الصواب فيه واعتقاد الباطل ومن المحال أن يكون تلاميذ المعتزلة وورثة الصابئين وأفراخ اليونان الذين شهدوا على أنفسهم بالحيرة والشك وعدم العلم الذي يطمئن إليه القلب وأشهدوا الله وملائكته عليهم به وشهد به عليهم الأشهاد من أتباع الرسل أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأعرف به ممن شهد الله ورسوله لهم بالعلم والإيمان وفضلهم على من سبقهم ومن يجيء بعدهم إلى يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين وهل يقول هذا إلا غبي جاهل لم يقدر قدر السلف ولا عرف الله ورسوله وما جاء به.

قال شيخنا: وإنما أتى هؤلاء المبتدعة الذين فضلوا طريقة الخلف على طريقة السلف من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ولا فهم لمراد الله ورسوله منها واعتقدوا أنهم بمنزلة الأُميين الذين قال الله فيهم ﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَخْتَلُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا﴾ [البقرة ٧٨].

وأن طريقة المتأخرين هي استخراج معاني النصوص وصرافها عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ومستنكر التأويلات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وراء ظهورهم فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص فلما اعتقدوا التعطيل وانتفاء الصفات في نفس الأمر ورأوا أنه لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى وهذا الذي هو طريقة السلف عندهم وبين صرف اللفظ عن حقيقته وما وضع له إلى ما لم يوضع له ولا دل عليه بأنواع من المجازات والتكلفات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان والهدى كما سيأتي بيانه مفصلاً إن شاء الله.



وصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل والجهل بالسمع فلا سمع ولا عقل فإن
النفي والتعطيل إنما اعتمدوا فيه على شبهات فاسدة ظنوها معقولات صحيحة
فحرفوا لها النصوص السمعية عن مواضعها فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين
الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الذين هم أعلم الأمة بالله وصفاته واعتقاد
أنهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين البله الذين لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم
يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي وأن الخلف هم الفضلاء العلماء الذين حازوا قصب
السبق واستولوا على الغاية وظفروا من الغنيمة بما فات السابقين الأولين.

فكيف يتوهم من له أدنى مسكة من عقل وإيمان أن هؤلاء المتحيرين الذين كثر
في باب العلم بالله اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهايات
إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم وأنه الشك والحيرة حيث يقول لعمرى.

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ❀❀ وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر ❀❀ على ذقن أو قارعاسن نادم
ويقول الآخر:

نهاية إقدام العقول عقال ❀❀ وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ❀❀ وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ❀❀ سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال الآخر: لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت
في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لي وها أنا ذا أموت على
عقيدة أمة.



وقال آخر: أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام. وقال آخر منهم عند موته: أشهدوا علي أي أموت وما عرفت شيئاً إلا أن الممكن يفتقر إلى واجب. ثم قال: والافتقار أمر عدمي فلم أعرف شيئاً.

وقال آخر: وقد نزلت به نازلة من سلطانه فاستغاث برب الفلاسفة فلم يغث قال: ثم استغثت برب الجهمية فلم يغثنى، ثم استغثت برب القدرية فلم يغثنى، ثم استغثت برب المعتزلة فلم يغثنى، قال: فاستغثت برب العامة فأغاثني.

قال شيخنا: وكيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون الحيارى المتهوكون أعلم بالله وصفاته وأسمائه وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل ومصايح الدجى وأعلام الهدى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء وأحاطوا من حقائق المعارف بما لو جمعت حكمة من عداهم وعلومهم إليه لاستحى من يطلب المقابلة ثم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال الصابئين وأشباههم وأشكالهم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان. اهـ.





باب ذكر الأدلة على رؤية المؤمنين لربهم عز وجل في عرصات القيامة

(١) قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القيامة: ٢٣-٢٤].

والشاهد من الآية قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، أي: تنظر إلى ربها سبحانه بعيني رأسها، فقد قال عبدالله بن أحمد في «السنة» (٤٨١): حَدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ، نَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ يَزِيدَ النَّحْوِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ: ﴿نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] قَالَ: تَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظْرًا.

وفي رواية ابن جرير (١٩٢/٢٩): تنظر إلى ربها نظراً.

وعند الدارمي في «الرد على الجهمية» ص (٢٠٠): ينظرون إلى الله نظراً.

وقال عبدالله (٤٨٢): حَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ، نَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، نَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ: فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] قَالَ: حَسَنَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.

وقال ابن جرير (١٩٢/٢٩): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] مِنَ النَّعِيمِ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] قَالَ: أَخْبَرَنِي يَزِيدُ النَّحْوِيُّ، عَنْ عِكْرِمَةَ وَإِسْمَاعِيلِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، وَأَشْيَاخٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: تَنْظُرُ إِلَىٰ رَبِّهَا نَظْرًا.

(٢) وقال سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٢٧٢): قوله تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من

أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة فذكر الطبراني وغيره من المزي قال سمعت الشافعي يقول في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم



يوم القيامة، وقال الحاكم: حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضي. اهـ

٣) وقال سبحانه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

٤) وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيذُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا أَنَا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

والشاهد من الآيتين: أنه حين مجيء الله **عَزَّوَجَلَّ** وإتيانه للفصل بين العباد يراه المؤمن على ما سيأتي بيانه إن شاء الله **عَزَّوَجَلَّ**.

٥) وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقال تعالى: ﴿يَتَّبِعْتُهُمْ يَوْمَ يَقُونَهُ سَأَلُهُمْ وَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

واللقاء لا يكون إلا معاينة، وعلى هذا إجماع أهل اللغة على ما يأتي بيانه إن شاء الله في الباب التالي.

٦) قال الإمام البخاري **رَحِمَهُ اللهُ** (٧٤٣٧): حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ فَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ: الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ: الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيَتِ: الطَّوَاغِيَتِ،



وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا - شَكَكَ إِبْرَاهِيمُ -؛ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا؛ فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا؛ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيَضْرِبُ الصِّرَاطَ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعَاؤِي الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فِيئَتَهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدَّرَ عِظَمَهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ الْمُؤْتِقُ بِقِيَامِهِ أَوْ الْمُؤْتِقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدُلُ أَوْ الْمُجَازِي أَوْ نَحْوُهُ، ثُمَّ يَتَجَلَّى، حَتَّى إِذَا فَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُجْرَجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنَ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ؛ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ؛ فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا فَيَصَّبُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ؛ فَيَنْبِثُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُثُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحَهَا وَأَحْرَقَنِي ذِكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللَّهَ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتَكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودِ وَمَوَاقِيقَ مَا شَاءَ؛ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاقِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطَيْتَ أَبَدًا، وَبِذَلِكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَخْذَرْتُكَ؛ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ عُهُودِ وَمَوَاقِيقَ؛ فَيَقْدِمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَإِذَا قَامَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ؛ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَبْرَةِ وَالسُّرُورِ،



فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَسْتَ قَدْ
أَعْطَيْتَ عَهْدَكَ وَمَوَاقِفَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ، فَيَقُولُ: وَبِئْسَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا
أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ لَا أَكُونَنَّ أَشْقَى خَلْقِكَ؛ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ؛
فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّهْ؛ فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّى، حَتَّى
إِنَّ اللَّهَ لَيَذْكُرُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»
والحديث أخرجه مسلم (١٨٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «المجموع» (٤٩٣/٦): فهذا الحديث من أصح

حديث على وجه الأرض، وقد اتفق أبوهريرة وأبوسعيد. اهـ

(٧) وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٤٣٦): حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْجُعْفِيُّ، عَنْ
زَائِدَةَ، حَدَّثَنَا بِيَانُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا تَرُونَ هَذَا
لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ».

(٨) وأخرجه البخاري رقم (٥٥٤): حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانَ بْنُ مُعَاوِيَةَ،
قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ قَيْسِ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ، كَمَا
تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: «افْعَلُوا لَا تَقُوتَنَّكُمْ». الحديث أخرجه مسلم
(٦٣٣).

(٩) وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٤٣٩): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ
بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ، عَنْ زَيْدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ
الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»



السَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» قُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ؛ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا، ثُمَّ قَالَ: يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ؛ فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيِّهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَعُجْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا؛ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تَرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يُحْسِبُكُمْ، وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ، فَيَقُولُونَ: فَارْقَنَاهُمْ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنْهَا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقَ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا؛ فَلَا يَكْلِمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ؛ فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسَمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْفَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ؛ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطِحَةٌ، هَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْحَيْلِ وَالرَّكَابِ؛ فَتَنَاجِ مُسَلَّمٌ، وَتَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا؛ فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيَابِنٍ؛ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحْرَمُ اللَّهُ



صَوَّرَهُمْ عَلَى النَّارِ؛ فَيَأْتُونَهُمْ، وَيَبْعُضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، يَقُولُ: أَذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نَصْفِ دِينَارٍ؛ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، يَقُولُ أَذْهَبُوا: فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَأَقْرَأُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا﴾؛ «فَيَسْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، يَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا؛ فَيَلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ؛ فَيُخْرِجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ؛ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْحَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عِتْقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» الحديث أخرجه مسلم (١٨٣).

١٠. وأخرج أحمد (٣٨٩/٢) فقال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ وَكَيْعِ بْنِ عُدْسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْنَا يَرَى اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: «يَا أَبَا رَزِينٍ، **أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ مُخْلِياً بِهِ**» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**فَاللهُ أَعْظَمُ**».

الحديث في «**الصحيحة**» للشيخ الألباني **رَحِمَهُ اللهُ**، والصحيح أن وكيع بن عدس وقيل: حدس مجهول حال.

١١. وقال الإمام البخاري **رَحِمَهُ اللهُ** (٤٦٨٥): حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ وَهَشَامٌ قَالَا: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ، قَالَ: بَيْنَا ابْنُ عَمْرٍو يَطُوفُ إِذْ عَرَّضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَوْ قَالَ: يَا ابْنَ عَمْرٍو سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّجْوَى، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُدْنِي الْمُؤْمِنُ مِنْ



رَبِّهِ» وَقَالَ هِشَامٌ: «يَدْنُو الْمُؤْمِنُ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ؛ فَيَقْرَرُهُ بِدُنُوبِهِ تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُمَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ تُطَوَّى صَحِيفَةٌ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ أَوْ الْكُفَّارُ فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾» وأخرجه مسلم (٢٧٦٨).

(١٢) وقال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ** (١٩٣): حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنِ الْجَحْدَرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ الْعُبَيْرِيُّ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي كَامِلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُونَ لِدَلِكِ، وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنٍ: فَيَلْهَمُونَ لِدَلِكِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْخَلْقِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ؛ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ، قَالَ: فَيَأْتُونَ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ؛ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا؛ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ؛ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ؛ فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا قَدْ غَفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَيَأْتُونِي؛ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ازْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تَسْمَعُ، سَلْ تُعْطَى، اشْفَعْ تُشْفَعُ؛ فَأَرْفَعُ رَأْسِي؛ فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدِثُ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَاقْعُ



سَاجِدًا؛ فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي، ثُمَّ يَقَالُ: ازْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تَسْمَعُ، سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشْفَعُ؛ فَارْفَعْ رَأْسِي؛ فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يُعَلِّمْنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا؛ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَلَا أُدْرِي فِي النَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ، قَالَ: فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ؛ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَيُّ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ» الحديث أخرجه البخاري (٦٥٦٥).

١٣) وأخرج مسلم في «صحيحه» (١٩١): حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، كِلَاهُمَا عَنْ رَوْحٍ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ الْقَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ فَقَالَ: «نَجِيءٌ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا أَنْظِرْ أَيُّ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ، قَالَ: فَتَدْعَى الْأُمَّمُ بِأَوْتَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلُ؛ فَلِأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ؛ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمَنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ لَفًا لَا يُحَاسِبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَصْوَابِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيَجْعَلُونَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ وَيَجْعَلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرُشُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا».

١٤) وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (٦٥٧١): حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ: رَجُلٌ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا؛ فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ،



فِيَأْتِيهَا فَيُحْيِلُ إِلَيْهِ أُمَّهَا مَلَأَى فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَأْتِيهَا فَيُحْيِلُ إِلَيْهِ أُمَّهَا مَلَأَى؛ فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ؛ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَقُولُ: أُنْسَخِرُ بِِي أَوْ أَنْصَحَكَ بِِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ، قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: ذَلِكَ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً. وأخرجه مسلم (١٨٦).

١٥) وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٧١٢): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّمِيمِيُّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِلَحْمٍ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الدَّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَشَ مِنْهَا نَهَشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَلِكَ: يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ؛ فَيَسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصْرَ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ؛ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرُونَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ، أَلَا تَرُونَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؛ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ااتُوا آدَمَ؛ فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ؛ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؛ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ تَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ؛ فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ



لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؛ فَيَقُولُ هُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذْبَابَتِهِ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى؛ فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؛ فَيَقُولُ هُمْ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ الْقَاهَا إِلَى مَزِيمٍ وَرُوحٌ مِنْهُ؛ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا، فَيَقُولُ هُمْ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَيَأْتُونِي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؛ فَانْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاحِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الشَّائِءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ازْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشْفَعُ؛ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبُّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ، لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجْرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى» والحديث أخرجه مسلم (١٩٤).

والدلالة من الأحاديث أن الله **عَزَّوَجَلَّ** حين يُدْني المؤمن ويكلمه يراه المؤمن، وحين يشفع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرى ربه، فتنبه لهذا تسلّم من معرفة أصحاب التعطيل.



(١٦) وقال الإمام البخاري **رَحِمَهُ اللهُ** تعالى (٧٥١٢): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». الحديث أخرجه مسلم (١٠١٦).





باب كلام الله عز وجل لأهل الموقف ولقائه بهم

وهل يرى الكفار الله عز وجل:

(١٧) قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

فإذا حجب الكفار في السخط رآه المؤمن في الرضا. قال البيهقي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في «**الاعتقاد**» (١/ ١٢٢): فَلَمَّا عَاقَبَ الْكُفَّارَ بِحَجْبِهِمْ عَنْ رُؤْيِيهِ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يُبْصِرُ الْمُؤْمِنِينَ بِرَفْعِ الْحِجَابِ لَهُمْ عَنْ أَعْيُنِهِمْ حَتَّى يَرَوْهُ، وَلَمَّا قَالَ فِي وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ﴾ [القيامة: ٢٢]، فَقَيَّدَهَا بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَوَصَفَهَا، فَقَالَ: ﴿نَاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] ثُمَّ أَثْبَتَ لَهَا الرُّؤْيِيَةَ فَقَالَ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، عَلِمْنَا أَنَّ الْآيَةَ الْأُخْرَى فِي نَفْيِهَا عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ، وَفِي نَفْيِهَا عَنِ الْوُجُوهِ الْبَاسِرَةِ دُونَ الْوُجُوهِ النَّاصِرَةِ جَمْعًا بَيْنَ الْآيَتَيْنِ حَمَلًا لِلْمُطَلَقِ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى الْمُقَيَّدِ مِنْهُ. اهـ

(١٨) وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مُلْقَوَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

(١٩) وقال تعالى: ﴿يَحْتَتِمُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

قال الأجرى في «الشريعة» (١/ ٩٨١/٢) ط/ الوطن: وقال تعالى: ﴿يَحْتَتِمُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤] واعلم رحمك الله أن عند أهل العلم باللغة أن اللقاء هاهنا، لا يكون؛ إلا معاينة يراهم الله تعالى ويرونه، ويسلم عليهم، ويكلمهم ويكلمونه. اهـ

وقال شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ كَمَا فِي «المجموع» (٦/ ٤٨٨): إِذْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَطَّةَ الْإِمَامُ قَالُوا فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثِلَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ كَانَتْ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ وَفِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ اللَّهَ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّقَاءَ يَدُلُّ عَلَى



الرُّؤْيِيَّةُ وَالْمُعَايِنَةُ. وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَدْ اسْتَدَلَّ الْمُشْتَبُونَ بِقَوْلِهِ **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى**: ﴿يَأْتِيهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾. اهـ

وقال رحمه الله في المصدر السابق (٤٦٢/٦-٤٦٧): "أَمَّا اللِّقَاءُ " فَقَدْ فَسَّرَهُ طَائِفَةٌ مِنْ
السَّلَفِ وَالْخَلْفِ بِمَا يَتَّصِفُ الْمُعَايِنَةُ وَالْمُشَاهَدَةُ بَعْدَ السُّلُوكِ وَالْمَسِيرِ؛ وَقَالُوا: إِنَّ
لِقَاءَ اللَّهِ يَتَّصِفُ رُؤْيِيَّتُهُ **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى** وَاحْتَجُّوا بِآيَاتِ " اللِّقَاءِ " عَلَى مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيِيَّةَ اللَّهِ
فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ كَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ. وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ.
فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾
وَلَا يَرَائِي أَوْ قَالَ: وَلَا يُخْبِرُ بِهِ أَحَدًا وَجَعَلُوا اللِّقَاءَ يَتَّصِفُ مَعْنِيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: السَّيْرُ
إِلَى الْمَلِكِ وَالثَّانِي مُعَايِنَتُهُ. كَمَا قَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا
فَمُلْقِيهِ﴾ فَذَكَرَ أَنَّهُ يَكْدَحُ إِلَى اللَّهِ فَيَلْقَاهُ وَالْكَدْحُ إِلَيْهِ يَتَّصِفُ السُّلُوكُ وَالسَّيْرُ إِلَيْهِ
وَاللِّقَاءُ يُعَقَّبُهُمَا. وَأَمَّا الْمُعَايِنَةُ مِنْ غَيْرِ مَسِيرٍ إِلَيْهِ - كَمُعَايِنَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ - فَلَا
يُسَمَّى لِقَاءً. وَقَدْ يُرَادُ بِاللِّقَاءِ الْوُصُولُ إِلَى الشَّيْءِ وَالْوُصُولُ إِلَى الشَّيْءِ بِحَسَبِهِ. وَمِنْ
دَلِيلِ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَالَ: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ وَقَالَ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا
إِلَى شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ الْآيَةَ. وَقَالَ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وَقَالَ: ﴿وَإِذَا
يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ اتَّقَبَّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ
كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ
يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:
«لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا» وَفِي الصَّحِيحَيْنِ
«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقٍ مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ فَأَنْفَلَ



فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ؛ فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقِيتني وَأَنَا جُنُبٌ فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ حَتَّى أَعْتَسِلَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ» وَفِي لَفْظٍ: «لَقِيت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وَهُوَ فِي مُسْلِمٍ عَنْ حُدَيْفَةَ أَيْضًا «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَهُ وَهُوَ جُنُبٌ فَذَكَرَ مَعْنَاهُ». وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ بَرِيدَةَ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: أُغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ أُغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَمْتَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ»، الْحَدِيثُ. وَفِي حَدِيثِ عْتَبَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الْقَتْلُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ عَدُوًّا قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُفْتَخِرُ فِي خِيَمَةِ اللَّهِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ لَا يُفْضَلُهُ إِلَّا النَّيُّونَ بِدَرَجَةِ النَّبُوَّةِ وَرَجُلٌ فَرَّقَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَمَصْمَصَةٌ تَحْتَ ذُنُوبِهِ وَخَطَايَاهُ إِنَّ السَّيْفَ لِمُحَايَا لِمُحَايَا وَأَدْخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ فَإِنَّهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ وَرَجُلُهُمْ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى قُتِلَ فَإِنَّ ذَلِكَ فِي النَّارِ إِنَّ السَّيْفَ لَا يَمْحُو النَّفَاقَ»

رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: مَتَى مَا تَلَقَى فَرْدًا مِنْ... تَرَجُّو وَأَبُو السَّنَلِ وَيُسْتَعْمَلُ "اللِّقَاءُ" فِي لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَلِقَاءِ الْوَلِيِّ وَلِقَاءِ الْمَحْبُوبِ وَلِقَاءِ الْمَكْرُوهِ وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِيمَا يَنْصَمْنُ مُبَاشَرَةً الْمَلَاقِي وَمُمَاسَّتَهُ مَعَ اللَّذَّةِ وَالْأَلَمِ كَمَا قَالَ: «إِذَا التَّقَى الْخِتَانَانِ وَجَبَ الْغُسْلُ» وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِذَا قَعَدَ بَيْنَ شُعْبَيْهَا الْأَرْبَعِ وَالتَّرَّقَ الْخِتَانَانِ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ».



وَمِنْ نَحْوِ هَذَا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الْمَوْتَ الَّتِي تَفْرُوتُ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ وَقَوْلُهُ:
 ﴿فَوَقَلَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿أُولَئِكَ يُجْرُونَ الْعُرْفَةَ بِمَا
 صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَيْثَ وَسَلَمًا﴾ وَيُقَالُ: فَلَانٌ لَقِيَ خَيْرًا وَلَقِيَ شَرًّا وَقَدْ قَالَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةَ فَاضِرُّوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» .
 وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ " اللِّقَاءَ " فِي مِثْلِ هَذَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْمُشَاهَدَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى
 ﴿وَلَقَدْ كُتِبَ تَمَتُّوتِ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُشَاهِدُ بِنَفْسِهِ
 هَذِهِ الْأُمُورَ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمَوْتَ نَفْسَهُ يُشْهَدُ وَيُرَى ظَاهِرًا. وَقِيلَ: الْمَرْتِي أَسْبَابُهُ.
 وَقَدْ جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْفَاطُ مِنْ نَحْوِ " لِقَاءِ اللَّهِ " كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى
 كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا
 بَلَى وَرَبِّنَا﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وَقَوْلُهُ:
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ
 حِسَابَهُ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ
 الرُّجْعَى﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ
 إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾. لَكِنْ يَلْزِمُ هَؤُلَاءِ " مَسْأَلَةٌ " تَكَلَّمَ النَّاسُ
 فِيهَا وَهِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَلْقَاهُ الْكُفَّارُ وَيَلْقَاهُ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا قَالَ: ﴿يَتَأَيَّهَا
 الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلْقِيهِ﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ
 حِسَابًا يَسِيرًا﴾ وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِيهِ مَسْرُورًا﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾ ﴿فَسَوْفَ
 يَدْعُوا نُبُورًا﴾ وَيَصَلِّي سَعِيرًا﴾ وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِي الْكُفَّارِ هَلْ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ مَرَّةً ثُمَّ
 يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ أَمْ لَا يَرَوْنَهُ بِحَالٍ تَمَسَّكَ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
 لَمَحْجُوبُونَ﴾ وَلِأَنَّ الرُّؤْيَا أَعْظَمُ الْكِرَامَةِ وَالنَّعِيمِ وَالْكَفَّارُ لَا حَظَّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ.



وَقَالَتْ طَوَائِفٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالتَّصَوُّفِ: بَلْ يَرُونَهُ ثُمَّ يَحْتَجِبُ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي فِي الصَّحِيحِ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمَا مَعَ مُوَافَقَةِ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ قَالُوا وَقَوْلُهُ: ﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾ يُشْعِرُ بِأَنَّهُمْ عَاينُوا ثُمَّ حُجِبُوا وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ فَعَلِمَ أَنَّ الْحَجْبَ كَانَ يَوْمَئِذٍ. فَيُشْعِرُ بِأَنَّهُ يَخْتَصُّ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَجْبِ بَعْدَ الرُّؤْيَةِ. فَأَمَّا الْمَنْعُ الدَّائِمُ مِنَ الرُّؤْيَةِ فَلَا يَزَالُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالُوا: وَرُؤْيَةُ الْكُفَّارِ كَيْسَتْ كَرَامَةً وَلَا نَعِيمًا؛ إِذْ " اللِّقَاءُ " يَنْقَسِمُ إِلَى لِقَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْإِكْرَامِ وَلِقَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْعَذَابِ فَهَكَذَا الرُّؤْيَةُ الَّتِي يَتَضَمَّنُهَا اللَّقَاءُ. اهـ

٢٠) قال الإمام البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** (٧٤٤١): حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي عَمِّي، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَرْسَلَ إِلَيَّ الْأَنْصَارِ؛ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ، وَقَالَ لَهُمْ: «**اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ**» الحديث أخرجه مسلم (١٥٥٩).

٢١) وقال الإمام البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** (٧٤٤٢): حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَأَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ؛ فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» الحديث أخرجه مسلم (٧٦٩).

٢٢) وقال **رَحِمَهُ اللَّهُ** (١٤١٣): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ، أَخْبَرَنَا سَعْدَانُ بْنُ بِشْرِ، حَدَّثَنَا أَبُو مُجَاهِدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيفَةَ الطَّائِي، قَالَ:



سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَجَاءَهُ رَجُلَانِ: أَحَدُهُمَا: يَشْكُو الْعَيْلَةَ، وَالْآخَرُ: يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْنِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ، وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ، لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ لِيَقْفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجَمَانٌ يُتْرَجِمُ لَهُ، ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَا لَوْ؟ فليقولَنَّ: بلى، ثُمَّ ليقولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا، فليقولَنَّ بلى؛ فينظرُ عن يمينه فلا يرى إلا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فلا يرى إلا النَّارَ؛ فليَتَقَيَّنَّ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِسِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» أخرج مسلم الشاهد منه رقم (١٠١٦).

(٢٣) وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٤٤٥): حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَعِينٍ، وَجَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كاذِبَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ الآية» أخرجه مسلم (١٣٨).

(٢٤) وقال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣٩): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَهَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ، وَأَبُو عَاصِمٍ الْحَنْفِيُّ، وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتِ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ، إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي كَانَتْ لِأَبِي، فَقَالَ الْكِنْدِيُّ: هِيَ أَرْضِي فِي يَدِي أَرْضَهَا لَيْسَ لَهَا فِيهَا حَقٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَضْرَمِيِّ: «أَلَمْ يَبْتِنُ» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَلَمْ يَكُنْ»



يَمِينُهُ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي عَلَيَّ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ؛ فَاَنْطَلَقَ لِيَحْلِفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لَمَّا أَذْبَرَ: «**أَمَّا لَيْنٌ حَلَفَ عَلَى مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا، لِيَلْقَيْنَ اللَّهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ**».

(٢٥) وقال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَاثِلٍ، عَنْ وَاثِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فَاتَاهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي أَرْضٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّ هَذَا انْتَزَى عَلَيَّ أَرْضِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهُوَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ عَابِسِ الْكِنْدِيِّ، وَخَصَمُهُ رِبِيعَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «**بِئْسَ تَك**» قَالَ: لَيْسَ لِي بَيْنَهُ، قَالَ: «**يَمِينُهُ**» قَالَ: إِذْنٌ يَذْهَبُ بِهَا، قَالَ: لَيْسَ لَكَ إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: فَلَمَّا قَامَ لِيَحْلِفَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**مَنْ اقْتَطَعَ أَرْضًا ظَالِمًا لِقَوِي اللَّهِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ**».

(٢٦) وقال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ** (٢٩٦٨): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظُّهَيْرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ؛ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ، أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأَسَوَّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْحَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعٌ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ، فَيَقُولُ: لَا؛ فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي، فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ، أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأَسَوَّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْحَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعٌ؟ فَيَقُولُ: بَلَى أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا؛ فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى**



الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذَا قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؛ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ: لِفَخْذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ انْطِقِي؛ فَتَنْطِقُ فَخِذَهُ وَلَحْمَهُ وَعِظَامَهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمَنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْحَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ».

(٢٧) وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٢٩٦٩): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ، حَدَّثَنِي أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ الْمُكْتَبِ، عَنْ فَضِيلِ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فَضَحِكْ، فَقَالَ: «هَلْ تَذُرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُحَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا؛ فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُ».

(٢٨) وقال الإمام البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٧٤٤٦): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي صَالِحِ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ عَنْ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى، وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ؛ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي، كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ» أخرجه مسلم (١٠٨).

(٢٩) وقال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ** (١٠٧): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ



(٣٢) أخرج الإمام أبو نعيم في «الحلية» (١/١٨٠): عن أبي عوانة، عن هلال الوزان، عن عبد الله بن عكيم، قال: سمعت ابن مسعود، في هذا المسجد يبدأ باليمين قبل الكلام فقال: ما منكم من أحد إلا أن ربه تعالى سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول: «يا ابن آدم ما عرك بي؟ ابن آدم ماذا أحببت المرسلين؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟».

(٣٣) وقال الإمام مسلم **رحمته الله** (٢٩٤٠): حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن الثعمان بن سالم، قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي، يقول: سمعت عبد الله بن عمرو، وجاءه رجل، فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به، تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا، فقال: سبحان الله، أو لا إله إلا الله، أو كلمة نحوهما، لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما، يحرق البيت، ويكون ويكون، ثم قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «يخرج الدجال في أمي؛ فيمكث أربعين، لا أدري أربعين يوما، أو أربعين شهرا، أو أربعين عاما؛ فيبعث الله عيسى ابن مريم، كأنه عروة بن مسعود؛ فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان؛ إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، قال: سمعتها من رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، قال: فيبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا؛ فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستحيون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور؛ فلا يسمعه أحد، إلا أصغى لينا، ورفع لينا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوص إبله، قال: فيصعقو ويصعق الناس، ثم يرسل الله، أو قال: ينزل الله مطرا؛ كأنه الطل، أو الظل -نعمان الشاك-؛ فتبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه



أُخْرَى؛ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ: ﴿١٥﴾ وَقَفُّهُمْ عَلَيْهِمْ مَسْئُولُونَ ﴿١٦﴾، قَالَ ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ الْفِئَةِ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَلِكَ يَوْمٌ ﴿١٧﴾ يُجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٨﴾، وَذَلِكَ يَوْمٌ ﴿١٩﴾ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٢٠﴾».

٣٤) وقال الإمام أبو بكر بن خزيمة في «التوحيد» (١١٥): حدثنا محمد بن يحيى، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، وقال: حدثني العلاء بن عبد الرحمن، مولى الحرقة، عن أبيه، عن أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين، فيقول: ألا ليتبع كل أناس ما كانوا يعبدون فيمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب التصوير تصويره، ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون، فيطلع عليهم رب العالمين، فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، الله ربنا، وهذا مكاننا، حتى نرى ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم، ثم يتواري، ثم يطلع، فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، الله ربنا، وهذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم»، ثم قالوا: وهل نراه يا رسول الله؟ قال: «وهل تتمارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله قال: «فإنكم لا تتمارون في رؤيته تلك الساعة، ثم يتواري، ثم يطلع عليهم، فيعرفهم بنفسه، ثم يقول: أنا ربكم، فاتبعون، فيقوم المسلمون، ويضع الصراط، فيمر عليه مثل جياذ الخيل والركاب، وقولهم عليه: سلم سلم، ويبقى أهل النار، فيطرح منهم فيها فوج، ثم يقال: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟ ثم يطرح فيها فوج آخر، فيقال: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟ ثم يطرح فيها فوج آخر، فيقال: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟ حتى إذا أوعبوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها، فانزوى بعضها إلى بعض، ثم قال: قط، قالت: قط قط، فإذا صير أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، أتى بالموت ملبباً فيوقف على السور الذي بين أهل



الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين فرحين للشفاعة واليهن، فيقال: لأهل الجنة ولأهل النار، هل تعرفون هذا؟ فيقولون: هؤلاء، وهؤلاء: قد عرفناه، هذا الموت، الذي وكل بنا، فيضجع، فيذبح ذبحاً على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت». هذا حديث حسن.

(٣٥) قال الإمام أحمد **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٥/٦٨): حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ وَعَفَّانُ، قَالَا: ثَنَا رَبِيعَةُ بْنُ كَثُومٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا غَادِيَةَ، يَقُولُ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَقُلْتُ لَهُ: بِيَمِينِكَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَا: جَمِيعًا فِي الْحَدِيثِ، وَخَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَوْمَ الْعَقَبَةِ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّجَلَّ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

(٣٦) قال الإمام الترمذي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

قال الإمام الوادي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في «الجامع الصحيح» كتاب التوحيد، باب الرؤية حديث رقم (٤٥٨٦): هو حديث حسن، وبما بعده يرتقي إلى الصحة.

اعلم وفقك الله **عَزَّجَلَّ**: أن العلماء اختلفوا في رؤية أهل الموقف لربهم **عَزَّجَلَّ** إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الكفار لا يرون ربهم بحال لا المظهر للكفر ولا المسر به.



الثاني: يراه المنافقون دون الكفار، وهذا قول ابن خزيمة، وأبي يعلى.

الثالث: يراه أهل الموقف كلهم، مؤمنهم، وكافرهم، برهم وفاجرهم، ثم يحتجب بعد ذلك عن الكفار، فلا يرونه وإليه ذهب بعض الحنابلة.

قال أبو بكر بن خزيمة في «التوحيد» (٣١٢-٣١٣): في هذه الأخبار دلالة على أن

قوله جل وعلا: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] إنما أراد الكفار

الذين كانوا يكذبون بيوم الدين، بضمايرهم، فينكرون ذلك بألستهم، دون المنافقين الذين كانوا يكذبون بضمايرهم ويقرون بألستهم بيوم الدين، رياء وسمعة ألا تسمع

إلى قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَجَّيْنُ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَبَلَّ

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾﴾ [المطففين: ٤-١١] أي قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ

رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] أي: المكذبون بيوم الدين ألا ترى أن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أعلم أن منافقي هذه الأمة يرون الله حين يأتيهم في صورته التي

يعرفون هذا في خبر أبي هريرة، وفي خبر أبي سعيد: «**فيكشف عن ساق؛ فيخرون**

سجدًا أجمعون» وفيه ما دل على أن المنافقين يرونه للاختبار والامتحان، فيريدون

السجود فلا يقدرين عليه، وفي خبر أبي سعيد: «**فلا يبقى من كان يعبد صنمًا ولا وثنا**

ولا صورة إلا ذهبوا حتى يتساقطوا في النار» فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يحتجب على هؤلاء

الذين يتساقطون في النار، ويبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر ومنافق، وبقايا

أهل الكتاب، ثم ذكر في الخبر أيضا أن من كان يعبد غير الله من اليهود والنصارى

يتساقطون في النار، ثم يتبدى الله **عَزَّجَلَّ** لنا في صورة غير الصورة التي رأيناها فيها، وفي

هذا الخبر ما بان وثبت وصح أن جميع الكفار قد تساقطوا في النار، وجميع أهل

الكتاب الذين كانوا يعبدون غير الله، وأن الله جل وعلا إنما يتراءى لهذه الأمة برها

وفاجرها ومنافقها بعدما تساقط أولئك في النار فالله جل وعلا كان محتجبًا عن



جميعهم، لم يره منهم أحد كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [١٦].

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ [المطففين: ١٤-١٥]، إلى قوله: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [١٧]، فأعلمنا الله **عَزَّوَجَلَّ** أن من حجب عنه يومئذ، هم المكذبون، بذلك في الدنيا، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٧] وأما المنافقون: فإنما كانوا يكذبون بذلك بقلوبهم ويقرون بألسنتهم رياءً وسمعة، فقد يتراءى لهم رؤية امتحان واختبار، وليكن حجبه إياهم بعد ذلك عن رؤيته حسرة عليهم وندامة، إذ لم يصدقوا به بقلوبهم وضمايرهم، وبوعده ووعيده، وما أمر به ونهى عنه، بيوم الحسرة والندامة وفي حديث سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: «يلقى العبد فيقول: أي قل: ألم أكرمك؟ - إلى قوله: - فالיום أنساك كما نسيتي»؛ فاللقاء الذي في هذا الخبر غير الترائي؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يترأى لمن قال له هذا القول، وهذا الكلام الذي يكلم به الرب جل ذكره عبده الكافر يوم القيامة كلام من وراء الحجاب، من غير نظر الكافر إلى خالقه، في الوقت الذي يكلم به ربه **عَزَّوَجَلَّ** وإن كان كلام الله إياه كلام توييح وحسرة وندامة للعبد، لا كلام بشر وسرور وفرح ونضرة وبهجة ألا تسمعه يقول في الخبر بعد ما يتبع أولياء الشياطين واليهود والنصارى أولياءهم، إلى جهنم قال: ثم نبقى أيها المؤمنون فيأتينا ربنا، فيقول: على ما هؤلاء قيام؟ فيقولون: نحن عباد الله المؤمنون، وعبداناه وهو ربنا، وهو آتنا ويثبتنا، وهذا مقامنا، فيقول: أنا ربكم ويضع الجسر، أفلا تسمع إلى قوله: «فيأتينا ربنا»، إنما ذكره بعد تساقط الكفار واليهود والنصارى في جهنم فهذا الخبر دال أن قوله: فيلقى العبد، وهو لقاء غير الرؤية قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: ٧]، وقال: ﴿فَنَدَّرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١]، وقال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ



عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿﴾ [الكهف: ١٨]، وقال: ﴿وَلِذَا تُمَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِقَرَّانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلُهُ﴾ [يونس: ١٥]،
والعلم محيط: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرد بقوله: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً
دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك به دخل النار» لم يرد من يرى الله وهو يشرك به شيئاً،
واللقاء غير الرؤية، والنظر ولا شك، ولا ارتياب أن قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ [الأعراف: ١٤٧] ليس معناه رؤية الآخرة. اهـ
هذا مذهب ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ ومن وافقه.

وقد تقدم كلام الآجري بأن اللقاء لا يكون إلا معاينة يراه الله ويرونه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في «حادي الأرواح» (٢٦٩): الدليل الثاني قوله تعالى:
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ وقوله
تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُا اللَّهَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ
رَبِّهِ﴾ وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى
والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي
قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ [التوبة: ٧٧] فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن
المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة بل والكفار أيضًا، كما في «الصحيحين» من
حديث التجلي يوم القيامة....، وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة: أحدها: أن
لا يراه إلا المؤمنون، والثاني: يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتج
عن الكفار؛ فلا يرونه بعد ذلك، والثالث: يراه المنافقون دون الكفار، والأقوال
الثلاثة في مذهب أحمد وهي لأصحابه، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم في تكليمه
لهم، وشيخنا في ذلك مصنف مفرد، وحكى فيه أقوال الثلاثة، وحجج أصحابها،
وكذا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلْقِيهِ﴾ إن عاد



الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطوراً مثبتاً، وإن عاد على الرب
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو لقاءه الذي وعد به. اهـ

وكان النزاع في هذه المسألة بعد الثلاثمائة، قال شيخ الإسلام كما في «المجموع»
(٦/٤٨٦-٤٨٧): فَأَمَّا " مَسْأَلَةُ رُؤْيَةِ الْكُفَّارِ " فَأَوَّلُ مَا انْتَشَرَ الْكَلَامُ فِيهَا وَتَنَازَعَ النَّاسُ
فِيهَا - فِيمَا بَلَّغْنَا - بَعْدَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ وَأَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ فِي هَذَا قَوْمٌ مِنْ
الْعُلَمَاءِ وَتَكَلَّمَ فِيهَا آخَرُونَ فَاخْتَلَفُوا فِيهَا عَلَى " ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ " مَعَ أَنِّي مَا عَلِمْتُ أَنَّ
أَوْلِيكَ الْمُخْتَلِفِينَ فِيهَا تَلَاعَنُوا وَلَا تَهَاجَرُوا فِيهَا؛ إِذْ فِي الْفِرْقِ الثَّلَاثَةِ قَوْمٌ فِيهِمْ فَضْلٌ
وَهُمْ أَصْحَابُ سُنَّةٍ. وَالْكَالِمُ فِيهَا قَرِيبٌ مِنَ الْكَالِمِ فِي مَسْأَلَةِ " مُحَاسَبَةِ الْكُفَّارِ " هَلْ
يُحَاسَبُونَ أَمْ لَا؟ هِيَ مَسْأَلَةٌ لَا يُكْفَرُ فِيهَا بِالِاتِّفَاقِ وَالصَّحِيحُ أَيْضًا أَنْ لَا يُضَيَّقَ فِيهَا
وَلَا يُهَجَرَ وَقَدْ حُكِيَ عَنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بَشَّارٍ أَنَّهُ قَالَ: لَا يُصَلِّيْ خَلْفَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُمْ
يُحَاسَبُونَ. وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّهُ يُصَلِّيْ خَلْفَ الْفَرِيقَيْنِ بَلْ يَكَادُ الْخِلَافُ
بَيْنَهُمْ يَرْتَفِعُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ؛ مَعَ أَنَّهُ قَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا أَصْحَابُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَإِنْ كَانَ
أَكْثَرُهُمْ يَقُولُونَ: لَا يُحَاسَبُونَ وَاخْتَلَفَ فِيهَا غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ.
وَذَلِكَ أَنَّ " الْحِسَابَ " قَدْ يُرَادُ بِهِ الْإِحَاطَةُ بِالْأَعْمَالِ وَكِتَابَتُهَا فِي الصُّحُفِ وَعَرْضُهَا
عَلَى الْكُفَّارِ وَتَوْبِيخُهُمْ عَلَى مَا عَمِلُوهُ وَزِيَادَةُ الْعَذَابِ وَنَقْصُهُ بِزِيَادَةِ الْكُفْرِ وَنَقْصِهِ
فَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْحِسَابِ ثَابِتٌ بِالِاتِّفَاقِ. وَقَدْ يُرَادُ " بِالْحِسَابِ " وَزْنَ الْحَسَنَاتِ
بِالسَّيِّئَاتِ لِيَتَبَيَّنَ أَيُّهُمَا أَرْجَحُ: فَالْكَافِرُ لَا حَسَنَاتٍ لَهُ تُوزَنُ بِسَيِّئَاتِهِ؛ إِذْ أَعْمَالُهُ كُلُّهَا
حَابِطَةٌ وَإِنَّمَا تُوزَنُ لِتُظَهَرَ خِيفَةُ مَوَازِينِهِ لَا لِيَتَبَيَّنَ رُجْحَانُ حَسَنَاتٍ لَهُ. وَقَدْ يُرَادُ "
بِالْحِسَابِ " أَنَّ اللَّهَ: هَلْ هُوَ الَّذِي يُكَلِّمُهُمْ أَمْ لَا؟ فَالْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ
يُكَلِّمُهُمْ تَكْلِيمَ تَوْبِيخٍ وَتَقْرِيعٍ وَتَبْكِيتٍ لَا تَكْلِيمَ تَقْرِيبٍ وَتَكْرِيمٍ وَرَحْمَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ
الْعُلَمَاءِ مَنْ أَنْكَرَ تَكْلِيمَهُمْ جُمْلَةً. اهـ



وقد تكلم شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللهُ** عن المسألة بتوسع، فقال **رَحِمَهُ اللهُ** (٦/٤٨٧-٥٠٢): وَالْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ فِي "رُؤْيَةِ الْكُفَّارِ":

أَحَدُهَا: أَنَّ الْكُفَّارَ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِحَالٍ لَا الْمُظْهِرُ لِلْكَفْرِ وَلَا الْمُسِرُّ لَهُ وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَعَلَيْهِ يَدُلُّ عُمُومُ كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَعَلَيْهِ جُمُهُورُ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ.

الثَّانِي: أَنَّهُ يَرَاهُ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ مِنْ مُؤْمِنِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمُنَافِقِيهَا وَغَبَرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَذَلِكَ فِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنِ الْمُتَنَافِقِينَ فَلَا يَرَوْنَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَهَذَا قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خُزَيْمَةَ مِنْ أُمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى نَحْوَهُ فِي حَدِيثِ إِتْيَانِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لَهُمْ فِي الْمَوْقِفِ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ.

الثَّلَاثُ: أَنَّ الْكُفَّارَ يَرَوْنَهُ رُؤْيَا تَعْرِيفٍ وَتَعْدِيْبٍ - كَاللَّصِّ إِذَا رَأَى السُّلْطَانَ - ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ لِيُعْظَمَ عَذَابُهُمْ وَيَسْتَدَّ عِقَابُهُمْ وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سَالِمٍ وَأَصْحَابِهِ وَقَوْلِ غَيْرِهِمْ؛ وَهُمْ فِي الْأَصُولِ مُتَنَسِّبُونَ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَإِلَى سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ. وَهَذَا مُقْتَضَى قَوْلِ مَنْ فَسَّرَ "اللِّقَاءَ" فِي كِتَابِ اللَّهِ بِالرُّؤْيَا؛ إِذْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَطَّةَ الْإِمَامُ قَالُوا فِي قَوْلِ اللَّهِ:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَايَت رِبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: **﴿مَنْ كَانَتْ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ**

لِآلٍ﴾ وَفِي قَوْلِ اللَّهِ: **﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾** **﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ﴾**

وَفِي قَوْلِهِ: **﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ﴾** وَفِي قَوْلِهِ: **﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا**

بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّقَاءَ يَدُلُّ عَلَى الرُّؤْيَا وَالْمُعَايَنَةِ. وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَدْ اسْتَدَلَّ

الْمُشْتَبُونَ بِقَوْلِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: **﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَارِجٌ إِلَيَّ رَبِّكَ كَذْحًا فَمَلَقِيهِ﴾**. وَمِنْ

أَهْلِ السُّنَّةِ مَنْ قَالَ "اللِّقَاءُ" إِذَا قُرِنَ بِالتَّحِيَّةِ فَهُوَ مِنَ الرُّؤْيَا وَقَالَ ابْنُ بَطَّةَ: سَمِعْتُ

أَبَا عَمَرَ الزَّاهِدَ اللَّغْوِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبًا يَقُولُ فِي



قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا﴾ أَجْمَعَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ اللِّقَاءَ هَاهُنَا لَا يَكُونُ إِلَّا مُعَايَنَةً وَنَظْرَةً بِالْأَبْصَارِ. وَأَمَّا " الْفَرِيقُ الْأَوَّلُ " فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ الدَّلِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ قَوْلُهُ: ﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا﴾ وَإِنَّمَا الدَّلِيلُ آيَاتٌ أُخْرَى مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٣٣﴾ عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَمِنْ أَقْوَى مَا يَتَمَسَّكُ بِهِ الْمُثْبِتُونَ: مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: سَأَلَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابٍ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابٍ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيُّ فُلَانٍ أَلَمْ أُكْرِمَكَ؟ أَلَمْ أُسَوِّدَكَ؟ أَلَمْ أُزَوِّجَكَ؟ أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْحَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَتْرَكَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبِيعٍ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ قَالَ: فَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا. قَالَ: فَالْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي. قَالَ: فَيَلْقَى الثَّانِيَّ فَيَقُولُ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ؟ أَلَمْ أُسَوِّدَكَ؟ أَلَمْ أُزَوِّجَكَ؟ أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْحَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَتْرَكَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبِيعٍ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ قَالَ: فَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا. قَالَ: فَالْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّلَاثَ: فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَبُئِنِّي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ فَيَقَالُ: أَلَا نَبَعْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ فَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُحْتَمُّ عَلَيَّ فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ: انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَحَمُّهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعَدَّرَ مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَاقِقُ الَّذِي سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ». إِلَى هُنَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي رِوَايَةٍ غَيْرِهِ - وَهِيَ مِثْلُ رِوَايَتِهِ سِوَاءِ



صَحِيحَةٌ - قَالَ: «ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ أَلَا تَتَّبِعُ كُلَّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ قَالَ: فَتَتَّبِعُ أَوْلِيَاءَهُ
الشَّيَاطِينِ الشَّيَاطِينِ قَالَ: وَاتَّبَعْتَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ ثُمَّ نَبَقَى أَيُّهَا
المُؤْمِنُونَ فَيَأْتِينَا رَبُّنَا وَهُوَ رَبُّنَا فَيَقُولُ: عَلَامَ هَؤُلَاءِ قِيَامٌ؟ فَنَقُولُ نَحْنُ عِبَادُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ
عَبْدَانَاهُ وَهُوَ رَبُّنَا وَهُوَ آتِينَا وَيُثَبِّتُنَا وَهَذَا مَقَامُنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَامْضُوا قَالَ: فَيُوضَعُ
الجِسْرُ وَعَلَيْهِ كَلَالِيْبٌ مِنَ النَّارِ تَخْطِفُ النَّاسَ فَعِنْدَ ذَلِكَ حَلَّتْ الشَّفَاعَةُ لِي اللّهُمَّ سَلِّمْ
اللّهُمَّ سَلِّمْ قَالَ: فَإِذَا جَاءُوا الجِسْرَ فَكُلُّ مَنْ أَنْفَقَ زَوْجًا مِنَ المَالِ مِمَّا يَمْلِكُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَكُلُّ خَزَنَةِ الجَنَّةِ يَدْعُوهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ يَا مُسْلِمٍ هَذَا خَيْرٌ فَتَعَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ يَا مُسْلِمٍ هَذَا خَيْرٌ
فَتَعَالَ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَلِكَ العَبْدُ لَا تَوَى عَلَيْهِ يَدْعُ أَبَا وَيَلْجُ مِنْ
آخَرَ فَضْرَبَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَلَى مَنْكِبِيهِ وَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ
تَكُونَ مِنْهُمْ». وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَفِيهِ أَنَّ الكَافِرَ وَالمُنَافِقَ يَلْقَى رَبَّهُ. وَيُقَالُ: ظَاهِرُهُ أَنَّ الخَلْقَ جَمِيعَهُمْ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ
فَيَلْقَى اللَّهُ العَبْدَ عِنْدَ ذَلِكَ. لَكِنْ قَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَالقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُمَا "اللِّقَاءُ"
الَّذِي فِي الخَبَرِ غَيْرُ التَّرَائِي؛ لَا أَنَّ اللَّهَ تَرَاءَى لِمَنْ قَالَ لَهُ هَذَا القَوْلَ وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ:
أَخْبَرَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: هَلْ تَرَى رَبَّنَا؟
وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى المُؤْمِنِينَ فَذَكَرَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّ الكَافِرَ يَلْقَى رَبَّهُ فَيُوبِّحُهُ ثُمَّ
بَعْدَ ذَلِكَ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَرَاهُ المُؤْمِنُونَ. يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ فِي
الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ عَنِ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ وَعَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ:
«أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُتَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ
البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا. يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَهَلْ تُتَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ
دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ
كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ القَمَرَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ
الطَّوَاعِيَةَ وَتَبَقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: هَذَا



مَكَانَنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَا؛ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَعْرِفُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ جَاوَزَ مِنَ الرَّسُلِ بِأَمْتِهِ؛ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرَّسُلُ وَكَلَامُ الرَّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخَطَّفُ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبِقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُجَازِي حَتَّى يَنْجُو حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَارِ الشُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ الشُّجُودِ؛ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ ائْتَحَشُوا فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَقْرَعُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةِ - فَيُقْبَلُ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اضْرِبْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعِلَ بِكَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ فَيُعْطِي اللَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَضْرِبُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَى بِهَجَّتِهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدَّمَنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لَا. وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَقْدِمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَعْدَرَكَ؟ أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ فَيَضْحَكُ اللَّهُ مِنْهُ؛ ثُمَّ يُؤَدِّنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: تَمَنَّيَ حَتَّى إِذَا



انْقَطَعَتْ أُمْنِيَّتُهُ قَالَ اللهُ: مِنْ كَذَا وَكَذَا أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللهُ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَوْلَهُ: «لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: إِنِّي سَمِعْتَهُ يَقُولُ: «لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ». وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحِ قَالَ: وَأَبُو سَعِيدٍ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي حَدِيثِهِ شَيْئًا حَتَّى إِذَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «إِنَّ اللهُ قَالَ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ: «وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ» يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. [فَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَصَحِّ حَدِيثٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَقَدْ اتَّفَقَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَأَبُو سَعِيدٍ... (١) وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الرُّؤْيَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَتَّبَعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ] (*).

وَقَدْ رُوِيَ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَمْ تَرْضَوْا مِنْ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ أَنْ يُؤَيِّبَ لَكُمْ كَانَ يَعْبُدُ عَزِيرًا شَيْطَانُ عَزِيرٍ حَتَّى يُمَثَّلَ لَهُمُ الشَّجَرَةُ وَالْعُودُ وَالْحَجَرُ وَيَبْقَى أَهْلُ الْإِسْلَامِ جُثُومًا؛ فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا لَكُمْ لَا تَنْطَلِقُونَ كَمَا انْطَلَقَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّ لَنَا رَبًّا مَا رَأَيْنَاهُ بَعْدُ؛ قَالَ: فَيَقَالُ: فِيمَ تَعْرِفُونَ رَبَّكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ؟ قَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عِلَاقَةٌ إِنْ رَأَيْنَاهُ عَرَفْنَاهُ. قِيلَ: وَمَا هُوَ؟ قَالُوا: يَكْشِفُ عَن سَاقِي» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَرَوْهُ قَبْلَ تَجَلِّيهِ لَهُمْ خَاصَّةً وَأَصْحَابُ الْقَوْلِ الْآخَرِ يَقُولُونَ: مَعْنَى هَذَا لَمْ يَرَوْهُ مَعَ هَؤُلَاءِ الْآلِهَةِ الَّتِي يَتَّبِعُهَا النَّاسُ فَلِذَلِكَ لَمْ يَتَّبِعُوا شَيْئًا. يُدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ. فَهَلْ تُصَارُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ بِالظَّهْرِ صَحْوًا لَيْسَ



مَعَهَا سَحَابٌ؟، وَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟»
 قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا
 تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَدْنَى مُؤَدَّنٌ لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ فَلَا
 يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ
 يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَيَدْعَى الْيَهُودُ فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا
 كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ. فَيَقُولُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا
 وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْعُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبِّ فَاسْقِنَا فَيَسْأَرُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرُدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى
 النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يُحْطَمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ثُمَّ يَدْعَى النَّصَارَى فَيَقَالُ لَهُمْ:
 مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيَقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ
 وَلَا وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْعُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبِّ فَاسْقِنَا قَالَ: فَيَسْأَرُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرُدُونَ؟
 فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يُحْطَمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ
 إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ اللَّهُ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا - وَفِي
 رِوَايَةٍ - قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ قَالَ: فَمَا تَتَّبِعُونَ:
 لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارْقِنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرًا مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ
 نُصَاحِبِهِمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا - مَرَّتَيْنِ أَوْ
 ثَلَاثًا؛ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ - فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ بِهَا؟
 فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقِي فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَدْنَى اللَّهِ
 لَهُ بِالسُّجُودِ وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ نِفَاقًا وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كَلَّمَا
 أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ حَرَّ عَلَى فَفَاهُ ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا
 أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. ثُمَّ يَضْرِبُ الْجِسْرَ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ
 وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحْضُ مَزَلَّةٍ فِيهِ
 خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا سُورِيَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ



كَطَرَفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِدِ الْحَيْلِ وَالرَّكَابِ فَتَاجِ مُسْلِمٍ وَتَحْدُوشِ مُرْسَلٍ وَمُكْرَدَسٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ». فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّهُمْ رَأَوْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ: لِيَتَّبِعَ كُلُّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. وَهِيَ "الرُّؤْيَةُ الْأُولَى" الْعَامَّةُ الَّتِي فِي "الرُّؤْيَةِ الْأُولَى" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ فَإِنَّهُ أَخْبَرَ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ بِالرُّؤْيَةِ وَاللِّقَاءِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لِيَتَّبِعَ كُلُّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ.

وَكَذَلِكَ جَاءَ مِثْلُهُ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ مِنْ رِوَايَةِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: أَلَا يَتَّبِعُ النَّاسُ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فَيَمْتَلِ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ الصَّلِيبُ وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ وَلِصَاحِبِ التَّصْوِيرِ التَّصْوِيرُ فَتَتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ؟ وَيَبْقَى الْمُسْلِمُونَ فَيَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ اللَّهُ رَبُّنَا وَهَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنَا وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُنَبِّئُهُمْ؛ ثُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيَقُولُ أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ اللَّهُ رَبُّنَا وَهَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنَا وَيُنَبِّئُهُمْ. قَالُوا وَهَلْ نَرَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَإِنَّكُمْ لَا تَتَّارُونَ فِي رُؤْيَتِهِ تِلْكَ السَّاعَةَ ثُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فَيَعْرِفُهُمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّبِعُونِي فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ». وَأَبِينُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ فِي أَنَّ "الرُّؤْيَةَ الْأُولَى" عَامَّةٌ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ: حَدِيثُ أَبِي رَزِينِ الْعَقِيلِيِّ - الْحَدِيثُ الطَّوِيلُ - قَدْ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَتَلَقَّاهُ أَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ بِالْقَبُولِ وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي "كِتَابِ التَّوْحِيدِ" وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَحْتَجَّ فِيهِ إِلَّا بِالْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «فَتَخْرُجُونَ مِنْ الْأَصْوَى وَمِنْ مَصَارِعِكُمْ فَتَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْكُمْ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَهُوَ شَخْصٌ وَاحِدٌ وَنَحْنُ مِلَّةُ الْأَرْضِ نَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْنَا قَالَ: أَنْبَتُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلَاءِ



الله؟: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَةٌ مِنْهُ صَغِيرَةٌ تَرَوْنَهَا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَبَرِيَانِكُمْ وَلَا تَصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهَا وَلَعَمْرُ الْإِلَهِك هُوَ عَلَى أَنْ يَرَاكُمْ وَتَرُونَهُ أَقْدَرُ مِنْهَا عَلَى أَنْ يَرِيَاكُمْ وَتَرُونَهَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا يَفْعَلُ بِنَا رَبَّنَا إِذَا لَقِينَاهُ؟ قَالَ: تُعْرَضُونَ عَلَيْهِ بِأَدِيَّةٍ لَهُ صَفَحَاتِكُمْ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ فَيَأْخُذُ رَبُّكَ بِيَدِهِ غُرْفَةً مِنَ الْمَاءِ فَيَنْصَحُ بِهَا قِبْلَكُمْ فَلَعَمْرُ الْإِلَهِك مَا يُحْطِئُ وَجَهَ وَاحِدٍ مِنْكُمْ قَطْرَةً فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَتَدْعُ وَجْهَهُ مِثْلَ الرِّيطَةِ الْبَيْضَاءِ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَخْطِمُهُ مِثْلَ الْحَمَمِ الْأَسْوَدِ؛ إِلَّا تُمْ يَنْصَرِفُ نَبِيَّتِكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَمُرُّ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ - أَوْ قَالَ - يَنْصَرِفُ عَلَى إِثَرِهِ الصَّالِحُونَ؛ قَالَ: فَيَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ وَذَكَرَ حَدِيثَ " الصَّرَاطِ " .

وَقَدْ رَوَى أَهْلُ السُّنَنِ: قِطْعَةً مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ: عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْنَا يَرَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: «يَا أَبَا رَزِينِ أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ مُخْلِيًا بِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَاللهُ أَعْظَمُ». فَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ أَنَّ قَوْلَهُ: «تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْكُمْ» عُمُومٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُهُ. وَرَوَى ابْنُ خُرَيْمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَاللهُ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَخْلُو اللهُ بِهِ كَمَا يَخْلُو أَحَدَكُمْ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ - أَوْ قَالَ - لَيْلَةَ يَقُولُ: ابْنُ آدَمَ مَا غَرَّكَ بِي؟ ابْنُ آدَمَ مَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ ابْنُ آدَمَ مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ؟» .

فَهَذِهِ أَحَادِيثٌ مِمَّا يَسْتَمْسِكُ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ تَمَسَّكَ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ وَاعْتَقَدُوا أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى اللهِ وَهَذَا غَلَطٌ؛ فَإِنَّ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قَالَ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٥١ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَبَعَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٥٣﴾ فَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ الَّذِي رَأَوْهُ هُوَ الْوَعْدُ أَيُّ: الْمَوْعُودُ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: ﴿وَقِيلَ هَذَا



الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿؟ وَتَمَسَّكُوا بِأَشْيَاءَ بَارِدَةٍ فَمَهُوَهَا مِنْ الْقُرْآنِ لَيْسَ فِيهَا دَلَالَةٌ بِحَالٍ.

وَأَمَّا الَّذِينَ خَصُوا "بِالرُّؤْيَةِ" أَهْلَ التَّوْحِيدِ فِي الظَّاهِرِ - مُؤْمِنُهُمْ وَمُنَافِقُهُمْ - فَاسْتَدَلُّوا بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ الْمُتَقَدِّمِينَ كَمَا ذَكَرْنَا هُمَا وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ رُؤْيَيْهِ لِكَافِرٍ وَمُنَافِقٍ إِنَّمَا يُثْبِتُونَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً أَوْ مَرَّتَيْنِ لِمُنَافِقِينَ "رُؤْيِي تَعْرِيفٍ" ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي العَرَصَةِ. وَأَمَّا الَّذِينَ نَفَوْا "الرُّؤْيِيَةَ" مُطْلَقًا عَلَى ظَاهِرِهِ الْمَأْثُورِ عَنِ الْمُتَقَدِّمِينَ فَاتَّبَاعٌ لِظَاهِرِ قَوْلِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ رَوَى ابْنُ بَطَّةَ بِإِسْنَادِهِ عَنِ أَشْهَبَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِمَالِكٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَلْ يَرَى الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: لَوْ لَمْ يَرَ الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يُعَيِّرِ اللَّهُ الْكُفَّارَ بِالْحِجَابِ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. وَعَنْ الْمِزَنِيِّ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي هَرَمٍ يَقُولُ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ يَرَوْنَهُ عَلَى صِفَتِهِ. وَعَنْ حَنْبَلِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ - يَقُولُ: أَدْرَكَتِ النَّاسَ وَمَا يُنْكِرُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ شَيْئًا - أَحَادِيثِ الرُّؤْيِيَةِ - وَكَانُوا يُحَدِّثُونَ بِهَا عَلَى الْجُمْلَةِ يُمِرُّونَهَا عَلَى حَالِهَا غَيْرَ مُنْكَرِينَ لِذَلِكَ وَلَا مُرْتَابِينَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فَلَا يَكُونُ حِجَابٌ إِلَّا لِرُؤْيِيَةِ فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَمَنْ أَرَادَ فَإِنَّهُ يَرَاهُ؛ وَالْكَفَّارُ لَا يَرُونَهُ. وَقَالَ: قَالَ اللَّهُ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٣١﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٣٢﴾﴾.

وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي تَرَوَى فِي النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ حَدِيثُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَظِيمِهِ: «تَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّكُمْ» أَحَادِيثُ صِحَاحٍ وَقَالَ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِي وَزِيَادَةٌ﴾ النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: أَحَادِيثُ الرُّؤْيِيَةِ. نُؤْمِنُ بِهَا وَنَعْلَمُ أَنَّهَا حَقٌّ وَنُؤْمِنُ بِأَنَّنا نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا نَشْكُ فِيهِ وَلَا تَرْتَابُ. قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: مَنْ رَعِمَ أَنَّ اللَّهَ لَا



يُرَى فِي الآخِرَةِ فَقَدْ كَفَرَ وَكَذَّبَ بِالْقُرْآنِ وَرَدَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَمْرَهُ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ. قَالَ حَنْبَلٌ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي أَحَادِيثِ الرَّؤْيَةِ فَقَالَ: صِحَاحٌ هَذِهِ نُؤْمِنُ بِهَا وَنُقِرُّ بِهَا وَكُلُّ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ أَقْرَبَنَا بِهِ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: إِذَا لَمْ نُقَرَّرْ بِمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَفَعْنَا رَدَدْنَا عَلَى اللَّهِ أَمْرَهُ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ المَاجِشُونَ - وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ مَالِكٍ - فِي كَلَامٍ لَهُ: فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِيَجْعَلَ اللَّهُ رُؤْيِيَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُخْلِصِينَ ثَوَابًا فَتَنْصُرُ بِهَا وَجُوهَهُمْ دُونَ الْمُجْرِمِينَ وَتُقَلِّجُ بِهَا حُجَّتَهُمْ عَلَى الْجَاحِدِينَ: جَهْمٌ وَشِيعَتِي وَهُمْ عَنِ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ لَا يَرَوْنَهُ كَمَا زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَرَى وَلَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ؛ كَيْفَ لَمْ يَعْتَبِرُوا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ أَفَیْظَنُّ أَنَّ اللَّهَ يُفْصِيهِمْ وَيُعْتَبِرُهُمْ وَيُعَذِّبُهُمْ بِأَمْرِ يَزْعُمُ الْفَاسِقُ أَنَّهُ وَأَوْلِيَائُهُ فِيهِ سَوَاءٌ. وَمِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ كَثِيرٌ فِي كَلَامِ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ مِثْلَ وَكَيْعِ بْنِ الْجَرَّاحِ وَغَيْرِهِ. وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ: كَانَتْ الْأُمَّةُ فِي رُؤْيِيَةِ اللَّهِ بِالْأَبْصَارِ عَلَى " قَوْلَيْنِ " مِنْهُنَّ الْمُحِيلُ لِلرُّؤْيِيَةِ عَلَيْهِ وَهُمْ الْمُعْتَزِلَةُ وَالنَّجَارِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُوَافِقِينَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ. وَ" الْفَرِيقُ الْآخَرُ " أَهْلُ الْحَقِّ وَالسَّلَفِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ فِي الْمَعَادِ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَرَوْنَهُ فَتَبَّتْ بِهَذَا إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ - مِمَّنْ يَقُولُ بِجَوَازِ الرُّؤْيِيَةِ وَمِمَّنْ يُنْكِرُهَا - عَلَى مَنْعِ رُؤْيِيَةِ الْكَافِرِينَ لِلَّهِ وَكُلُّ قَوْلٍ حَدِيثٍ بَعْدَ الْإِجْمَاعِ فَهُوَ بَاطِلٌ مَرْدُودٌ. وَقَالَ هُوَ وَغَيْرُهُ أَيْضًا. الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي " رُؤْيِيَةِ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ " إِنَّمَا هِيَ عَلَى طَرِيقِ الْبِشَارَةِ فَلَوْ شَارَكَهُمُ الْكُفَّارُ فِي ذَلِكَ بَطَلَتْ الْبِشَارَةُ وَلَا خِلَافَ بَيْنِ الْقَائِلِينَ بِالرُّؤْيِيَةِ فِي أَنَّ رُؤْيِيَّتَهُ مِنْ أَعْظَمِ كَرَامَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قَالَ: وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّمَا يَرَى نَفْسَهُ عُقُوبَةً لَهُمْ وَتَحْسِيرًا عَلَى قَوَاتِ دَوَامِ رُؤْيِيَّتِهِ؛ وَمَنْعِهِمْ مِنْ ذَلِكَ - بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِمَا فِيهَا مِنَ الْكَرَامَةِ وَالسُّرُورِ - يُوجِبُ أَنْ يُدْخَلَ الْجَنَّةَ الْكُفَّارَ وَيُرِيَهُمْ مَا فِيهَا مِنَ الْحُورِ وَالْوِلْدَانِ



وَيُطْعِمُهُمْ مِنْ ثَمَارِهَا وَيَسْقِيهِمْ مِنْ شَرَابِهَا ثُمَّ يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ لِيُعْرِفَهُمْ قَدْرَ مَا مُنِعُوا مِنْهُ وَيَكْثُرَ تَحَسُّرُهُمْ وَتَلَهَّفَهُمْ عَلَىٰ مَنْعِ ذَلِكَ بَعْدَ الْعِلْمِ بِفَضِيلَتِهِ. و" الْعُمْدَةُ " قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فَإِنَّهُ يَعْمُ حَجْبُهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَذَلِكَ الْيَوْمُ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَلَوْ قِيلَ: إِنَّهُ يَحْجُبُهُمْ فِي حَالٍ دُونَ حَالِ لَكَانَ تَخْصِيصًا لِلْفِظِّ بِغَيْرِ مُوجِبٍ وَلَكَانَ فِيهِ تَسْوِيَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّ "الرُّؤْيَةَ" لَا تَكُونُ دَائِمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَلامُ خَرَجَ مَخْرَجَ بَيَانِ عُقُوبَتِهِمْ بِالْحَجْبِ وَجَزَائِهِمْ بِهِ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسَاوِيَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ فِي عِقَابٍ وَلَا جَزَاءٍ سِوَاهُ؛ فَعَلِمَ أَنَّ الْكَافِرَ مَحْجُوبٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِ وَإِذَا كَانُوا فِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ مَحْجُوبِينَ فَمَعْلُومٌ أَنََّّهُمْ فِي النَّارِ أَعْظَمَ حَجْبًا وَقَدْ قَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وَقَالَ: ﴿وَتَحَسُّرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ وَإِطْلَاقُ وَصْفِهِمْ بِالْعَمَى يُنَافِي "الرُّؤْيَةَ" الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ أَنْوَاعِ الرُّؤْيَةِ. فَبِالْجُمْلَةِ فَلَيْسَ مَقْصُودِي بِهَذِهِ الرَّسَالَةِ الْكَلامِ الْمُسْتَوْفِي لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ كَثِيرٌ وَإِنَّمَا الْغَرَضُ بَيَانُ أَنَّ هَذِهِ "المَسْأَلَةَ" لَيْسَتْ مِنْ الْمُهْمَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي كَثْرَةُ الْكَلامِ فِيهَا وَإِيقَاعُ ذَلِكَ إِلَى الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ حَتَّى يَبْقَى شِعَارًا وَيُوجِبَ تَفْرِيقَ الْقُلُوبِ وَتَشْتَتِ الْأَهْوَاءِ. وَلَيْسَتْ هَذِهِ "المَسْأَلَةُ" فِيمَا عَلِمْتُ مِمَّا يُوجِبُ الْمُهَاجَرَةَ وَالْمُقَاطَعَةَ؛ فَإِنَّ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِيهَا قَبْلَنَا عَامَّتُهُمْ أَهْلُ سُنَّةٍ وَاتِّبَاعٍ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا مَنْ لَمْ يَتَهَاجَرُوا وَيَتَقَاطَعُوا كَمَا اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** - وَالنَّاسُ بَعْدَهُمْ - فِي رُؤْيَةِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رَبِّهِ فِي الدُّنْيَا وَقَالُوا فِيهَا كَلِمَاتٍ غَلِيظَةً كَقَوْلِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** مَنْ رَعِمَ أَنْ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ. وَمَعَ هَذَا فَمَا أَوْجَبَ هَذَا النَّزاعَ تَهَاجُرًا وَلَا تَقَاطَعًا. اهـ



* **فائدة:** وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٦/٥٠٣-٥٠٦): وَهَذَا آدَابٌ تَجِبُ مَرَاعَاتُهَا: مِنْهَا: أَنْ مَنْ سَكَتَ عَنِ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَلَمْ يَدْعُ إِلَى شَيْءٍ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ هَجْرُهُ وَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ؛ فَإِنَّ الْبِدْعَ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنْهَا لَا يُهَجَّرُ فِيهَا إِلَّا الدَّاعِيَةُ؛ دُونَ السَّاكِتِ فَهَذِهِ أَوْلَى وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَجْعَلُوا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مِحْنَةً وَشِعَارًا يُفَضِّلُونَ بِهَا بَيْنَ إِخْوَانِهِمْ وَأُضْدَادِهِمْ؛ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَكَذَلِكَ لَا يُفَاتِحُوا فِيهَا عَوَامَّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي عَافِيَةٍ وَسَلَامٍ عَنِ الْفِتَنِ وَلَكِنْ إِذَا سُئِلَ الرَّجُلُ عَنْهَا أَوْ رَأَى مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِتَعْرِيفِهِ ذَلِكَ الْقَوْلَ إِلَيْهِ مِمَّا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَرْجُو النَّفْعَ بِهِ؛ بِخِلَافِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرُونَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِذَلِكَ فَرَضَ وَاجِبٌ؛ لِمَا قَدْ تَوَاتَرَ فِيهَا عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَصَحَابَتِهِ وَسَلَفِ الْأُمَّةِ. وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُطْلَقَ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْكُفَّارَ يَرُونَ رَبَّهُمْ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ لَوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ "الرُّؤْيَا الْمُطْلَقَةَ" قَدْ صَارَ فِيهِمْ مِنْهَا الْكِرَامَةُ وَالثَّوَابُ فِيهِ إِطْلَاقَ ذَلِكَ إِيهَامٌ وَإِيحَاشٌ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُطْلَقَ لَفْظًا يُؤْهِمُ خِلَافَ الْحَقِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَأْثُورًا عَنِ السَّلَفِ وَهَذَا اللَّفْظُ لَيْسَ مَأْثُورًا.

الثَّانِي: أَنَّ الْحُكْمَ إِذَا كَانَ عَامًّا فِي تَخْصِيصِ بَعْضِهِ بِاللَّفْظِ خُرُوجَ عَنِ الْقَوْلِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يُمْنَعُ مِنَ التَّخْصِيصِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمُرِيدُ لِكُلِّ حَادِثٍ وَمَعَ هَذَا يُمْنَعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَخْصَّ مَا يَسْتَفْذِرُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ وَمَا يَسْتَقْبِحُهُ الشَّرْعُ مِنَ الْحَوَادِثِ بِأَنْ يَقُولَ عَلَى الْإِنْفِرَادِ: يَا خَالِقَ الْكِلَابِ وَيَا مُرِيدًا لِلزَّنَا وَنَحْوَ ذَلِكَ. بِخِلَافِ مَا لَوْ قَالَ: يَا خَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ وَيَا مَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَتِهِ فَكَذَلِكَ هُنَا لَوْ قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَخْلُو بِهِ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجَمَانُ أَوْ قَالَ: إِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ كَانَ هَذَا اللَّفْظُ مُخَالَفًا فِي الْإِيهَامِ لِلَّفْظِ الْأَوَّلِ. فَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ عَنِ الْإِلْفَازِ الْمَأْثُورَةِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَقَعُ تَنَازُعٌ فِي بَعْضٍ مَعْنَاهَا فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بُدَّ مِنْهُ فَالْأَمْرُ كَمَا قَدْ أَخْبَرَ بِهِ نَبِيِّنَا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَالْخَيْرُ



كُلُّ الْخَيْرِ فِي اتِّبَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْ مَعْرِفَةِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّفَقُّهِ فِيهِ وَالِاعْتِصَامَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَمُلَازِمَةَ مَا يَدْعُو إِلَى الْجَمَاعَةِ وَالِالْفَةِ وَمُجَانِبَةَ مَا يَدْعُو إِلَى الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةِ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَمْرًا بَيْنًا قَدْ أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِيهِ بِأَمْرٍ مِنَ الْمُجَانِبَةِ فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ. وَأَمَّا إِذَا اشْتَبَهَ الْأَمْرُ هَذَا الْقَوْلُ أَوْ الْفِعْلُ مِمَّا يُعَاقَبُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ أَوْ مَا لَا يُعَاقَبُ؟ فَالْوَاجِبُ تَرْكُ الْعُقُوبَةِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اذرُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ فَإِنَّكَ إِنْ تَخَطَيْتَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَخْطِيءَ فِي الْعُقُوبَةِ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَلَا سِيَّمَا إِذَا آلَ الْأَمْرُ إِلَى شَرِّ طَوِيلٍ وَافْتِرَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ الْفَسَادَ النَّاشِئَ فِي هَذِهِ الْفُرْقَةِ أضعافُ الشَّرِّ النَّاشِئِ مِنْ خَطَاةٍ نَفَرٍ قَلِيلٍ فِي مَسْأَلَةٍ فَرَعِيَّةٍ. وَإِذَا اشْتَبَهَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَمْرٌ فَلْيَدْعُ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ - :
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يَقُولُ:
«اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». اهـ

الأدلة العقلية على إثبات الرؤية:

الجهمية والمعتزلة أنكروا الرؤية، واحتجوا على ذلك بأدلة عقلية مخالفة للأدلة النقلية، سيأتي بيانها في آخر الرسالة في الرد على شبههم إن شاء الله عز وجل.

ولما كان القوم قد لبس عليهم الشيطان، وجرهم إلى الباطل والبهتان، فنقول لهم: قد ثبت عقلاً كما تقدم القول والاعتقاد لرؤية الباري جل وعلا، والدليل السمعي بحمد الله عز وجل كافٍ في الباب؛ لأنه من عند الله عز وجل.



ومن المعلوم في باب المغيبات هو إثبات ما أثبتته الله **عَزَّجَلَّ** ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والإيمان بالغيب، قال الله **عَزَّجَلَّ** في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

فإن سلمنا جدلاً وانتفى الدليل السمعي -مع ثبوته بما لا يدع مجالاً للشك، حيث وأدلة القرآن واضحة جلية، وأدلة السنة متواترة زكية، مع توافر الآثار المروية والإجماع القائم فلا يرد ما تقدم إلا معاند ولا حول ولا قوة إلا بالله- فقد دل كذلك على ثبوت الرؤية الدليل العقلي.

قال الأشعري في «الإبانة» (١٦-١٧): ومما يدل على رؤية الله سبحانه بالأبصار أن الله تعالى يرى الأشياء، وإذا كان للأشياء رأيًا فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسه، وإذا كان لنفسه رأيًا فجاز أن يرى نفسه، وذلك أن من لم يعلم نفسه لا يعلم الأشياء، فلما كان الله تعالى عالماً بالأشياء كان عالماً بنفسه، فكذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء.

ولما كان الله **عَزَّجَلَّ** رأيًا للأشياء كان رأيًا لنفسه، وإذا كان رأيًا لها فجاز أن يرى نفسه، كما أنه لما كان عالماً بنفسه جاز أن يعلمناها، وقد قال تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، فأخبر أنه يسمع كلا منهما ويراهما.

ومن زعم أن الله **عَزَّجَلَّ** لا يجوز أن يرى بالأبصار يلزمه أن لا يجوز أن يكون الله **عَزَّجَلَّ** رأيًا ولا عالماً ولا قادرًا؛ لأن العالم والقادر الرائي جاز أن يرى. اهـ.

وقال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (١٣٦/٦): وَذَلِكَ أَنَّ نَفَاةَ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ قَالُوا لِلْمُشَبَّهَةِ: إِذَا قُلْتُمْ إِنَّهُ يَرَى. فَقُولُوا إِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِهِ سَائِرُ أَنْوَاعِ الْحِسِّ. وَإِذَا قُلْتُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ فَصِفُوهُ بِالْإِدْرَاكَاتِ الْخَمْسَةِ. فَقَالَ "أَهْلُ الْإِثْبَاتِ قَاطِبَةً" نَحْنُ نَصِفُهُ بِأَنَّهُ يَرَى وَأَنَّهُ يُسْمَعُ كَلَامُهُ كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ النَّصُوصُ. وَكَذَلِكَ نَصِفُهُ بِأَنَّهُ يَسْمَعُ وَيَرَى. وَقَالَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ: نَصِفُهُ أَيْضًا بِإِدْرَاكِ اللَّمْسِ لِأَنَّ



ذَلِكَ كَمَا لَا تَقْصَ فِيهِ. وَقَدْ دَلَّتْ عَلَيْهِ النَّصُوصُ بِخِلَافِ إِدْرَاكِ الذُّوقِ فَإِنَّهُ مُسْتَلْزِمٌ لِلْأَكْلِ وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِلتَّقْصِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَطَائِفَةٌ مِنْ نُظَارِ الْمُثْبِتَةِ وَصَفْوُهُ بِالْأَوْصَافِ الْخَمْسِ مِنَ الْجَانِبِينَ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ هَذِهِ الْأَنْوَاعُ كَمَا تَتَعَلَّقُ بِهِ الرَّؤْيِيَّةُ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ مُصَحِّحَ الرَّؤْيِيَّةِ الْوُجُودُ وَلَمْ يَقُولُوا إِنَّهُ مُصَفِّ بِهَا. وَأَكْثَرُ مُثْبِتِي الرَّؤْيِيَّةِ لَمْ يَجْعَلُوا مُجَرَّدَ الْوُجُودِ هُوَ الْمُصَحِّحُ لِلرَّؤْيِيَّةِ؛ بَلْ قَالُوا إِنْ الْمُقْتَضَى أُمُورٌ وَجُودِيَّةٌ لَا أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ يَصِحُّ رُؤْيِيَّتُهُ وَبَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فَرْقٌ؛ فَإِنَّ الثَّانِيَّ يَسْتَلْزِمُ رُؤْيِيَّةَ كُلِّ مَوْجُودٍ؛ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ؛ وَإِذَا كَانَ الْمُصَحِّحُ لِلرَّؤْيِيَّةِ هِيَ أُمُورٌ وَجُودِيَّةٌ لَا يُشْتَرَطُ فِيهَا أُمُورٌ عَدَمِيَّةٌ؛ فَمَا كَانَ أَحَقَّ بِالْوُجُودِ وَأَبْعَدَ عَنِ الْعَدَمِ كَانَ أَحَقَّ بِأَنْ تَجُوزَ رُؤْيِيَّتُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ نَفَى مَا سِوَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ مِنَ الْجَانِبِينَ. اهـ

باب قول النبي ﷺ: «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِيْ وَلَٰكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِيْ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٣٧) أخرج مسلم في «صحيحه» (٢٩٣٠) بعد ذكر قصة النبي **صلى الله عليه وسلم** مع ابن صياد وذكره للدجال: قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ؛ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** قَالَ يَوْمَ حَدَّرَ النَّاسَ الدَّجَالَ: «إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرُؤُهُ مِنْ كَرِهِ عَمَلُهُ، أَوْ يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَقَالَ: تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدًا مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ».

(٣٨) وأخرجه البزار عن عبادة بن الصامت.

وعن أبي أمامة **رضي الله عنه** عند ابن أبي عاصم (٤٣٨) وفيه: «ولن تروا ربكم حتى

تموتوا».



فهذه عقيدة أهل السنة أن الله لا يراه أحد في الدنيا بعينه، وقد نقل غير واحد من أهل العلم القول بتكفير من زعم رؤية الله في الدنيا.

قال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (٥١٢/٦): أَجْمَعَ "سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَيْمَتُهَا" عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ بِأَبْصَارِهِمْ فِي الْآخِرَةِ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَبْصَارِهِمْ وَلَمْ يَتَنَازَعُوا إِلَّا فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ». وَمَنْ قَالَ مِنَ النَّاسِ: إِنَّ الْأَوْلِيَاءَ أَوْ غَيْرَهُمْ يَرَى اللَّهَ بِعَيْنِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ؛ لَا سِيَّمَا إِذَا ادَّعَوْا إِنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ مُوسَى فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يُسْتَتَابُونَ؛ فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

والناس في الرؤية ثلاثة أصناف:

منهم من يشبها في الدنيا والآخرة، وهؤلاء الصوفية ومن وافقهم، ومنهم من ينفيها في الدنيا والآخرة وهؤلاء الجهمية ومن إليهم، ومنهم من يشبها في الآخرة وهم أهل السنة والجماعة، ومن زعم أنه رأى ربه في الدنيا بعيني رأسه فقد كفر.

والآية كما أنها دليل على انتفاء الرؤية في الدنيا؛ ففيها دلالة على إثبات الرؤية في الآخرة من عدة أوجه ذكرها ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في حادي الأرواح (٢٦٧): أحدها: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل ما هو من أبطل الباطل، وأعظم المحال، وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه؛ فيا لله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران، وبما يستحيل عليه ويجب له واشد تنزيهاً له منه.

الوجه الثاني: إن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالاً؛ لأنكره عليه ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر



عليه ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاه ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٦-٤٧].

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿أَنْ تَرِنِّي﴾ ولم يقل لا تراني، ولا إني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا يدل على أنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يرى، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه.

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَا كِنٍ أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار؛ فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف.

الوجه الخامس: إن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت مجالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته ولو كانت الرؤيا محالاً لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل واشرب وأنام فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**؛ فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له، ولا عقاب عليه؛ فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامتهم، ويريهم نفسه؛ فأعلم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** موسى إن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار؛ فالبشر أضعف.



الوجه السابع: أن ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز. اهـ

قال ابن أبي العزفي «شرح الطحاوية» (١٩٦): واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعا في ذلك إلا في نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** خاصة: منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وحكى القاضي عياض في كتابه «الشفاء» اختلاف الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ومن بعدهم في رؤيته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وإنكار عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** أن يكون **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رأى ربه بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألتها: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وهو المشهور عن ابن مسعود [قال أبو محمد: أخرجه البخاري (٣٣٣٢) ومسلم (١٧٤)]، وأبي هريرة [قال أبو محمد: أخرجه مسلم (١٧٦)]، واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين.

هل رأى رسول الله ﷺ ربه:

(٣٩) قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُؤْمِنُونَ بِهِ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ

نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١١-١٤].

(٤٠) قال الإمام مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ** (١٧٧): حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ؛ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ: قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رَأَىٰ رَبَّهُ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلَا تَعَجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ



عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ فقالت: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ: رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عَظْمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، فقالت: «أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ وَعَلَى حَكِيمٍ ﴿٥١﴾﴾».

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾. أخرجُه البخاري (٤٦١٢) بالفاظ متقاربة.

(٤١) وقال **رحمة الله** (١٧٨): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا أَبِيح، وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، كِلَاهُمَا: عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا».

وقال **رحمة الله**: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ».



والنور الذي رآه هو حجابيه لما سيأتي بيانه في حديث أبي موسى الآتي إن شاء الله تعالى.

قال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (٥٠٧/٦-٥٠٨): في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»: مَعْنَاهُ كَانَ تَمَّ نُورٌ وَحَالَ دُونَ رُؤْيِيهِ نُورٌ فَأَنَّى أَرَاهُ؟ قَالَ: وَيَدُلُّ عَلَيْهِ: أَنَّ فِي بَعْضِ " الْفَاطِ الصَّحِيحِ " : «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ نُورًا» (*). وَقَدْ أُعْضِلَ أَمْرُ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ حَتَّى صَحَّفَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: «نُورًا إِنِّي أَرَاهُ»، عَلَى أَنَّهَا يَأُ النَّسَبِ؛ وَالْكَلِمَةُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ. وَهَذَا خَطَأٌ لَفْظًا وَمَعْنَى وَإِنَّمَا أُوجِبَ لَهُمْ هَذَا الْإِشْكَالَ وَالْخَطَأَ أَنَّهُمْ لَمَّا اعْتَقَدُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ وَكَانَ قَوْلُهُ: «أَنَّى أَرَاهُ؟» كَالْإِنْكَارِ لِلرُّؤْيِيَةِ حَارُوا فِي " الْحَدِيثِ " وَرَدَّهُ بَعْضُهُمْ بِاضْطِرَابِ لَفْظِهِ وَكُلُّ هَذَا عُدُولٌ عَنْ مُوجِبِ الدَّلِيلِ. وَقَدْ حَكَى "عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَارِمِيُّ" فِي كِتَابِ الرَّدِّ لَهُ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرِ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَبَعْضُهُمْ اسْتَشْنَى ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ ذَلِكَ. وَشَيْخُنَا يَقُولُ: لَيْسَ ذَلِكَ بِخِلَافٍ فِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَمْ يَقُلْ رَأَهُ بِعَيْنِي رَأْسِهِ وَعَلَيْهِ اعْتَمَدَ أَحْمَدُ فِي إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ حَيْثُ قَالَ: إِنَّهُ رَأَاهُ؛ وَلَمْ يَقُلْ بِعَيْنِي رَأْسِهِ. وَلَفْظُ أَحْمَدَ كَلْفَظِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَ شَيْخُنَا فِي مَعْنَى حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ «حِجَابُهُ النُّورُ» فَهَذَا النُّورُ هُوَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - النُّورُ الْمَذْكُورُ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ. «رَأَيْتُ نُورًا». اهـ

(٤٢) وقال رحمه الله (١٧٩): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْثَةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَنْفُضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ



النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النَّورُ، - فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: - النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ، مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

٤٣) وقال الإمام البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٤٨٥٦): حَدَّثَنَا طَلْقُ بْنُ غَنَامٍ، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، عَنْ الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ زِرًّا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۖ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ: أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧٤).

٤٥) وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٤٨٥٨): حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قَالَ: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ قَدْ سَدَّ الْأُنْفُ».

٤٦) وقال الإمام مسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ** (١٧٤): حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبَّادٌ، - وَهُوَ ابْنُ الْعَوَّامِ -، حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ.

٤٧) وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ** (١٧٥): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ.

٤٨) وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ** (١٧٦): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، جَمِيعًا عَنْ وَكَيْعٍ، قَالَ الْأَشْجِيُّ: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ أَبِي جَهْمَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، قَالَ: رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ.

٤٩) قال ابن أبي عاصم (٤٤٤): ثنا فضل بن سهل، ثنا محمد بن الصباح، عن إسماعيل بن زكريا، عن عاصم، عن الشعبي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه.



هذا موقوف صحيح.

٥٠) وقال (٤٤٢): حدثنا فضيل بن سهيل، حدثنا عفان، حدثنا عبد الصمد بن كيسان، عن حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «**رأيت ربي عز وجل**». صحيح.

٥١) وقال (٤٤٥): عن ابن عباس قال: إن الله عز وجل اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمد بالرؤية. فعلى هذا فقد جاء عن ابن عباس **رضي الله عنه** تقييد الرؤية بالمقلب، وإطلاقها، ومرد كلامه على ما قررته عائشة **رضي الله عنها** وغيرها.

قال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (٥٠٩/٦-٥١١): «وَأَمَّا "الرُّؤْيُ" فَالَّذِي ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: "رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ" وَعَائِشَةُ أَنْكَرَتْ الرُّؤْيَةَ. فَمِنْ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ: عَائِشَةُ أَنْكَرَتْ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَثَبَتَ رُؤْيَةَ الْفُؤَادِ. وَاللَّفَاطُ الثَّابِتَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هِيَ مُطْلَقَةٌ أَوْ مُقَيَّدَةٌ بِالْفُؤَادِ تَارَةً يَقُولُ: رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ وَتَارَةً يَقُولُ رَأَهُ مُحَمَّدٌ؛ وَلَمْ يَثْبُتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَفْظُ صَرِيحٍ بِأَنَّهُ رَأَهُ بِعَيْنِهِ. وَكَذَلِكَ "الإمام أحمد" تَارَةً يُطْلِقُ الرُّؤْيَةَ؛ وَتَارَةً يَقُولُ: رَأَهُ بِفُؤَادِهِ؛ وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّهُ سَمِعَ أَحْمَدَ يَقُولُ رَأَهُ بِعَيْنِهِ؛ لَكِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ سَمِعُوا بَعْضَ كَلَامِهِ الْمُطْلَقِ فَفَهَمُوا مِنْهُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ؛ كَمَا سَمِعَ بَعْضُ النَّاسِ مُطْلَقَ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَفَهَمَ مِنْهُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ. وَلَيْسَ فِي الْأَدِلَّةِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ رَأَهُ بِعَيْنِهِ وَلَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؛ بَلِ النَّصُوصُ الصَّحِيحَةُ عَلَى نَفْيِهِ أَدْلُ؛ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**».

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا﴾ وَلَوْ كَانَ قَدْ أَرَاهُ نَفْسَهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ



أُولَى. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَفْتَمْرُوهُ عَلَى مَا يَرَى﴾. ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ﴿وَلَوْ كَانَ رَأَهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ قَالَ هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ وَهَذِهِ "رُؤْيَا الْآيَاتِ" لِأَنَّهُ أَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا رَأَهُ بِعَيْنِهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَكَانَ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ حَيْثُ صَدَقَهُ قَوْمٌ وَكَذَّبَهُ قَوْمٌ وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ بِأَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحَادِيثِ الْمِعْرَاجِ الثَّابِتَةِ ذِكْرُ ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ لَذَكَرَهُ كَمَا ذَكَرَ مَا دُونَهُ. وَقَدْ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ لَا يَرَى اللَّهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ إِلَّا مَا نَازَعَ فِيهِ بَعْضُهُمْ مِنْ رُؤْيَا نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرُونَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا كَمَا يَرُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ. اهـ





باب كون رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا منامية

قال ابن أبي عاصم (٤٧٤): ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا يحيى بن أبي بكير، ثنا إبراهيم بن طهمان، ثنا سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَجَلَّى لِي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَسَأَلَنِي: فِيمَ اخْتَصَمَ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ: فَقُلْتُ: رَبِّي لَا عِلْمَ لِي بِهِ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ نَدْيِي، أَوْ وَضَعَهَا بَيْنَ نَدْيِي حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ كَتِفَيْ، فَمَا سَأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا عَلِمْتَهُ».

قال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (٢٥١/٥): ولهذا رآه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أحسن صورة.





باب سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ربه لذة النظر إلى وجهه الكريم

٥٢) قال الإمام ابن أبي عاصم في «السنة» (١/١٨٦): ثنا عمرو بن عثمان، ثنا أبي، عن محمد بن مهاجر، عن ابن حليس، عن أم الدرداء، أن فضالة بن عبيد، كان يقول: «اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر في وجهك، والشوق إلى لقاك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة»، وزعم أنها دعوات كان يدعو بها النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

قال الإمام الوادي **رَحِمَهُ اللهُ فِي «الجامع الصحيح»**: هذا حديث صحيح، وأبو عمرو بن عثمان هو: عثمان بن سعيد بن كثير الحمصي، وابن حليس هو: يونس بن ميسرة بن حليس.

٥٣) وقال ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٣٤): حدثنا أبو الربيع، حدثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عمار، ذكر دعاء النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاك».

هذا حديث صحيح، وحماد بن زيد سمع من عطاء قبل الإختلاط.

٥٤) وقال **رَحِمَهُ اللهُ (٤٣٥)**: حدثنا محمد بن عوف، ثنا أبو المغيرة، ثنا أبو بكر بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، عن أبي الدرداء، عن زيد بن ثابت، أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** علمه دعاء، وأمره أن يتعاهده ويتعاهد به أهله: «اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر في وجهك، وشوقاً إلى لقاك».

وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم، لكنه يصلح في الشواهد.





باب رؤية المؤمنين ربهم في الجنة

٥٥) قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾ [يونس: ٢٥-٢٦].

٥٦) وقال تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْيَاقِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المطففين: ٢٣].

٥٧) وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

قال ابن القيم **رحمة الله في «حادي الأرواح» (٢٧٣):** قال الطبراني: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله **عز وجل**، وقاله من التابعين: زيد بن وهب وغيره. اهـ

٥٨) قال الإمام مسلم **رحمة الله (١٨١):** حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْسَرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ؛ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟؛ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ **عز وجل**».

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

وأخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (١٩٢): عن أبي بكر **رضي الله عنه**، فقال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْمَرِيُّ، حَدَّثَنَا سُرَيْجٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، أَوْ



قُرِئَتْ عِنْدَهُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قَالُوا: وَمَا الزِّيَادَةُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: «النَّظْرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ».

وقد أخرجه ابن جرير الطبري وغيره الآثار الموقوفة والمقطوعة التي فيها تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ. قال ابن جرير في «تفسيره» (١٧٦٣٩): حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثَنَا هُوْدَةُ، قَالَ: ثَنَا عَوْفٌ، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] النَّظْرُ إِلَى الرَّبِّ.

وقال الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩٤): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، ثَنَا فَضِيلٌ يَعْنِي ابْنَ عِيَّاضٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قَالَ: الزِّيَادَةُ: النَّظْرُ إِلَىٰ وَجْهِ رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ.

وقال عبدالرزاق في «التفسير» (٢٩٦/٢): عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: «الْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظْرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ».

وقال (٢٩٤/٢): عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قَالَ: «الْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ فِيمَا بَلَّغْنَا النَّظْرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ».

وأخرج الدارقطني في «الرؤية» عن حذيفة (٢٠٢) قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحِ الْأَزْدِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ الْأَزْرُقِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ. ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَفْصِ بْنِ شَاهِينَ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمَّادٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْحَسَانِيُّ، حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ نَذِيرِ السَّعْدِيِّ، عَنْ حُدَيْفَةَ، فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قَالَ: النَّظْرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

٥٩) وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٨٧٨): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ



بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «جَنَّاتَانِ مِنْ فَضَّةٍ أَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتَانِ مِنْ ذَهَبٍ أَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكَبِيرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ» الحديث أخرجه مسلم (١٨٠).

٦٠) وأخرج الآجري في «الشریعة» بسند صحيح (٥٩) قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري، قال: نا هناد بن السري، قال: نا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن أبي إسحاق، عن مسلم بن نذير، عن حذيفة في قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قالوا: "النظر إلى الله تعالى"، وحديث حذيفة أيضًا عند ابن أبي عاصم (٤٨٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «حادي الأرواح» (٢٧٠): فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم كذلك فسرها رسول الله الذي انزل عليه القرآن فالصحابه من بعده....، ثم ذكر حديث صهيب المتقدم.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٧٢): وقال غير واحد من السلف في الآية: ﴿وَلَا يَرَهُقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ بعد النظر إليه والأحاديث عنهم بذلك صحيحة، ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دل على أنها أمر آخر من وراء الجنة وقدر زائد عليها، ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان؛ فهو من لوازم رؤية الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى. اهـ





باب كون الله عز وجل يراه المؤمنون يوم القيامة من غير إحاطة لعظمته سبحانه

(٦١) قال الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «حادي الأرواح» (٢٧٤):** فقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾

يدل على غاية عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به؛

فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا

تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿١٦٠﴾ قَالَ كَلَّا ﴿١٦١﴾ فليعلم عن موسى

الرؤية، ولم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ أننا لمريون فإن موسى صلوات الله

وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم، بقوله: ﴿كَلَّا﴾ وأخبر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** أنه لا يخاف

دركهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا

لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخَشَىٰ﴾ فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب

تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة

من الآية. اهـ

وقال ابن أبي العز **رَحْمَةُ اللَّهِ (١٩٢):** فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن

لطيف، وهو: أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون

بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب

تعالى بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه بنفي السنة والنوم، المتضمن كمال

القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللعوب والإعياء، المتضمن

كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال الربوبية

والألوهية وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي

الشفاعة عنده إلا بإذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم،



الْمُتَّصِمِينَ كَمَا لَعَدْلِهِ وَعِلْمِهِ وَغِنَاهُ، وَنَفْيِ النَّسْيَانِ وَعُزُوبِ شَيْءٍ عَنْ عِلْمِهِ،
 الْمُتَّصِمِينَ كَمَا لَعِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ، وَنَفْيِ الْمِثْلِ، الْمُتَّصِمِينَ لِكَمَا لِدَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلِهَذَا
 لَمْ يَتَمَدَّحْ بَعْدَمَ مَحْضٍ لَمْ يَتَّصِمَنَّ أَمْرًا ثَبُوتِيًّا، فَإِنِ الْمَعْدَمُ يُشَارِكُ الْمَوْصُوفَ فِي ذَلِكَ
 الْعَدَمِ، وَلَا يُوصَفُ الْكَامِلُ بِأَمْرٍ يَشْتَرِكُ هُوَ وَالْمَعْدُومُ فِيهِ، فَإِنَّ الْمَعْنَى: أَنَّهُ يَرَى وَلَا
 يُدْرِكُ وَلَا يُحَاطُ بِهِ، فَقَوْلُهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يُدَلُّ عَلَى كَمَا لِعِظَمَتِهِ،
 وَأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ لِكَمَا لِعِظَمَتِهِ لَا يُدْرِكُ بِحَيْثُ يُحَاطُ بِهِ، فَإِنَّ
 الْإِدْرَاكَ هُوَ الْإِحَاطَةُ بِالشَّيْءِ، وَهُوَ قَدْرُ زَائِدٌ عَلَى الرُّؤْيَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَرَى
 الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ كَلَّا ﴿٦٧﴾﴾ [الشعراء: ٦٤]، فَلَمْ يَنْفِ مُوسَى
 الرُّؤْيَى، وَإِنَّمَا نَفَى الْإِدْرَاكَ، فَالرُّؤْيَى وَالْإِدْرَاكَ كُلُّ مِنْهُمَا يُوجَدُ مَعَ الْآخِرِ وَبِدُونِهِ،
 فَالرَّبُّ تَعَالَى يَرَى وَلَا يُدْرِكُ، كَمَا يُعْلَمُ وَلَا يُحَاطُ بِهِ عِلْمًا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي فَهِمَهُ
 الصَّحَابَةُ وَالْأئِمَّةُ مِنَ الْآيَةِ، كَمَا ذَكَرَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ، بَلْ هَذِهِ الشَّمْسُ
 الْمَخْلُوقَةُ لَا يَتِمَكَّنُ رَأْيُهَا مِنْ إِدْرَاكِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ. اهـ

وقال رحمه الله (٢٧٥): فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ من أدل شيء على كثرة نعوته

وصفاته، وقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك. اهـ





فصل بعض نصوص العلماء في إثبات هذه العقيدة السلفية

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى في «حادي الأرواح» (٣١٩): قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة، وأئمة الإسلام، وأهل الحديث عصاة الإسلام، ونزل الإيمان، وخاصة رسول الله على أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحوًا، وكما ترى الشمس في الظهيرة. اهـ

قال الأجري رَحْمَةُ اللَّهِ (٩٨١/٢): وقد قال الله تعالى لنيبه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [النحل: ٤٤]، وكان مما بينه لأمته في هذه الآيات؛ أنه أعلمهم في غير حديث: **«إنكم ترون ربكم تعالى»** روى عنه جماعة من صحابته **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وقبلها العلماء عنهم أحسن القبول، كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وعلم الحلال والحرام، كذا قبلوا منهم الأخبار: أن المؤمنين يرون الله تعالى لا يشكون في ذلك، ثم قالوا: من رد هذه الأخبار فقد كفر. اهـ

- وأخرج الأجري **رَحْمَةُ اللَّهِ (٥٧٧):** عن أحمد بن حنبل، وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله تعالى لا يرى في الآخرة، فغضب غضبًا شديدًا ثم قال: من قال بأن الله تعالى لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، من كان من الناس، أليس الله **عَزَّ وَجَلَّ** قال: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿١٥﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١٦﴾﴾** [القيامة: ٢٢-٢٣] وقال تعالى: **﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾** [المطففين: ١٥].

هذا دليل على أن المؤمنين يرون الله تعالى.

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: من قال: إن الله تعالى لا يرى فهو كافر. أخرجه الأجري رقم (٥٨٠)

وسنده صحيح.



وقال أبو عبيد القاسم بن سلام كما في «الشريعة» للأجري (٥٨١) بسند صحيح: وذكر عنده هذه الأحاديث في الرؤية فقال: هذه عندنا حق، نقلها الناس بعضهم عن بعض، قال محمد بن الحسين **رَحْمَةُ اللَّهِ**: فمن رغب عما كان عليه هؤلاء الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم، وخالف الكتاب والسنة، ورضي بقول جهم وبشر المريسي وبأشباههما، فهو كافر. اهـ

قال الطبري رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «التبصير في معالم الدين» (١٤٩): فأما الرؤية؛ فإن جوازها عليه مما يدرك عقلاً، والجهل بذلك كالجهل بأنه عالم وقادر، وذلك أن كل موصوف فغير مستحيل الرؤية عليه...؛ فأما إيجاب أنه لا محالة يُرى، وفي أي وقت يُرى؛ فذلك مما لا يدرك علمه إلا سماعاً. وبالخبر قلنا: إنه في الآخرة يُرى، وإنه مخصوص برؤية أهل الجنة دون غيرهم. اهـ





المنحرفون في باب رؤية الله عز وجل

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «حادي الأرواح» (٣٢٠): والمنحرفون في باب رؤية الرب

تَبَارَكَ وَتَعَالَى نوعان:

أحدهما: من يزعم أنه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر.

والثاني: من يزعم أنه لا يرى في الآخرة ألبتة، ولا يكلم عباده، وما أخبر الله به

ورسوله، وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين، وبالله التوفيق. اهـ

قال ابن جرير في «التبصير» (٢١٣): فقال جماعة القائلين: يقول جهم: لا تجوز

الرؤية على الله تعالى ذكره، ومن أجاز الرؤية عليه فقد حده ومن حده فقد كفر.

وقال ضرار بن عمرو: الرؤية جائزة على الله تعالى ذكره، ولكنه يُرى يوم القيامة

بحاسة سادسة.

وقال هشام وأصحابه وأبو مالك النخعي ومقاتل بن سليمان: الرؤية على الله جل

ثناؤه جائزة بالأبصار التي هي أبصار العيون.

وقال جماعة متصوفة ومن ذكر ذلك مثل بكر بن أخت عبد الواحد: الله جل وعز

يُرى في الدنيا والآخرة، وزعموا أنهم قد رأوه، وأنهم يرونه كلما شاءوا؛ إلا أنهم

زعموا أنه يراه أوليائه دون أعدائه، ومنهم من يقول: يراه الوالي، والعدوا في الدنيا

والآخرة؛ إلا أن الولي يثبته إذا هو رآه؛ لأنه يتراءى في صورة إذا رآه بها عرفه، وأن

العدوا لا يثبته إذا رآه.

وقال بعض أهل الأثر: يراه المؤمنون يوم القيامة بأبصارهم ويدركونه عياناً ولا

يحيطون به.



وقال آخرون منهم: يراه المؤمنون بأبصارهم ولا يدركونه، قالوا: إنما زعمنا أنهم لا يدركونه؛ لأنه قد نفى الإدراك عن نفسه يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فهذه جملة أقوالهم. اهـ

والقول الحق هو قول أهل السنة والجماعة، وقد تقدم بيانه بحمد الله **عز وجل** مدعماً بالأدلة الواضحات والآيات البينات، والأقوال الجليلات، فلا ينكرها أو يردّها إلا جاهل معاند، ولا حول ولا قوة إلا بالله.





باب في ذكر تجلي الله عز وجل للجبل عند كلامه لموسى عَلَيْهِ السَّلَام

قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنُنِي فَلَمَّا تَبَجَّلَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبِعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٦٢ قال ابن أبي عاصم (٤٩٠): حدثنا هذبة بن خالد، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَجَّلَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: وضع إبهامه على قريب من طرف أناملته، فساخ الجبل.

٦٣ وقال **رَحِمَهُ اللَّهُ** (٤٩١): ثنا أبو موسى، ثنا معاذ بن معاذ، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: ﴿فَلَمَّا تَبَجَّلَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: هكذا، قال: يعني أنه أخرج طرف خنصره، قال: فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدره ضربة شديدة، وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد يخبر به أنس بن مالك عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وتقول ما تريد إلى هذا؟ هذا حديث صحيح.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٩٥): ثنا محمد بن عبد الأعلى، ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: حدث رجل بحديث أبي هريرة، فانفض، قال ابن عباس: ما بال هؤلاء يجدون عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه.





شبهات المخالفين

مخالفو الكتاب والسنة على ما تقدم بيانه يردون أدلة الكتاب والسنة بالتحريف تارة، وبالطعن أخرى، وفي هذا الباب كان لهم شبه منها:

الشبهة الأولى:

قولهم: المراد بقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القيامة: ٢٣-٢٤] أي: منتظرة، أو منتظرة لثوابه، ويُرد عليهم بما قاله ابن القيم في «حادي الأرواح» (٢٣٧-٢٣٨):

وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداءً صريحاً إن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلاً؛ فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك، ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها؛ إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة، تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدي بالي خلاف حقيقته وموضوعه صريح في أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أراد بذلك نظر العين وإخلاء الكلام من قرينه، تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدي بالي خلاف حقيقة وموضوعه صريح في أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب **جَلَّ وَعَلَا** فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلواته وتعديه بنفسه فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ قُورِكُمْ﴾ وأن عدى بـ: "في"



فمعناه التفكير والاعتبار كقوله أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وأن عدى ب: "إلى" فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ نَجْمِ رَبِّكَ إِذَا تَمَرَّدَ﴾ فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر. اهـ

وقال رحمه الله كما في «الصواعق المرسله» (١٩٣/١-١٩٤): يستحيل فيها تأويل النظر بانتظار الثواب؛ فإنه أضاف النظر إلى الوجه التي هي محله وعده بحرف إلى التي إذا اتصل بها فعل النظر كان من نظر العين ليس إلا، ووصف الوجه بالنصرة التي لا تحصل؛ إلا مع حضور ما يتنعم به لا مع التنغيص بانتظاره، ويستحيل مع هذا التركيب. اهـ

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في «نقضه على المريسي» (٥٢٤-٥٢٦): قَالَ الْمُعَارِضُ: فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّظْرُ إِلَىٰ وَجْهِهِ نَظْرًا إِلَىٰ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النَّظْرِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَىٰ الْجَنَانِ؟

فيقال لِهَذَا الْمُعَارِضِ: قَدْ جِئْتَ بِتَفْسِيرٍ طَمَّ عَلَىٰ جَمِيعِ تَفَاسِيرِكَ ضَحِكَةً وَجَهَالَةً، وَلَوْ قَدْ رَزَقَكَ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَعَلِمْتَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي رَوَيْتَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ، وَهَذِهِ الْإِلْفَاطِ الْوَاضِحَةِ لَا يَحْتَمِلُ تَفْسِيرًا غَيْرَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَلَا تَصْدِيقَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ»، وَلَمْ يَقُلْ: إِلَىٰ وُجُوهِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ، وَمَنْ سَمَّىٰ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَجْهًا لِلَّهِ قَبْلَكَ؟ وَفِي أَيِّ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَجَدْتَ أَنَّ وَجْهَ اللَّهِ أَعْلَىٰ جَنَّتِهِ؟ مَا لَقِيَ وَجْهَ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ مِنْ تَفَاسِيرِكَ؟! مَرَّةً تَجْعَلُهُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَرَّةً تَجْعَلُهُ أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَرَّةً تَجْعَلُهُ وَجْهَ الْقِبْلَةِ، وَمَرَّةً تُشَبِّهُهُ بِوَجْهِ الثُّوبِ وَوَجْهِ الْحَائِطِ، وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَمَّا تَتَلَاَعَبُ بِوَجْهِهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.



فَإِنْ كَانَ كَمَا ادَّعَيْتَ أَنْ أَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيَّ وَجْهِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ الَّتِي يَتَوَقَّعُونَهَا مِنَ اللَّهِ، أَفَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِكَ أَيضًا: «إِنَّ أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةٌ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ جَنَاتِهِ وَنَعِيمِهِ وَكَرَامَاتِهِ مَسِيرَةَ الْفِ سَنَةٍ، وَإِنَّ الْأَذْيَانَ مِنْهُمْ يَتَوَقَّعُونَ مِنْ كَرَامَاتِ اللَّهِ مَا يَتَوَقَّعُ أَكْرَمُهُمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ أَعْلَى الْجَنَّةِ كَمَا يَنْظُرُ أَكْرَمُهُمْ؟».

مَا مَوْضِعُ تَمْيِيزِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَذْيَانِي بِالنَّظَرِ إِلَيَّ مُلْكِهِ وَنَعِيمِهِ، وَالْأَعْلَى إِلَيَّ وَجْهِهُ بِكُرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ؛ إِذْ كُلُّهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَيَّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِيهَا غَيْرُ مَحْجُوبِينَ، وَلَا عَنِ التَّوَقُّعِ مَمْنُوعِينَ حَتَّى تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَكْرَمِينَ مِنْهُمْ مَا لَمْ يَتَلَّ فِي الْأَذْيَانِيِّينَ مِنْهُمْ تَشْبِيهًُا لَوَجْهِهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَتَكْذِيبًا لِدَعْوَاكَ، فَقَالَ: ﴿وَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ ﴿٤٣﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٤٣﴾﴾ وَلَمْ يَقُلْ: إِلَيَّ كَرَامَاتِهَا نَاطِرَةٌ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَوْحَشَهَا مِنْ تَأْوِيلِ، وَأَقْبَحَهَا مِنْ تَفْسِيرِ، وَأَشَدَّهَا اسْتِحَالَةً فِي جَمِيعِ لُغَاتِ الْعَالَمِينَ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَزِرْكَ مِنَ الْفَهْمِ إِلَّا مَا تَرَى، لَوْ تَكَلَّمَ بِهَذَا صَبِيَانِ الْكِتَابِ لَا اسْتَضْحَكَ النَّاسُ مِنْهُمْ فَكَيْفَ رَجُلٌ يَعُدُّ نَفْسَهُ مِنْ عِدَادِ عُلَمَاءِ بِلَادِهِ؟. اهـ

الشبهة الثانية:

استدلالهم بقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام:

١٠٣]، قالوا: وهذه الآية دليل على أنه لا يرى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وقد تقدم بيان أن «الإدراك» بأنه رؤية وزيادة، رؤية مع الإحاطة، والإحاطة منفية

في حق الله **عَزَّجَلَّ**، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فهم يرونه بغير إحاطة،

وقد تقدم بيان أن هذه الآية من أدلة الرؤية إلى الله **عَزَّجَلَّ** يوم القيامة.



الشبهة الثالثة:

استدل لهم بقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، على أنه لا يرى، وبأن «لن» تفيد التأيد.

وقد تقدم بيان أن هذه الآية من أدلة الرؤية، قال ابن أبي العزفي «شرح الطحاوية» (١٩١-١٩٢): فالاستدلال مِنْهَا عَلَى ثُبُوتِ رُؤْيَيْهِ مِنْ وَجْهِهِ:
أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَا يُظَنُّ بِكَلِيمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ وَأَعْلَمِ النَّاسِ بِرَبِّهِ فِي وَقْتِهِ، أَنْ يَسْأَلَ مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ.
الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ سُؤَالُهُ، وَلَمَّا سَأَلَ نُوحٌ رَبَّهُ نَجَاةَ ابْنِهِ أَنْكَرَ سُؤَالَهُ، وَقَالَ: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هُود: ٤٦].

الثَّالِثُ: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾، وَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي لَا أَرَى، أَوْ لَا تَجُوزُ رُؤْيِي، أَوْ لَسْتُ بِمَرِيٍّ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجَوَابِينَ ظَاهِرٌ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ كَانَ فِي كُمَّهِ حَجَرٌ فَظَنَّهُ رَجُلٌ طَعَامًا فَقَالَ: أَطْعَمْنِيهِ، فَالْجَوَابُ الصَّحِيحُ: أَنَّهُ لَا يُؤْكَلُ، أَمَّا إِذَا كَانَ طَعَامًا صَحَّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَأْكُلَهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَرْتَبِيٍّ، وَلَكِنَّ مُوسَى لَا تَحْتَمِلُ قُوَاهُ رُؤْيَيْهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، لِضَعْفِ قُوَى الْبَشَرِ فِيهَا عَنْ رُؤْيَيْهِ تَعَالَى.

يُوضِّحُهُ الْوَجْهُ الرَّابِعُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فَأَعْلَمَهُ أَنَّ الْجَبَلَ مَعَ قُوَّتِهِ وَصَلَابَتِهِ لَا يَثْبُتُ لِلتَّجَلِّي فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَكَيْفَ بِالْبَشَرِ الَّذِي خُلِقَ مِنْ ضَعْفٍ؟

الخَامِسُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْجَبَلَ مُسْتَقَرًّا، وَذَلِكَ مُمَكِّنٌ، وَقَدْ عَلَّقَ بِهِ الرُّؤْيِيَّةَ، وَلَوْ كَانَتْ مُحَالًا لَكَانَ نَظِيرٌ أَنْ يَقُولَ: إِنْ اسْتَقَرَّ الْجَبَلُ فَسَوْفَ أَكُلُ وَأَشْرَبُ وَأَنَامُ. وَالْكُلُّ عِنْدَهُمْ سَوَاءٌ.



السَّادِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فَإِذَا جَازَ أَنْ يَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ، الَّذِي هُوَ جَمَادٌ لَا ثَوَابَ لَهُ وَلَا عِقَابَ، فَكَيْفَ يَمْتَنِعُ أَنْ يَتَجَلَّى لِرَسُولِهِ وَأَوْلِيائِهِ فِي دَارِ كِرَامَتِهِ؟ وَلَكِنْ اللَّهُ أَعْلَمُ مُوسَى أَنَّ الْجَبَلَ إِذَا لَمْ يَثْبُتْ لِرُؤْيِيهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَالْبَشَرُ أَوْضَعُ. السَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى وَنَادَاهُ وَنَاجَاهُ، وَمَنْ جَازَ عَلَيْهِ التَّكَلُّمُ وَالتَّكْلِيمُ وَأَنْ يُسْمِعَ مُخَاطَبُهُ كَلَامَهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، فَرُؤْيِيَةُ أَوْلَى بِالْجَوَازِ؛ وَلِهَذَا لَا يَتَمُّ إِنْكَارُ رُؤْيِيهِ إِلَّا بِإِنْكَارِ كَلَامِهِ، وَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَهُمَا، وَأَمَّا دَعْوَاهُمْ تَأْيِيدُ النَّفْيِ بِ"لَنْ" وَأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الرُّؤْيِيَةِ فِي الْآخِرَةِ؛ فَفَاسِدٌ، فَإِنَّهَا لَوْ قَيِّدَتْ بِالتَّأْيِيدِ لَا يَدُلُّ عَلَى دَوَامِ النَّفْيِ فِي الْآخِرَةِ، فَكَيْفَ إِذَا أُطْلِقَتْ؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزُّحُف: ٧٧]، وَلَا تَنْهَا لَوْ كَانَتْ لِلتَّأْيِيدِ الْمُطْلَقِ لَمَّا جَازَ تَحْدِيدُ الْفِعْلِ بَعْدَهَا، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يُوسُف: ٨٠]، فَثَبَّتَ أَنْ لَنْ لَا تَقْتَضِي النَّفْيَ الْمُؤَبَّدَ.

قَالَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَنْ رَأَى النَّفْيَ بِلَنْ مُؤَبَّدًا ❀❀ فَقَوْلُهُ ارْذُدْ وَسِوَاهُ فَاعْضُدَا

اهـ

الشبهة الرابعة:

زعمهم أن الرؤية المراد بها العلم بالله.

قال عثمان بن سعيد الدارمي (٥٢٨-٥٣٣): واحتج المعارض أيضا في إنكار

الرؤية بحديث رواه خالد بن الوليد ضرب العزى بالسيف فقال له: "كفرانك، لا سُبْحَانَكَ، إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ".



قَالَ الْمُعَارِضُ: فَهَذِهِ رُؤْيَةٌ عِلْمٍ لَا رُؤْيَةٌ بَصَرٍ. قَالَ: يَعْنِي أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَنَحْوِ مَا رَأَى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي دُنْيَاهُ.

قَالَ الْمُعَارِضُ: وَفَسَّرَ قَوْمٌ أَنَّ الرُّؤْيَةَ لِلشَّيْءِ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْعِلْمِ، كَمَا يُقَالُ: رَأَيْتُ الْحَلَّ شَدِيدَ الْحُمُوضَةِ، وَرَأَيْتُ الْعُودَ طَيِّبًا، يُرِيدُ رَائِحَتَهُ كَمَا قَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾، وَلَمْ يَرَهُ إِلَّا بِالْمَعْرِفَةِ. وَكُلُّ شَيْءٍ يُدْرِكُ بِالرُّؤْيَةِ فَلَهُ قِلَّةٌ وَكَثْرَةٌ.

فَاللَّهُ الْمُتَعَالِي عَنْ ذَلِكَ إِنَّمَا يَرَى بِدَلَالِيهِ وَأَثَارِ صُنْعِهِ، فَهِيَ شَوَاهِدٌ لَا الَّذِي يُعْرَفُ بِمُلَاقَاةٍ وَلَا بِمُشَاهَدَةٍ حَاسَّةٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَهَبَتِ الشُّكُوكُ وَعَرَفُوهُ عِيَانًا، لَا بِإِذْرَاكِ بَصَرٍ، ثُمَّ قَالَ: فَإِنْ كَانَ الرُّوَايَاتُ فَهَا هُنَا رَوَايَاتٌ أَيْضًا مُعَارِضَةٌ، وَإِنْ كَانَ يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ فَهَا هُنَا مَا يَحْتَمِلُ أَيْضًا.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: أَمَّا الرُّوَايَاتُ فَمَا تَرَكَ تَحْتَجُّ فِي جَمِيعِ مَا تَدَّعِي إِلَّا بِكُلِّ أَعْرَجٍ مَكْسُورٍ، بِالتَّجْهِمِ مَشْهُورٍ، وَفِي أَهْلِ السَّنَةِ مَغْمُورٌ. وَأَمَّا الْمَعْقُولُ الَّذِي تَدَّعِيهِ مِنْ كَلَامِكَ فَقَدْ أَتْبَأْنَاكَ أَنَّهُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَجْهُولٌ، وَعِنْدَ الْعُلَمَاءِ غَيْرُ مَقْبُولٍ، لَا يَخْفَى تَنَاقُضُهُ إِلَّا عَلَى كُلِّ جَهُولٍ.

وَأَمَّا مَا اخْتَجَجْتَ بِهِ مِنْ قَوْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَمَعْقُولٌ بِأَنَّ اللَّهَ لَمَّا قَالَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وَرَوَى أَبُو ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «نور أنى أراه»، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا» آمَنَّا بِمَا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَعَلِمْنَا أَنَّهُ لَا يَرَى فِي الدُّنْيَا، فَلَمَّا قَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ عَلِمْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُدْرِكْهُ وَلَمْ يَرَهُ لِمَا أَنَّهُ وُلِدَ عَامَ الْفِيلِ فَاسْتَيْقَنَّا عِلْمًا يَقِينًا أَنَّ هَذِهِ رُؤْيَةٌ عِلْمٍ، لَا رُؤْيَةٌ بَصَرٍ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾



فَاسْتَيْقَنَّا بِقَوْلِهِ: إِنَّهُ لَمْ يَرِ رَبَّهُ أَنْ هَذَا لَيْسَ بِرُؤْيَا اللَّهِ عَيَانًا، وَأَنَّهُ رُؤْيَا الْفِعْلِ - مَدُودِ
الظِّلِّ الَّذِي يَرَاهُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا - .

وَكَذَلِكَ قَوْلُ خَالِدِ بْنِ الْوَلَدِ: "إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ" لِاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَمِنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَبْصَرَ أَهْلَ الدُّنْيَا لَا تُدْرِكُهُ فِي الدُّنْيَا.

فَحِينَ حَدَّ اللَّهُ لِرُؤْيَيْهِ حِدًا فِي الْآخِرَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ عَلِمْنَا أَنَّهَا رُؤْيَا
عَيَانٍ وَكَذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَأَلَهُ أَبُو ذَرٍّ هَلْ رَأَى رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «نُو رَأَى
أَرَاهُ؟» فَلَمَّا سَأَلَهُ أَصْحَابُهُ: «أَتَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَرُؤْيَا الشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ
الْبَدْرِ».

وَأَمَّا تَفْسِيرُكَ أَنَّ رُؤْيَيْتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رُؤْيَا آيَاتِهِ وَدَلَائِلِهِ فَإِذَا رَأَوْا آيَاتِهِ وَذَهَبَتِ
الشُّكُوكُ عَنْهُمْ، فَهَذِهِ أَفْحَشُ كَلِمَةٍ ادَّعَيْتَهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ مَاتُوا شُكَاكًا لَمْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمْ حَتَّى يَرَوْا آيَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَبِهَا تَذَهَبُ
الشُّكُوكُ عَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ.

وَيَحْكُ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ أَحَدٌ وَفِي قَلْبِهِ أَذْنَى شَكٍّ مِنْ خَالِقِهِ إِلَّا مَاتَ
كَافِرًا؟ وَكَيْفَ تَعْتَرِي الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ الشُّكُوكُ، وَالْكَفَّارُ يَوْمَئِذٍ بِرُبُوبِيَّتِهِ مُوقِنُونَ لَا
تَعْتَرِيهِمْ شُكُوكٌ؟ فَإِنْ كَانَتِ الشُّكُوكُ يَوْمَئِذٍ تَنْزَاحَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا تَصِفُ مِنَ الدَّلَائِلِ
وَالْعَلَامَاتِ، مِنْ غَيْرِ إِدْرَاكِ بَصَرٍ، فَكَذَلِكَ الْكَفَّارُ كُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْا يَوْمَئِذٍ آيَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ
مِنْ غَيْرِ إِدْرَاكِ بَصَرٍ، فَانْزَاحَتْ عَنْهُمْ الشُّكُوكُ، فَصَارُوا كَالْمُؤْمِنِينَ فِي دَعْوَاكَ، فَمَا
فَضَّلُ بُشْرَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَفَّارِ الَّذِينَ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ
رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

وَيَحْكُ! لِلْغَنَاءِ وَالْعَزْفِ أَحْسَنُ مِمَّا تَدَّعِي عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا تَقْدِفُ بِهِ
الْمُؤْمِنِينَ؛ أَنَّ الشُّكُوكَ فِي وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَذَهَبُ عَنْهُمْ إِلَّا فِي الْآخِرَةِ، يَوْمَ
يَرُونَ آيَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ.



فَأَمَّا مَا احْتَجَجْتَ بِهِ مِنْ قَوْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حِينَ قَالَ: "رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ" فَمِثْلُ هَذَا جَائِزٌ فِيمَا أَنْتَ مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُ لَمْ يَرَّ وَلَمْ يُدْرِكْ، وَلَمْ يُمَكِّنْ إِذْرَاكُهُ، فَأَمَّا مَا يُرْجَى إِذْرَاكُهُ بِبَصَرٍ فَلَا يَجُوزُ فِي هَذَا الْمَجَازِ إِلَّا بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ مِنْ كِتَابِ مُسْطُورٍ، أَوْ أَثَرٍ مَأْثُورٍ، أَوْ إِجْمَاعٍ مَشْهُورٍ. وَقَوْلُ خَالِدٍ عِنْدَنَا مَعْنَاهُ كَمَعْنَى قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ لِعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** يَوْمَ مَاتَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لَمْ يَمُتْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَلَمْ تَسْمَعْ اللَّهَ يَقُولُ: **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴿١٠٠﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّمَا عَنَى أَبُو بَكْرٍ: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ فِي كِتَابِهِ لِمَا أَنَّ الْعِلْمَ مِنْ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ قَدْ أَحَاطَ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَ اللَّهِ بَشَرٌ مِنْ بَنِي آدَمَ غَيْرَ مُوسَى، فَحِينَ أَحَاطَ الْعِلْمَ بِذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ عَنَى قَوْلَهُ، لَا السَّمَاعَ مِنَ اللَّهِ، وَهَكَذَا قِصَّةُ خَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ، وَقَوْلُهُ: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ**﴾ لِإِحَالَةِ الْعِلْمِ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، فَلَا تَدْفَعُ مَا أَحَاطَ الْعِلْمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا أَحَاطَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ كَائِنٌ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْكُمَيْتِ:

وَجَدْتُ اللَّهَ إِذَا سَمَى نَزَارًا ❖❖ وَأَسْكَنَهُمْ بِمَكَّةَ قَاطِنِينَ
لَنَا جَعَلَ الْمَكَارِمَ خَالِصَاتٍ ❖❖ فَلِلنَّاسِ الْقَفَا وَلَنَا الْجَبِينَا
فَحِينَ عَرَفْنَا يَقِينًا أَنَّ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ لَمْ يَجِدْهُ عَيَانًا فِي الدُّنْيَا عَلِمْنَا أَنَّ قَوْلَ الْكُمَيْتِ: "وَجَدْتُ اللَّهَ" يُرِيدُ بِهِ الْمَكَارِمَ الَّتِي أَعْطَاهُمُ اللَّهُ. اهـ

الشبهة الخامسة:

تأولهم لقاء الله **عَزَّوَجَلَّ** بلقاء الجزاء.

قال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (٦/٤٧٠-٤٧٥): وَكَالَمِ السَّلَفِ وَالْأَيْمَةِ فِي دَمِّ الْجَهْمِيَّةِ وَتَكْفِيرِهِمْ كَثِيرٌ جِدًّا. وَهُؤُلَاءِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى بَعْضِ أَقْوَالِهِمْ الَّتِي تَنْفِي حَقِيقَةَ اللِّقَاءِ يَتَأَوَّلُونَ "اللِّقَاءَ" عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ لِقَاءَ جَزَاءِ رَبِّهِمْ وَيَقُولُونَ إِنَّ الْجَزَاءَ



قَدْ يَرَى كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٤١ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ٤٢ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ٤٣ فَإِنَّ ضَمِيرَ الْمَفْعُولِ فِي رَأَوْهُ عَائِدٌ إِلَى الْوَعْدِ وَالْمُرَادُ بِهِ الْمَوْعُودُ أَيْ فَلَمَّا رَأَوْا مَا وَعَدُوا سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا. وَمَنْ قَالَ إِنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ هُنَا إِلَى اللَّهِ فَقَوْلُهُ ضَعِيفٌ وَفَسَادُ قَوْلِ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْمُرَادَ " لِقَاءَ الْجَزَاءِ " دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ مَعْلُومٌ بِالْإِضْطِرَارِ بَعْدَ تَدْبِيرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَظْهَرُ فَسَادُهُ مِنْ وُجُوهِ: - (أَحَدُهَا: أَنَّهُ خِلَافُ التَّفَاسِيرِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ. (الثَّانِي: أَنَّ حَذْفَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ يُقَارِنُهُ قَرَائِنٌ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْكَلَامِ قَرِينَةٌ تُبَيِّنُ ذَلِكَ كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَسَعَلَ الْقَرِينَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: رَأَيْتَ زَيْدًا أَوْ لَقَيْتَهُ مُطْلَقًا وَأَرَادَ بِذَلِكَ لِقَاءَ أَبِيهِ أَوْ عَلَامِهِ لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ بِإِلَّا نِزَاعٍ وَلِقَاءَ اللَّهِ قَدْ ذُكِرَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مُطْلَقًا غَيْرَ مُقْتَرِنٍ بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أُرِيدَ بِلِقَاءِ اللَّهِ لِقَاءَ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ مِنْ جَزَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ. (الثَّالِثُ: أَنَّ اللَّفْظَ إِذَا تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي الْكِتَابِ وَدَارَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ عَلَى وَجْهِ وَاحِدٍ وَكَانَ الْمُرَادُ بِهِ غَيْرَ مَفْهُومِهِ وَمُقْتَضَاهُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يُبَيَّنْ ذَلِكَ كَانَ تَدْلِيْسًا وَتَلْبِيْسًا يَجِبُ أَنْ يُصَانَ كَلَامُ اللَّهِ عَنْهُ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهُ بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَأَخْبَرَ أَنَّ الرَّسُولَ قَدْ بَلَغَهُ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ وَأَنَّهُ بَيِّنٌ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرَ أَنَّ عَلَيْهِ بَيَانُهُ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: مَا فِي الْعَقْلِ دَلَالَةٌ عَلَى امْتِنَاعِ إِرَادَةِ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْقَرِينَةُ الَّتِي دَلَّ الْمُخَاطِبِينَ عَلَى الْفَهْمِ بِهَا؛ لِوُجُوهِينِ. أَحَدُهُمَا: أَنْ يُقَالَ: لَيْسَ فِي الْعَقْلِ مَا يُتَافَى ذَلِكَ؛ بَلْ الضَّرُورَةُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ تَوَافُقُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ كَمَا قَالَ: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ وَمَا يُذَكَّرُ مِنَ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ الْمُخَالَفَةِ لِمَذْهَبِ الْقُرْآنِ فَهُوَ شُبُهَاتٌ فَاسِدَةٌ عِنْدَ مَنْ لَهُ خِبْرَةٌ جَيِّدَةٌ بِالْمَعْقُولَاتِ دُونَ مَنْ يُقَلِّدُ فِيهَا بِغَيْرِ



نَظَرِ تَامٌ. الثَّانِي: أَنَّهُ لَوْ فَرَضَ أَنَّ هُنَاكَ دَلِيلًا عَقْلِيًّا يُنَافِي مَدْلُولَ الْقُرْآنِ لَكَانَ خَفِيًّا دَقِيقًا ذَا مُقَدِّمَاتٍ طَوِيلَةٍ مُشْكَلَةٍ مُتَنَازِعٍ فِيهَا لَيْسَ فِيهَا مُقَدِّمَةٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ الْعُقَلَاءِ؛ إِذْ مَا يُذَكِّرُ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْمُخَالَفَةَ لِمَدْلُولِ الْقُرْآنِ هِيَ شُبُهَاتٌ فَاسِدَةٌ كُلُّهَا لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْبَابِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُخَاطَبَ - الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ بَيْنَ لِلنَّاسِ وَأَنَّ كَلَامَهُ بَلَغٌ مُبِينٌ وَهُدًى لِلنَّاسِ - إِذَا أَرَادَ بِكَلَامِهِ مَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَلَا يُفْهَمُ مِنْهُ إِلَّا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقَرِينَةِ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَيَّنَّ وَهُدًى؛ بَلْ قَدْ كَانَ لَبَّسَ وَأَضَلَّ وَهَذَا مِمَّا اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى وَجُوبِ تَنْزِيهِهِ اللَّهُ وَرَسُولِهِ بَلْ وَعَامَّةُ الصَّحَابَةِ وَالْأَيْمَّةِ مِنْ ذَلِكَ. الرَّابِعُ: أَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ» وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَوْمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ» وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ وَالْقَائِلُ بِالْحَقِّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ؛ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» وَفِي لَفْظِهِ: «أَعُوذُ بِكَ أَنْ تُضِلَّنِي؛ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا تَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ».

فَفِي الْحَدِيثِ فَرُقَ بَيْنَ لِقَائِهِ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ تَتَّصَمَنُ جَزَاءَ الْمُطِيعِينَ وَالْعُصَاةِ فَعُلِمَ أَنَّ لِقَاءَهُ لَيْسَ هُوَ لِقَاءَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. الْخَامِسُ: أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ذَكَرَ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ مَا يُبَيِّنُ لِقَاءَ الْعَبْدِ رَبَّهُ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجَمَانُ؛ فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَمَهُ وَيَنْظُرُ أَشَامَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَمَهُ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ؛ فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ. السَّادِسُ: أَنَّهُ لَوْ أُرِيدَ "بِلِقَاءِ اللَّهِ" بَعْضُ الْمَخْلُوقَاتِ - إِمَّا جَزَاءً وَإِمَّا غَيْرَ جَزَاءً - لَكَانَ ذَلِكَ وَقِيعًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ



فَكَانَ الْعَبْدُ لَا يَزَالُ مُلَاقِيًا لِرَبِّهِ وَكَمَا عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ لِقَاءَ اللَّهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ: عَلِمَ بُطْلَانُ أَنَّ " اللِّقَاءَ " لِقَاءَ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ قَدْ جَازَى خَلْقًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِخَيْرٍ وَشَرٍّ كَمَا جَازَى قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ؛ وَكَمَا جَازَى الْأَنْبِيَاءَ وَأَتْبَاعَهُمْ وَلَمْ يَقُلْ مُسْلِمٌ إِنَّ لِقَاءَ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي الدُّنْيَا لِقَاءَ اللَّهِ وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّ لِقَاءَ اللَّهِ جَزَاءٌ مَخْصُوصٌ وَهُوَ الْجَنَّةُ مَثَلًا أَوْ النَّارُ لَقِيلَ لَهُ لَيْسَ فِي لَفْظِ هَذَا لِقَاءَ مَخْصُوصٍ وَلَا دَلِيلٌ عَلَيْهِ وَلَيْسَ هُوَ بِأَوْلَى مِنْ أَنْ يُقَالَ لِقَاءَ اللَّهِ تَعَالَى لِقَاءَ بَعْضِ مَلَائِكَتِهِ أَوْ بَعْضِ الشَّيَاطِينِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ التَّحَكُّمَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ إِذْ لَيْسَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى تَعْيِينِ هَذَا بِأَوْلَى مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَى تَعْيِينِ هَذَا فَبَطَلَ ذَلِكَ. الْوَجْهُ السَّابِعُ: أَنَّ " لِقَاءَ اللَّهِ " لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي لِقَاءِ غَيْرِهِ لَا حَقِيقَةً وَلَا مَجَازًا وَلَا اسْتَعْمَلَ لِقَاءَ زَيْدٍ فِي لِقَاءِ غَيْرِهِ أَصْلًا؛ بَلْ حَيْثُ ذُكِرَ هَذَا اللَّفْظُ فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ لِقَاءَ الْمَذْكُورِ؛ إِذْ مَا سِوَاهُ لَا يُشْعِرُ اللَّفْظُ بِهِ فَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ. الْوَجْهُ الثَّامِنُ: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿تَيَّيَّتْهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ فَلَوْ كَانَ " اللِّقَاءُ " هُوَ لِقَاءُ جَزَائِهِ لَكَانَ هُوَ لِقَاءَ الْأَجْرِ الْكَرِيمِ الَّذِي أُعِدَّ لَهُمْ وَإِذَا أُخْبِرَ بِأَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ ذَلِكَ لَمْ يَحْسُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِخْبَارُ بِإِعْدَادِهِ؛ إِذْ الْإِعْدَادُ مَقْصُودُهُ الْوُصُولُ فَكَيْفَ يُخْبِرُ بِالْوَسِيلَةِ بَعْدَ حُصُولِ الْمَقْصُودِ؟ هَذَا نِزَاعٌ بَيْنَ الْعَيِّ الَّذِي يُصَانُ عَنْهُ كَلَامٌ أَوْسَطِ النَّاسِ فَضْلًا عَنْ كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لَا سِيَّمَا وَقَدْ قُرِنَ اللَّقَاءُ بِالتَّحِيَّةِ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي اللَّقَاءِ الْمَعْرُوفِ؛ لَا فِي حُصُولِ شَيْءٍ مِنَ النِّعَمِ الْمَخْلُوقِ. الْوَجْهُ التَّاسِعُ: أَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» أَخْبَرَ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ لِقَاءَ عَبْدٍ وَيَكْرَهُ لِقَاءَ عَبْدٍ وَهَذَا يَمْتَنِعُ حَمْلُهُ عَلَى الْجَزَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَكْرَهُ جَزَاءَ أَحَدٍ وَلِأَنَّ الْجَزَاءَ لَا يَلْقَاهُ اللَّهُ؛ وَلِأَنَّهُ



إِنْ جَاَزَ أَنْ يَلْقَى بَعْضَ الْمَخْلُوقِ كَالْجَزَاءِ أَوْ غَيْرِهِ جَاَزَ أَنْ يَلْقَى الْعَبْدُ فَالْمَحْدُورُ الَّذِي
يُذَكَّرُ فِي لِقَاءِ الْعَبْدِ مَوْجُودٌ فِي لِقَائِهِ سَائِرَ الْمَخْلُوقَاتِ فَهَذَا تَعْطِيلُ النَّصِّ. وَإِمَّا أَنْ
يُقَالَ: بَلْ هُوَ لَاقٍ لِبَعْضِهَا فَيَتَنَاقَضُ قَوْلُ الْجَهْمِيِّ وَيَبْطُلُ. وَدَلَائِلُ بَطْلَانِ هَذَا الْقَوْلِ لَا
تَكَادُ تُحْصَى يَضِيقُ هَذَا الْإِسْتِفْتَاءُ عَنْ ذِكْرِ كَثِيرٍ مِنْهَا فَضَلَّا عَنْ أَكْثَرِهَا. اهـ





الأشاعرة والرؤية

الأشاعرة في كثير من أمورهم يسرون على طريقة المعتزلة، حيث اتخذوا الكلام والعقل ديناً له، فلهذا وقع منهم التخبط والتخليط، ولما كانوا ينفون علو الله **عَزَّوَجَلَّ** الثابت بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة على ما بينت في غير ما كتاب، وأثبتوا الرؤية لدلالة العقل عليها زعموا أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يرى لا في جهة.

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح الطحاوية» (١٩٥-١٩٦): وَلَيْسَ تَشْبِيهُ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى بِرُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ تَشْبِيهَا لِلَّهِ، بَلْ هُوَ تَشْبِيهُ الرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ، لَا تَشْبِيهُ المَرْتَبِيِّ بِالمَرْتَبِيِّ، وَلَكِنْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى عُلُوِّ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَإِلَّا فَهَلْ تُعْقَلُ رُؤْيَةُ بِلَا مُقَابَلَةٍ؟ وَمَنْ قَالَ: يَرَى لَا فِي جِهَةٍ، فَلْيُرَاجِعْ عَقْلَهُ!! فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُكَابِرًا لِعَقْلِهِ وَفِي عَقْلِهِ شَيْءٌ، وَإِلَّا فَإِذَا قَالَ يَرَى لَا أَمَامَ الرَّائِي وَلَا خَلْفَهُ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَا عَنْ يَسَارِهِ وَلَا فَوْقَهُ وَلَا تَحْتَهُ، رَدَّ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ بِفَطْرَتِهِ السَّلِيمَةِ.

ولهذا الرَمُّ المَعْتَزَلَةُ مِنْ نَفْيِ العُلُوِّ بِالدَّاتِ بِنَفْيِ الرُّؤْيَةِ، وقالوا: كيف تعقل رؤية بلا مقابلة بغير جهة، وإنَّما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حدَّقَ الرَّائِي البَصَرَ فِي شُعَاعِهَا ضَعُفَ عَنْ رُؤْيَتِهَا، لَا لِامْتِنَاعِ فِي ذَاتِ المَرْتَبِيِّ، بَلْ لِعَجْزِ الرَّائِي، فَإِذَا كَانَ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ أَكْمَلَ اللهُ قُوَى الأَدْمِيَّيْنَ حَتَّى أَطَافُوا رُؤْيَتَهُ، وَلِهَذَا لَمَّا تَجَلَّى اللهُ لِلجَبَلِ: ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَبِيحًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ نُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ المُؤْمِنِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣]، بَأَنَّهُ لَا يَرَاكَ حَتَّى إِذَا مَاتَ، وَلَا يَابِسُ إِلَّا تَدَهْدَهُ، وَلِهَذَا كَانَ البَشَرُ يَعْجُزُونَ عَنْ رُؤْيَةِ المَلَكِ فِي صُورَتِهِ، إِلَّا مَنْ أَيْدَهُ اللهُ كَمَا أَيْدَ نَبِيَّنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨].



قَالَ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَا يُطِيقُونَ أَنْ يَرَوْا الْمَلَكَ فِي صُورَتِهِ، فَلَوْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ فِي صُورَةِ بَشَرٍ، وَحِينَئِذٍ يَشْتَبِهُ عَلَيْهِمْ: هَلْ هُوَ بَشَرٌ أَوْ مَلَكٌ؟ وَمِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا أَنْ بَعَثَ فِيْنَا رَسُولًا مِنَّا.

وَمَا الزَّمَهُمُ الْمُعْتَزِلَةَ هَذَا الْإِلْزَامَ إِلَّا لَمَّا وَافَقُوهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ. لَكِنَّ قَوْلَ مَنْ أَثَبَتَ مَوْجُودًا يُرَى لَا فِي جِهَةٍ، أَقْرَبُ إِلَى الْعَقْلِ مِنْ قَوْلِ مَنْ أَثَبَتَ مَوْجُودًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ لَا يُرَى وَلَا فِي جِهَةٍ.

وَيُقَالُ لِمَنْ قَالَ بِنَفْيِ الرَّؤْيِيَةِ لِإِنْتِفَاءِ لِزِمِهَا وَهُوَ الْجِهَةُ: أَتُرِيدُ بِالْجِهَةِ أَمْرًا وَجُودِيًّا؟ أَوْ أَمْرًا عَدَمِيًّا؟ فَإِنْ أَرَادَ بِهَا أَمْرًا وَجُودِيًّا كَانَ التَّقْرِيرُ: كُلُّ مَا لَيْسَ فِي شَيْءٍ مَوْجُودٌ لَا يُرَى، وَهَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ مَمْنُوعَةٌ، وَلَا دَلِيلٌ عَلَى إِبْتَاتِهَا، بَلْ هِيَ بَاطِلَةٌ، فَإِنَّ سَطْحَ الْعَالَمِ يُمَكِّنُ أَنْ يُرَى، وَلَيْسَ الْعَالَمُ فِي عَالَمٍ آخَرَ. وَإِنْ أَرَدْتَ بِالْجِهَةِ أَمْرًا عَدَمِيًّا، فَالْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَّةُ مَمْنُوعَةٌ، فَلَا نُسَلِّمُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي جِهَةٍ بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ.

وَكَيفَ يَتَكَلَّمُ فِي أَصُولِ الدِّينِ مَنْ لَا يَتَلَقَّاهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنَّمَا يَتَلَقَّاهُ مِنْ قَوْلِ فُلَانٍ؟! وَإِذَا زَعَمَ أَنَّهُ يَأْخُذُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَا يَتَلَقَّى تَفْسِيرَ كِتَابِ اللَّهِ مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ، وَلَا يَنْظُرُ فِيهَا، وَلَا فِيمَا قَالَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، الْمَنْقُولِ إِلَيْنَا عَنِ الثَّقَاتِ الثَّقَلَةِ، الَّذِينَ تَخَيَّرَهُمُ الثَّقَادُ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَنْقُلُوا نَظْمَ الْقُرْآنِ وَحَدَّهُ، بَلْ تَقَلُّوا نَظْمَهُ وَمَعْنَاهُ، وَلَا كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ كَمَا يَتَعَلَّمُ الصَّبِيَانُ، بَلْ يَتَعَلَّمُونَهُ بِمَعَانِيهِ. وَمَنْ لَا يَسْلُكُ سَبِيلَهُمْ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِرَأْيِهِ، وَمَنْ يَتَكَلَّمُ بِرَأْيِهِ وَمَا يَظُنُّهُ دِينَ اللَّهِ وَلَمْ يَتَلَقَّ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ فَهُوَ مَأْثُومٌ وَإِنْ أَصَابَ، وَمَنْ أَخَذَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ مَأْجُورٌ وَإِنْ أَخْطَأَ، لَكِنَّ إِنْ أَصَابَ يُصَاعَفُ أَجْرُهُ. اهـ

وقال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (٨٤-٨٩): قَوْلُ هُوَ لَاءٍ: " إِنْ اللَّهُ يُرَى مِنْ غَيْرِ مُعَايِنَةٍ وَمُوَاجَهَةٍ " قَوْلُ انْفَرَدُوا بِهِ دُونَ سَائِرِ طَوَائِفِ الْأُمَّةِ وَجُمْهُورِ الْعُقَلَاءِ عَلَى أَنَّ فَسَادَ هَذَا مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ. وَالْأَخْبَارُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ كَقَوْلِهِ فِي



الأحاديث الصَّحِيحَة: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيِيهِ»، وَقَوْلِهِ لَمَّا سَأَلَهُ النَّاسُ: هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: نَعَمْ، «وَهَلْ تَرُونَ الْقَمَرَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ». فَشَبَّهَ الرُّؤْيَةَ بِالرُّؤْيَةِ وَلَمْ يُشَبَّهَ الْمَرِيَّ بِالْمَرِيَّ؛ فَإِنَّ الْكَافَ - حَرْفَ التَّشْبِيهِ - دَخَلَ عَلَى الرُّؤْيَةِ. وَفِي لَفْظِ اللَّبْحَارِيِّ: «يَرُونَهُ عِيَانًا».

وَمَعْلُومٌ أَنَّا نَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ عِيَانًا مُوَجَّهَةً فَيَجِبُ أَنْ نَرَاهُ كَذَلِكَ. وَأَمَّا رُؤْيُهُ مَا لَا نَعَايِنُ وَلَا نُوَجِّهُهُ فَهَذِهِ غَيْرُ مُتَّصِرَةٍ فِي الْعَقْلِ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكُونَ كَرُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. وَلِهَذَا صَارَ حُذَاقُهُمْ إِلَى إِنْكَارِ الرُّؤْيَةِ وَقَالُوا: قَوْلُنَا هُوَ قَوْلُ الْمُعْتَزَلَةِ فِي الْبَاطِنِ؛ فَإِنَّهُمْ فَسَّرُوا الرُّؤْيَةَ بِزِيَادَةِ انْكِشَافٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَا تُنَازِعُ فِيهِ الْمُعْتَزَلَةُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّ الْخَبَرَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يَرُونَهُ لَا فِي جِهَةٍ وَقَوْلُهُ: "لَا تَضَامُونَ" مَعْنَاهُ لَا تَضَمُّكُمْ جِهَةٌ وَاحِدَةٌ فِي رُؤْيِيهِ فَإِنَّهُ لَا فِي جِهَةٍ فَهَذَا تَفْسِيرٌ لِلْحَدِيثِ بِمَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَلَا قَالَهُ أَحَدٌ مِنْ أَيْمَةِ الْعِلْمِ؛ بَلْ هُوَ تَفْسِيرٌ مُنْكَرٌ عَقْلًا وَشَرْعًا وَلَعَنَهُ. فَإِنَّ قَوْلَهُ "لَا تَضَامُونَ" يُرَوَى بِالتَّخْفِيفِ. أَي: لَا يَلْحَقُكُمْ صَيْمٌ فِي رُؤْيِيهِ كَمَا يَلْحَقُ النَّاسَ عِنْدَ رُؤْيَةِ الشَّيْءِ الْحَسَنِ كَالِهَلَالِ فَإِنَّهُ قَدْ يَلْحَقُهُمْ صَيْمٌ فِي طَلَبِ رُؤْيِيهِ حِينَ يَرَى؛ وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَتَجَلَّى تَجَلِّيًّا ظَاهِرًا فَيَرُونَهُ كَمَا تَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ بِلَا صَيْمٍ يَلْحَقُكُمْ فِي رُؤْيِيهِ. وَهَذِهِ الرُّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ. وَقِيلَ "لَا تَضَامُونَ" بِالتَّشْدِيدِ أَي: لَا يَنْضَمُّ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ كَمَا يَنْضَمُّ النَّاسُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الشَّيْءِ الْخَفِيِّ كَالِهَلَالِ. وَكَذَلِكَ "تُضَارُونَ" وَ"تُضَارُونَ". فَإِنَّمَا أَنْ يُرَوَى بِالتَّشْدِيدِ وَيُقَالُ: "لَا تَضَامُونَ" أَي لَا تَضَمُّكُمْ جِهَةٌ وَاحِدَةٌ فَهَذَا بَاطِلٌ لِأَنَّ التَّضَامَ انْضِمَامٌ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ. فَهُوَ "تَفَاعُلٌ" كَالْتِمَاسِ وَالتَّرَادُّ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَقَدْ يُرَوَى "لَا تَضَامُونَ" بِالضَّمِّ وَالتَّشْدِيدِ أَي لَا يُضَامُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. وَبِكُلِّ حَالٍ فَهُوَ مِنْ "التَّضَامِ" الَّذِي هُوَ مُضَامَةٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَيْسَ هُوَ أَنَّ شَيْئًا آخَرَ لَا يُضَمُّكُمْ فَإِنَّ هَذَا الْمَعْنَى لَا يُقَالُ



رؤية المؤمنين للجبار في المحشر ودار القرار



فيه " لا تضامون " فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ " لَا يَضْمُكُمْ شَيْءٌ " ثُمَّ يُقَالُ: الرَّاءُ وَنَ كُلُّهُمْ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الْأَرْضِ. وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّ الْمَرْئِيَّ لَيْسَ فِي جِهَةٍ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: " لَا تَضْمُكُمْ جِهَةٌ وَاحِدَةٌ " وَهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى الْأَرْضِ أَرْضِ الْقِيَامَةِ أَوْ فِي الْجَنَّةِ وَكُلُّ ذَلِكَ جِهَةٌ وَوُجُودُهُمْ نَفْسُهُمْ لَا فِي جِهَةٍ وَمَكَانٍ مُمْتَنِعٍ حَسًّا وَعَقْلًا. وَأَمَّا قَوْلُهُ: " هُوَ يُرَى لَا فِي جِهَةٍ فَكَذَلِكَ يَرَاهُ غَيْرُهُ فَهَذَا تَمَثِيلٌ بَاطِلٌ. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَرَى بَدَنَهُ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَرَى غَيْرَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِجِهَةٍ مِنْهُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَمَامَهُ سَوَاءً كَانَ عَالِيًا أَوْ سَافِلًا. وَقَدْ تَخَرَّقَ لَهُ الْعَادَةُ فَيَرَى مَنْ خَلْفَهُ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ بَعْدِي»،

وَفِي رِوَايَةٍ «مَنْ بَعْدَ ظَهْرِي» وَفِي لَفْظٍ لِلْبَحَارِيِّ: «إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَائِي»، وَفِي لَفْظٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «إِنِّي وَاللَّهِ لَأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ». لَكِنْ هُمْ بِجِهَةٍ مِنْهُ وَهُمْ خَلْفَهُ. فَكَيْفَ تُقَاسُ رُؤْيَةُ الرَّائِي لِغَيْرِهِ عَلَى رُؤْيَتِهِ لِنَفْسِهِ؟ ثُمَّ تَشْبِيهُ رُؤْيَتِهِ هُوَ بِرُؤْيَتِنَا نَحْنُ تَشْبِيهُ بَاطِلٌ. فَإِنَّ بَصَرَهُ يُحِيطُ بِمَا رَأَى بِخِلَافِ أَبْصَارِنَا. وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ أَثْبَتُوا مَا لَا يُمَكِّنُ رُؤْيَتَهُ وَأَحْبَبُوا نَصْرَ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْحَدِيثِ فَجَمَعُوا بَيْنَ أَمْرَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ.

فَإِنَّ مَا لَا يَكُونُ دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا يُشَارُ إِلَيْهِ يَمْتَنِعُ أَنْ يُرَى بِالْعَيْنِ لَوْ كَانَ وَجُودُهُ فِي الْخَارِجِ مُمَكِّنًا فَكَيْفَ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ؟ وَإِنَّمَا يَقْدَرُ فِي الْأَذْهَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَجُودٌ فِي الْأَعْيَانِ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ الْبَاطِلِ. وَلِهَذَا فَسَّرُوا " الْإِدْرَاكَ " بِالرُّؤْيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ كَمَا فَسَّرَتْهَا الْمُعْتَزِلَةُ. لَكِنْ عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ هَذَا خَرَجَ مَخْرَجَ الْمَدْحِ فَلَا يُرَى بِحَالٍ وَهَؤُلَاءِ قَالُوا: لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ. وَالآيَةُ تَنْفِي الْإِدْرَاكَ مُطْلَقًا دُونَ الرُّؤْيَةِ كَمَا قَالَ ابْنُ كِلَابٍ وَهَذَا أَصَحُّ. وَحِينَئِذٍ فَتَكُونُ الْآيَةُ دَالَّةً عَلَى إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ وَهُوَ أَنَّهُ يُرَى وَلَا يُدْرِكُ فَيَرَى مِنْ غَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا حَصْرِ. وَبِهَذَا يَحْصُلُ الْمَدْحُ فَإِنَّهُ وَصْفٌ لِعَظَمَتِهِ أَنَّهُ لَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُ الْعِبَادِ وَإِنْ رَأَتْهُ وَهُوَ يُدْرِكُ أَبْصَارَهُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ بِحَضْرَتِهِ لِمَنْ عَارَضَ بِهِذِهِ الْآيَةَ: " أَلَسْتَ تَرَى السَّمَاءَ؟ ". قَالَ: "



بَلَى " قَالَ: " أَفَكُلَّهَا تَرَى؟ " وَكَذَلِكَ قَالَ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾
 وَهُوَ لَا يَتَوَلَّى: عِلْمُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحَاطَ بِشَيْءٍ مِنْهُ دُونَ شَيْءٍ فَقَالُوا: وَلَا
 يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْلُومِهِ. وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ نَفْسُ الْعِلْمِ جِنْسٌ يُحِيطُونَ مِنْهُ بِمَا
 شَاءَ وَسَائِرُهُ لَا يُحِيطُونَ بِهِ. وَقَالَ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ
 عِلْمًا﴾ وَالرَّاجِحُ مِنَ الْقَوْلَيْنِ أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وَإِذَا
 لَمْ يُحِيطُوا بِهِذَا عِلْمًا وَهُوَ بَعْضُ مَخْلُوقَاتِ الرَّبِّ فَإِنَّ لَا يُحِيطُوا عِلْمًا بِالْخَالِقِ أَوْلَى
 وَأَحْرَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ وَقَالَ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ
 رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهِمُ﴾ - الْآيَةُ فَإِذَا قِيلَ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.
 أَي لَا تُحِيطُ بِهِ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يُوصَفُ بِنَفْيِ الْإِحَاطَةِ بِهِ مَعَ إِثْبَاتِ الرَّؤْيَةِ. وَهَذَا مُمْتَنِعٌ عَلَى
 قَوْلِ هَؤُلَاءِ فَإِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بِزَعْمِهِمْ فِيمَا يَنْقَسِمُ فَيَرَى بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ. فَتَكُونُ هُنَاكَ
 رُؤْيَةٌ بِلا إِدْرَاكِ وَإِحَاطَةٌ وَعِنْدَهُمْ لَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَرَى إِلَّا رُؤْيَةٌ وَاحِدَةٌ مُتَمَاثِلَةٌ كَمَا يَقُولُونَهُ
 فِي كَلَامِهِ: إِنَّهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَتَّبَعُ وَلَا يَتَعَدَّدُ. وَفِي الْإِيمَانِ بِهِ. إِنَّهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَقْبَلُ
 الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَانَ. وَأَمَّا الإِدْرَاكُ وَالْإِحَاطَةُ الزَّائِدُ عَلَى مُطْلَقِ الرَّؤْيَةِ فَلَيْسَ انْتِفَاؤُهُ لِعَظَمَةِ
 الرَّبِّ عِنْدَهُمْ بَلْ لِأَنَّ ذَاتَهُ لَا تَقْبَلُ ذَاكَ كَمَا قَالَتِ الْمُعْتَزَلَةُ: إِنَّهَا لَا تَقْبَلُ الرَّؤْيَةَ. وَأَيْضًا فَهُمْ
 وَالْمُعْتَزَلَةُ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا لِلْأَبْصَارِ إِدْرَاكًا غَيْرَ الرَّؤْيَةِ. سِوَاءِ أُثْبِتَتِ الرَّؤْيَةُ أَوْ نَفِيَتْ.
 فَإِنَّ هَذَا يُبْطِلُ قَوْلَ الْمُعْتَزَلَةِ بِنَفْيِ الرَّؤْيَةِ وَيُبْطِلُ قَوْلَ هَؤُلَاءِ بِإِثْبَاتِ رُؤْيَةٍ بِلا مُعَايَنَةٍ
 وَمُوَاجَهَةٍ. اهـ





فصل رؤية الله في المنام

تقدم الحديث الذي يدل على أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى ربه رؤية منام، وفيه: «رأيت ربي في أحسن صورة».

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في «المجموع» (٢٥١/٥): وَمَنْ رَأَى اللَّهَ عَزَّجَلَّ فِي الْمَنَامِ فَإِنَّهُ يَرَاهُ فِي صُورَةٍ مِنَ الصُّورِ بِحَسَبِ حَالِ الرَّائِي إِنْ كَانَ صَالِحًا رَأَهُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ؛ وَلِهَذَا رَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ. اهـ

وقال رحمه الله (٣٩٠/٣): وَقَدْ يَرَى الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ فِي الْمَنَامِ فِي صُورٍ مُتَنَوِّعَةٍ عَلَى قَدْرِ إِيْمَانِهِ وَيَقِينِهِ؛ فَإِذَا كَانَ إِيْمَانُهُ صَحِيحًا لَمْ يَرَهُ إِلَّا فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ، وَإِذَا كَانَ فِي إِيْمَانِهِ نَقْصٌ رَأَى مَا يُشْبِهُ إِيْمَانَهُ وَرُؤْيَا الْمَنَامِ لَهَا حُكْمٌ غَيْرُ رُؤْيَا الْحَقِيقَةِ فِي الْيَقِظَةِ وَلَهَا، تَعْبِيرٌ وَتَأْوِيلٌ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ لِلْحَقَائِقِ. اهـ

وقد جاء عن بعض السلف رضوان الله عليهم ومن غيرهم، وقد سمعت شيخنا مقبلاً رحمه الله سئل عن الرؤية المنامية، فذكر أن الشيخ ابن باز رحمه الله يقول بها. مع الحذر من التكيف والتمثيل والتشبيه، وعلى ما تقدم بيانه أن الرؤية تكون بحسب حال الرائي والله أعلم.

وقال الحافظ في «فتح الباري» (٣٨٨-٣٨٧/١٢): جَوَّزَ أَهْلُ التَّعْبِيرِ رُؤْيَا الْبَارِي عَزَّجَلَّ فِي الْمَنَامِ مُطْلَقًا وَلَمْ يُجْرُوا فِيهَا الْخِلَافَ فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَجَابَ بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ بِأُمُورٍ قَابِلَةٍ لِلتَّأْوِيلِ فِي جَمِيعِ وُجُوهِهَا، فَتَارَةً يُعْبَرُ بِالسُّلْطَانِ، وَتَارَةً بِالْوَالِدِ، وَتَارَةً بِالسَّيِّدِ، وَتَارَةً بِالرَّئِيسِ فِي أَيِّ فَنٍّ كَانَ فَلَمَّا كَانَ الْوُقُوفُ عَلَى حَقِيقَةِ ذَاتِهِ مُمْتَنِعًا وَجَمِيعٌ مَنْ يُعْبَرُ بِهِ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ، كَانَتْ رُؤْيَاهُ تَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ دَائِمًا بِخِلَافِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا رَوَى عَلَى صِفَتِهِ الْمُتَّفِقِ عَلَيْهَا وَهُوَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْكَذِبُ كَانَتْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ حَقًّا مَحْضًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ.



وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: لَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: رَأَيْتُ، أَنَّهُ رَأَى جِسْمِي وَبَدَنِي، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُ رَأَى مِثَالًا صَارَ ذَلِكَ الْمِثَالُ آلَةً يَتَأَدَّى بِهَا الْمَعْنَى الَّذِي فِي نَفْسِي إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فَسَيَّرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَرَى جِسْمِي وَبَدَنِي، قَالَ: وَالآلَةُ تَارَةٌ تَكُونُ حَقِيقِيَّةً وَتَارَةٌ تَكُونُ خَيَالِيَّةً وَالنَّفْسُ غَيْرُ الْمِثَالِ الْمُتَخَيَّلِ فَمَا رَأَهُ مِنَ الشَّكْلِ لَيْسَ هُوَ رُوحَ الْمُصْطَفَى وَلَا شَخْصَهُ بَلْ هُوَ مِثَالٌ لَهُ عَلَى التَّحْقِيقِ قَالَ وَمِثْلُ ذَلِكَ مَنْ يَرَى اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْمَنَامِ** فَإِنَّ ذَاتَهُ مُنَزَّهَةٌ عَنِ الشَّكْلِ وَالصُّورَةِ وَلَكِنْ تَنْتَهِي تَعْرِيفَاتُهُ إِلَى الْعَبْدِ بِوَاسِطَةِ مِثَالٍ مَحْسُوسٍ مِنْ نُورٍ أَوْ غَيْرِهِ وَيَكُونُ ذَلِكَ الْمِثَالُ حَقًّا فِي كَوْنِهِ وَوَاسِطَةً فِي التَّعْرِيفِ فَيَقُولُ الرَّائِي رَأَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى فِي الْمَنَامِ لَا يَعْنِي أَنِّي رَأَيْتُ ذَاتَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا يَقُولُ فِي حَقِّ غَيْرِهِ. اهـ

وأحببت أن أضيف هنا أبيات ابن القيم في هذا الباب من قصيدته «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية».

قال رحمه الله: فصل: في رؤية أهل الجنة ربهم **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ونظرهم إلى

وجهه الكريم:

نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ ❀❀	وَيَرُونَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ
يُنْكِرُهُ إِلَّا فَاسِدَ الْإِيمَانِ ❀❀	هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ
رِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ ❀❀	وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَضْرِيحًا وَتَع
تَفْسِيرَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ ❀❀	وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسٍ
يُرَوِّي صُهَيْبٌ ذَا بِلَا كَيْمَانِ ❀❀	وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِصَحِيحِهِ
بَكْرٍ هُوَ الصَّادِقُ ذُو الْإِنْقَانِ ❀❀	وَهُوَ الْمَزِيدُ كَذَلِكَ فَسَّرَهُ أَبُو
هُمُ بَعْدَهُمْ تَبَعِيَّةَ الْأَحْسَانِ ❀❀	وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ وَتَابِعُوا



وَلَقَدْ أَتَىٰ ذِكْرُ اللَّقَاءِ لِرَبِّنَا الرَّ	❀❀	حُمِنَ فِي سُوْرٍ مِّنَ الْقُرْآنِ
وَلَقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رُوِيَتْهُ حَكَىٰ أَلْ	❀❀	إِجْمَاعٍ فِيهِ جَمَاعَةٌ بَيَّانٍ
وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ	❀❀	لُغَةٌ وَعُرْفًا لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ
هَذَا وَيَكْفِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ	❀❀	وَصَفَ الْوُجُوْهُ بِنَضْرَةٍ بِجَنَانٍ
وَأَعَادَ أَيُّضًا وَصَفَهَا نَظْرًا وَذَا	❀❀	لَا شَكَّ فِيهِمْ رُؤْيَا بَيَّانٍ
وَأَدَّتْ أَدَاةُ "إِلَى" لِرَفْعِ الْوَهْمِ مِنْ	❀❀	فَكَبَّرَ كَذَلِكَ تَرْتُقُبُ الْإِنْسَانَ
وَأَضَافَهُ لِمَحَلِّ رُؤْيِيهِمْ بِذِكْرِ الْو	❀❀	جْهِ إِذْ قَامَتْ بِهِ الْعَيْنَانِ
تَاللَّهِ مَا هَذَا بِفِكْرٍ وَأَنْتَظَا	❀❀	رِ مُغَيَّبٍ أَوْ رُؤْيَا بِجَنَانٍ
مَا فِي الْجَنَانِ مِنْ أَنْتَظَارٍ مُؤَلِّمٍ	❀❀	وَاللَّفْظُ يَا بَاهُ لِذِي الْعُرْفَانِ
لَا تُفْسِدُوا لَفْظَ الْكِتَابِ فَلَيْسَ فِي	❀❀	هِ حِيلَةٌ يَا فِرْقَةَ الرَّوْعَانِ
مَا فَوْقَ ذَا التَّصْرِيحِ شَيْءٌ مَا الَّذِي	❀❀	يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ؟
لَوْ قَالَ أَبَيَّنَ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمْ	❀❀	هُوَ مُجْمَلٌ مَا فِيهِ مِنْ تَبْيَانٍ
وَلَقَدْ أَتَىٰ فِي سُورَةِ التَّطْفِيفِ أَنَّ م	❀❀	الْقَوْمَ قَدْ حُجِبُوا عَنِ الرَّحْمَنِ
فَيَدُلُّ بِالْمَفْهُومِ أَنَّ الْمُؤْمِنِي	❀❀	نَ يَرَوْنَهُ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
وَبِذَا اسْتَدَلَّ الشَّافِعِي وَأَحْمَدُ	❀❀	وَسِوَاهُمَا مِنْ عَالِمِي الْأَزْمَانِ
وَأَتَىٰ بِذَا الْمَفْهُومِ تَصْرِيحًا بَأ	❀❀	خِرْهَا فَلَا تُخْدَعُ عَنِ الْقُرْآنِ
وَأَتَىٰ بِذَاكَ مُكَدِّبًا لِلْكَافِرِي	❀❀	نَ السَّاخِرِينَ بِشَيْعَةِ الرَّحْمَنِ
صَحِّحُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ كَمَا	❀❀	صَحِّحُوا هُمْ مِنْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ
وَأَنَابَهُمْ نَظْرًا إِلَيْهِ ضِدَّ مَا	❀❀	قَدْ قَالَهُ فِيهِمْ أَوْلُو الْكُفْرَانِ



فَلِذَلِكَ فَسَّرَهَا الْأُمَّةُ أَنَّهُ ❀❀
 نَظَرُوا إِلَى الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ ❀❀
 لِّلَّهِ ذَاكَ الْفَهْمُ يُؤْتِيهِ الَّذِي ❀❀
 هُوَ أَهْلُهُ مَنْ جَادَ بِالْإِحْسَانِ ❀❀
 وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ مُسْنِدًا عَنْ جَابِرِ ❀❀
 بَيْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ ❀❀
 وَإِذَا بِنُورٍ سَاطِعٍ قَدْ أَشْرَقَتْ ❀❀
 رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ فَرَأَوْهُ نُورًا ❀❀
 وَإِذَا بِرَبِّهِمْ تَعَالَى فَوَقَّعَهُمْ ❀❀
 قَالُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَيَرُونَهُ ❀❀
 مُصَدِّقًا ذَا "يس" قَدْ ضَمَّتْهُ عَنْ ❀❀
 مَنْ رَدَّ ذَا فَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ رَدَّم ❀❀
 فِي ذَا الْحَدِيثِ عُلُوُّهُ وَكَلَامُهُ ❀❀
 هَذِي أَصُولُ الدِّينِ فِي مَضْمُونِهِ ❀❀
 وَكَذَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ذَلِكَ أَلْ ❀❀
 فِيهِ تَجَلَّى الرَّبُّ **جَلَّ وَعَلَا** ❀❀
 وَكَذَلِكَ رُؤْيِيَّتُهُ وَتَكْلِيمُ لِمَنْ ❀❀
 فِيهِ أَصُولُ الدِّينِ أَجْمَعُهَا فَلَا ❀❀
 وَحَكَى رَسُولُ اللَّهِ فِيهِ تَجَدُّدَ أَلْ ❀❀
 إِجْمَاعِ أَهْلِ الْعَزْمِ مِنْ رَسُولِ الْإِلَهِ ❀❀
 لَا تُخَدَعَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ بِهَذِهِ أَلْ ❀❀
 آرَاءِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ الْهَدْيَانِ ❀❀



- أَصْحَابُهَا أَهْلُ التَّخْرُصِ وَالتَّنَا ❁❁ قُضِ وَالتَّهَاتُرِ قَائِلُو البُهْتَانِ
- يَكْفِيكَ أَنَّكَ لَوْ حَرَضْتَ فَلَنْ تَرَى ❁❁ فَتَيْنِ مِنْهُمْ قَطُّ تَفْقَهُانِ
- إِلَّا إِذَا مَا قَلَدُوا لِسَوَاهُمَا ❁❁ فَتَرَاهُمْ جِيلاً مِنَ العُمَيَّانِ
- وَيَقُودُهُمْ أَعْمَى يُظَنُّ كَمُبْصِرٍ ❁❁ يَا مِحْنَةَ العُمَيَّانِ خَلْفَ فُلَانِ
- هَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَمُبْصِرٌ رُشِدِهِ ❁❁ اللَّهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟
- أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِي الإِيمَانِ يُخ ❁❁ بَرُّ عَنِ مُنَادِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ؟
- يَا أَهْلَهَا لَكُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ وَع ❁❁ ذُوهُوَ مُنْجِرُهُ لَكُمْ بِضَمَانِ
- قَالُوا أَمَا بَيَّضْتَ أَوْجُهَنَا كَذَا ❁❁ أَعْمَالَنَا ثَقَلْتَ فِي المِيزَانِ
- وَكَذَلِكَ قَدْ أَدْخَلْتَنَا الجَنَّاتِ حَي ❁❁ نَ أَجْرَتَنَا حَقًّا مِنَ النَّيِّرَانِ
- فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آنَ أَنْ ❁❁ أُعْطِيكُمْوهُ بِرَحْمَتِي وَحَنَانِي
- فَيَرُونَهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ ❁❁ جَهْرًا رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِيَّانِ
- وَلَقَدْ آتَانَا فِي الصَّحِيحِينَ اللَّذِي ❁❁ نُهُمَا أَصْحُ الكُتُبِ بَعْدُ قِرَانِ
- بِرِوَايَةِ الثَّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِيرِ أَل ❁❁ بِجَلِي عَمَّنْ جَاءَ بِالقُرْآنِ
- أَنَّ العِبَادَ يَرُونَهُ سُبْحَانَهُ ❁❁ رُؤْيَا العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
- فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَتٍ فَاحْفَظُوا أَل ❁❁ بَرْدَيْنِ مَا عِشْتُمْ مَدَى الأَزْمَانِ
- وَلَقَدْ رَوَى بِضَعِ وَعِشْرُونَ امْرَأ ❁❁ مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
- أَخْبَارَ هَذَا البَابِ عَمَّنْ قَدْ أَتَى ❁❁ بِالوَحْيِ تَفْصِيلاً بِلا كِتْمَانِ
- وَأَلْذُ شَيْءٍ لِلْقُلُوبِ فَهَذِهِ أَل ❁❁ أَخْبَارُ مَعِ أمْثَالِهَا هِيَ بِهَجَّةِ الإِيمَانِ
- وَاللَّهُ لَوْلَا رُؤْيَاهُ الرَّحْمَنِ فِي أَل ❁❁ جَنَّاتِ مَا طَابَتْ لِيذِي العِرْفَانِ



أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمٌ رُؤْيَةٌ وَجْهَهُ ❀❀
 وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي الْعَذَابِ حِجَابُهُ ❀❀
 وَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُونَ نَسُوا الَّذِي ❀❀
 فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمْ عَادُوا إِلَى ❀❀
 فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ سِوَى ❀❀
 أَوْ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرَفٍ خَلَقَهُ ❀❀
 شَوْقًا إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّذِي ❀❀
 فَالشَّوْقُ لَذَّةُ رُوحِهِ فِي هَذِهِ الدِّ ❀❀
 تَلْتَذُّ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ ❀❀
 وَاللَّهُ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلَذُّ ❀❀
 وَكَذَلِكَ رُؤْيَةُ وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ ❀❀
 لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يُنْكِرُ ذَا وَذَا ❀❀
 تَبَّالَهُ الْمُخْدُوعُ أَنْكَرَ وَجْهَهُ ❀❀
 وَكَلَامَهُ وَصِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ ❀❀
 فَتَرَاهُ فِي وَادٍ وَرُسُلُ اللَّهِ فِي ❀❀

وَخَطَابِهِ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 سُبْحَانَهُ عَنِ سَاكِنِي النَّيِّرَانِ
 هُمْ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ الْعَيْنَانِ
 لَدَاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
 هَذَا النَّعِيمُ فَحَبَّبَ الْأَمْرَانَ
 بِجَلَالَةِ الْمُبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
 لِحَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
 نِيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأُبْدَانِ
 دُونَ الْجَوَارِحِ هَذِهِ الْعَيْنَانِ
 مِنْ أَشْتِيَاقِ الْعَبْدِ لِلرَّحْمَنِ
 هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَاتِ لِلْإِنْسَانِ
 وَالْوَجْهَ أَيْضًا خَشْيَةَ الْحِذْيَانِ
 وَلِقَاءَهُ وَمَحَبَّةَ الدِّيَانِ
 وَالْعَرْشِ عَظْلَهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
 وَادٍ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرَانِ

المقالات المفيدة في التوحيد والفقة
والأخلاق والعقيدة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

أما بعد:

فقد منَّ الله **عَزَّجَلَّ** عليَّ بإلقاء بعض النصائح للمسلمين في شهر رمضان من عام (١٤٣٩هـ) ثم فرغها بعض المحتسبين جزاه الله خيراً ونفع به، فرأيت أن أجهزها للطباعة لعل الله أن ينفع بها أكثر وأسميتها **(المقالات المفيدة في التوحيد والفقه والاخلاق والعقيدة)**.

وكتبه:

عبد الحميد بن يحيى الحجوري الزعكري
١٧ / شوال / ١٤٣٩





١- (النصيحة الهندية بملازمة توحيد رب البرية)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

في هذا اليوم السابع والعشرين من جماد الآخر لعام (١٤٣٩هـ) تلبيةً لطلب أخينا أبي داود الهندي حفظه الله وأصلح ذريته بكلمة مختصرة فيها الحث على التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد، أقول مستعيناً بالله **عزَّجَلَّ**:

إن الله **عزَّجَلَّ** خلق عباده لتوحيده فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وأرسل الرسل من أجل توحيده قال الله **عزَّجَلَّ**: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وقال الله **عزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

وأزل كتابه لذلك فقال الله **عزَّجَلَّ**: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، وأعظم القسط أن يوحد الله **عزَّجَلَّ** وأن يفرد بما هو له تعالى في ربوبيته وألوهيته واسمائه وصفاته، وخلق الجنة وأعداها للموحدين قال **صلى الله عليه وسلم** كما في حديث عثمان - **رضي الله عنه** - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - **صلى الله عليه وسلم** - «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». رواه مسلم.

وخلق النار وأعداها للمشركين فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، وقال الله **عزَّجَلَّ**: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.



أمره بعبادته وحذر من الشرك فقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، في آيات غيرها يحث الله **عَزَّجَلَّ** على التوحيد ويحذر من الشرك والتنديد، فمن آمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رسولًا ونبيًا واستقام على هذا الإيمان ظاهرًا وباطنًا فهو المسلم حقًا وهو الذي يذوق طعم الإيمان وحلاوته.

أما من أشرك وندد فإنه على خطر عظيم وذنوب جسيم قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في حديث عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في الصحيحين قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله نداءً وهو خَلْقَكَ»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله **عَزَّجَلَّ** تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، وفي رواية: قال عبدالله بن مسعود: سألت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**..

وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في حديث عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أيضا في الصحيحين قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ». والشرك لا يغفره الله وأعظم حسنة حسنة التوحيد لا يبطلها شيء من الأعمال إلا الشرك وإلا فهي محفوظة للعبد يجدها في حال الحاجة إليها يدخله الله **عَزَّجَلَّ** ويكرمه بها الجزاء الأوفى؛ كما في حديث البطاقة الذي أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي يقول: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كِتَابِي



الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُدْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَّلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قَالَ: "فَتَوَضَّعَ السَّجَّلَاتُ فِي كَفَّةِ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَّلَاتُ وَتَقَلَّتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقَلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ".

والشرك قد تنوعت طرقه وأساليبه ليس فقط ما عليه اليهود والنصارى والبوذيون والهندوس ومن جرى مجراهم، وقع فيه كثير ممن يقول: لا إله إلا الله؛ لأنه ما علم معنى لا إله إلا الله وما استقام على معنى: (لا إله إلا الله) وإنما قالها بلسانه وأعرض عنها بقلبه وجوارحه فلم تكن نافعة له، فقد قالها المنافقون ولم تنفعهم، بل إنهم في الدرك الأسفل من النار.

ومعنى: (لا إله إلا الله): لا معبود بحق إلا الله، قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

ومعناه: الكفر بالطاغوت، والبعد عن كل ما يناقض التوحيد، كما قال الله عز وجل: ﴿مَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ومن الشرك المنتشر في بلاد الإسلام ويظنه أهله تعظيمًا للأولياء وإنزالهم المنازل التي أنزلهم الله هو: ما يقوم به الكثير من دعاءهم، والنذر لهم، والذبح لهم، والطوف في قبورهم، والخوف منهم، والتوكل عليهم، والرهبنة والرغبة والاعتماد والحلف بهم إلى غير ذلك من مما يتعاطاه عباد القبور الذين بنو عليها القباب وزخرفوها وشيدوها وجعلوا لها المواسم لزيارتها والطواف بها، ونذروا لها النذور وذبحوا بساحاتها الجزور، فظهر شرك عميم وشر مستطير في كثير من بلاد الإسلام، فإذا ما أنكر عليهم أحد هذا الشرك الذي وقعوا فيه، والذي لو خرج رسول الله



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقاتلهم عليه وإذا بهم يهتمونه بالتشدد أو التنطع أو غير ذلك وعدم تعظم الأولياء.

فالتوحيد شأنه عظيم، وهو: أن تعبد الله مخلصاً له الدين لا تشرك معه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا، فحقه خاص به وفي حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - في الصحيحين قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ: يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرُهُمْ. فَيَتَكَلَّمُوا».

فلا تشرك به في قولك، ولا فعلك، ولا اعتقادك؛ فإن الشرك يقع بها جميعاً كما أن الإيمان والطاعة تقع بها جميعاً فطاعة القلب الإخلاص والتوكل والإنابة والخشية والرغبة والرغبة من الله، ومعصية القلب وشركه، كالخوف من غير الله كخوف عبادة والمحبة لغير الله محبة عبادة، وكذلك التوكل والاعتماد على غير الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي** جلب المنافع ودفع المضار.

والشرك باللسان كدعاء المقبورين يا عبد القادر، يا جيلاني، يا عيد روس، يا محمد، يا علي إلى غير ذلك من الأدعية ومثله الحلف بمحمد وعلي وعبد القادر ونحو ذلك.

فهذه من الأمور التي حرمها الله **عَزَّجَلَّ**؛ لأنها شرك عظيم ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلْبَنَ وَابْتَعَى الْبَغْيَ الْأَحْقَى وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلَّ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ﴾.



والمشرك مخلد في نار جهنم وليس بنافعه قول: (لا اله إلا الله) إذ لم يعمل بمقتضاها ويحقق معناها، فقد فهمها المشركون الأولون وأبو أن يقولها، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وقالها المشركون المتأخرون وناقضوها فهم يقولون في أذانتهم: أشهد أن لا اله إلا الله، ويقولون ذلك في أذكارهم ولكن الواقع أنهم يخالفونها قولاً وفعلاً واعتقاداً، أو ببعضها ومن كان هذا حاله فيجب عليه التوبة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ﴾.

ومن لم يكن هذا حاله كان من الموحدين عليه أن يحمد الله **عَزَّوَجَلَّ** على نعمة الإسلام والاستقامة والسنة فإن كثيراً من الناس زلت بهم الأقدام وزلقت بهم الإقدام بسبب الجهل بالتوحيد وعدم معرفة الشرك والتنديد، فالواجب على المسلم: إن يتعلم العلم الشرعي وأن يعلم غيره:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ❀❀ ومن لم يعلم الشر من الخير يقع فيه أسأل الله الهداية للمسلمين، وأن يجنبنا طرق الغواية، وعلينا أن نهتم بعلم التوحيد وتعليمه، ولا يكون حالنا كحال الحزبيين ومن إليهم الذين يزهدون في هذا الجانب ويقول بعضهم: التوحيد يمكن أن يعرف ويعلم بمجلس أو بربع ساعة!!، التوحيد دعا إليه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** منذ بعثه الله وحتى قبضه الله؛ فهو أول الأمر؛ ففي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». رواه البخاري ومسلم

وهو آخر الأمر؛ كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَقِنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». أخرجه مسلم



لكن تقدم معنا: أن لا اله إلا الله معناها: لا معبود بحق إلا الله؛ فحبك وندرك ودعاءك يجب أن يكون لله، كما أن الصلاة والصيام يجب أن تكون لله ولا تطف بقبر ولا تدعو ولا تتمسح بترربة الموتى فهم فقراء إلى الله عاجزون عن النفع والضرر، قال تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الأحقاف: ٤]

وقال تعالى ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَاهِرٌ﴾ [سبأ: ٢٢]

ففي هذه الآية: بيان عجز الأصنام والانداد عن النفع والضرر من جميع الجهات.





٢- فائدة عن استقبال شهر رمضان

كثير من الناس يتسألون، ويتراسلون فيما يستقبل به رمضان، وأحسن ما يستقبل به رمضان؛ العلم لمن كان جاهلاً بأحكام الصيام، فينبغي له أن يتعلم كيف يصوم كما صام رسول الله صلى عليه وسلم، فإن أفضل الأعمال العمل الذي يكون خالصاً لله، وعلى طريقة رسول الله صلى عليه وسلم.

ومن جهل شيئاً عاداه، فكثير من الناس يتنكر للسنن التي في رمضان بسبب جهله، فيرى تأخير الفطور مع أن السنة التعجيل، ويرى تعجيل السحور مع أن السنة التأخير، وربما رأى عدم جواز السوك في نهار رمضان، أو بعد الظهر من رمضان. فمن أراد أن يستقبل الشهر استقبالاً صحيحاً، فليتعلم كيف كان يصوم النبي صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثاني: التوبة، والإستغفار، فإن الذي يثقل الإنسان عن طاعة الله عز وجل ويفتره الذنوب والمعاصي، فإنها ثقيلة على القلب، والبدن، ويعجز الصحيح عن كثير من العمل الصالح، فلا أفضل من التوبة إلى الله عز وجل والأستغفار، قال الله عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦١﴾﴾، وقال تعالى ﴿وَأِنِّي لَفَقِيرٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أِهْتَدَى ﴿٨٢﴾﴾.

فالفلاح بالتوبة إلى الله عز وجل، فلنستغفر من ذنوبنا، ولتتحلل من مظالمنا، ونرجع إلى ربنا فإنه هو التواب، فإذا فعلنا ذلك انشرح الصدر، وتيسرت العبادة، وقوي البدن.

وقال تعالى: ﴿وَيَقَوْمٌ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٥٢﴾﴾، ويضاف إلى ذلك الاستعانة بذكر الله. الإكثار من ذكر الله ويزدكم قوه إلى قوتهم، قال تعالى ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴿١﴾﴾، فكلما ذكر العبد ربه اطمئن قلبه،



وازداد إيمانه، وعلت درجته، وحصل له الخير العظيم، وذكره الله فيمن عنده،
والحمد لله رب العالمين.





٣ - فائدة عن حديث: (إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصعدت الشياطين)

حديث: «إذا جاء رمضان فُتِحَتْ أبواب الجنة، وُعُلِّقَتْ أبواب النار، وصُفِّدَتْ الشياطين»، أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قد يقول قائل: نحن نرى أن كثيراً من الشرور تقع في رمضان، إذن الشياطين موجودة تفرق بين الناس، وتحرش بينهم، كما قال النبي الله صلى عليه وسلم: «**إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**». أخرجه مسلم؟

فكان الجواب: أن التي تصفد هي مردة الجن، والحديث على ظاهره، ويبقى مما يأزعل المعاصي النفس الأمارة بالسوء، القرين، وعوام الشياطين، وشياطين الإنس، فلذلك تجد كثيراً من الشرور في رمضان، نسأل الله السلامة والعافية. لكن الواقع أن الخير يكثر في رمضان، ويقبل الناس على العبادة، حتى تارك الصلاة تراه يهرع إلى المسجد للصلاة، والمضيع لكثير من الحقوق، تراه يبادر إلى أداء الحقوق، ويجد الإنسان انشراح في الصدر، وطمانينة في القلب، وتلذذ بالعبادة. فهو شهر مبارك.





٤- الوصية من الشيخ لاغتنام شهر رمضان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، سأل الله **عَزَّوَجَلَّ** بفضله، وكرمه، وجوده، كما بلغنا هذا الشهر أن يعيننا على الصيام، والقيام، وأن يرزقنا الإخلاص في سائر الأعمال.

والوصية لنفسي أولاً، ثم لكم: بغتنام هذا الشهر بقراءة القرآن، والتوبة، والأستغفار، والأكثر من ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ**، والإكثار من أوجه الخير من؛ بذل، أو نفقة، أو غير ذلك.

فإن هذا شهر عظيم، وشهر مبارك، وشهر كريم اختصه الله **عَزَّوَجَلَّ** بإنزال الكتاب، واختصه الله **عَزَّوَجَلَّ** بفرض الصيام فيه، واختصه الله **عَزَّوَجَلَّ** بالعشر الأواخر منه؛ التي هي أفضل ليالي العام، واختصه الله **عَزَّوَجَلَّ** بليلة القدر؛ التي هي خير من ألف شهر: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾.

وأصح كل مسلم: أن لا يفرط في قيام ليلة من لياليه لقول النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه». متفق عليه عن أبي هريره **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

ولو أن يصلي ركعة، وأكمله إحدى عشر ركعة، وأكمله أن يقوم في الثلث الأخير من الليل، وأكمله أن يكثر من قراءة القرآن فيه، إلا إذا صلى التراويح فإن وقتها المختار بعد صلاة العشاء مباشرة.

وأصح كل مسلم: أن لا يفوته العشر الأواخر من رمضان؛ فإنها عشر قليلات معدودات، وإن أعان الله على صيامها، وقيامها، وتقبلها، صار صاحبها من السعداء عند الله **عَزَّوَجَلَّ**.



وأنصح كل مسلم: بصيام هذا الشهر كما أمر الله، وكما قال رسول الله صلى عليه وسلم: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه».

والإكثار من الدعاء بالثبات على دين الله، والتمسك بسنة رسول الله صلى عليه وسلم، والإكثار من الدعاء في إصلاح الراعي، والرعية، والإكثار من الدعاء بأن يدمر الله عزَّ وجلَّ على الكافرين، وأن يلعنهم، ويبعدهم، ويكفي المسلمين شرهم، وهي أيام معدودات يمضي الشهر من حيث لا نشعر، والله الموفق.





٥ - فائدة عن حديث عند الترمذي وغيره: (إذا كان أول ليلة من رمضان)

أخرج الإمام الترمذي في جامعه، وجاء عند غيره من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان: صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتِ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ».

هذا الحديث عباد الله فيه: بيان من رسول الله صلى عليه وسلم لعظم هذا الشهر، ومنزلته بين المسلمين، كما أنه عظيم عند الله **عَزَّ وَجَلَّ** إذا أنه يصفد الشياطين وهم مردة الجن

وقيل: يصفد العتاه منهم، وليس كل الشياطين، وقيل بأنه يصفدهم ويبقى الشيطان الأكبر؛ لأن الله قد وعده بالنظرة إلى يوم الدين.

والذي نهتم به: أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** يصفد الشياطين، ونرى ذلك في أنفسنا، فتسهل عندنا العبادات، ويسهل عندنا الطاعات، ويحب المسلم القربات.

انظر إلى نفسك يا عبد الله ربما قبل أيام ما تستطيع أن تدخل المسجد ربما تكون مشغولاً بدنياً، أو كسل عن طاعة، وهذه الأيام سبحانه الله يجد الإنسان من نفسه نشاطاً، وقوة، وراحة، وطمأنينة.

ثم إن الصلاة أخف من الصيام في شأن المشقة، ومع ذلك تجد كثير من الناس يضعفون عنها، ويفرطون فيها؛ بسبب تسلط الشياطين عليهم، فإذا جاء رمضان صاموا، وصلوا، وقاموا، وبادروا إلى الطاعات، وهذا يدل دلالة واضحة أن الشياطين تصفد، ولم يبق إلا من كانت نفسه خبيثة من الداخل لا يستجيب.



وإلا إذا صفدت الشياطين أقبل المسلمون على طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** رجالاً، ونساءً، وصغاراً وكباراً.

حتى أننا نرى صغار السن يصومون، وفي الأيام العادية تقول له يا ولد صل يشرد منك هنا.

وفي هذه الأيام تقول له يا أبنني أخشى عليك من الجوع قال لا أنا سأصوم يا أبنني أرقد قال: لا أنا سأسهر وأصلي معكم؛ لأن الشياطين التي تثبط الإنسان عن الطاعة مقيدة بأمر الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وفيه أيضاً: أن أبواب النار تغلق، سبحانه الله بركة عظيمة تغلق أبواب النار، وطرق النار، ومداخل النار على المسلمين، فعند ذلك يجد المسلمون طريق الجنة مفتوح فيسلكونه، وتفتح أبواب الجنة فلا يبقى منها باب مغلقاً.

فالبدار البدار، ولهذا قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في نفس الحديث بعد أن ذكر تصفيد الشياطين، وأغلاق أبواب النار، وتفتيح أبواب الجنة، فينادي منادي الله أعلم ملك من ملائكة الله، أو كما أراد الله: «يا باغي الخير أقبل»؛ أي يا مريد الخير أقبل على الطاعة، وأقبل على ما يحب الله **عَزَّوَجَلَّ** أقرأ القرآن، أعمل بالسنة، حافظ على الصلوات، «يا باغي الخير أقبل»؛ يا مريد الخير لنفسك، ولزوجك، ولأبنك يا مريد الخير في الدنيا والآخرة أقبل على طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ**.

«ويا باغي الشر أقصر»؛ يا من أنت تريد الشر وترغب فيه قصر على نفسك، وابتعد عن هذا الفعل القبيح الذي سيفسد عليك الدنيا والآخرة، نسأل الله السلامة.

انظروا إلى هذا الترغيب من الله الغني الحميد، الله الذي لو اجتمع من في السموات والأرض على الكفر ما ضره، ولو اجتمع من في السموات والأرض على الطاعة ما زادوه، وهو الغني الحميد.



كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: «يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً فلا تظالموا، يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أباي فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي! كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمت فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! لم يبلغ ضرركم أن تضروني ولم يبلغ نفعكم أن تنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم اجتمعوا وكانوا على أفجر قلب رجلٍ منكم لم ينقص ذلك من ملكي مثقال ذرة، ويا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم اجتمعوا في صعيدٍ واحد فسألوني جميعاً فأعطيْتُ كل إنسانٍ منهم مسأله لم ينقص ذلك ممَّا عندي إلا كما ينقص المخيض إذا غمس في البحر، يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ إليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه».

الله غني حميد، ومع ذلك يقول لك: «يا باغي الخير أقبل»؛ من أجل نفسك لا من أجله فاشتر نفسك من الله، «ويا باغي الشر أقصر» من أجل نفسك، والله عتقاء من النار كل ليلة.

أيها المسلم نحن نعرف أن الله عتقاء ونؤمن بذلك كإيماننا بأن دون اليوم أمس؛ لأن خبر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** صدق، ووعده حق، لكن هل علمنا أن الله قد أعتقنا؟ ما علمنا بذلك.

إذاً لماذا لا نبادر إلى الطاعة، والقربه حتى نكون من العتقاء.

انظر كم يفرح العبد إذا أعتقه سيده وهو في أمر دنيا، فكيف إذا علمنا أن الله أعتقنا من النار، وأن الله وعدنا الجنة كيف ستكون السعادة، والطمأنينة والراحة؟.



فيا أيها المسلم بادر وشمر إلى الله، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، توفى كل نفس ما كسبت من خير وتوفاه مضاعف، ومن شر توفاه بغير ظلم.

قيل: أن هذه الآية أخوف آية في القرآن: اتقوا أيها الناس جميعًا يومًا، وهو يوم القيامة، ترجعون فيه إلى الله رجالًا، ونساءً وصغارًا، وكبارًا، حفاةً، عراةً، غرلاً بهما؛ ليس معك شيء، عراة؛ ليس عليك ثياب، غرلاً؛ كما خرجت من بطن أمك ما قد خنت.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾: رجوع الأرواح والابدان حفيفة.

﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: أي تجازي على عملك من خير أو شر.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** ليس بضلام للعبيد، قال تعالى ﴿وَلَا يَظِلُّ

رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، والحمد لله.





٦ - فائدة عن حديث عند مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي

جاء من حديث معاوية بن الحكم السلمي عن الإمام مسلم قال: بَيْنَا أَنَا أَصْلِي
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي
الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاتَّكَلْ أُمَّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ
بِأَيْدِيهِمْ عَلَيَّ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لِكِنِّي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ،
مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ
النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثٌ عَهْدٌ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا
يَأْتُونَ الْكُفَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتِهِمْ» قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَنْطَبِرُونَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ
فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدُّنَهُمْ - قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ: فَلَا يَصُدُّنَكُمْ -» قَالَ قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ
يَخْطُونَ، قَالَ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخْطُ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَلِكَ» قَالَ: وَكَانَتْ لِي
جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ، فَاطَّلَعَتْ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ
بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ، لِكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً،
فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ:
«اَتَّبِعِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ:
أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْتِقُهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».



الحديث فيه فوائد عظيمة أولى هذه الفوائد:

أن الإنسان يراقب نفسه مع غيره فهذا رجل ضرب جاريته على امرٍ ربما أنها غفلت عن الغنم فجاء الذئب فأخذ الغنمة، لكن مع ذلك أراد أن يتحلل من هذه الصكة لعله كان ظالم فيها، أو لعله تجاوز الحد فيها، فذهب إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** يستفتيه في ذلك، فأمره النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يأتيه بها.

وهذا أيضاً من حكمة النبي **صلى الله عليه وسلم** لم يأمره بعاقبها مباشرة بل أراد أن يختبرها، هل هي من ذوي العقول التي يرجى نفعها إذا عتقت، ويرجى خيرها، وإقبالها على الله **عز وجل**؟.

فجئى بها إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** فسألها سؤالاً يجعله كثيراً من المسلمين الآن، قال لها أين الله وكثير من الناس الآن إذا قلت له أين الله؟ قال: الله في كل مكان، وربما غضب من هذا السؤال.

والصحيح: أن لا غضب، هذا السؤال قد وجهه النبي **صلى الله عليه وسلم** إلى صحابية، وما وجهه إلى لأهميته، فالنبي **صلى الله عليه وسلم** كان يفعل الأمر، أو يسأل عنه تعليماً لأمته فقال لها: «**أين الله؟**»، قالت: في السماء.

ومعنى: في السماء في لغة العرب: في السماء بمعنى على السماء.

والدليل على هذا القول: أن الله **عز وجل** يقول لنا: ﴿**قَامَشُوا فِي مَنَابِهَا وَكَلُوا مِنْ رِزْقِهِ**﴾، والذي يمشي في الأرض يمشي عليها، وقال الله **عز وجل** أيضاً في شأن فرعون: ﴿**وَأَصْلَبْنَاكَ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ**﴾، أي: على جذوع النخل؛ إذن فمعنى قولنا: الله في السماء، أي: أنه على السماء استوى على عرشه، كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾، وكما قال: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾، والاستواء هو: العلو والارتفاع.



والنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مِّنَ فِي السَّمَاءِ». متفق عليه عن أبي سعيد **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، ويقول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ازْحَمُوا مِن فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنَ فِي السَّمَاءِ».

وقد أخبر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن ليلة أسري به: أنه عرج به إلى السماء إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام؛ كما في حديث ابن عباس وأبي حبة الانصاري، ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.

ونحن نقول في السجود كما قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «سبحان ربي الأعلى»، وكم هي الأدلة التي تدل على أن الله **عَزَّوَجَلَّ** في السماء؛ أي: على السماء على عرشه، وعرشه سقف الجنة.

وجاء في حديث أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ يُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». أخرجه البخاري.

فالله **عَزَّوَجَلَّ** على عرشه تنزه أن يكون في كل مكان؛ لأنه لو كان في كل مكان للزم أن يقع فيه القاذورات، والمستقبحات، وأن يكون في السفلى، والسفل وصف ذميم، فالله في العلو، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، فله علو القدر والقهر وعلو الذات.

وقال الله عز وجل في شأن عيسى **عَلَيْهِ السَّلَام**: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

فكل هذه الأدلة تدل على أن الله في السماء على عرشه، ثم قال لها النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، هذا اختبار بالنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فإنه



لا يتم الإيمان إلا بالإقرار لله **عَزَّوَجَلَّ** بالوحدانية، والإقرار لمحمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالرسالة.

فعند ذلك قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أعتقها أمره بعناقها إحساناً إليها، وتكفيراً لصكتها؛ لأن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «مَنْ ضَرَبَ مَمْلُوكَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَ وَجْهَهُ، وَفِي لَفْظٍ: مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ أَوْ ضَرَبَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ».

وفي هذا الحديث: المجازاة على العمل الصالح انظر هذه المرأة لما أجابت بهذا الجواب الموافق لشرع الله، وسنة رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أمر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعناقها.

فعلينا عباد الله أن نسمع الأحاديث النبوية، ونتدبر المعاني الإيمانية التي تدل عليها، ونعتقد ما دلت عليه، نعتقد بأن الله يُرى يوم القيامة يراه المؤمنون؛ كما قال تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١٣٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١٣٣﴾﴾.

ونعتقد: أن الله **عَزَّوَجَلَّ** على عرشه مستوٍ بائن من خلقه ونعتقد أيضًا ما دل عليه الحديث، كما في الصحيحين: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -: « إِنْ اللَّهُ يُمَهِّلُ حَتَّىٰ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ هَلْ مِنْ تَائِبٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ حَتَّىٰ يَنْفَجَرَ الْفَجْرُ » متفق عليه.

فنؤمن بكل شيء أخبرنا الله به وأخبرنا به رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولنبدأ بالعقيدة، العقيدة أمرها مهم؛ لأنه إذا فسدت العقيدة فسد العمل.

انظر إلى الراضية لما فسدت عقائدهم، سبوا الصحابة، وكفروهم، وطعنوا في زوجة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، واستحلوا دماء الناس، وأعراض الناس، وفعلوا كل منكر لفساد العقيدة؛ لأن الذي عقيدته سليمة يخاف الله ويراقبه، ويخشى الله ولا يقدم على عمل إلا على وفق شرع الله.



وإن قُدر أنه أخطأ، والخطأ يقع، يتوب إلى الله تعالى، ويبادر بالتوبة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، أما فاسد العقيدة لا يصلح معه شيء ويفسد العقيدة فساد الأخلاق، وفساد الأقوال، وفساد المعاملات.

انظر إلى الكفار لما كانت عقائدهم فاسدة كثر فيهم الزنا، والربا، والظلم، والسرقة، والبطش، إلى غير ذلك من الباطل، فكلما صلحت عقيدتك كلما زاد إيمانك وقربك من الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكلما فسدت عقيدتك كلما ضعف إيمانك وكان بُعدك عن الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وفي حديث جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا".
أخرجه ابن ماجة.

أسألك بالله ماذا يفيدك إذا كنت تصلي أو تصوم أو تحج أو تعتمر وأنت تعلق الحرز أو تأتي الساحر، والكاهن، أو تذهب عند القبر تطلب منه المرد والولد والعون، فلا ينفع صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا شيء من الطاعات والله المستعان.





٧ - (فائدة عن حديث عائشة رضي الله عنها في الدعاء عند إدراك ليلة القدر)

عن عائشة أم المؤمنين **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا** قالت: قلتُ يا رسولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قال: قولِي: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ مُجِيبُ الْعَفْوِ، فَاعْفُ عَنِّي». أخرجه الترمذي وغيره وقد أعله الدار القطني وغيره بالإرسال.

وهو حديث عظيم يدل على حرص الصحابة رضوان الله عليهم على دعاء الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لمعرفة حاجتهم إليه، فالله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿*يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْشُرَ الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾، فنحن بحاجة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** لقضاء حوائجنا، وستر عيوبنا، وتسهيل ما صعب علينا.

وفي حديث أنس عند ابن السني: «اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا».

والنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في هذا الحديث يعلم فضل الدعاء، ولذلك حثها على كلمات جامعات: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ»؛ أي: أن اسم الله العفو الذي يعفو، ويصفح، ويتجاوز عن عباده، وعفوه عنهم بستر عيوبهم، والتجاوز عن سيئاتهم، وزلاتهم. وما أعظمها من صفة، ولو آخذنا الله بذنوبنا لهلكنا، ولما بقي على الأرض من دابة.

كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾، والذي يقول: أنه ليس بمذنب فهذا القول ذنب عظيم. لأن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يروي عن ربه: «يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً. فاستغفروني أغفر لكم..».



فقوله: «اللهم إنك عفوٌ تحب العفو»: يحب العفو والصفح، ولهذا أثنى على الذي يعفي عن الناس قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، والنبى **صلى الله عليه وسلم** ما رفع إليه شيء إلا أمر به بالعفو. أخرجه البخاري عن أنس.

وكونك تختلف مع أخيك هذا يحصل، لكن تعامل مع الأمور بعفو، وصفح، وتجاوز، وهذا من التوسل المشروع حيث توسل بمحبة الله **عز وجل** للعفو على أن يعفو عنه والتوسل المشروع يكون التوسل بدعاء الرجل الصالح والتوسل بالاسماء والصفات والتوسل بالاعمال الصالحة.

قوله: «فاعفُ عني»: أي: تجاوز عني فما وقعت فيه من الخطأ والزلل. وهذا الدعاء إذ يعلم النبي **صلى الله عليه وسلم** عائشة تقوله في ليلة القدر، ليس معناه أنه مخصوص بتلك الليلة، فنحن بحاجة أن ندعو الله **عز وجل** به في جميع الأوقات، وإن استطعنا في جميع الصلوات.

والله إن كثيراً مما يلحقنا من ضيق الصدور وقلة الأرزاق وفساد الذريات، والمشاكل؛ بسبب ذنوبنا، فإذا عفا الله **عز وجل** عنا ذهب هذا كله، إلا ما كان من إبتلاء يريد الله **عز وجل** أن يرفعك به فهذا شأن آخر.

ونحن في شهر فضيل، شهر مبارك، الدعاء في مستجاب، نهاره مع الصيام وليه مع القيام فادع لنفسك وادع لزوجك، وادع لإبنك، وادع لبتتك، وادع لأخيك ولأختك، وادع لجارك، وادع لرئيسك، وادع لجميع المسلمين دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند كتفه مَلَكٌ موكل يقول آمين ولك بالمثل.

وأخرجه مسلم عن أبي الدرداء.

لكن هنا تنبيه: لا يكون نيتك بالدعاء أن يقول المَلَك آمين، هذا ما اخلص الله، وإنما دعا من أجل أن يدعو له المَلَك.



ادع لأخيك إخلاصًا لله، محبةً في الله أن يصلحه الله، أن يرزقه الله، أن يوسع الله
عَزَّوَجَلَّ عليه، عند ذلك حين يعلم الله **عَزَّوَجَلَّ** منك ذلك يوفق ذلك الملك أن يدعوك
بما دُعوتَ لأخيك المسلم.





٨ - فائدة عن حديث أبي موسى الأشعري عند مسلم: (إن الله يبسط يده)

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ. وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ. حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا.**».

في هذا الحديث إثبات صفة اليدين لله **عَزَّجَلَّ** كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، فكلتا يدي ربي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يمين كما في حديث عبدالله ابن عمر بن العاص: «**إِنَّ الْمَقْسُطِينَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا،**»، أخرجه مسلم

وفي هذا الحديث محبة الله **عَزَّجَلَّ** للتوبة حيث أنه يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل معجلاً بالتوبة ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار معجلاً بالتوبة حتى لا يقع التسويف.

فإن الله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿**وَقُورًا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (٣١)، والتوبة واجبة من كل ذنب، وأفضل التوبة، والإستغفار في الثلث الأخير من الليل؛ لأن الله **عَزَّجَلَّ** ينزل إلى السماء الدنيا نزول يليق بجلاله، قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

وكما في حديث أبي سعيد، وأبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال: رسول الله صلى عليه وسلم: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ،**»، متفق عليه.

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**﴾، وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِمَّنْ آتَى مَا يَهْجُونَ**﴾ (١٧) **وَالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** (١٨)، فوقت السحر وقت مبارك.



فينبغي لنا أن نهتم بهذا الوقت إستغفارًا ودعاءً وسؤالًا، لعل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يستجيب لنا دعوة يكون بها صلاح الحال والمآل ونزول الله **عَزَّوَجَلَّ** حقيقي، كما قال بعضهم:

أَدْعُوكَ لِلْوَصْلِ تَأْتِي ❀❀ أُبَعِّثُ رَسُولِي بِالطَّلَبِ
أَنْزِلْ إِلَيْكَ بِنَفْسِي ❀❀ أَلْقَاكَ فِي النُّوَامِ
فلا يكون الإنسان كسلاً متوانياً وربّه يدعوهُ؛ حيث يقول من يدعوني؟ من يستغفري؟ من يسألني؟ فأستجيب له فأغفر له، وأعطيه.

وقت مبارك كان النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُومُهُ بَلْ كَانَ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يوقض عائشة "قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، "يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا أَوْتَرَ، قَالَ: قُومِي فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ" أخرجهُ مسلم





٩- (حكم تناول الطعام أو الشراب مع أذان المؤذن للفجر)

* **هنا فائدة:** كثير من الأخوة يسأل: عن حكم تناول الطعام أو الشراب مع أذان المؤذن؟

وقد بوب الشيخ مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** في كتابه للجامع الصحيح باب من سمع الأذن والإناء بيده فيجوز له أن يشرب منه.

واستدل بحديث أخرجه أحمد من طريق حماد عن محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: **«إِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمْ النِّدَاءَ وَالْإِنَاءَ عَلَى يَدِهِ فَلَا يَضَعُهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ مِنْهُ»**.

وقد اختلف في هذا الحديث فوقفه بعضهم، ووصله بعضهم، وكان الشيخ مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** قد حسنه ثم تراجع عنه في أحاديث مُعَلَّة ظاهرها الصحة رقم (٤٦٦).

ونقل قول أبي حاتم هذا حديث لا يصح، فهو حديث ضعفه أبو حاتم من جهة سنده، وهو ضعيف من جهة متنه؛ فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾**، فلا يجوز الأكل، أو الشرب بعد ظهور الخيط الأبيض سواء أذن المؤذن أو لم يؤذن فمن شرب أو أكل مع أذان المؤذن إن كان يؤذن في الوقت فصيامه باطل يستأنف يوماً بدلاً عنه.

ومما يدل على نكارة هذا المتن قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«إِنَّ بِلَالَ يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُنَادِيَ ابْنَ أُمَّ مَكْتُومٍ»**. ثم قال: وكان رجلاً أعمى لا يُنَادِي حَتَّى يُقَالَ لَهُ: "أصبحت أصبحت". متفق عليه.

معناه: أنه إذا أذن ابن أم مكتوم يتوقف الجميع عن الأكل والشرب، فإن ابن أم مكتوم كان يؤذن إذا قيل له: أصبحت أصبحت.



وجاء نحو هذا الحديث عن جابر وفي سننه ابن لهيعة، وجاء عن غيرهم، الشاهد أن هذا الحديث ضعيف لا يجوز الإحتجاج به، ولا العمل به، فمن عمل به فصيامه باطل، وقد كتبنا منشورًا اليوم في بيان ضعف هذا الحديث.





١٠ - فائدة عن حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد: (رب صائم حظه من صيامه

الجوع والعطش)

جاء عند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال رسول الله صلى عليه وسلم: [رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ].

والحديث حسن كما ذكر ذلك الشيخ مقبل **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى في كتابه الجامع الصحيح، ومن هذا تعلم أن الإخلاص مهم في شأن العبادات، فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** لا يقبل من العبادة إلا ما كان خالصاً لوجهه.

قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَنُؤُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾، وقال تعالى ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». متفق عليه عن عمر ابن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**

وكما في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -: « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ».

فالحديث يخبر عن صنف من الناس يصومون، ويمتنعون عن الطعام، والشراب، والمفطرات، ويقومون من الليل ماشاء الله أن يقوموا، ولكن لا حظ لهم في الأجر لا على صيامهم مع فضيلة الصيام العظيمة، ولا على قيامهم مع فضيلة القيام العظيمة؛ والسبب عدم الإخلاص لله **عَزَّ وَجَلَّ**، أو عدم المتابعة لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.



قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ﴾، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي**». أخرجه البخاري عن
مالك بن الحويرث، وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ**». أخرجه مسلم عن
جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

هنا يحسب أن يصوم كما صام رسول الله صلى عليه وسلم، توجد أيضاً بعض
الأعمال التي تؤدي إلى حبوط أجر الصائم، أو إلى عدم حصوله على الأجر كاملاً.
ففي الصحيح: عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**مَنْ لَمْ
يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشِرَابَهُ**». أخرجه
البخاري

وقول الزور ليس هو اللفظ فقط كما يظنه بعضهم، بل، شهادة الزور من قول
الزور، ومن قول الزور فعل الزور شهود الزور، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو
زور، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾.
والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أخبر عن بعض الأعمال أنها زور وإن لم تكن قولاً؛ كما في
حديث معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في صحيح مسلم: قدم معاوية المدينة، آخرَ قَدَمِهِ قَدَمَهَا،
فخطبنا فأخرج كَبَّةً من شَعْرٍ قَالَ: مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ الْيَهُودِ إِنَّ النَّبِيَّ
سَمَّاهُ الزُّورَ، يعني الواصلة في الشَّعْرِ، وفي رواية: أَنَّهُ قَالَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَنْهَى عَنِ مِثْلِ هَذِهِ، ويقول: «**إِنَّمَا هَلَكْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ
نِسَاؤُهُمْ**».

فكل ما خالف الكتاب والسنة فهو زور سواءً قلته بلسانك، أو فعلته بجوارحك،
أو اعتقدته بقلبك، فالواجب علينا عباد الله أن نحافظ على هذه العبادة بإخلاص



العمل لله، وبالمتابعة لرسول الله صلى عليه وسلم، وبالبعد عن المعاصي، والسيئات، والآثام، والزلات التي تنقص الأجور وربما تبطلها.

والحديث قصير المبني، عظيم المعنى، وهو خبر من النبي **صلى الله عليه وسلم**، وخبر النبي **صلى الله عليه وسلم** صدق.

فنسأل الله **عز وجل** أن يتقبل من الصيام والقيام وأن يرزقنا الإخلاص، ونعوذ بالله **عز وجل** من حبوط العمل.

يأتي يوم القيامة والإنسان يرجو أن يجد عملاً وإذا بها هباءً منثوراً، كما في حديث ثوبان: «لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثالِ جبالِ تِهامةٍ بيضاء فيجعلها الله هباءً منثوراً، قال ثوبان: يا رسول الله صِفهم لنا، جلَّهم لنا أن لا نكون منهم، ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوامٌ إذا خلوا بمحارمِ الله انتهكوها».

والسبب: أنه ما حفظ نفسه بطاعة الله؛ والسبب أنه ما حافظ على حسناته بالبعد عن محبطاتها من الظلم وغير ذلك من الأمور، والحمد لله.





١١ - فائدة عن حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه عند ابن ماجه : (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً)

أخرج ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن بسر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**».

والحديث في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" للشيخ مقبل **رَحْمَةُ اللهِ** تعالى، والحديث فيه فضيلة الاستغفار.
فقوله: (طوبى)؛ قيل بأنها شجرة في الجنة.

وقيل: منزلة في الجنة لمن وَجَدَ في صحيفته أَسْتَغْفَارًا كَثِيرًا، هذا دليل على كتابة الأعمال على الناس في صحائفهم، صحائف يجدها العبد يوم القيامة؛ كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١٦﴾﴾، وقال تعالى ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، فهذه الصحيفة إن لم تُملأ بالخير مُلئت بالشر، فالمسلم يحرص أن يكون في صحيفته استغفاراً كثيراً.
فالحديث فيه دلالة على فضيلة الأستغفار.

وفي حديث القدسي عن أنس وفيه كلام، لكن له شواهد قال الله تعالى: «يا ابن آدم! إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عِنانَ السَّماءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلا أبالي، يا ابن آدم! لو أَنَّكَ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطايا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لا تُشْرِكُ بي شيئاً لا تُتَبَّكُ بِقُرَابِها مَغْفرةً». أخرجه الترمذي



ودعوة الرسل كانت بالاستغفار، قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، الآية، هذا قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما أخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** عنه.

وقول هود **عَلَيْهِ السَّلَام**: ﴿وَيَقُولُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾.

وقول نوح **عَلَيْهِ السَّلَام**: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا ﴿١٥﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٦﴾ وَضِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَأَنْبِيَاءٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٧﴾﴾.

وبعد العبادات شرع الاستغفار، كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا انتهى من الصلاة استغفر ثلاثاً: «استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله». كما في حديث ثوبان عند مسلم.

وكان إذا جلس مجلساً، أو قرأ قرآنًا، أو صلى صلاةً قال في دبرها: «سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك» كما صح عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**. وفي الحج يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وفي الليل بعد القيام والدعاء والذكر: ﴿كُلُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٨﴾﴾، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾، فالاستغفار مزيل لأدران الذنوب والمعاصي.

وفي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُفِّدَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّىٰ يَعْلُو قَلْبُهُ ذَاكَ الرَّانَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ** فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾». أخرجه أحمد.



فيا عبد الله استغفر ربك، لكن لا بد أن يتوافق القلب واللسان في الاستغفار، فلا يكون مستغفراً بلسانه مُصراً بقلبه، بل يستغفر ربه مع عزمه وتركه للذنب، وعزمه على عدم العود، والندم على فعله، فإنه إذا فعل ذلك حصل له الخير العظيم من تفریح الذنوب، وقضاء الحاجات، وسعة الأرزاق، وصلاح الذريات.

و النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال الله **عَزَّجَلَّ** في شأنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾. غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكان يقول إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة، وفي رواية أكثر من مائة مرة. أخرجه مسلم عن الاغر بن يسار.

وأخبر بهذا مع أمره لنا بالاستغفار؛ كما في صحيح البخاري: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**».

بل أبلغ من ذلك، كما في حديث ابن عمر عند أبي داود أنه كان إذا جلس مجلساً عدو له في المجلس الواحد: «**ربي اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم**»، وفي رواية: «**الغفور الرحيم**» أكثر من مائة مرة.

وقال تعالى ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾، وقال تعالى ﴿**وَمَن يَعْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾.

الشاهد: أن الإنسان يحرص أن تُملاً صحيفته بالاستغفار، وما أجمل تلك المقولة، دقائق الانتظار أجعلها في الاستغفار؛ فإن لنا ذنوباً كثيرة، منها ما يكون بالهم، ومنها ما يكون بالقول، ومنها ما يكون بالفعل، والله المستعان. نستغفر الله ونتوب إليه من جميع الذنوب والمعاصي. سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.



١٢ - فائدة عن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند البخاري: (الجنة

أقرب إلى أحدكم من شراك نعلة)

يقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك».

هذا الحديث فيه بيان من نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: أن الجنة والنار قريبتان من الإنسان، وما بين العبد وما بين الجنة إلا أن يلازم العمل الصالح، وما بين العبد ما بين النار إلا أن يلازم العمل الطالح.

فيا عبد الله عود نفسك على الأعمال الصالحة، فالأعمال الصالحة محبوبة عند الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ثم هي محبوبة عند جميع العقلاء، كل العقلاء تعجبهم مكارم الأخلاق، ويكرهون سفاسفها، ومن هذه الأعمال الصالحة القريبة من الإنسان، والمفرط فيها كثير من الإنس والجان؛ صلة الرحم أمرها عظيم وأجرها كبير، وتضييعها كثير.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكَ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "اقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، متفق عليه.

كثير من الناس لم يوفقوا للحق؛ بسبب قطيعة أرحامهم؛ لأن قاطع الرحم معرض للعن الله، والطرده من رحمته.

قال الله تعالى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]



فيطرد من **رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ** وتصم أذنه عن سماع الحق وتعمى عينه عن بصره
ويطبع على قلبه ويغلق بالقفل كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ
أَقْفَالَهَا﴾.

فالمعاصي من أعظم الأسباب التي تُحيل بين الإنسان وبين فهم مراد الله، ومراد
رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الرحمُ معلقةٌ بالعرشِ تقولُ: «من وصلني وصله الله،
ومن قطعني قطعه الله».

الله أكبر من وصلها وصله الله، فبسبب صلة رَحِمِك، وصلة أقاربك بالإحسان
إليهم، ببذل المعروف لهم يصلك الله بخيره وبركته، ورزقه، وتوفيقه، وعونه.
(فالجزاء من جنس العمل) إلا أنه لا سواء، عمل العبد ضعيف، وفعل الله عظيم،
من وصلني وصله الله، ألا تحب أن يكون بينك وبين الله **عَزَّوَجَلَّ** واصلاً؟ ألا تحب أن
لا تبات وتصبح إلا وصلة الله **عَزَّوَجَلَّ** موصولة إليك؟ أي والله إننا نحب ذلك.

فلماذا إذن لا نبادر إلى صلة أرحامنا والإحسان إليهم والتغاضي عما صدر
منهم، وبذل المعروف لهم؟ لله؛ ليس لأنهم أحسنوا، أو لأنهم أعطوا، أو لأنهم قربوا.
قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصلُ الذي إذا قطعتُ

رَحِمَهُ وصلها». متفق عليه عن عبدالله بن عمرو. هذا ما هو واصل هذا مجازي وصلني
وصلته، أعطاني أعطيته، أحسن إلي أحسنت إليه، ولكن الواصل؛ الذي إذا قطعت
رحمه وصلها، هذا هو الواصل هذا هو الممدوح، هذا هو المحبوب عند الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وفي حديث أبي هريرة: أن رجلاً قال: أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابةً،
أصلهم ويقطعونني، وأحسِنُ إليهم ويُسيئون إليَّ، وأحلُمُ عنهم ويجهلون، فقال النبيُّ



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لئن كان كما تقول لكاننا نُسْفَهُمُ الْمَلَّ، ولا يزالُ معكَ من الله ظهيرًا [ما دمتَ على ذلك]» " أخرجه مسلم

أنت محفوظ مادمت بارًا، وواصلًا لرحمك، بينما الآخر ومن قطعها قطعه الله، ربما يقطعك الله من صلة ذريتك، ربما يقطعك الله من وصل رحمك، لا يصلونك وتتألم على ذلك، ربما قطعك الله من خيره وبره وبركته.

ومما يدل على ذلك: حديث أنس في الصحيحين: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ».

أعمال أجراها لنا ونفرط فيها، انظر إلى هذه الأجر العظيمة، تحب أن يبقى لك ذكر في الأثر تحب أن يبارك لك في الرزق، تحب أن توصل من الله **عَزَّوَجَلَّ**؟ صل رحمك واعف عن من ظلمك، وأحسن إلى من قطعك، وليكن عمرك الله **عَزَّوَجَلَّ**.

والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»، متفق عليه جاء من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وكم في القرآن، والسنة، وآثار السلف من الحث على صلة الأرحام، والإحسان إليهم، والتجاوز والصفح عنهم، نسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** العون والسداد.





١٣ - فائدة في فضيلة الذكر قبل الدعاء

في المسند من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ، غَدَّتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: فَقَالَتْ: عَلَّمَنِي كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي صَلَاتِي، فَقَالَ: «**كَبَّرِي اللَّهَ عَشْرًا، وَسَبَّحِيهِ عَشْرًا، وَاحْمَدِيهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلِي مَا شِئْتَ يَقُولُ: نَعَمْ نَعَمْ**».

هذا حديث فيه من الفوائد: حرص السلف رضوان الله عليهم على دعاء الله **عَزَّوَجَلَّ** والقرب منه، وهذه امرأة ومع ذلك تتعلم من النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سبل استجابة الدعاء.

وفي الحديث: فضل التسبيح والتكبير والتهليل، فإن الإنسان إذا أثنى على الله **عَزَّوَجَلَّ** قبل دعائه، وصلّى على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان ذلك أرجى لقبول دعائه. ويسمى هذا عند أهل العقيدة التوسل إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بأسمائه وصفاته.

والله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾، فحين تقدم بين يدي سؤالك حمدًا، وثناءً وتنزيهاً، لله **عَزَّوَجَلَّ**، فإن ذلك من أسباب استجابة الله **عَزَّوَجَلَّ** يستجيب لك، ويحقق لك طلبك، وهذه الثلاث الكلمات محبوبات عند الله **عَزَّوَجَلَّ**.

كما في حديث سمرة ابن جندب قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بَأَيْمَنَ بَدَأْتَ**».

أخرجه مسلم.

ومعنى سبحان الله؛ تنزيهه الله عن النقائص، ومعنى الحمد لله؛ ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** بأوصاف الكمال، والجلال، والمحبة، وهو دال على إثبات الكمال لله **عَزَّوَجَلَّ**.

ومعنى الله أكبر؛ أي أنه الكبير العظيم الواسع **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فأنت حين تقول قبل دعائك سبحان الله عشر مرات، الحمد لله عشر مرات، الله أكبر عشر مرات، ثم تسأل حاجتك يرجي أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يستجيب لك.



لكن هنا فائدة: بعض الناس يظن أن إجابة الدعاء لا يكون إلا بتحقيق الأمر المسؤول عنه، وليس كذلك.

ففي مسند أحمد بن حنبل: عن أبي سعيد أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**» قالوا: إِذَا نُكِّرْتُ، قَالَ: «**اللَّهُ أَكْثَرُ**».

فليس من شرط الاستجابة: أن يتحقق المطلوب، فقد يصرف عنك شرًا وأنت لا تدري، وقد يكتب لك خيرًا وأنت لا تؤمله.

إذن فلتتوسل إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بأسمائه وصفاته، ومن أسمائه الإسم الأعظم؛ وهو لفظ الجلاله الله على الصحيح يتضمنه كلمة سبحان الله، وكلمة الحمد لله، وكلمة الله أكبر.

وفي هذا الحديث أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يتكلم بحرف وصوت يسمع يسمعه من شاء من عبادة، والدليل أنه يقول قد فعلت قد فعلت، وفي رواية نعم نعم، فنسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يعيننا على طاعته.

وإذا قسى القلب ما تستطيع تدعو الله، تحاول من هاهنا، ومن هاهنا وإذا قد شرح الله الصدر، ييسر لك سبل السؤال، وإذا سألته أعطاك.

ومثاله في يوم القيامة: يؤتى بالعبد بين يدي الله **عَزَّوَجَلَّ** فيقول الله يا عبد سل فيسأل حتى يعجز، فيذكره الله **عَزَّوَجَلَّ**، **فالشاهد:** أن الإنسان قد يعجز عن الدعاء، لكن يحاول بقدر الإمكان أن يستحضر أنه بحاجة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وقد قال بعضهم: **إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ، وَاللَّهُ مَا أَحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَهَلْ نَصِيرُ دَنْدَنَتِي، وَدَنْدَنَةَ مُعَاذٍ إِلَّا أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَنَعُوذَ بِهِ مِنَ النَّارِ**». أخرجه أحمد.



وفي رواية عند أبي داود: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ»، قَالَ: أَتَشْهَدُ وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ أَمَا إِنِّي لَا أَحْسِنُ دُنْدَنْتَكَ وَلَا دُنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْلَهَا نُدْنِدُنٌ».

فكل الدعوات المشروعات مآلها إلى كيف تصل إلى الجنة، وكيف تنجو من النار، لكن هناك دعوات جوامع يحتاج الإنسان أن يدعو الله عزَّجَلَّ بها، والحمد لله.





١٤ - فائدة عن الأذكار

ربنا **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى** يصطفي ما يشاء، وقد اصطفى من الكلام لملائكته: (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)؛ كما جاء في حديث أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وجاء عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في الصحيحين: عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ**».

ولو تأملنا حالنا مع هاتين الكلمتين لرأينا تقصيرا عظيما، أحسننا حالا من يأتي بأذكار الصباح، والمساء مع ما فيهما من الفضل. حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان مع خفة الإتيان بهما إذ لا مشقة تلحق القائل بهما، ولا تبعه مالية، ولا بدنية، فينبغي للمسلم أن يحرص على الأجور، وعلى تحصيلها.

ففي معنى ذلك: حديث أبي سلمى عند أحمد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**بِخِ بَخِ لِحْمَسٍ وَقَالَ الفقيهُ حَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي المِيزَانِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْوَالِدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلمرءِ المِسلمِ فيحْتَسِبُهُ**».

ثقيلتان في الميزان؛ ميزان لا يفوته مثاقيل الذر، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿**وَنَضَعُ المَوَازِينَ** **القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكفَى بِنَا حَسيينَ**﴾.

وقد قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** كما في سورة يقرأها الجميع، ويحفظها أكثر المسلمين:

﴿**مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**﴾ ٧ ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ ٨، وكما قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿**وَأَمَّا مَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ**﴾ ٨ ﴿**فَأَمَّهُ هَآوِيَةٌ**﴾ ٩ ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ**﴾ ١٠ ﴿**نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ ١١﴾.



فالبسهولة بمكان أن تثقل ميزانك بهذه الكلمات؛ ففي حديث أبي مالك الأشعري قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعَ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا**». أخرجه مسلم

وفي حديث أبي أمامة وهو حسن بشواهد: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رأى أبا أمامة كثير الذكر، وهذا دأب الصاحبة أنهم كانوا كثيري الذكر، والطاعة لله **عَزَّ وَجَلَّ**، ويشبههم في هذا الزمان الإمام ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ**، وربما ذكر الله بين لقمه، وربما ذكر الله عند إجابته للأسئلة يقرأ السائل السؤال وهو يسبح، ويستغفر، ويهمل.

فالشاهد: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال لأبي أمامة الباهلي: «**أَفَلَا أُخْبِرُكَ بِأَكْثَرِ - أَوْ أَفْضَلِ - مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ، وَالنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِثْلَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِثْلَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِثْلَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِثْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولَ الْحَمْدُ مِثْلَ ذَلِكَ**». أخرجه ابن خزيمة، وجاء عند الترمذي وأحمد.

و أضح منه حديث جويرية عند مسلم: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تركها، ثم جئها ضحى وهي في مجلسها، الله أكبر نسائهم، ورجالهم، وشبابهم، وشاباتهم كلهم كانوا على خير، ونحن الآن جزئ الله من يصلي الفجر خير الجزاء رجالاً، أو نساء.

أما أن ترى من يحافظ على الذكر، ويزداد في الطاعة فهذا أمر زائد، فوجدها على الحال، قال ما زلت على الحال الذي تركتك عليه قالت: نعم؛ أما أني قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لرجحت بهن: «**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**».



وفي حديث سعد ابن أبي وقاص عند مسلم: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَجُلَسَائِهِ: «أَيَعَجْزُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَكْسِبَ أَلْفَ حَسَنَةٍ»، فسأله سائلٌ من جلسائه: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قال: «يُسَبِّحُ أَحَدِكُمْ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ تُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، وَتُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ».

بل جاء في خارج الصحيح وتحط عنه ألف خطيئه.

ونختم في حديث عبدالله ابن عمر بن العاص عند أحمد في مسنده: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَلَّتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَلَا وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا»، قَالَ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ، قَالَ: «فَتِلْكَ خَمْسُونَ، وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ تُسَبِّحُهُ وَتُكَبِّرُهُ وَتَحْمَدُهُ مِائَةً، فَتِلْكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةِ سِنِينَ؟» قَالُوا: فَكَيْفَ لَا نُحْصِيهَا؟ قَالَ: «يَأْتِي أَحَدَكُمْ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، حَتَّى يَنْفَتِلَ، فَلَغَلَهُ أَلَّا يَفْعَلَ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ، فَلَا يَزَالُ يَنُومُهُ حَتَّى يَنَامَ».

إذن يحرم الإنسان خيراً عظيماً؛ بسبب الغفلة، والبعد عن ترويض اللسان على الذكر.

وفي حديث عبدالله بن بسر عند الترمذي: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَسَبَّتُ بِهِ. قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».

فالإنسان يרטب لسانه بالذكر حتى إذا قُدِّرَ عليه بشيء يكون متعوداً على الذكر قالوا: كان رجل كثير الشعر بمحبوبته التي فقدها، فكان يقول:

يَارَبِّ قَائِلُهُ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ ❀❀ أَيْنَ الطَّرِيقِ إِلَيَّ حَمَامٌ مُنْجَبَابٍ



فمرض، وسقم، فجعلوا يقولون له قل لا إله إلا الله فجعل يردد هذا الشعر،
فأنت يا مسلم روض لسانك على الذكر؛ التسبح، والتحميد التكبير، والتهليل تقولها
في سيارتك في طريقك تقوله المرأة وهي تطبخ، وهي تعجن، وهي تغسل، والله
المستعان.





وهذا الحديث دليل على وزن العامل يوم القيامة وفضائل هذه الصحابة أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر في العلم والعمل.

الثاني: ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري لما أنزل الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

احتبس في بيته يبكي فقال: أنا أرفع صوتي فوق صوت النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقد حبط عملي؛ ففي صحيح مسلم: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ وَقَالَ أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فَسَأَلَ النَّبِيَّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ « يَا أَبَا عَمْرٍو مَا شَأْنُ ثَابِتٍ أَشْتَكِي »، قَالَ سَعْدُ إِنَّهُ لِحَارِي وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ فَاتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فَقَالَ ثَابِتٌ: أَنْزَلْتَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - « بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ».

هذا الرجل تقول عنه زوجته: والله يا رسول الله لا أنقم على ثابت دينًا، ولا خلق، ولكنني أكره الكفر في الإسلام، والله يا رسول أني إذا رأيته أهم أن أنتخم في وجهه، وأمرها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن تختلع لما كان هذا حالها معه وردت عليه حديقته وفارقها.

جاء في البخاري وطلقها تطليقة، لكن الجمهور على أن الخلع فسخ، وليس بطلاق، **شاهدنا:** أن هذا الرجل من المبشرين بالجنة بغض النظر عن جماله، أو ماله، أو غير ذلك.



والثالث: بلال الحبشي قال له النبي **صلى الله عليه وسلم** يا بلال بما سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة إلا وسمعت خشخشتك أمامي كما في صحيح مسلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - **صلى الله عليه وسلم** - لِبَلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ: «يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنفَعَةٌ فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشَفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ»، قَالَ بِلَالٌ مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنفَعَةٌ مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طَهُورًا تَامًّا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.

وهذا الرجل عظيم الفعال، نبيل الخصال، ولكنه لم يكن في النسب كغيره، لكن رفعه الله بالإسلام، إذ أن الإسلام ليست نظرتة إلى النسب المجرد، أو إلى جمال الظاهر المجرد، إنما النظرة إلى العمل الصالح، وإلى امتثال الشرع.

مع أن النبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: «**فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَفُّهُوا**»، متفق عليه عن أبي هريرة **رضي الله عنه**.

الرابع: جلييب **رضي الله عنه**.

ففي مسند أحمد بن حنبل: عن أبي برزة الأسلمي: عَنْ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، أَنَّ جُلَيْبِيًّا كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ، يَمُرُّ بِهِنَّ وَيُلَاعِبُهُنَّ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ جُلَيْبِيٌّ؛ فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ، لَأَفْعَلَنَّ وَلَا فَعَلَنَّ. قَالَ: وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيْمٌ لَمْ يُرَوْجَهَا حَتَّى يَعْلَمَ هَلْ لِلنَّبِيِّ **صلى الله عليه وسلم** فِيهَا حَاجَةٌ؟ أَمْ لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «رَوْجِنِي ابْنَتِكَ». فَقَالَ: نَعَمْ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنَعَمْ عَيْنِي. قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي». قَالَ: فَلِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِجُلَيْبِيٍّ». قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشَاوِرُ أُمَّهَا فَآتَى أُمَّهَا فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** يَخْطُبُ ابْنَتَكَ. فَقَالَتْ: نَعَمْ. وَنَعْمَةٌ عَيْنِي. فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ إِنَّمَا يَخْطُبُهَا لِجُلَيْبِيٍّ. فَقَالَتْ: أَجُلَيْبِيٌّ إِنِّي؟



أَجْلِيْبِيْبُ إِنِيَّة؟ أَجْلِيْبِيْبُ إِنِيَّة؟ لَا. لَعَمْرُ اللَّهِ لَا نَزْوَجُهُ. فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِي رَسُوْلَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُخْبِرُهُ بِمَا قَالَتْ أُمُّهَا: قَالَتْ الْجَارِيَّةُ: مَنْ خَطْبِنِي إِلَيْكُمْ؟ فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّهَا فَقَالَتْ: أَتَرُدُّونَ عَلَيَّ رَسُوْلَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ؟ اذْفَعُونِي؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُضِيْعِنِي. فَاَنْطَلَقَ أَبُوْهَا إِلَى رَسُوْلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: شَأْنُكَ بِهَا فَرَوَّجَهَا جُلَيْبِيَا قَالَ: فَخَرَجَ رَسُوْلُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ لَهُ. قَالَ: فَلَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَفَقِدُ فُلَانًا وَنَفَقِدُ فُلَانًا. قَالَ: «انظُرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيَا». قَالَ: «فَاَطْلُبُوهُ فِي الْقِتْلِ». قَالَ: فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلْتَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ. فَقَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللَّهِ هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلْتَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً وَقَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ. هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُوْلُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَاعِدَيْهِ وَحُفِرَ لَهُ مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَا رَسُوْلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يُذْكَرْ أَنَّهُ غَسَلَهُ. قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا. وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا قَالَ: هَلْ تَعْلَمُ مَا دَعَا لَهَا رَسُوْلُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا». قَالَ فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا. قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: مَا حَدَّثَ بِهِ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ إِلَّا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ مَا أَحْسَنَهُ مِنْ حَدِيثٍ.

تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

ثم إنه فقد في بعض المعارك؛ كما في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي بَرْزَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ فِي مَغْزَى لَهُ، فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ:



«هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيَا، فَاطْلُبُوهُ» فَطُلِبَ فِي الْقِتْلَى، فَوَجِدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ»، قَالَ: فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَحَفِرَ لَهُ وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلًا.

فيا عباد الله هذه الأمثلة تبين لنا أن قيمة الإنسان بقدر تمسكه بدين رب العالمين في الدنيا وفي الآخرة.

أما جمال ظاهره وهو بعيد عن الجمال الباطن فلا خير فيه، (وإذا جميل الوجه لم يأتي بالجميل فما جماله)، جميل الوجه إذا لم يأتي منه الجميل من الفعال ما ينفع له ذلك الجمال، وهكذا سمين البطين البعيد عن تعاليم الدين لا فائده في سمنه إلا أنه مذموم.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَإِلَى أَعْمَالِكُمْ». أخرجہ مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فليكن حرصنا على إصلاح ظواهرنا وبواطننا. وبالله التوفيق.





١٦ - فائدة في تصحيح الألفاظ والتحلي بالألفاظ الشرعية

مما ينبغي أن يتنبه له: تصحيح الألفاظ، فقد جاء في الصحيحين: أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أدرك عمر بن الخطاب، وهو يسير في ركبٍ، يحلفُ بأبيه، فقال: «**أَلَا إِنَّ اللَّهَ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمْتُ**»، قال عمر: فما حلفتُ بها ذاكِراً ولا آثِراً.

وجاء عن بريدة بن الحصيب الأسلمي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سمعة رجلاً يحلف بالأمانة فقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ، وَمَنْ خَبَبَ عَلَى امْرِئٍ زَوْجَتَهُ، أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا**»، أخرجه أبو داود.

وعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ، فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيُقَلِّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ: تَعَالَ أَقَامِرْكَ، فَلْيَتَّصِدَّقْ**»، أخرجه مسلم.

وسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رجلاً يقول: ما شاء الله وشئت فقال: «**بل ما شاء الله وحده**».

وهكذا أمرهم أن يقولوا: ما شاء الله، ثم شاء محمد؛ ففي حديث الطفيل بن سخبره.

فالشاهد: أن كثيراً من الناس يتكلمون بكلماتٍ لا يتبينونها، وربما يكون معناها مخالفاً للتوحيد، أو معارضاً له، وربما تحمل بعض المعاني الباطلة، وانظر إلى قول اليهود للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** راعنا، فكان بعض المسلمين يقولون بقولهم، ومراد المسلم انتظرنا، ومراد اليهودي السب وهي من الرعونة؛ وهي عدم التعقل، فأمر الله **عَزَّ وَجَلَّ** المؤمنين بعدم قول هذه الكلمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا**



أَنْظُرْنَا، أمرهم أن يأتوا باللفظ الشرعي الموافق للكتاب والسنة، والآن تجد بعض الناس ربما حلف بشرفه، وربما حلف برأس أولاده، وربما حلف بقبر، أو ولي، كما يسميه إلى غير ذلك، فنحن مأمورون أن نستخدم الألفاظ الشرعية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عِبْدِي وَأُمَّتِي، كُلُّكُمْ عِبِيدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلَامِي وَجَارِيَّتِي، وَفَتَاتِي وَفَتَاتِي»، متفق عليه.

مع أنه في اللغة يقال: عبد، ويقال: أمة، ولكن لما خشي أن يستخدم بعضهم هذا اللفظ، ويؤدي إلى فهم غير صواب سد ذرائع الشر.

أو ربما يكون اللفظ فيه مشاركة لله **عَزَّ وَجَلَّ** في ربوبيته، أو في ألوهيته، نهاهم أن يقول عبدي وأمتي ولكن ليقول مولاي أو ليقول فتاتي فتاتي، أو كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

ونهى أن يسمي الرجل يساراً، أو نافعاً، أو نحو ذلك من الأسماء خشية التزكية، وكانت ابنة عمر أسماها عاصية فسامها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** جميلة، وكانت زينب اسمها برة فسامها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** زينب. والأحاديث في صحيح مسلم.

فالشاهد: أن الأحاديث النبوية، وقبل ذلك الآيات القرآنية مليئة بالأمر بتصحيح الألفاظ، وعلى الإنسان أن يأتي بالألفاظ الشرعية، كما أمر الله **عَزَّ وَجَلَّ** الألفاظ الشرعية فيها خير عظيم:

أولاً: المتكلم بها متكلم بالكتاب، والسنة.

ثانياً: المتكلم بها بعيد عن مشابهة أهل الأهواء، أو مشابهة الكفار.

ثالثاً: المتكلم بها بعيد عن الإتيان بالمعاني الباطلة التي قد تؤدي إلى إحقاق الباطل، وإبطال الحق.



ومن أهم المهمات في هذا: أن الإنسان لا يحلف إلا بالله؛ قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»، أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر.

وفيه: انقطاع بين سعيد ابن عبيدة وبين عبد الله ابن وعمر، ولكن الحديث له شواهد كثيرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ وَلَا بِالْأَنْدَادِ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ»، أخرجه ابن ماجه.

وعن عبد الرحمن بن سُمْرَةَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : «لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوْأغِي، وَلَا بِآبَائِكُمْ»، أخرجه مسلم.
فاللسان ينبغي أن يعود على أن يأتي بالألفاظ كما شرع الله **عَزَّوَجَلَّ**، وبالله التوفيق.





وقال تعالى ﴿وَلَسَيَمَنَ الرِّيحُ غُدُوها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ وَأَسَلتا لَهُ عَيْنَ أَلْقَطِرٍ
وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم عَنْ أَمْرنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ
السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢]

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا رَأَى مُخَيَّلَةً فِي السَّمَاءِ
أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُهُ
عَائِشَةُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «وَمَا أَذْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ: فَلَمَّا رَأَوْهُ
عَارِضًا مُسْتَقْبِلًا أُوذِيَتْهُمْ الْآيَةُ». أخرجه مسلم

ثم حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من رأى الريح أن يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا،
وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت
به».

هذا الحديث جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأبي بن كعب بألفاظٍ متقاربة، وأما حديث
أبي هريرة رضي الله (لا تُسَبِّحُوا الرِّيحَ، فَإِنَّها من رُوحِ اللَّهِ تَعَالَى، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ
وَالْعَذَابِ، وَلَكِنْ سَلُوا اللَّهَ مِنْ خَيْرِها، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّها).
فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾.

فلا نتهيب بكثرة الإعلانات التي يأتي بها أصحاب الطقس، إذا أراد الله أن يهلك
أمة أهلكتها بدون مقدمات، وإذا أراد الله أن يكرم أحداً أكرمه بدون مقدمات.
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾.

ومع ذلك قد يقع ما يذكره أصحاب الطقس، والحساب لأمر يلحظونها،
لاسيما الآن تقع الريح ويرون بؤرتها، وحركتها، ثم يقدرسون سرعتها إلى غير ذلك.
فنحن نستجير برب الريح، ونلجأ إليه بأن يسلم البلاد والعباد فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ
أن يلفظ بإخوننا في سقطرى نسأل الله أن يلفظ بهم وبجميع المسلمين.



بلاد سقطرى بلاد طيبه وأهلها طيبون، والكفار ومن إليهم حريصون بإفسادها بالسياحة وغيرها، ففعل الله **عَزَّوَجَلَّ** حين سلط مثل هذه الرياح غيرة على دينه ورحمة بهم، قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، فهم مجتمع محب للعلم، والسنة، والخير، يتميزون بصدق الحديث، وبالتواضع؛ وهي بلد جميلة مع ما فيها من هذه الأخلاق.

يقولون: أكبر الوحوش البرية فيها القط، ليس فيها كلاب وليس فيها نمور، وليس فيها أسود، وليس فيها إلا الغنم الكثير اللهم بارك، وربما تعدت عليه بعض القطط البرية، وإلا فالأصل أن أهلها على خير.

فنسأل الله أن يحفظهم من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمنهم، وعن شمائلهم، وأن يحفظ عليهم دينهم، وأن يكفي المسلمين الشرور والآثام.

واحفظوا هذا الحديث بارك الله فيكم: كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا رأى الريح قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهَا وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ». والحمد لله رب العالمين.





١٨ - فائدة عن أهمية مسائل الإيمان وبيان الشرك بالله

ففي صحيح مسلم: من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَيَّ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَيَّ فَخَذِيهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمُسْتَوْلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُئْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

فمسألة الإيمان من المسائل المهمة التي ينبغي أن يحققها العبد المسلم، إذ أن صلاح الأعمال الظاهرة مشروط بصلاح الأعمال الباطنة. وهذه الأركان الستة اتفق عليها جميع الرسل، إذ أن الله عزَّجَلَّ أرسل رسله، وأنزل كتبه بها:

الأول: (الإيمان بالله)؛ أي الإيمان بالله ربًّا، مع الرضا به ربًّا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ويتضمن هذا الأمر أربعة أركان:



١- الإيمان بوجوده فهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خالق وما سواه مخلوق، وهو الأول الذي ليس قبله شيء، كما أنه الآخر الذي ليس بعده شيء، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وقال: ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾، وقال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، وقال: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر: ٢٣، ٢٤].

وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥﴾﴾.

فيجب أن نؤمن به، ونؤمن بأسمائه وصفاته التي ذكرها في كتابه، وذكرها رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في صحيح سنته، ونؤمن أنه الخالق الرازق المالك المدبر، قال تعالى: ﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.

ونؤمن بأنه المعبود بحق وإن عبد غيره فباطل، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، وقال: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، فلا يشرك معه غيره لا ملك مقرباً، ولا نبي مرسلًا.



وَعَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ قَالَ أَبِي أَنْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِبَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ».

وفي البخاري: عن الربيع بنت مَعُوذِ بْنِ عَفْرَاءَ: جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ حِينَ بَنِي عَلِيٍّ فَجَلَسَ عَلَيَّ فِرَاشِي كَمَا جَلَسَ مِنِّي فَجَعَلَتْ جُورِيَّاتٌ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالْذُفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ، إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ: «دَعِي هَذِهِ وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتَ تَقُولِينَ».

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». أخرجه البخاري ولما سمعهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون: ما شاء الله وشاء محمد، قال: «قولوا ما شاء الله وحده»، وقال: «أجعلني لله ندا»، فلا يجوز أن تصرف العبادة لأحد من المخلوقات؛ لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا.

وما يفعله كثير من الناس من تشييد القبور وبناء القباب عليها، ثم صرف العبادات لها، هو نظير ما كان يفعله كفار قريش مع أصنامهم التي نصبوها حول الكعبة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١١﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾، عبدوها من دون الله عز وجل ويذبحون لها، ويتوسلون بها، مع اعتقادهم أن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر، لكن لم ينفعهم هذا الاعتقاد؛ لأنهم أشركوا مع الله.

وقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يَقُولُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [العنكبوت: ٦١، ٦٢]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.



فالذي يطوف بالقبر، أو يتعلق قلبه بصاحب القبر، أو ينذر بأرض، أو بيت، أو سيارة، ونحو ذلك للقبر أو صاحب القبر، أو يحلف كذلك بالقبر معظماً له كتعظيمه لله.

فكل هذه تناقض التوحيد، وإن قال: أنا أصلي، وأصوم، وأحج، وأعتمر، وأقرأ القرآن، هذا لا ينفع؛ لأن كفار قريش كانوا يحجون، وكانوا يعتمرون، وكانوا يتصدقون، ويعتقون، كانوا يتقربون إلى الله بنسك، ويتقربون إلى الله بدعاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا بَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِسْنُ كَفُورًا﴾، لكنهم لم يخلصوا العبادة لله كانوا إذا حجوا قالوا: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

فيا عباد الله كثرت القبور المعبودة من دون الله **عَزَّجَلَّ** في بلاد المسلمين بين أناس يقولون لا إله إلا الله في صباحهم، وليلهم، وفي أذاناتهم، ومع ذلك في قضاء الحاجة تعلق قلبه بالولي، أو الشريف، أو السيد، أو القبر.

وأمولهم مدفوعه إلى المقبورين، وهذا لقبة خفير، وهذا للهادي وهذا لابن علوان، وهذا لأبي طير، وهذا للعيدروس، وهذا لغيرهم.
حتى قال بعضهم:

لي خمسة هم الحجا ❀❀ من نار لظى والحاطمة
المصطفى والمرضى ❀❀ وابنيهما والفاطمة
وبعضهم يقول:

هت لي منك يا ابن موسى إغاثه ❀❀ إغاثته في سيرها حثاثة
ومن أشهر الزيارات التي تقع مخالفة لكتاب الله، وسنة رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ما تسمى بزيارة شعب هود، حيث يندرون النذور، وينحرون الجزور، ويحلقون



الرؤوس، ويرمون كما يرمي الحجاج عند بيت الله الحرام، فما تركوا من عبادة يتقرب بها الموحدون إلى الله إلا وتقربوا بها إلى تلك القبة المزعومة لهود **عَلَيْهِ السَّلَامُ**. فمن كان من هذا الصنف، أو كان ساحراً، أو مشركاً، أو مندداً فلم يحقق الإيمان بالله **عَزَّوَجَلَّ**، فينبغي أن نحقق هذا الركن العظيم.

والله لا يدخل أحد الجنة مهما كان وهو كافر بالله، وهو مضيع لهذا الركن، من لم يؤمن بالله رباً كما شرع الله **عَزَّوَجَلَّ** فليس بمؤمن.

فالله **عَزَّوَجَلَّ** حذرک من تصديق الكهان، والسحار، والمشعوذين، حذرک من عبادة الأصنام، سواء كان اسمه قبراً، أو صنماً، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾، وقال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

وفي حديث ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»، وَقُلْتُ أَنَا: وَمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. أخرجہ مسلم.





١٩- فائدة عن تطبيق السنة في قيام رمضان كما جاء في حديث عائشة رضي الله

عنها عند مسلم

ففي صحيح مسلم: قُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِي عَن وِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**-. فَقَالَتْ كُنَّا نَعُدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهْرَهُ فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَسْوُكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ لَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ فَيَذْكُرُ اللَّهُ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ثُمَّ يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي التَّاسِعَةَ ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللَّهُ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا).

فإن شاء الله في هذه الليلة يصلي بنا أخونا سليمان بهذه الكيفية، لكن سنختصر القراءة من جزء إلى نصف جزء، بحيث يقرأ في كل ركعة صفحة واحدة، ونسأل الله التوفيق والسداد.

الحمد لله الذي منَّ علينا بتطبيق هذه السنة التي ثبتت عن رسول الله صلى عليه وسلم، كما في "صحيح مسلم": من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وبوب عليه الإمام النووي: (باب الجامع لقيام الليل).

ونحن عبيد لله، نتعبد له بما تعبد به رسول الله صلى عليه وسلم، فما قام فيه قمنا فيه، وما جلس فيه جلسنا فيه، ولسنا بأحرص على الخير منه، فما من خير إلا وهو السباق إليه، وما من خير إلا في طريقه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

والإقتصاد في سنة خيرٌ من الإجتهد في بدعة، السنة فيها بركة؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** اختارها لمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ ولأن محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تعبد بها لله **عَزَّوَجَلَّ**.

فالحمد لله على توفيقه، وفضله، ونسأله كما وفقنا لأداء الصلاة أن يتقبل منا؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، فالعبد يؤدي الفعل مخلصاً لله



فيه، ومتابع لرسول الله صلى عليه وسلم فيه، ويرجو من الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يتقبل، ونسأل الله التوفيق والسداد والعون.

فوالله يا إخوة إننا نفرح بتطبيق السنن أعظم من كثير من الأمور؛ لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ثبتت عنه كيفيات عدة في صلاة القيام:

منها: أن يصلي تسع ركعات لا يجلس إلا في الثامنة، ثم يصلي ركعتين خفيفتين وهو جالس على الوجه الذي رأيتم.

الطريقة الثانية: أن يصلي سبع ركعات يجلس في السادسة منهن، وهذا لما كُبر سنه، ثم يصلي ركعتين خفيفتين.

الطريقة الثالثة: وهي أشهر الطرق: صلاة الليل مثنى مثنى، كما جاء عن ابن عباس، وعائشة، وجابر، وجاء عن غيرهم. وقد جاء عن ابن عمر أن رجلاً سأل رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - عن صلاة الليل فقال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى». متفق عليه

والرابعة: جاءت عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، أن يصلي مثنى مثنى، ثم يوتر بخمس لا يسلم إلا في آخرها.

الخامسة: جاءت من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: "ما كان رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً"، قالت عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ قال: «يا عائشة إن عيني تمانن ولا ينام قلبي». متفق عليه

ومن الطرق التي ثبتت عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: أنه صلى بركعه؛ كما في حديث حذيفة عند مسلم: (صليت مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ذات ليلة فافتتح البقرة،



فقلت: يركع عند المائة، فمَضَى، فقلت: يركع عند المائتين، فمَضَى، فقلت: يُصَلِّي بها في ركعة، فمَضَى، فافتتح النساءَ فقرأها، ثم افتتح آل عمرانَ فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيحٌ سبح، وإذا مرَّ بسؤالٍ سأل، وإذا مرَّ بتعوذٍ تعوذ، ثم ركع فقال: «سبحان ربِّي العظيم»، فكان ركوعه نحوًا من قيامه ثم رفع رأسه فقال: «سمع الله لمن حمده»، فكان قيامه قريبًا من ركوعه ثم سجد فجعل يقول: «سبحان ربِّي الأعلى»، فكان سجوده قريبًا من قيامه.

بأوجه كثيرة ثبتت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعضها كما أيضًا في حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (كان يُصَلِّي، ثم ينام قدرَ ما صَلَّى، ثم يُصَلِّي قدرَ ما نام، ثم ينام قدرَ ما صَلَّى، حتى يُصْبِحَ). وهكذا، والحمد لله الذي جعل في الأمر سعة.

فينبغي للإنسان أن يحمده على هذه العبادات؛ إذ لو جاءت على طريقة واحدة لشق على الناس، لكن تنوعت العبادة بحيث يتعبد الإنسان لربه بهذه الطريقة، ثم يأتي بالطريقة الأخرى ويستشعر فعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويؤجر إن شاء الله على التأسى بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويؤجر على إحياء السنة لاسيما في هذا الزمن الذي جهل الناس كثيرًا من السنن.

وهناك رسالة مختصرة صغيرة للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ لخص فيها هذه الطرق، وبين فيها هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قيام الليل، وقيام الليل شامل لقيام رمضان الذي اصطلح عليه الناس وسموه: التراويح، وشامل لغيره.

وقد رأينا بعضهم يفرق فيجعل قيام الليل عشرين ركعة، ثم يجعل الوتر ثلاثة عشر ركعة، هذا تقسيم غير صحيح، فقيام الليل هو الوتر وهو التهجد، إنما سمي التهجد؛ لأنهم يقومونه في آخر الليل.

وسمي الوتر؛ لأنه وتر إحدى عشر ركعة، تسع ركعات، سبع ركعات، خمس ركعات، وهكذا.



وسمي قيام الليل؛ لأنه في الليل وعائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** تقول: (من كل الليل قد أوتر رسول الله صلى عليه وسلم حتى انتهى وتره إلى السحر). أخرجه مسلم.





٢٠ - فائدة عن التفاضل في الآيات والسور القرآنية وفي الأسماء والصفات الإلهية

أخرج الإمام البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: (كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد)، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته).

هذه السورة عظيمة، وهي أفضل سورة في القرآن، ولهذا أمرنا الله عز وجل أن نتلوها في كل صلاة بل في كل ركعة، وسماها الله عز وجل الصلاة، ومن أسمائها فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، والرقية، والشافية، والكافية وغير ذلك من الأسماء.

وجاء عند الإمام مسلم من حديث أبي ابن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟»، قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، قال: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي؛ وقال: «[والله] لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا المنذر!، والذي نفسي بيده إن لهذه الآية لساناً وشفعتين تُقدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ».

وهذه آية عظيمة تضمنت أسماء الله عز وجل، وصفات الله عز وجل، وهي متضمنة لعشر جمل عظيمة تدل على علو منزلتها، ومكانتها من كلام الله عز وجل. مع أن كلام الله عز وجل كله فاضل، وكله كمال، ولكن قد فاضل الله عز وجل ورسوله ﷺ بين كلام الله عز وجل.



وجاء في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « أَحْسِدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ »، فَحَسَدَ مَنْ حَسَدَ ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أَرَى هَذَا حَبِيرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: « إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ أَلَا إِنَّمَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ».

وفي رواية: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟»، قالوا: يا رسول الله وهل يستطيع ثلث القرآن؟ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ: ﴿لَمْ يَلِكْ لِي﴾ [الإخلاص: 1]». أخرجه مسلم

وفي رواية: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سِرِّيَّةٍ فَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيُخْتَمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لَأَيِّ شَيْءٍ فَعَلَ ذَلِكَ»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، فَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّهُ». أخرجه البخاري

وفي رواية: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحَبُّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ».

فهذه ثلاث فضائل لثلاثة مواطن من القرآن تدل على علو منزلة ما ذكر من السور، والآيات، والقرآن كما قلت لكم كله كلام الله، ووحيه وتنزيله، ونوره، لكن الله عَزَّوَجَلَّ قد فاضل بين بعضه، ومن هذا أخذ أهل العلم التفاضل بين الأسماء والصفات؛ لأن القرآن صفة الله ومتضمن لأسماء الله. وكما وقع التفاضل فيه، فالتفاضل في صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وفي أسمائه حاصل، ومن هذا الباب الأسم الأعظم الذي قال عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في مسند أحمد



بن حنبل عن بن بريدة عن أبي قال: خَرَجَ بُرَيْدَةُ عِشَاءً فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا صَوْتُ رَجُلٍ يَقْرَأُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَاهُ مُرَائِيًا؟» فَأَسْكَتَ بُرَيْدَةُ فَإِذَا رَجُلٌ يَدْعُو. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَوْ قَالَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ». قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْقَابِلَةِ خَرَجَ بُرَيْدَةُ عِشَاءً، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا صَوْتُ الرَّجُلِ يَقْرَأُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَقُولُهُ مُرَائِيًا؟» فَقَالَ بُرَيْدَةُ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًا يَا رَسُولَ اللَّهِ

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا، بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، لَا، بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ»، فَإِذَا الْأَشْعَرِيُّ يَقْرَأُ بِصَوْتٍ لَهُ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيَّ، أَوْ إِنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ دَاوُدَ». فَقُلْتُ: أَلَا أُخْبِرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بَلَى فَأَخْبِرْهُ» فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: أَنْتَ لِي صَدِيقٌ أَخْبَرْتَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ.

تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

فأسماء الله كلها عظيمة، لكن منها عظيم وأعظم، ومنها فاضل وأفضل، وهذه السور، والآية التي ذكرتها لكم ينبغي لنا أن نعرف معناها، الفاتحة نعرف معانيها؛ لأننا نقرأها في كل ركعة وهي قسمان:

١- قسمٌ حق لله عَزَّوَجَلَّ.

٢- قسمٌ بين الله، وبين عبده.



وقسم فيه بيان للطريق الموصل إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، وهو سؤال العبد لله أن يبصره بهذا الطريق؛ كما في حديث: **أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فِيهَا خِدَاجٌ»** ثلاثاً غير تمام. فقيل لأبي هريرة: **إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟** فَقَالَ: **«افْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ»**؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنِي عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ١]، قَالَ: مَجْدِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ [الفاتحة: ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». أخرجه مسلم (٣٩٥).**

وآية الكرسي أخبر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَاقِبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ»**؛ كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في البخاري.

و جاء عن غيره أنها تُقرأ في الصباح، والمساء، ومن قرأها لا يقربه شيطان حتى يمسي، وحتى يصبح، وهذا فضل عظيم.

وأما قرأتها دبر الصلاة، فقد جاء في حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: **«مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»**. أخرجه أحمد.



لكن الحديث ضعيف من رواية محمد بن حمير، وقد أنكر الذهبي هذا الحديث كما في الميزان وسورة الإخلاص أخلصت الوصف لله **عَزَّجَلَّ**: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أمر الله محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وهذا كما قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، و﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَىٰ﴾ فهو عبد مأمور كما قال عن نفسه: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا مَا فِي الْقُرْآنِ»، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وبين بعض أهل العلم أن القرآن ثلاثة أجزاء:

- ١- جزء في التوحيد، ودلت عليه سورة الإخلاص.
- ٢- وجزء في القصص والأخبار، وهذا في القرآن كثير مما قصه الله علينا من أخبار من سلف، ومن أخبار من سيأتي.
- ٣- وجزء أحكام، كأحكام الصلاة والصيام والنكاح، والعدة، وغير ذلك من الأحكام.

ف﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ متضمنة لحق الله **عَزَّجَلَّ**، فمن أسمائه الأحد، ولا يجوز أن يسمى أحد بهذا الاسم من باب الإثبات إلا الله **عَزَّجَلَّ**، قل هو الله أحد، ولهذا لم يقل الأحد، قال العلماء: لأنه مختص به.

بينما في الصمد، في العليم، في الخبير، في الحكيم، في القوي؛ لأنها أسماء غير مختصة تقدم بالألف، واللام، الذي يفيد الاستغراق، والإختصاص.

بينما في هذا الاسم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: الأحد الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصر، وهو الواحد القهار.

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾؛ الصمد: الذي لا جوف له، وقيل: الذي تصمد إليه الخلائق، وقيل: الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وقيل: هو الكامل في سؤده، الكامل في علمه، الكامل في حلمة، الكامل في جميع صفاته.



وكلها معاني يدور عليها معنى الصمد، فالله **عَزَّوَجَلَّ** تصمد إليه الخلائق، وهو السيد الذي كمل في سؤدده، وهو الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. وهذه التي تقدمت تسمى عند العلماء صفات ثبوتيه، وأما قوله لم يلد ولم يولد؛ هذه تسمى صفات منفية، أو سلبية بمعنى أن الله ينزه عنها. قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾؛ بحيث أن له ولد، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ بحيث أن له والد، بل هو سبحانه الخالق، وما سواه مخلوق، بل هو سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء.

فالله **عَزَّوَجَلَّ** صمد لم يلد ولم يولد بل هو المتصف بالحياة الأزلية الأبدية، قال تعالى ﴿وَأَنَّهٗ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، وقال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾؛ لم يكن له سمي، ولا مثل، ولا معين، ولا ظهير، ولا نصير، بل هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** متفرد بالخلق، والملك، والتدبير، كما أنه المتفرد بالالوهية، فمن أشرك معه غيره بطلت عبادته.

والسورة جاء في بعض الآثار أنها نسبتة الله، حيث قال بعضهم: أنسب لنا ربك، فأنزل الله هذه السورة فيها صفات الله **عَزَّوَجَلَّ** الثبوتية الدالة على الكمال المقدس من كل وجه.

من هذا علم أن هذه الآيات القصار، والصور القصار وما يكون فيها من المعاني، والفضائل ما يفوق غيرها.

وكلما كانت السورة، والآية متمحضة في بيان حق الله، كلما كانت أكمل من غيرها من السور، والآية مع أن كله كلام الله، ووحيه، وتنزيله.

وإنما قلنا: هذا من باب أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد بين التفاضل بين السور، والآية كي يكون عند العبد مزيد إهتمام لقراءة بعض السور، وتدبرها.



وهذا السور التي ذكرتها يعلمها أغلب المسلمين مع ذلك يجهلون أحكامها إلا من رحم الله، ولو علم المسلمون معاني السور، والآيات لآزداد إيمانهم، وآزدادت مراقبتهم، وآزداد خوفهم ورجائهم في الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وكما أسلفت لكم، ذلك الأنصاري الذي كان يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في كل ركعة؛ لأنها قصيرة، قد قال له أصحابه: إن كنت ترى أنها لا تجزئك أقرأ بغيرها، وإن كنت ترى أنها تجزئك اقرأ بها، لكن قال: إني أحبها؛ لأنها صفة الله.

وفي الحديث الآخر: «**حبك إياها أدخلك الجنة**»، وكان الله محباً له؛ بسبب حبه لصفة الله بآرك الله فيكم.





٢١ - فائدة عن رؤية الله في الآخرة

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢١﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَبْتُورُونَ ﴿٢٢﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٣﴾﴾، ثم يقول في آخرها: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

استدل العلماء بهذه الآية: على أن أعظم ما شمر من أجله المشمرون، وتنافس من أجله المتنافسون؛ هو الوصول إلى النظر إلى وجه الله **عَزَّوَجَلَّ** يوم القيامة.

وكما في سنن النسائي الكبرى: عطاءُ بنُ السائبِ، عن أبيه، قال: صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** صَلَاةً، فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أَبِيٌّ غَيْرُ أَنَّهُ كَتَى عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدَّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْبَبْتَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ».

وفي حديث صهيب: عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ **عَزَّوَجَلَّ**»، وفي رواية: وزاد: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [١٠/

يونس / الآية - ٢٦]. أخرجه مسلم



وفسرت الزيادة في قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقول أبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أنها النظر إلى وجه الله يوم القيامة.

وهكذا يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، والمزيد؛ هو النظر إلى وجه الله **عَزَّجَلَّ**.

والمؤمنون يرون الله **عَزَّجَلَّ** حين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، والكافرون يحجبون لغضبه عليهم، كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. والمؤمنون يرون الله **عَزَّجَلَّ** في موطنين:

الموطن الأول: في أرض المحشر والدليل قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٣٣﴾﴾.

والنظر هنا عُدِّي بـ(إلى) والمراد به: نظر العين.

وفي حديث أبي سعيد الخدري، قال: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُنْصَرُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»، قُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُنْصَرُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُنْصَرُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا» الحديث، متفق عليه.

فالله **عَزَّجَلَّ** ينعم على المؤمنين بالنظر إليه في يوم المحشر، فيطمئنون، ويستبشرون، ثم ينعم عليهم بالنظر إليه في الجنة يرونه بأبصارهم. وأحاديث الرؤية متواترة حتى قال بعضهم:

مما تواتر حديث من كذب ❀❀ ومن بنى لله بيتا واحتسب

ورؤية شفاعته والحوض ❀❀ ومسح خفين وهذي بعض

وقد أُلِفَ فيها الدارقطني **رَحِمَهُ اللَّهُ** كتابًا من أنفس ما صنف في هذا الباب، وهكذا الأجري في كتابه "الشریعة": (باب النظر إلى وجه الله).



وألف فيها أبو شامة رسالة، ومن الله عليّ أيضًا بوضع رسالة في الصحيح في هذا الباب مع رد الشبه المخالفين الذين يزعمون أن الله لا يراه المؤمنون يوم القيامة من أمثال؛ الروافض، والإباضية، والمعتزلة، والجهمية، ومن من تأثر بهم.

أما مذهب أهل الحق الذي عليه النبي **صلى الله عليه وسلم**، وأصحابه، والتابعون لهم بإحسان، والذي دل عليه القرآن، والسنة، وإجماع السلف أن الله يراه المؤمنون بأبصارهم حقيقة، ولا يحيطون به؛ لقوله الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، فالمنفي هنا هو: الإحاطة لله **عَزَّجَلَّ**، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، ولا يحيطون به رؤية، وإنما يرونه بأبصارهم حقيقة، ولا يحيطون بذاته؛ لأنه الكبير المتعال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ومما يدل على أن الإدراك رؤية وزيادة: أن قوم موسى لما رأوا قوم فرعون قالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَمَدْرُؤُونَ﴾. قال موسى: ﴿كَلَّا﴾، نفى موسى الإدراك، ولم ينفي الرؤية، وأما قول الله **عَزَّجَلَّ** لموسى **عَلَيْهِ السَّلَام**: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾؛ فهذا في الدنيا، ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبَعًا﴾: فعلم موسى أن لا قدرة له على النظر إلى الله **عَزَّجَلَّ** في الدنيا.

والنبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: «لن تروا ربكم حتى تموتوا». أخرجه مسلم عن رجل من أصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم** هذا خبر، وخبر النبي **صلى الله عليه وسلم** صدق، وتعلق به أحكام الثبوت، فلا أحد يرى ربه إلا بعد الموت.

قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما



قَدَمَ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ. متفق عليه عن عدي ابن حاتم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنكُمْ مُلَاقُوهُ﴾، قال العلماء: كل آية ذكر فيها اللقي فيدخل فيها الرؤية؛ لأن الرؤية لا تكون إلا بلقي، أو كما قالوا رحمهم الله كما قرر ذلك ابن خزيمة، وشيخ الإسلام، والشيخ ابن باز، وغير واحد من المتقدمين، والمتأخرين.

وجاء في صَفْوَانَ بْنِ مُخْرَزٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عُمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يُدْنِي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ **عَزَّوَجَلَّ**، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَفَّهُ، فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ»، أخرجه مسلم

الحديث دليل على: أن المؤمن يلقي الله ويرى الله **عَزَّوَجَلَّ**، ومع ذلك الله **عَزَّوَجَلَّ** على عرشه؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأُ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾». متفق عليه عن جرير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** يرى في العلو خلافاً لم ذهب إليه الأشاعرة من أن الله يرى لا في جهة، ورد عليهم العلماء هذا القول، فإن ما من موجود إلا ويرى في جهة، والله **عَزَّوَجَلَّ** يرى في جهة العلو؛ لأنه على عرشه استوى.

فاسأل ربك أيها المسلم بمعنى هذا الحديث الذي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله: «اللَّهُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ».



أعظم نعيم الجنة أعظم من الحور العين، وأعظم من شرب اللبن، والعسل،
والماء، وغير ذلك من النعم التي في الجنة النظر إلى وجه الله.

فيجب أن نعتقد ما أعتقد السلف، ونتكلم بما تكلم به السلف، وندعوا إلى ما
دعا إليه السلف رضوان الله عليهم، ومن أسباب النظر إلى وجه الله المحافظه على
صلاة الفجر، والعصر في جماعة، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا
تَرُونَ هَذَا، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ إِلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأْ هَذِهِ آيَةَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
الْغُرُوبِ﴾**».

ومنها توحيد الله **عَزَّجَلَّ**، والإحسان مع الخلق ببذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة
الوجه.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾؛ الجنة.

﴿وَزِيَادَةٌ﴾؛ النظر إلى وجه الله **عَزَّجَلَّ**.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾؛ من نعيم الجنة، ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾؛ النظر إلى وجه الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبالله التوفيق.





٢٢- فائدة عن بيان بعض أهم أسباب الرزق

فإن من طبيعة الإنسان: أن يحرص على رزقه وعلى طرق جمعه؛ لأن الإنسان يعيش على ذلك ولهذا ما خلق الله أحدًا إلا وقد كتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

والنبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجِلُوا فِي الطَّلَبِ**».

والله **عز وجل** قد هدئ كل مخلوق إلى طرق رزقه، قال الله **عز وجل**: ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾.

فلو تأملت الجنين منذ أن يكون نطفة في بطن أمه وحتى يخرج ويرزقه الله **عز وجل** وهو في بطنها يسخر له دمًا يغذيه فإذا ما خرج تحول ذلك الدم إلى لبن ثم يقويه الله **عز وجل** حتى يتقبل بقية الأرزاق.

وهكذا في الحيوانات قد جعل لها طرقًا في تحصيل معائشها فتجد الدود الذي في الدقة بمكان يبحث عن رزقه ويتحصل عليه والذي يرزقه الله وهكذا الطير كما أخبر النبي **صلى الله عليه وسلم**: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرَزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بَطَانًا**». أخرجه الترمذي عن عمر **رضي الله عنه**.

ربما يخرج طائر من بيضه لا يعلم شيء مما يقوم حياته وإذا برنا يسخر له في أمه أو ببعض الطيور تأكله بمنقارها.

والله **عز وجل** والحكمة والقوة والقدرة البالغة في هذا الباب انظر إلى الأسماك يسترزق بعضها من بعض والذي يهمنا في هذه الحالة أن نذكر شيئًا من أسباب الرزق الذي غفل عنها الناس فإن كثيرًا من الناس أصبح حاله كما قال النبي **صلى الله عليه وسلم**:



«يأتي على الناس زمانٌ لا يبالي المرءُ بما أخذَ المالَ أبَحْلالٍ أم بحرامٍ». أخرجه البخاري عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لما قال: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرَّمَ»، أخرجه ابن ماجه عن جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.
ومن أعظم أسباب الرزق:

١- التوحيد، فالموحد يرزقه الله رزقاً مباركاً فيه، كما قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾.

٢- الصلاة، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلَك رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَابُ لِلتَّقْوَى﴾.

٣- التمسك بالكتاب والسنة؛ قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ الذِّكْرِ لَأَكَلُوا مِنْ قَوْفِهِمْ وَبِمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

ومما يدل على ذلك: قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَحْمِي**». أخرجه أحمد عن عبد الله ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

وقد أقبل الله **عَزَّ وَجَلَّ** بكنوز كسرى، وقصر على المسلمين، لما طبقوا المتاب والسنة وامتثلوهما علماً وعملاً.

٤- الإيمان؛ قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فالإيمان بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نبياً من أوسع أبواب الرزق سواء الرزق الخاص الذي هو الإسلام والإيمان، والعمل الصالح، أو الرزق العام الذي هو؛ من مأكول أو ملبوس، أو غير ذلك من المتمولات.



٥ - الدعاء؛ فإنه من أعظم أسباب الرزق ولهذا كان من الدعاء المأثور: «اللهم
إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً»، أخرجه البيهقي في الشعب عن أم
سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

فإن الله عَزَّوَجَلَّ بيده خزائن السموات الأرض، ولا يعجزه شيء، فما على الإنسان
إلا أن يرفع أكف الضراعة إلى الله عَزَّوَجَلَّ متوسلاً إليه بفضله، وكرمه، وجوده،
ورحمته، وغير ذلك من صفات الإحسان، والكمال.

فإن الإنسان إذا دعا الله عَزَّوَجَلَّ استجاب له، فكم من فقير أغناه الله، وكم من
محتاج فرج الله عنه، وكم من جائع أطعمه الله، وكم من عارٍ كساه الله.

كما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما روى عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: « يَا
عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ
ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ،
فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعَمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا
عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا
عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْبِي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ
أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي
مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ
وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ
قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا
كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوفِّيْكُمْ
إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». أخرجه

مسلم



فالله **عَزَّوَجَلَّ** يُسترزق، ويطلب منه الرزق. قال تعالى: ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

٦- التوكل؛ قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
وفي الحديث قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خصاصًا وتروح بطانًا».

يرزق طائر لا يد له ولا قوة إلا بالجنح، والمنقار وإذا به يذهب خميصًا جائعًا، ويرجع بطينًا سمينًا.

نعم فالتوكل على الله **عَزَّوَجَلَّ** من أعظم وأوسع أبواب الرزق الحلال الطيب المبارك فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يضيع من توكل عليه، ولا يضيع من رجاه، ولا من طلب الخير منه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

٧- طلب العلم؛ ففي حديث أنس عند الترمذي: أن أخوين على عهد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يحترف أحدهما والآخر يلزم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فشكا المحترف أخاه إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لعلك تُرزق به».

٨- الإستغفار؛ قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾.

فالإستغفار، والتوبة من أعظم أسباب تكفير الذنوب، والذنوب من أعظم أسباب منع الإنسان من رزقه الذي يعطيه الله **عَزَّوَجَلَّ** له، فإن المعاصي تحيل بين الإنسان، وبين ذلك.

٩- فعل الأعمال الشرعية من العمل وغيره، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.



١٠ - تفريج الكربات؛ قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من نفَس عن مسلم كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ومن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ في الدُّنْيَا يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ومن سَتَرَ على مُسْلِمٍ في الدُّنْيَا سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ».

فيا عباد الله علينا أن نسلك هذه المسالك الشرعية، والطرق السوية في سؤال الله **عَزَّجَلَّ** الرزق، فإن الله **عَزَّجَلَّ** حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً.

فما علينا إلا أن نحسن الظن بربنا **عَزَّجَلَّ**، ونتوكل عليه في قضاء حوائجنا، وتيسير أمورنا، والله هو المستعان، وعليه التكلان، الحمد لله رب العالمين.
وقد ذكرت أكثر من ذلك في كتابي: **(الدر المكنون في أحكام الديون)**.





٢٣- فائدة: بيان أهمية الصلاة

من أركان الإسلام الخمسة المشهورة؛ الصلاة، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤١﴾ قَالُوا لَوْ لَرْنَا نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٢﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾﴾.

وامتدح الله المصلين في مواطن:

قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

وذم الله **عَزَّوَجَلَّ** الخلف الذين لا يصلون وأضاعوها عن وقتها، فقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدَائِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥٥﴾﴾، فشان الصلاة عظيم لاسيما، أن يصلها المصلي في بيوت الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَيَّ هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمُدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحْطُ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلِّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ".

أخرجه مسلم



فأخبر أن الصلاة في المسجد من سنن الهدى التي ينبغي أن يحافظ عليها المسلم في رمضان، وفي غير رمضان، وفي صلاة الجمعة وغيرها من الصلوات؛ الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء لا مناص للمسلم في التخلف عنها إلا لمرض، أو سفر وغير ذلك من الأعذار أو أكل ثوم أو بصل أو من حضرت الصلاة وهو يدافعه الأخبثان، فتأخر عن الجماعة، أو من حضره الطعام، وإلا فالأصل أن الإنسان إذا سمع الدعاء وجب عليه أن يكون مليئاً.

وجاء عبدالله بن أم مكتوم إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** يستتذنه في التخلف عن الصلاة، وكان أعمى كما في "صحيح مسلم": "فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ **صلى الله عليه وسلم** رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ، فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى، دَعَاهُ، فَقَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَجِبْ».

فإذا كان الأعمى لا توجد له رخصة وكان حضوره الصلاة لا يؤدي إلى ضرره فكيف بك أيها المبصر؟ وكيف بك أيها الشاب؟ وكيف بك أيها الشيخ الذي من الله عليك بنعم كثيرة؛ صحة البدن، والسمع، والبصر؟ وربما القرب من المسجد ومع ذلك تتخلف هذا يخشى عليه أن يكون من المخلفين الذين يتخلفون عن الخير، ويخشى عليهم الضرر.

فعلينا أن نحافظ على هذه الصلوات في أوقاتها حيث ينادى بها، وعلينا أن نصلي كما **صلى الله عليه وسلم**.

أمر لا بد أن تجتمع حتى تكون الصلاة مقبولة تامة:

قال النبي **صلى الله عليه وسلم** كما في حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ **رضي الله عنه**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**: «صَلَاةٌ أَحَدِكُمْ فِي جَمَاعَةٍ، تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بَضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَا



يَنْهَئُهُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَمْ يَخُطْ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، وَالْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَاةِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ، اللَّهُمَّ ازْحَمْهُ مَا لَمْ يُحَدِّثْ فِيهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، وَقَالَ: أَحَدِكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ».

فيا أيها المسلم الذي لا تبالي بهذه الأجر العظيمة، كم تحرم كم يفوتك من الخير وكم تتحمل من الإثم؟ من أجل عشر دقائق.

الفرص يمكن أن يصلية المسلم في عشر دقائق هذا مع القراءة المتأنية، ومع إحسان الركوع، والخشوع، والتطويل فيهما، أما إذا كان يصلي صلاة خفيفة ربما في خمس دقائق ربما الركعة تأخذ دقيقة مع ذلك يضيع الصلاة التي أول ما نحاسب عليها يوم القيامة.

ففي مسند أحمد بن حنبل (٤/ ١٠٣): عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ كَانَ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ كَامِلَةٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْمَلَهَا قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: انظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَأَكْمَلُوا بِهَا مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَتِهِ، ثُمَّ الزَّكَاةُ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ».

أول شيء تسأل عنه: الصلاة، فماذا تجيب؟، فإذا قلت: ما صليت مصيبة، وإذا قلت: صليت، فعلى أي طريقة صليت؟، وفي أي وقت صليت؟، وعلى أي هيئة صليت؟، فنحن مسؤولين عن أمور إن أتيت بالعبادة، كيف أتيت بها؟ ولمن أتيت بها؟، وإن لم تأت بها لماذا لم تأت بها؟.

فحثوا أنفسكم وحثوا أزواجكم، وحثوا أبناءكم على التقرب إلى ربكم فإنه سبحانه ما تقرب به بشيء أحب إليه مما أفترض علينا؛ ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ،



وَيْدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

الصلاة التي من تركها كفر؛ قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ». أخرجه مسلم عن جابر.
وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر». أخرجه الترمذي عن بريدة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وفي مسند أحمد بن حنبل: عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ أَحْسَنَ وَضُوءُهُنَّ وَصَلَاةُنَّ لِيُوقِتَهُنَّ، فَاتَمَّ رُكُوعُهُنَّ وَسُجُودُهُنَّ وَخُشُوعُهُنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ».





٢٤- فائدة: (بيان حال المؤمن والمنافق المعرض مع وحي الله تعالى)

وصف الله **عَزَّوَجَلَّ** المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

ووصف الله **عَزَّوَجَلَّ** المنافقين بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَعَبَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.

وجمع الله **عَزَّوَجَلَّ** بين الوصفين بقوله: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ** في وصفهم أيضًا: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

يظهر من هذه الآيات الفرق الواسع، والبون الشاسع بين المؤمن وغيره، وأن المؤمن يتقبل ما أوحاه الله **عَزَّوَجَلَّ** إلى رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وحاله ما قال الله عن المؤمنين: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

أما الصنف الثاني؛ فهو رادٌ لكل ما جاء عن الله عزوجل إما بلسان الحال، وإما بلسان المقال، وإما بهما؛ كما أخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** عن اليهود، وغيرهم بقوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، ﴿سَمِعْنَا﴾؛ يعني: ما أوحاه الله **عَزَّوَجَلَّ**. ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أي: لم نلتزم شرع الله **عَزَّوَجَلَّ**.



ففرق عظيم بين سمعنا، وأطعنا، وسمعنا، وعصينا فهذا في طرف السعداء، وهذا في طرف الأشقياء، هذا حقق العبودية، وهذا حقق التمرد على الله **عَزَّوَجَلَّ**.

فيا أيها المسلم اجعل من نفسك مستجيباً لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في كل ما تسمع، القصور حاصل لدى كثير من الناس، لكن ليكن حالنا كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

معنى الآية: أن المؤمن إذا استجاب لأمر الله، واستجاب لأمر رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، حصلت له الحياة، حياة القلب، وحياة الإيمان، الحياة الحقيقية. وإذا لم تحصل منه هذه الإستجابة وحصل النقيض، حصل الإعراض، والقسوة، وكم نسمع في رمضان، وغير رمضان، من النصائح، والمواعظ، وما أظن أحد من المسلمين إلا في بعض المناطق النائية إلا وهو يسمع موعظة، وعلم، وتذكير، ودلالة على الهداية، وإرشاد إلى الخير.

ولكن العلة في قلة الإستجابة، صارت العبادة عندنا مواسم في رمضان، كل الناس يصلي، كل الناس يصوم، كثير من أصحاب المعاصي يتركون، ينتظرون ذهاب رمضان إذا ذهب رمضان، عاد تارك الصلاة إلى تركه، وعاد المذنب المسرف على نفسه إذن لم تكن العبادة لله **عَزَّوَجَلَّ** خالصة، كانت العبادة بالزمان، ما هكذا أمر المسلم.

المسلم مأمور بطاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** في جميع العام، مأمور بالاستجابة لأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** في جميع العام، وبامثال سنة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في جميع العام؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** أنزل القرآن، وأوحى السنة ليعمل بها حتى يأتي الإنسان اليقين، كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، فلا تكن عبادتنا لله موسمية، نعم إن هناك أوقات أفضل من أوقات، وهناك هبات من رب العباد **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يمتن على الناس



بها؛ من أجل تكفير ذنوبهم، والتجاوز عن سيئاتهم، ويكون فيها بلاغ لهم، ونشاط، لكن ليس معنى ذلك أن تعود القهقره

قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه، ومن قام ليلة القدرِ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما قدّم من ذنبه». متفق عليه عن أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

فإذا انتهى رمضان شرع الله صيام ستة أيام من شوال؛ كما قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوالٍ فكأنما صام الدهر».

فإذا انتهى شوال شرع الله **عَزَّوَجَلَّ** صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وشرع صيام يوم عرفة؛ تكفر السنة الماضية والآتية، وشرع صيام يوم عاشوراء؛ يكفر السنة الماضية. وهكذا في الصلوات جعلها الله **عَزَّوَجَلَّ** تتناوب في اليوم، والليلة تارة بين الفرض، وتارة بين النفل فلا تبخل على نفسك أيها المسلم بطاعة الله عزو جل، لا تكن من الذين قالوا: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾.

فهذه الأيام تصفد الشياطين، ويحصل فيها زيادة في الإيمان، فاستمر على هذه الدفعة، واستمر وواصل، فعود نفسك تتعود، وتقول: لازم أصلي في المسجد، فلا يأتي آخر ليلة في رمضان ما تأتي المسجد حيل بينك وبين الطاعة، هذا من علامة عدم قبول العمل.

فمن علامة عدم قبول العمل: أن ينقطع العبد عن العمل، ومن علامة قبول العمل أن العمل الصالح يجر إلى عمل آخر؛ ولهذا ذكر بعض أهل العلم في علامة الحج المبرور قالوا: أن يستمر العبد على الطاعة بعد هذا الحج.



هذا هو الذي أمرنا الله به وشرعه لنا، فلنستفد من هذه المواسم بمضاعفة الجهود، والأجور المترتبة على ذلك، وزيادة الإيمان، فإذا خرج الموسم لا أقل أن تبقى على الواجب.

كما قال ابن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فيما يرويه عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً -نشاط من الرجال والنساء-، ولكلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ -فتور- فمن كان فِتْرَتُهُ إلى سِتِّي فَقَدْ اهْتَدَى، ومنْ كَانَتْ إلى غير ذلك فَقَدْ هَلَكَ**». أخرجه أحمد.
والحمد لله رب العالمين.





٢٥- فائدة عن: الإيمان باليوم الآخر

من عقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمان باليوم الآخر؛ وهو أحد أركان الإيمان الستة التي دل عليها حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وحديث عمر الذي أخرجه مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمُسْتَوَلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأَحَدُّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَّةُ رَبَّهَا، فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحَفَاةَ رُءُوسَ النَّاسِ، فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ تَلَا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَازَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] " قَالَ: ثُمَّ أَذْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ»، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «هَذَا جَبْرِيْلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ».

وهكذا القرآن مليء بذكر اليوم الآخر، وبأسمائه المتكاثرة الدالة على صفاته العظيمة، وسمي باليوم الآخر؛ لأنه لا يوم بعده، وينتهي الناس إلى دارين لا ثالث لهما؛ كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾، وهو يوم مهول: قال تعالى ﴿بِأَيِّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ١ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُنْهَلُونَ



كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿١٠﴾

يحشر الناس حفاة عراة غرل بهما؛ أما الحفاة؛ الذين لا نعال لهم، وأما العراة؛ الذين لا لباس لهم، وأما البهيم؛ الذين ليس لهم شيء من المتاع، وأما الغرل؛ فهو الغير مختون.

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

ويحشر الله عزَّجَلَّ الناس جميعاً: ففي صحيح مسلم عن ابنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ: «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ».

وفي صحيح البخاري: عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»، ثُمَّ قَالَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فٰلِعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ، أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّنِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصِحَّابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿رَكَتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ».



إلا أن هنا أمور ينكرها المبتدعة ناسب الحديث عنها، وهي الصراط، فالصراط ثابت في السنة، وقد أشار إليه القرآن؛ كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُحْيِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۖ﴾.

والصراط؛ هو جسرٌ ممدودٌ على متن جهنم يجوزه المؤمنون، لا يجوزه غيرهم؛ لأن الكافرين يساقون إلى النار سواقًا حتى يلقون فيها، ويتقادعون فيها تقادع الفراش، وأما المنافقون فهم يصعدون على الصراط، ثم تنطفئ أنوارهم، فيرجعون فيتقادعون فيها، قال تعالى ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا نَفْسِنَا مِنْ تَوَكُّرٍ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۗ يُنَادُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ مُنْكَرٌ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكَيْتُمْ فَتَنَّمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۗ﴾.

وفي "صحيح مسلم": من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ قَالَ « دَحْضٌ مَزَلَّةٌ. فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوبِكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْحَيْلِ وَالرَّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَتَحْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ قَوَالِدِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِفْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيُحْجُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتَحْرَمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَحَدَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ يَمِّنُ أَمْرَتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا يَمِّنُ أَمْرَتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا



كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقولون ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخْرِجُوهُ، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً»
فقوله: «دحظة»؛ أي أن الناس يزلقون عليه زلقن إلا من ثبته الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وقوله: «مزلة»: أي أن من سقط منه سقط في النار ما هناك مكان آخر تتعلق، أو تسلم يسقط في النار عليه كالليب، وخطاطيف، وحسك مثل شوك السعدان، مأمورة بمن أمرت به، فمخدوش مسلم، ومكردس على وجه في نار جهنم بعضهم تخمشه وتجرحه، ويسلم، وبعضهم تكرسه في النار. كما في صحيح مسلم من حديث حذيفة وأبي هريرة، نسأل الله السلامة.

أما المؤمنون الخُلص فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كالركاب، ومنهم من يجري جرياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، وهو السبيل إلى الجنة، لا سبيل إلى الجنة إلا من طريق الصراط، وأول من يجيزه محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأُمَّته، ولا يتكلم عند الصراط إلا الرسل، ودعوتهم: «اللهم سلم سلم».

وبعد الصراط قنطرة توصل بين الصراط، وبين الجنة يحجز الناس عليها لا يدخل أحد الجنة وعنده مظلمة لأحد، ما يدخل إلا بعد أن ينقى، ويهذب، ويصفى. فنؤم بهذا كله، وينبغي أن نستعد لمثل هذه المواطن.

ومما يؤمن به أهل السنة، والجماعة؛ الحوض؛ قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا بِكَ

الْكَوْثَرِ ﴿٥﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٦﴾.

والحوض؛ هو نهر وعده الله **عَزَّوَجَلَّ** محمداً **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عليه خير كثير آتيته عدد النجوم، وماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، وأحاديثة متواترة وأقرب المراجع كتاب الفضائل من صحيح مسلم وزواياها سواء مسيرة شهر تمده ميزابان من الجنة من نهر الكوثر، من شرب منه لا يظماً بعدها ابداً.



ويطرد منه طائفتان:

الطائفة الأولى: أهل البدع، قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَنَا عَلَى الْحَوْضِ أَنْظَرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ» قَالَ: "فَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي، وَمِنْ أُمَّتِي، قَالَ: فَيُقَالُ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَمِلُوا بِعَدِّكَ، مَا بَرِحُوا بِعَدِّكَ يَرْجِعُونَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ" قَالَ جَابِرٌ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الْحَوْضُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ - يَعْنِي عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ - وَكِبْرَانُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

الطائفة الثانية: بعض أهل المعاصي؛ ففي مسند أحمد: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: «أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ»، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: «أَمْرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَكَأَنْتَ مِنْهُمْ، وَلَا يَرُدُّوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنِّهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمَ نَبْتٍ مِنْ سُحْتِ النَّارِ، أَوْلَى بِهِ. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمَعْتَقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُؤَبِّقُهَا».

وممن يكرم بالشرب منه: أهل اليمن، والمقصود بهم أهل السنة، أهل الإسلام الخالص، لا أهل الشركيات، والبدع، والخرافات الذين غيروا، وبدلوا، قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنِّي لَبِعْقَرٍ حَوْضِي أَدُودُ النَّاسِ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَانَ»، وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِيهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ



ذَهَبٌ، وَالْأَخْرُ مِنْ وَرَقٍ» وفي رواية: «أنا، يومَ القيامةِ، عندَ عُقْرِ الحَوْضِ». أخرجه مسلم عن ثوبان **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

هذه كرامة عظيمة إذ يشربون من حوض رسول الله صلى عليه وسلم، فينبغي لنا التمسك بالسنة حتى ندخل في هذه الفضائل.
وقد أنكر الحوض أهل البدع من المعتزلة، والخوارج، ومن تأثر بهم من الروافض، وغيرهم.

ومما تؤمن به الميزان؛ ميزان توزن به أعمال العباد له كفتان، يوزن العبد العامل. ففي مسند أحمد بن حنبل: عن علي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: أمر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ابنَ مَسْعُودٍ فَصَعِدَ عَلَى شَجَرَةٍ أَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهَا بِشَيْءٍ، فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى سَاقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ حِينَ صَعِدَ الشَّجَرَةَ، فَضَحِكُوا مِنْ حُمُوشَةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا تَضْحَكُونَ؟ لَرِجُلٍ عَبْدِ اللَّهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَحَدٍ».

ويوزن العمل: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ».

وتوزن الصحف؛ كما في حديث عبد الله ابن عمرو ابن العاص قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سِجْلًا، كُلُّ سِجْلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ يَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَمْ تُعْذِرْ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ لَا ظَلَمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَيُخْرِجُ بَطَاقَةً فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنْكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجْلَاتِ؟ فَقَالَ فَإِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ. قَالَ: فَتَوْضَعُ السِّجْلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجْلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبَطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».

أخرجه الترمذي.



الصراط، وحتى يثقل ميزانك، وإلا فلا ينفع في ذلك اليوم؛ كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾، والحمد لله.





٢٦- فائدة: الموت في الأيام أو الأماكن المفضلة.

يسأل بعضهم ويقول: نرى أناساً على غير صلاح واستقامة، ولما نراهم يموتون في الأيام الفصيحة مثل رمضان، ومثل يوم الجمعة؟

أقول: موتهم في مثل هذه الأيام، أو موتهم في الأماكن المفضلة مثل؛ الحرم، وغيره، لا يغير من حالهم شيئاً، ولا يدل على صلاحهم، ولا على حسن الخاتمة؛ لأن الإنسان إنما يؤخذ بعمله، قال الله **عَزَّوَجَلَّ** في وصف الجنة: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وهكذا يذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** في شأن أهل النار بأنهم ما دخلوها إلا بسبب معاصيهم، وكفرهم، وعنادهم إلى غير ذلك.

وأما الحديث الذي فيه: «**مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَقِيَ فِتْنَةً**

الْقَبْرِ»؛ فهو حديث ضعيف لا يثبت على ما أذكر في سنده ربيعة ابن مسكين.

وعلى القول بثبوته يحمل على أهل الخير، والصلاح؛ الذين هم يعملون الصالحات في جميع الأيام، وإذا جائهم الموت يوم الجمعة كانوا من المستعدين له بالتوبة، والإستغفار، وحسن الخاتمة، وغير ذلك.

أما مجرد موت الإنسان في يوم فضيل، أو في شهر فضيل أو في مكان فضيل هذا لا يؤثر ليس من عمله، اليوم الفضيل ليس من عمله، والشهر الفضيل ليس من عمله، والمكان الفضيل ليس من عمله، وإنما يثاب الإنسان بعمله.

والموت في المكان المبارك إن استطاع الإنسان أن يتحصل عليه فهو أمر مطلوب؛ فإن موسى **عَلَيْهِ السَّلَام** لما جاءه ملك الموت سأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر.

وكان عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يقول: (اللهم إني أسألك الشهادة في بلد نبيك).



وكان أبو بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يرجو أن يموت يوم الإثنين موافقة لموت رسول الله صلى عليه وسلم في يوم الإثنين، وقبض يوم الثلاثاء؛ لأن الزمن الفضيل يفرح به المؤمن يموت على خير، ويبعث على خير، كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيْمَانِهِ وَالْمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِهِ». أخرجه مسلم

فالإنسان إن مات صائماً هذا الذي يرجى له الخير، إن مات ساجداً هذا الذي يرجى له الخير، إن مات مُصلياً مُزكياً هذا الذي يرجى له الخير، إن مات طالب علم هذا الذي يرجى له الخير.

ففي سنن النسائي الكبرى: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا مُحْرِمًا صُرِعَ عَنْ نَاقَتِهِ، فَأَوْقَصَ ذُكْرَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ»، ثُمَّ قَالَ: عَلَى إِنْزِهِ خَارِجًا رَأْسُهُ، قَالَ: «وَلَا تُمَسُّوهُ طَيْبًا، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّيًّا» قَالَ شُعْبَةُ: فَسَأَلْتُهُ بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ، فَجَاءَ بِالْحَدِيثِ كَمَا كَانَ يَجِيءُ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «وَلَا تُحْمَرُوا وَجْهَهُ، وَرَأْسَهُ».

لأن هذه أعماله يعملها، ويتقرب بها إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، وختم الله **عَزَّوَجَلَّ** له بها، والأعمال بالخواتيم، أما أن يموت يوم الجمعة ماله فيه أي دخل أصلاً. ومثله قراءة القرآن على نية الميت ليس للميت فيه أجر؛ لأنه ليس بعملٍ له أصلاً قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

ومثله: عندما أن يقول الإنسان: اللهم إني أسألك بجاه نبيك، أو بحق نبيك، أو بحق موسى، أو بحق عيسى، أو بحق آل البيت أو غير ذلك، ما له فيه أي مدخل. جاه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** له، وجاه عيسى **عَلَيْهِ السَّلَام** له، وحق آل البيت الصالحين لهم، إذا قلنا آل البيت ما نريد الروافض، الآن أصبح الوصف على آل البيت على الروافض، نعوذ بالله من تقمصهم لهذا الوصف.



فإذا أطلقنا آل البيت: نريد آل البيت الصالحين مثل؛ علي، والحسن، والحسين، ومن سار على سيرهم.

فالشاهد: أن الإنسان يؤخذ بعمله، فلا تذهب إلى نسب، ولا تذهب إلى يوم، ولا إلى شهر، ولا إلى شيء، هب على أنك مت علي صلاح في يوم سبت، في يوم جمعة، في يوم أحد، في يوم إثنين، أو أنك مت علي صلاح في شهر رجب، أو شعبان، أو محرم، أو في غير ذلك من الشهور، فأنت علي خير، أما أن يظن الظان أنه من مات في رمضان له فضيلة، إن مات صائماً له فضيلة، وإن مات قائماً له فضيلة، فإنه يبعث علي ما مات عليه.

أما تارك الصيام ماذا يستفيد إذا مات في رمضان، أو تارك الصلاة ماذا يستفيد إن مات في رمضان، أو متعاطي السيئات والآثام ماذا يستفيد إذا مات في رمضان؟
فعلينا عباد الله أن نبادر بالصالحات، وأن نستغل الأوقات المباركات بالتوبة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لأن الإنسان لا يدري متى يُقضى عليه.

فكم من إنسان ختم له بسوء خاتمة، انظروا ذلك المغني: طلال مداح، كم قد أفسد بأغانيه، كم قد أفسد بدقته علي العود، ربما حصل بسبب ما كان عليه فساد عريض في الأخلاق، في القيم، في المبادئ؛ لأن الغناء كما قال السلف: بريد اللواط ورقية الزنا، وكان السلف يحذرونه جداً، ويحذرون منه، مات وهو يغني علي خشبة المسرح والناس ينظرون إليه وهو يدق العود، يبعث علي ما مات عليه من البلاء، والشر، نعوذ بالله من الشر والبلاء.

بينما إذا مات الإنسان يقرأ القرآن، ويسبح، ويستغفر، ويحمد ربه يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، مات علي وصية طيبة، المؤمن حتى عند موته وهو يخرج منه الصالح، يأمر أهله بالطاعة، يأمر أبناءه بالخير، أوصيكم بكذا، أوصيكم بكذا.



والمجرم إذا جاءه الموت إما يصيح، وإما يتألم، وإما ما يريد يموت، مع أن الموت لا مفر منه، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾. سبحان الله ما قال: يدرككم، أو يلحقكم، قال: ﴿مُلْقِيكُمْ﴾ كأنك تجري فار منه ويقطعك قطعاً، فهذا هو الواقع أن الموت أمام الإنسان يدركه لا محالة.

وقال تعالى ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكُهُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾، ما يستطيع الإنسان يفر من الموت أبداً، لا ملك، ولا مملوك، ولا إنسي، ولا جني، ولا غني، ولا فقير ولا مسكين، ما يفرق الموت يقول هذا مسكين يُرحم، وإلا هذا غني يكرم، وإلا هذا عالم يترك، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، وقال تعالى ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، أعطاه الله عز وجل آجال العباد إذا جاء الأجل لا يفرق، ولا يتتظر، قال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، نسأل الله أن يتوفانا على الإيمان، والسنة، والإسلام. وروي عن الأوزاعي أنه رأى ربه سبحانه وتعالى فقال: يارب أمتني على الإسلام، قال: وعلى السنة يا أوزاعي.

أمر عظيم أن يموت الإنسان على الإسلام، والسنة وهو بعيد عن البدع، والشر، ولكن أغلب الناس لا يتعظون مع أن أباه مات أمامه، وأمه، وأخاه، وأخته، وجاره وصاحبه، وهو في ما هو فيه من الباطل وفي الحديث: «كفى بالموت واعظاً» والمفروض أن الإنسان يكفيه الموت واعظاً في ما هو فيه من البلاء، إذا كان من أصحاب المعاصي، إذا ذكر الموت ينزجر، وإذا كان من أصحاب الطاعات وذكر الموت يزيد في طاعته لأنه يعرف أنه سيحال بينه، وبين ما يشتهي من العمل قال تعالى: ﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾. وبالله التوفيق.



٢٧ - فائدة عن: عقيدة أهل السنة في الجنة والنار على أنهما موجودتان الآن

من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الجنة والنار موجودتان الآن، وأنهما لا تفنيان أبداً، ولا تبيدان.

ومما يدل على وجود الجنة، والنار الآن: ما جاء في مسند أحمد: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَسْأَلُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثًا، إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ. وَلَا اسْتَجَارَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا، إِلَّا قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجْزِهِ». وهذا الحديث مخرج في كتاب شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين".

وفيه: الكرامة العظيمة للمؤمن حيث أن الله عَزَّجَلَّ سخر له الجنة تدعو له بدخولها وسخر له النار تدعو له بالسلامة منها وهذا مما يرجو أن يكون من أسباب استجابة الدعاء؛ لأن الجنة كما قال الله عَزَّجَلَّ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوْزِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أَعْدَبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ، فَهُنَاكَ تَمْتَلِي وَيُرَوَّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»، وفي رواية: «احتجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ». متفق عليه عن أبي سعيد وأبي هريرة

فعندما أن تدعو الجنة الكريمة بأن الله عَزَّجَلَّ يدخل المؤمن الكريم فيها يرجى أن يستجاب هذا الدعاء منها وعند أن تدعو النار المخلوق العظيم أن الله يسلم المؤمن منها يرجى أن يستجيب الله عَزَّجَلَّ هذا الدعاء فيا أيها المسلم انظر إلى كرم الله الواسع



حيث يسخر لك من يدعو لك، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]

وقال تعالى ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]

فما عليك إلا أن تعمل السبب الذي من أجله يرجى أن يرفع الله **عَزَّوَجَلَّ** درجاتك، ويعلي منزلتك، ويتجاوز عن سيئتك، وزلتك، والدعاء هو خفيف، وحفظه سهل.

وفي صحيح الترمذي: وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجْزِهِ مِنَ النَّارِ»، فما عليك إلا أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة، اللهم إني أسألك الجنة، اللهم إني أسألك الجنة، وتقول: اللهم إني أعوذ بك من النار، اللهم إني أعوذ بك من النار، اللهم إني أعوذ بك من النار.

وفي الحديث: استحباب الدعاء ثلاثاً.

وفي الحديث: بيان قدرة الله **عَزَّوَجَلَّ** هو الخالق إن شاء أن يتكلم من شاء تكلم، فقد تكلم الحجر بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسبح، وهكذا الجنة تتكلم بأمر الله، والنار تتكلم بأمر الله، والجنة في السماء، والنار في الأرض السفلى، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ»، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾، جاء في الحديث: أنها في الأرض السفلى. والحمد لله رب العالمين.



٢٨- فائدة: إن الشيء إذا اكتمل بدأ في النقصان

في اليوم الرابع عشر من رمضان لعام تسعة وثلاثين وأربع مائة ألف أقول من المعلوم: أن الشيء إذا اكتمل بدأ في النقصان، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

فالإنسان إذا اكتمل أشدّه بدأ في النقصان وهكذا القمر إذا صار بدرًا بدأ في النقصان.

فيا أيها الناس علينا أن نشمر فيما بقي، وأن نستغفر ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** أن يتجاوز عنا فيما مضى، ونسأله **عَزَّوَجَلَّ** أن يوفقنا فيما يأتي، والأعمال بالخواتيم، فشهْر رمضان شهر مبارك من أوله إلى آخره على ما تقدم مرارًا.

إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدة الشياطين، إلا أن أواخره أفضل من أوائله؛ فإن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد اعتكف العشر الأوسط من رمضان متحرِّيًا ليلة القدر، فلما كان موعد الخروج قيل له: أمامك؛ أي أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان. متفق عليه عن أبي سعيد.

فحث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أصحابه على الاعتكاف بقية رمضان؛ تحريًا لهذه الليلة المباركة.

وكان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيرها، مع أنه كان يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، لكن كان إذا دخل العشر: "أَيْقَظُ أَهْلَهُ، وَأَحْيَى اللَّيْلَ، وَشَدَّ الْمِئْزَرَ"، أخرجاه عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

فالأيام تذهب، والليالي تذهب، وبقي القليل، فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.



والناس في آخر المواسم كل حريص على شراء سلعته، أو بيع سلعته، فنحن في آخر الموسم، فلنكن أحرص من أهل الدنيا على دنياهم، ولنشمر. انظروا دخل رمضان قبل ليال ما كنا نتوقع أن يسير بهذه الخطا المتتالية، المتسارعة، تهيبنا حره، وتهبنا ما فيه من النصب، وإذا فيه الراحة، والطمأنينة، والسكينة.

وكسر الله **عَزَّوَجَلَّ** ما توقع الناس من الحر وصرف الله **عَزَّوَجَلَّ** الضر الذي حصل لغيرنا، فهذا من دواعي أن نقول: (اللهم لك الحمد، والشكر، ونشكر الله **عَزَّوَجَلَّ** بالقول، واللسان والفعل؛ فإن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يقيم الليل حتى تتفطر قدماه، فقيل له في ذلك قال: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا». متفق عليه عن المغيرة وعائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**.

والنفوس تضعف، ففي أول الشهر ترى إقبالاً من الكبار، والصغار، ومن الرجال، والنساء على الطاعة، وبالإستمرار في الشهر ترى فتور، وتاونياً، وكسلاً، وهذا ملحوظ عند الكثير إلا من جاهد نفسه.

فينبغي لنا أن نجاهد أنفسنا فيما بقي من هذه الليالي المباركة؛ لعل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يرزقنا الخير إذا أصلحنا النيات، وعالجنا الطويات، وتابعنا محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما كان يفعل ويذر.

والنفس كما تقدم تثقل عليها العبادة، لكن إذا عودتها الطاعة تعودت النفس كالبعير إذا سايسه صاحبه سار به، وإذا لم يسايسه شرد به، فهكذا النفس إذا سايستها على الطاعة وتعاون معها في سوقها إلى طاعة الله والإستعانة به، والرجاء، والتوكل، وبالترغيب والترهيب، وصلت إلى المطلوب.

وإذا تركتها تشرد شردت وذهبت إلى حيث ألفت رحلها أم قعشم، ربما بعد ذلك لا تستطيع أن تماسكها.



والإنسان الذي ما يستقيم في هذه الأيام متى عساه يستقيم؟ صعب، إذا كان
البدن هذه الأيام مؤهل للطاعة، والإنسان يشرذم متى يستقيم؟
هذه الأيام البطنة غير موجودة، والبطنة تذهب الفطنة.
وهذه الأيام الشياطين، والمردة مصفدة، وهذه الأيام باب الشهوات مغلق أو
موصد، أبواب النار مقفلة، وأبواب الجنة مفتوحة، فإذا لم يؤهل الشخص للخير مع
وجود هذا المؤهلات متى يتأهل؟ متى يصل إلى المطلوب؟
فإن الله باعتماد ما بقي فالعمر يفنى والليالي، ولا يدري أحدنا بما يختم له،
والأعمال بالخواتيم.





٢٩- فائدة عن: الاستعاذة بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن

فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال

من دعاء المسلم إذا انصرف من صلاته: «اللَّهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ». أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وذهب بعض أهل العلم إلى وجوب قول هذه الدعوات دبر الصلاة، حتى أن طاووس بن كيسان اليماني رَحِمَهُ اللَّهُ كان إذا صلى ولده ولم يدعو بهذه الدعوات أمره أن يعيد الصلاة؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ». أخرجه مسلم

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجاء بنحوه عن عائشة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جميعاً. ولو تأملت من هذه الأربع التي يُستعاذ منها لوجدت الشقاوة كل الشقاوة لأهلها، والمسلم مأمور بالبعد عن أسباب الشقاء، والشقاوة.

وقال تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ١١ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْتَلِي ١٢ وَيَسْتَجِبْهَا الْأَشْقَى ١٣﴾
الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ١٤ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ١٥﴾.

فأولها اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم من عذاب النار التي حرها شديد وقرها بعيد.

وقال تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦﴾ [النساء: ٥٦]، وقال تعالى ﴿وَمَا هُمْ بِخَالِجِينَ مِنَ النَّارِ ٣٧﴾.

وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ٣٨﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ



صَلِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْلَمَ نَعْمَرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ
فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾.

وقال تعالى ﴿* هَذَا نِ حَصَمَانِ اَحْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ؕ قَالِذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ
شِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يَصَّبُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١١﴾ يُصْهَرُ بِهٖءَا مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٢﴾
وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿١٣﴾ كَلَّمَا ارَادُوا اَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ اَعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ ﴿١٤﴾﴾.

ففي كل الصلاة فريضة، ونافلة ينبغي لك وجوبًا، أو استحبابًا على قولين لأهل
العلم أن تستعيد من عذاب جهنم لأنه عذاب شديد، قال تعالى ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾﴾.

شربها بئس الشراب ومكثها؛ بئس المقام قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ
شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا
يُعَانُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩]

قال: ومن عذاب القبر؛ القبر أول منازل الآخرة وكان عثمان ابن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**
تذكر له الجنة، والنار فلا يبكي، فإذا ذكر له القبر بكى فبكى له يا أمير المؤمنين نذكر
لك الجنة والنار ولا تبكي، ونذكر لك القبر فتبكي. قال: سمعت النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
يقول: **«إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ
أَشَدُّ مِنْهُ»**. أخرجه أحمد.

والقبر فيه بلاء عظيم إن لم يثبت الله الإنسان، أوله ضمة القبر حتى تتخالف
الأضلاع.

وهذا سعد ابن معاذ الذي اهتز له عرش الرحمن؛ ففي سنن
النسائي الكبرى: عن ابن عمر أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال:



«هَذَا الَّذِي تَحْرَكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفَتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضُمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ».

قال بعضهم: مثل ضمة الأم الحنون وهذا غير صحيح، فقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»، دال على شدة، نسأل الله السلامة.

وفي القبر فتنة: (من ربك؟، وما دينك؟، وما نبيك؟)، ولا يوفق للإجابة إلا موفق، وإلا كم من إنسان كان يصلي بصوم ويحج ويعتمر وإذا سأل في قبره قال: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون: قولاً فقلته فينادي منادي لا دريت ولا تليت فيضرب بمرزبة من حديد لو ضرب بها جبل صار رماد؛ كما في حديث أبي هريرة عند الترمذي.

وفي سنن الترمذي: عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مُصَلَّاهُ فَرَأَى نَاسًا كَانَتْهُمْ يَكْتَشِرُونَ قَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَّاتِ لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى، فَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَّاتِ الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى الْقَبْرِ يَوْمٌ إِلَّا تَكَلَّمَ فِيهِ فَيَقُولُ: أَنَا بَيْتُ الْعَرَبِ وَأَنَا بَيْتُ الْوَحْدَةِ، وَأَنَا بَيْتُ التُّرَابِ، وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ، فَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ قَالَ لَهُ الْقَبْرُ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا أَمَا إِنْ كُنْتُ لِأَحَبِّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ، فَإِذْ وَلَيْتَكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسْتَرَى صَنِيعِي بِكَ»، قَالَ: «فَيَتَسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ وَيَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى الْجَنَّةِ. وَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْفَاجِرُ أَوْ الْكَافِرُ قَالَ لَهُ الْقَبْرُ: لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا أَمَا إِنْ كُنْتُ لِأَبْغَضِّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ، فَإِذْ وَلَيْتَكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسْتَرَى صَنِيعِي بِكَ»، قَالَ: «فَيَلْتَمِسُ عَلَيْهِ حَتَّى تَلْتَقِيَ عَلَيْهِ وَتَحْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** بِأَصَابِعِهِ، فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي جُوفِ بَعْضٍ قَالَ: «وَيُقَيِّضُ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ تِنِينًا لَوْ أَنْ وَاحِدًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الْأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَيْئًا مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا فَيَنْهَشُنَهُ وَيُخَدِّشُنَهُ حَتَّى يُفْضَى بِهِ إِلَى الْحِسَابِ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ».



فيقول المؤمن: (ربي أقم الساعة)؛ لأنه يرى الجنة وما فيها من النعيم، ويقول
المجرم: (ربي لا تقم الساعة)؛ لأنه يرى النار وما فيها من العذاب الأليم؛ قال الله
عزو جل في شأن قوم فرعون: ﴿التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

قوله: (ومن فتنة المحيا): فتنة المحيا؛ الدنيا وما فيها من الفتن التي تصرف
الإنسان عن طاعة الله عز وجل.

والفتن متنوعة منها: صغار، ومنها: كبار، فمن الصغار: فتنة الرجل في أهله،
وماله، وولده، وجاره؛ فعن حذيفة، قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ
يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ، قُلْتُ أَنَا كَمَا قَالَ: قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ أَوْ
عَلَيْهَا لَجَرِيءٌ، قُلْتُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكْفِرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ
وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ»، قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، وَلَكِنَّ الْفِتْنَةَ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ
الْبَحْرُ، قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ، قَالَ:
أَيُكْسِرُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: يُكْسِرُ، قَالَ: إِذَا لَا يُغْلَقُ أَبَدًا، قُلْنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ؟ قَالَ:
نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالْأَعْلِيطِ فَهَبْنَا أَنْ نَسْأَلَ
حُذَيْفَةَ، فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: الْبَابُ عُمَرُ. متفق عليه.

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ. فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتْنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ فَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي
أَهْلِهِ وَجَارِهِ قَالُوا أَجَلٌ قَالَ تِلْكَ تُكْفِرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتْنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ قَالَ حُذَيْفَةُ فَاسْكَتَ الْقَوْمُ
فَقُلْتُ أَنَا قَالَ أَنْتَ اللَّهُ أَبُوكَ فَالْحُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ: تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا، نُكِبَتْ فِيهِ
نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى



أَبْيَضَ مِثْلَ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»، قَالَ حُدَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ، «أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يَكْسَرَ»، قَالَ عُمَرُ: أَكْسَرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فَتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ، قُلْتُ: «لَا بَلْ يَكْسَرُ»، وَحَدَّثْتُهُ: «أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ». متفق عليه

وهذه فتن كثيرة فتنة البدع، وفتنة الشركيات، وفتنة المعاصي والسيئات، نسأل الله السلامة.

قوله: (وفتنة الممات): من كان مفتون في الدنيا فتن في الممات لم يوفق لقول لا إله إلا الله، ولم يوفق للخاتمة الحسنة يموت على فتنة، وربما جائه الشيطان وأغواه. وقد روي عن الإمام أحمد: أنه لما حضرته الوفاة جعل يقول: ليس بعد، فظن من هو حاضر أن الإمام قد خلط والتبس عليه، فلما أفاق قالوا له: ما شأنك؟ قال: جائني الشيطان ويقول: فتني يا أحمد فتني يا أحمد، -يعني: هربت مني، فقد فتنت الناس إلا أنت-، فقلت: لا بعد.

فالإنسان لا يزال خائفًا وجلًا من الفتن حتى يموت، قد يأتيه الشيطان عند الموت فيجور في الوصية، وربما ساءت عقيدته في الله، أو في رسل الله، أو في غير ذلك من أركان الإيمان.

فإن الشيطان حريص على إغواء الإنسان لا سيما عند الممات، فالمسلم يستعيذ بالله من فتنة المحيا أن يرتد عن دينه، أو يقع له ما لا يتحملة ويفتنه عن دينه، وفتنة الممات.

قوله: (ومن فتنة المسيح الدجال): الدجال رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان يدعي أنه رب، مكتوب بين عينيه (ك، ف، ر)، وفي رواية: (كافر)، يقرأه كل



مسلم كاتب، وغير كاتب، وهو موجود الآن على القول الصحيح من أقوال أهل العلم.

كما في حديث الجساسة في "صحيح مسلم" (٨ / ٢٠٣): **عَامِرُ بْنُ شَرَّاحِيلَ الشَّعْبِيُّ، شَعْبُ هَمْدَانَ، أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ، أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ - وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولَى - فَقَالَ: حَدَّثَنِي حَدِيثًا سَمِعْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا تُسْنِدِيهِ إِلَيَّ أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَقَالَتْ: لَيْنَ شِئْتَ لِأَفْعَلَنَ، فَقَالَ لَهَا: أَجَلُ حَدِيثِي فَقَالَتْ: نَكِحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةَ، وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمِيذٍ، فَأُصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطْبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَطْبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حَدَّثْتُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ» فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ، فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: «انْتَقِلِي إِلَى أُمَّ شَرِيكِ» وَأُمُّ شَرِيكِ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ، مِنَ الْأَنْصَارِ، عَظِيمَةُ الثَّقَفَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضَّيْفَانُ، فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي، إِنَّ أُمَّ شَرِيكِ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضَّيْفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكَ حِمَارُكَ أَوْ يَنْكَشِفَ الثُّوبُ عَنْ سَاقَيْكَ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكَ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ وَلَكِنْ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ» - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَهْرٍ، فَهْرٍ قُرَيْشٍ وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ - فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمُنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لَيْلُزَمِ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَذَرُونَ لِي جَمْعَتُكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا**



الدَّارِي كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافِقَ الَّذِي كُنْتُ
أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ
وَجُدَامٍ، فَلَعَبَ بِهِمُ الْمَوْجَ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَتُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ
الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ، لَا
يَدْرُونَ مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعْرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكَ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ،
قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ
بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لِمَا سَمَّتَ لَنَا رَجُلًا فَرَفْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَاَنْطَلَقْنَا سِرَاعًا،
حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدَّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى
عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتِ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي،
فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ
حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعَبَ بِنَا الْمَوْجَ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرَبِهَا، فَدَخَلْنَا
الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ، لَا يَدْرَى مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعْرِ، فَقُلْنَا:
وَيْلَكَ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ
فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَرَعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ
شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ
نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ
الطَّبْرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا
إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُرْعَرٍ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟
قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِيَاءَ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا
يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ
يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى
مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ



أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أَوْشِكُ أَنْ يُؤَذَّنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرَجَ فَاسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهِيَ مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلِكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَاتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا»، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَيْمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أَحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن النّوأس بن سمعان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «النّوأس بن سمعان الكلابيّ، ح وحدثني محمد بن مهران الرّازيّ - واللفظ له - حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطّائبيّ، عن عبد الرحمن بن جبّير بن نفير، عن أبيه جبّير بن نفير، عن النّوأس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الدّجال ذات غداة، فحفّض فيه ورفع، حتّى ظنّناه في طائفة النّخل، فلمّا رُحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: "ما شأنكم؟" قلنا: يا رسول الله ذكرت الدّجال غداة، فحفّضت فيه ورفعت، حتّى ظنّناه في طائفة النّخل، فقال: "غير الدّجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كلّ مسلم، إنّه شابّ قطط، عينه طافئة، كآني أشبهه بعبد العزّي بن قطن، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنّه خارج خلة بين الشّام والعراق، فعات يميننا وعات شمالا، يا عباد الله فاقبضوا" قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: "أربعون يوما، يوم كسني، ويوم كشهري، ويوم كجمعة، وسائر أيامه



كَأَيَّامِكُمْ" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَيْهِ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: "لَا، أَقْدِرُوا لَهُ قَدْرَهُ" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: "كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتَنْبُتُ، فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا، وَأَسْبَعَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَهُ حَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُتَجَلِّينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْحَرَبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَها فَتَتَّبَعُهُ كُنُوزُها كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُتَمَلِّئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَةَ الْعَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفِيهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَينِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرًا، وَإِذَا رَفَعَهُ مَحْدَرًا مِنْهُ جَمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَتَمَهِّي حَيْثُ يَتَمَهِّي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِيَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ».

فالدجال أعظم فتنة ما بين خلق آدم إلى أن تقوم الساعة.

فهذه أربع دعوات احفظها وادعو بها دبر الصلاة وادعو بها في غير الصلاة:

«اللَّهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ».





٣٠- فائدة عن: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من شر

قلبي، وشر سمعي، وشر بصري، وشر لساني، وشر مني»

كان من دعاء النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَشَرِّ سَمْعِي، وَشَرِّ بَصَرِي، وَشَرِّ لِسَانِي، وَشَرِّ مَنِي».

خمسة أمور استعاذ النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من شرها، وهي في الإنسان؛ لأن شرها سبب لفساده، فشر القلب سبب لفساد الجوارح.

والنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». متفق عليه عن النعمان بن بشير **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

والقلب محل الخواطر، ومحل الفكرة، ومحل للرياء، والعجب، والحققد، والحسد وغير ذلك من أنواع البلاء.

فإذا لم يقيك الله **عَزَّوَجَلَّ** شر قلبك حصل لك الفساد العريض، وإذا كان نبينا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** المعصوم قبل نبوته، وبعد نبوته، كان يدعو بهذا الدعاء، فإنه يدعو به تعليمًا لأمته، وتحذيرًا من شرور قلوبهم، وأبدانهم، التي إذا تسلطت عليهم أفسدت أدينهم، ولا حول ولا قوة الا بالله.

وتجد أن مرض المنافقين في قلوبهم، وأن سبب بعد الكفار عن الدين؛ بسبب فساد قلوبهم، قال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ



تُنذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴿[البقرة: ٦-٧].

ولو استقامت قلوبهم لاستقامت جوارحهم، وقيل: بأن القلب لم يسمى بهذا الاسم؛ إلا لتقلبه، لذلك كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يتوسل بتقليل الله للقلب أن يثبت قلبه، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَا مُثَبِّتِ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»، وقال: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفِ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

وكان إذا أقسم يقول: «لَا وَمَقْلَبِ الْقُلُوبِ»، فاستعد بالله من شر قلبك، فأى شر يريده الإنسان يبدأ من القلب بالفكرة والخطرة، والتفكير، وكيفية الحصول عليه، والتزيين يقع في القلب ابتداءً، فهو محل صناعة الشر إن لم يسلم الله **عَزَّ وَجَلَّ** منه.

قوله: (وشر سمعي): السمع تدخل إليه الشبه وتدخل من طريقه كثير مما تسبب الأمراض للقلب فهو أحد طرق القلب فبه يسمع الغناء، وبه يسمع الكذب وبه يسمع الغيبة، والنميمة، وبه يسمع البهت، وبه يسمع الخير، والشر، لكن الاستعاذة من شره، وكم من إنسان أفسده سمعه.

كما قيل: والأذن تعشق قبل العين أحياناً؛ بسبب سماع شيء تسلط عليها على هذه الجارحة، فإذا وقاك الله شر قلبك، وشر سمعك الموصل إلى القلب المسموعات السيئة، وقيت شرًا عظيمًا.

قوله: (وشر بصري البصر): هو طريق المبصرات إلى القلب، وبه يبصر ما يكون سبباً لزيادة إيمانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.



وبه يبصر ما يكون سبباً لفساد إيمانه:

قال تعالى ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥١﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾.

ولسلامة البصر: أمر الله بحجاب المرأة، فالبصر سبب لوصول شرور المبصرات إلى القلب، فإذا وقاك الله **عَزَّوَجَلَّ** شر بصرك فقد وقيت شرًا عظيمًا. وأغلب الذنوب التي تقع على الإنسان إما أمراض شهوانية، أو أمراض شبهاتية، فالأمراض الشهوانية من أعظمها الزنا، واللواط، وغير ذلك من الفساد العريض الذي مبدأه البصر.

فالإنسان يستعيد بالله أن يقع بصره إلا على ما يرضي الله، وأن يكون بصره سبباً لزيادة إيمانه لا لزيادة عصيانه، ولهذا عفى الله **عَزَّوَجَلَّ** عن نظر الفجائية الذي ربما أطلق للفضاء غير قصد شيء فإذا به يرى امرأة أو نحو ذلك، فإذا غض بصرة كان ذلك نظر فجائية معفوًا عنه.

وأما إذا أتبع النظرة النظرة فهذا من أسباب فساد قلبه:

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخِمَارِ الْأَسْوَدِ ❀❀ ❀❀ مَاذَا فَعَلْتِ بِزَاهِدٍ مُتَعَبِّدٍ
قَدْ كَانَ شَمَّرَ لِلصَّلَاةِ إِزَارَهُ ❀❀ ❀❀ حَتَّى قَعَدَتْ لَهُ بِيَابِ الْمَسْجِدِ
رُدِّي عَلَيْهِ صَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ ❀❀ ❀❀ لَا تَقْتُلِيهِ بِحَقِّ دِينِ مُحَمَّدٍ

كأنه قال: دين محمد والأولى أن يقول: بحق رب محمد.

قوله: (ومن شر لساني): اللسان الآفة العظيمة التي ما من يوم إلا وجميع الأعضاء تكفر اللسان وتقول اتقي الله إنما نحن بك.



وقال: النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لمعاذ: «**بِكَلَّتْكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُتُّ النَّاسَ عَلَى جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**».

واللسان سبب لكثير من الذنوب، والآثام، منها الكذب والغيبة، والنميمة، وغير ذلك من الشر ومنها الأمر بالمنكر، النهي عن المعروف. كما أن به صلاح الدنيا، والدين إذا وفق الإنسان لاستخدامه في الطاعات، والقربات به يقرأ القرآن، وبه يذكر الله، وبه يستغفر من الذنوب، والآثام، وبه يدعو الله **عَزَّوَجَلَّ**، وبه يؤمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وبه تبذل النصائح، وبه تتحقق المصالح.

فإنسان يدعو الله **عَزَّوَجَلَّ** بصلاح لسانه، وأن يقيه الله **عَزَّوَجَلَّ** شر لسانه هذا العدو الذي بين فكيك.

وقد سُئِلَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: عن أكثر ما يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، قال: «**الْفَمُّ وَالْفَرْجُ**»، أخرجه الترمذي وغيره عن أبي هريره

وقال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَتَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ**». أخرجه البخاري عن سهل ابن سعد **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

فاضمن لسانك وفرجك باستخدامهما بما شرع الله لك، ويضمن لك رسول الله صلى عليه وسلم الجنة.

قوله: (ومن شر منبني)؛ أي: فرجي، وشر الفرج: أن يضعه في زنا، أو في لواط، أو

في عادة سرية، أو في غير ذلك من المحرمات، قال الله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ**

حَافِظُونَ﴾ **إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ** **أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ** **فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلْكُومِينَ** ﴿٥٧﴾.



فهذه الخمسة التي استعاذ منها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تجد أنها مدخل كل شر وكل ذنب، وكل معصية يُعصى الله **عَزَّجَلَّ** بها في هذا العالم من هذا الإنسان المخلوق الضعيف.

فاستعذ بالله من شرورها فبيده الخير وبيده الشر في صرفه ودفعه.

ومن دعاء النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**وأعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته**»، وقد جمعها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في بعض المواطن: «**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا**»، وفي رواية: «**أعوذ بك من شر نفسي**».

فالإنسان يستعيد بالله من شر نفسه، وشر غيره، وبعض الناس إذا قلت له أعوذ بالله من شرك غضب.

الشر حاصل لدى كثير من الناس إن لم يدفعه الله **عَزَّجَلَّ** ويرفعه فالذي يدفع الشر هو الله الذي بيده تصريف الأمور، ولا يعجزه شيء.

وفي الحديث من الفوائد: أن كثيرًا من المفاصد قد تقع للإنسان من نفسه، والشيطان ما يدخل على الإنسان إلا من نفسه، قال تعالى ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾.

(والشيطان يقول): ﴿**وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ**

فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] فالشيطان ليس له عليك سلطان، ولا يصل إليك إلا

بفساد نفسك، إذا توقفت عن الطاعة، والذكر، والدعاء وجد السبل مفتوحة، فيدخل

من جهة السمع، أو من جهة البصر، أو من جهة اللسان، وصل إلى القلب حرك

الشهوات، حرك الشبهات، وأفسد عليك الحياة والممات، نسأل الله السلامة ونعوذ

بالله من شر الشيطان وشركه وأن نقترف على أنفسنا سوء أو نجره إلى مسلم، والحمد

لله رب العالمين.



٣١- فائدة عن: مثل من القرآن الكريم للعبارة ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية

[التحرير ١٠-١٢].

يقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يضرب الأمثال، للمؤمنين لعلهم يعقلون، ويتدبرون، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.

وفي هذه الآيات: بيان من الله **عَزَّوَجَلَّ** على أن المؤمن ينتفع بعمله، وأن المخالف لا ينفعه عمل غيره.

فامرأة نوح **عَلَيْهَا السَّلَامُ**، وامرأة لوط **عَلَيْهَا السَّلَامُ** زوجتا نبيين، ومع ذلك لم ينتفعا بصلاح زوجيهما، وامرأة فرعون زوجة أعتى العتاة، وأفجر الفجرة من بني الإنسان، إذ زعم أنه الرب الأعلى، ومع ذلك ما ضرها ذلك شيئاً.

ومريم ابنة عمران من بيت صالح كلهم أولي صلاح هي وذويها، ولكل عمله، فينبغي علينا جميعاً رجالاً، ونساءً أن نتقي الله **عَزَّوَجَلَّ** في أنفسنا، وأن نعمل لمرضات ربنا، فهذا هو النافع في الدنيا والآخرة.

والله لا تنفع الأموال، ولا الأحساب، ولا الأنساب، ولا الوساطات، ولا الجمال عند الله **عَزَّوَجَلَّ**، وإنما الذي ينفع العمل الصالح.



في حديث ابن عباس وغيره: "لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ يَا صَفِيَّةُ ابْنَةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَمَلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ». متفق عليه

وفي حديث أبي هريرة عند مسلم: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

فالنسب ما نفع أبا طالب، ولا أبا لهب، والنسب ما ضر بلال، ولا صهيب، فأولئك وضِعوا بالشرك، وهؤلاء رُفِعوا بالإسلام، والإستقامة.

لقد رفع الإسلام سلمان فارس === وقد وضع الشرك النسيب أبا لهب ومع ذلك ينبغي لنا رجالاً ونساءً أن نلازم الآداب الشرعية التي يصلح بها البيت؛ من بذل النصيحة، والتوجيه، والدعاء، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ». أخرجه مسلم

لأن الإنسان إذا دعا على نفسه وأهله قد يصادف ساعة إجابة فيقع عليهم الهلكة، لكن نشمر بالدعاء لأنفسنا، ولأبنائنا، وبناتنا، ولزوجاتنا، ولأبناء المسلمين عموماً لعل الله عَزَّجَلَّ أن يصلح الحال، ويصلح المآل.

مع بذل النصيحة، والتوجيه، والرفق، وكل شيء في موطنه نافع بأذن الله عَزَّجَلَّ، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى الحسن بن علي رضي الله عنه أكل تمرَةً من تمر الصدقة فأدخلها في فيه فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخُ خِخَ أَلْقَهَا أَلْقَهَا أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ». متفق عليه عن أنس رضي الله عنه.

فعلمه صغيراً، وأدبه صغيراً، ونفع الله عَزَّجَلَّ الحسن بن علي بهذا الأدب النبوي.



وقد أدب الله النبي **صلى الله عليه وسلم** عمر بن أبي سلمة لما رأى يده تطيش في الصحيفة فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك». متفق عليه.

وتعويد النشأ على الطاعة أمر لازم للأباء، والأمهات؛ لأنه كما قيل:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفَتِيَانِ مِنَّا ❀❀❀ عَلَى مَا كَانَ عَوْدُهُ أَبُوهُ
فَإِذَا رَأَى مِنْكَ الْوَصِيَّةَ بَعْدَ الْآخِرَى حَتَّى وَإِنْ كَانَ مُتَعَبًا سَيَنْتَفِعُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ،
وَإِذَا رَأَى مِنْكَ عَدَمَ الْمَبَالَاةِ رَبَّمَا يَتِمَادَى فِيمَا هُوَ فِيهِ مِنَ اللَّعْبِ، وَالْمُخَالَفَةِ، فَيَنْشَأُ
عَلَى ذَلِكَ فَتَضُرُّهُ وَلَوْ بَعْدَ زَمَنِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَحَالُ الْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِهِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ
إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١٢﴾﴾، وَقَالَ: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿١٣﴾
سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْتَرَى ﴿١٤﴾﴾، وَقَالَ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾، فَالْمُؤْمِنُ دَابَهُ
التذكير، والتوجيه، والتعليم والنصح، والدعاء لله **عز وجل**، وبالله التوفيق.





٣٢- فائدة عن حديث أنس بن مالك عند أبي داود في ذكر الله عز وجل

أخرج أبو داود في سننه عن أنس ابن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله، من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس، أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة»، وجاء عند أحمد، والحديث خرجه شيخنا مقبل الوداعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتابه "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين".

وفي هذا الحديث: بيان لعظم حضور مجالس الذكر، ولعظم ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ**، وتكثير سواد الصالحين، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زَيْتَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

فالجلاس مع الصالحين سبب لنيل الحسنات، كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما يرويه عن ربه من أن الملائكة يقولون يارب: «فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».

فقوله: (لأن أقعد مع قوم يذكرون الله): بهذا القيد، أما مجالس الغيبة، والنميمة، والقييل والقال، والكذب، والضحك التي تُقسي القلب، وتبعد عن الله **عَزَّوَجَلَّ** فلا بركة فيها، فقد نهانا الله **عَزَّوَجَلَّ** عن القيل، والقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.

ولكن القعود مع الصالحين سبب لنيل الحسنات، ورفع الدرجات، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مع أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه، وهو في المقام المعلى، ومع ذلك بين لمن يسر الله له القعود مع هذه الثلة الذاكرة لله **عَزَّوَجَلَّ** من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إليه من عتق أربعة من ولد إسماعيل.



وفي الحديث: فضل عتاق العبيد، والإماء، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ حَتَّىٰ فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ». ومع ذلك الذكر أعظم أجرًا وأسهل تحصيلًا.

وفي الحديث: بركت الوقتين؛ بركة وقت آخر النهار، ووقت أول النهار؛ وهما وقتان مباركان، محبوبان عند رسول الله صلى عليه وسلم، وقبل ذلك عند الله **عَزَّوَجَلَّ** إذ خصهما بعبادات دون غيرهما، قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ نُمُوسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾، ولهذا خص هذان الوقتان بمزيد ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** كأذكار الصباح، وأذكار المساء.

فيا أيها المسلم لا تبخل على نفسك في صباحك، ومساءك بنيل الدرجات العلى، والنعيم المقيم.

ويا أيها المسلم لا تضيع هذه الأوقات المباركة بغير ما يقرب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وأحاديث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيها بركات كثيرة، لكن نأخذ الظاهر من دلالتها، وإلا لو أراد أحد أن يتكلم عن فضل الذكر الذي تضمنه هذا الحديث لكان في سفرٍ مستقل؛ لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعث بجوامع الكلم.





٣٣- فائدة عن الآية: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢﴾.

ومما ابتلى الله **عَزَّوَجَلَّ** به العباد: ما ينوبهم من الخير، ومن الشر، من المصائب، ومن النعيم، وكم من متنعّم لم يشكر ربه على هذا النعيم بل كان نعيمهم من أسباب بعدهم عن الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وكم من مبتلى لم يستفد من بلواه الرجوع إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** فزاد شره على ما فيه من البلاء، وبعد من الله مع ما فيه من البلاء.

بينما المؤمن حاله مختلف عن ذلك تمامًا، كما في حديث صهيب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند الإمام مسلم: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

أنعم الله عليه بالولد، والزوجة، المسكن، والمال والجاه، والعلم، وغير ذلك من النعم، شكر الله **عَزَّوَجَلَّ**، وظهر ذلك عليه، وعلى جوارحه، وفي أقواله.

وإذا أصابته ضراء صبر، أبتلى بمرض، بفقر، بكثرة أعداء، لغير ذلك من البلاء، وإذا به يصبر، ويتقرب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بهذا البلاء، ويدعو الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يرفعه عنه

متأسياً بما سبقه من الأنبياء، والمرسلين، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿* وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَهُوَ كَرِيهٌ أَنَّا جَبَلْنَا لَهُ وَهُوَ لَافٍ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ وَعَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ۝٨٥﴾، مع ما

ان فيه من المرض، والتعب، والنصب، إلا أنه كان شاكراً، ذاكراً، داعياً لله **عَزَّوَجَلَّ**.



وقد ضرب الله لنا مثلاً بنبيين كريمين أحدهما: في الرخاء، والثاني: في الشدة والضراء، أما صاحب الرخاء فهو: سليمان **عَلَيْهِ السَّلَام** حيث قال: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّكَابٍ ﴿٤٠﴾﴾، ثم قال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤١﴾﴾.

وكذلك حين ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** أيوب **عَلَيْهِ السَّلَام** قال في آخر قصته: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذَّ يَدِيكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْتِثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤١، ٤٤].

وكلاهما كانا نعم العبد؛ إذ أن الحال الذي كان عليه لم يغيره، ولم يغير سبيله إلى الله، فسليمان سخر الله له الجن، والشياطين، والريح، وآتاه وعلمه منطق الطير، ومع ذلك كان مسارعاً في العبادة، والطاعة، بل أنه لما شغل بالخيل عن صلاة المغرب ندم على ذلك: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيفَتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْتَاقِ ﴿٣٣﴾﴾.

وأيوب مع شدة المرض، والسقم حتى ذكر أنه مرض ثمانية عشر سنة حتى تركه القريب، والبعيد، ومع ذلك ما زال صابراً شاكراً، داعياً متضرعاً، فليكن حالنا كحالهم إن أعطانا الله فهو فضله، وفضله يجب أن يشكر عليه، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿١٤٦﴾﴾.

وإن منعنا الله وابتلانا ونسأله اللطف يجب علينا أن نصبر؛ لأنه ما ظلمنا ولا أخذ حقنا وإنما هو فضله، ويُشكره في هذا الحال على عدله سبحانه وتعالى الذي هو فعال



لما يريد وكم من إنسان تكون له منزلة في الجنة لا يبلغها مع السراء فيبتليه الله **عَزَّوَجَلَّ** بالضرء حتى يبلغها.

إن العبد تكون له المنزلة في الجنة لا يبلغها بصلاة، ولا بصيام فيبتليه الله في ماله، وجسده حتى يبلغه الله إياها، فالأمر لله ما يدري الإنسان ما الذي يصلحه، وما الذي يكون من أسباب فساده.

وأما فتح الدنيا فلا عبرة به، قال تعالى ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ** ﴿٤٤﴾ **فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا** **وَلِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿٤٥﴾.

وفي حديث عقبة بن عامر عند مسلم: **عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»** ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ** ﴿٤٤﴾ **فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا** **وَلِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿٤٥﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]. أخرجه أحمد.

فالمؤمن لله في جميع أحواله، والكافر لغير الله في جميع أحواله، تتأسى بالمؤمنين، ولا تتأسى بالكافرين؛ لأن بين هذين الصنفين طوائف بعضهم يقرب من حال أهل الإيمان، وبعضهم يقرب من أهل النفاق، والكفران.

فدائمًا غلب الجانب الذي يوصلك إلى الله وهو راضٍ عنك، فإذا رضي عنا ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** كل شيء يهون، وإذا غضب علينا ربنا والله لا نستأنس برضى أحد.

من أرضا الناس بسخط الله سخط الله عليه، واسخط عليه الناس، ومن أرضا الله بسخط الناس رضي الله عليه، وأرضاه عنه الناس، فالأمر لله من قبل، ومن بعد.





٣٤- فائدة عن: حال الدنيا عند نفس النار في الصيف والشتاء وبيان بعض نعيم

الجنة

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ** في وصف الجنة: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۗ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوبُهَا تَذِيلًا ۗ﴾، ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۗ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۗ﴾.

فانظروا يا عباد الله إلى ما يعانیه الناس من حر شمسٍ بعيدة، مع وجود وسائل تلطيف الجو، فكيف بك أيها المسلم حين تزهد في نعيم الجنة، أو تعرض نفسك لعذاب النار، فالله **عَزَّوَجَلَّ** جعل ما في الأرض أمثلة لما في ذلك اليوم، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَدَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۗ﴾.

وفي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «اشْتَكَبَ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَدِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ»، متفق عليه.

فالحياة السعيدة حقًا في الجنة لا يرون فيها شمسًا تؤذيهم بحرها، ولا يلقون فيها زمهريرا يؤذيهم بردها بل هي بين ذلك كلها نعيم: ﴿وِظِلٌّ مِّمْدُودٌ ۗ وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ ۗ﴾ الآيات، يتنعمون بما أعد الله **عَزَّوَجَلَّ** فيها للمؤمنين.

ومعلوم عند الجميع: أن الله **عَزَّوَجَلَّ** قد شرع شرائع تكون سببًا لدخول الجنة، وكما الحسن **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (ليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي).

فلا بد لمن أراد الجنة أن يقدم السبب الذي به يدخل إليها، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ﴾، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ﴾، وقال تعالى ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِاتَةِ ۗ﴾ [الحاقة: ٢٤]،



وقال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْمُونَ ﴿٦٦﴾ بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]

فالجنة دار النعيم تُنال برحمة الله **عَزَّوَجَلَّ**، والله **عَزَّوَجَلَّ** يرحم أصحاب الأعمال الصالحة، فنحن نعمل ونرجو من الله القبول، والثواب، قال تعالى ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]

وفي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَعَلِّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَغْمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ». أخرجه مسلم.

والشاهد مما تقدم: أن النعيم المقيم في الجنة.

انظر إلى ما يعانيه الناس إما جوع، أو عطش، أو حر أو برد، أو هم، أو هرم، أو سقم، وكل هذا منتفي في الجنة، قال النبي -**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**-: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ فِيهَا، لَا يَيْئَسُ، لَا تَبَلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.
وخبر رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** صدق لا خلف فيه.

وقوله: «لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»: يعني حياة كلها نعيم.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَوْ دُورًا أَنْ تَلِكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رَفِئْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]. أخرجه مسلم.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا

تَصْحَى ﴿١١٩﴾﴾



فالله! الله بالثمير إلى الجنة بأداء العمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾: بأي شرط لهم الجنة؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٣﴾ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَّكِفُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَيَبْشُرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٣ - ١١٤].

وبعد أن ذكر الله - **عَزَّوَجَلَّ** - أن من أعظم أسباب دخول الجنة: الجهاد والشهادة في سبيله، قال أيضًا: ﴿التَّائِبُونَ﴾ الذين يعودون إلى ربهم ويرجعون من ذنوبهم ومعاصيهم.

قوله: ﴿التَّائِبُونَ﴾: أي: الذي يعبدون الله **عَزَّوَجَلَّ**، ويتقربون إليه بالطاعات، والقربات من صلاة، ودعاء، ونذر، وحج، وعمرة إلى غير ذلك.

وقال: ﴿الْحَمِيدُونَ﴾: أي الذين يكثر من حمد الله **عَزَّوَجَلَّ** على نعمه وآلائه الكثيرة، والله **عَزَّوَجَلَّ** يحب الحمد، ولهذا حمد نفسه، وأمر عباده أن يحمده، وكان من تسبيح الملائكة أنهم يحمدون الله **عَزَّوَجَلَّ** صباحًا، وعشيًا، ومن أفضل ما اصطفى لهم من الكلام: (سبحانك اللهم وبحمدك).

وقال ﴿التَّائِبُونَ﴾ قيل الصائمون وقيل طلاب العلم

وقال ﴿الرَّاكِعُونَ﴾ أي الذين يتقربون إلى الله بالصلوات الفرائض والنوافل.

وقال ﴿السَّاجِدُونَ﴾ أيضًا يكثر من السجود بأنواعه فهم متقربون إلى الله

عَزَّوَجَلَّ بما أمرهم



وقال ﴿الْأَمْرُوتُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو كل ما وافق الكتاب والسنة من التوحيد
فما دونه

وقال ﴿وَالنَّاهُوتُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهو كل ما خالف الكتاب والسنة من الشر
فما دونه

وقال ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ المحافظون على أنفسهم من مجاوزة الشرع
وحده فيأتون بالمأمور وينتهون عن المحظور

فينبغي لنا أن نبادر في تحصيل سبل دخول الجنة، انظروا كيف كل يشكي الناس
من الحر كل يقول الجو حار، وأنت تحت الظل، وأنت على رأسك المروحة، فكيف
بحر يوم القيامة، فكيف بحر جهنم، ونفرح إذا اشتغل المكيف، أو اشتعلت
المروحة، فكيف بالفرح العظيم إذا دخل الإنسان الجنة ورأى ما فيها من النعيم
المقيم، والفضل العميم الذي أعده الله **عَزَّجَلَّ** للمؤمنين.

ذلك هو الفرح الحقيقي، وذلك هو الحزن الحقيقي، فرح أهل الجنة هو الفرح
الذي ليس بعده فرح، وحزن أهل النار؛ هو الحزن الذي ليس بعده حزن نسأل الله
السلامة والعافية؛ ولذلك يقول الله **عَزَّجَلَّ** في وصفه: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ
عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٥،
. [٣٥]

نكثر من هذا الدعاء: نسأل الله الجنة، ونعوذ بالله من النار، ندعوا لأنفسنا،
ولآبائنا، وأمهاتنا، ولجميع المسلمين، لا يضررك أن تشرك المسلمين في دعوتك.

وانظر إلى إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** يقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ
يَقُومُ الْحِسَابُ﴾، فالمؤمن يؤجر على دعائه للمؤمنين، والمؤمنون يستفيدون من
دعوة الرجل الصالح، فربما تصيبهم دعوة، وهم في قبورهم فتكون بها رحمتهم،



وربما تصيبك دعوة رجل صالح وأنت حي فيكون من أسباب صلاحك، كما في حديث ابن مسعود في "الصحيحين" في وصف الشهيد، وفيه: أصابه كل عبد صالح في السماء والأرض.



٣٥ - فائدة من: خصائص أهل السنة على حرصهم على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والفعل والإعتقاد وبيان مختصر صفة الصلاة

من فضل الله **عَزَّوَجَلَّ** على أهل السنة، والجماعة؛ أنهم يحرصون على متابعة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في جميع شأنه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وما سمو بهذا الاسم إلا لذلك، سمو بأهل السنة؛ لأخذهم بالسنة قولاً، وعملاً، واعتقاداً.

وهذا معنى قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، فالذي يريد الله **عَزَّوَجَلَّ**، ويريد اليوم الآخر، فيغفر له في ذلك اليوم، ويتجاوز عنه من شدة ذلك اليوم، فالطريق الأصل؛ هو الأخذ بسنة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأعظم ما يتابع به النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعد التوحيد؛ الصلاة. ولذلك قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في البخاري من حديث مالك بن الحويرث: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي**»، هذا الحديث قصير في مبناه عظيم في معناه.

فقوله: «**صَلُّوا**»: وهذا أمر لجميع الناس من الرجال، والنساء، وهو معنى قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، في آيات كثيرات يأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** بإقام الصلاة.

إلا أن الحديث فيه بيان آخر: حتى لا يصلي هذا على طريقته، وهذا على مذهبه، وهذا كما رأى أباه، وتلك كما رأت أمها بل: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي**»، أي: صلوا كصلاة رسول الله صلى عليه وسلم.

قد يقول قائل: نحن لم نر رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فيكيف نصلي كصلاته؟ نقول: بحمد الله **عَزَّوَجَلَّ** قد روى الصحابة رضوان الله عليهم ما يتعلق بصلاة رسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وغيرها، ودونت مروياتهم في الكتب الصحاح: كالبخاري، ومسلم، وما دونها في الصحة.



وفيها الكثير من الصحيح، كالأمهات الست، ومسند أحمد، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، ومستدرک الحاكم، ومعجم الطبراني، وغير ذلك من الكتب التي جمعت أحوال النبي **صلى الله عليه وسلم** وما يتعلق بعباداته.

فنحن مأمورون أن نصلي كما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يحتاج منا إلى تعلم وتعليم وعمل بالعلم.

فإنك إذا صليت كما صلى أبوك، أو كما صلت أمك، أو كما صلى صاحبك، ربما لم تكن مصلياً كما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأن كثيراً من الناس يخالفون صلاة النبي **صلى الله عليه وسلم**.

والصلاة لها شروط وأركان واجبات، ومستحبات، فمن وفقه الله **عز وجل** لأدائها فهو موفق، فإنه كلما قربت صلاة العبد من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كان أجره أعظم، وكان له العهد عند الله.

كما قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «**خمس صلواتٍ افترضهنَّ الله، من أحسنَ وضوءهنَّ وصلأهنَّ لوقتهنَّ، وأتمَّ ركوعهنَّ، وخشوعهنَّ كان له عند الله عهدٌ أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له عند الله عهدٌ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه**». أخرجه أحمد عن عباده بن الصامت **رضي الله عنه**.

فهذا الذي يصلي كصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم له عهد عند الله أوجه الله على نفسه تفضلاً، وتكرماً.

ومن لم يحسن وضوءهن، ولا خشوعهن، ولا ركوعهن، صلى لا كصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأساء فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه، وإن شاء غفر الله فهو على خطر؛ لأنه لا يضمن الثواب، ولا يأمن من العقاب.

فلنحرص ببارك الله فيكم أن نصلي كما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.



يفتح الإنسان الصلاة بالتكبير، وهذا ركن، ثم يستحب له مع هذا الركن أن يرفع يديه مدا ويقول: (الله أكبر) ورفع اليدين إما مع التكبير، أو قبل التكبير، أو بعد التكبير، كل هذا قد ثبت عن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في حديث عبدالله ابن عمر، ومالك ابن الحويرث، وكلاهما في الصحيح.

ثم يأتي بدعاء الإستفتاح، وأدعية الإستفتاح كثيرة، وأصحها حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «اللَّهُمَّ! بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ! نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنْقَى الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ! اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرْدِ». متفق عليه

ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وأصح شيء في هذا الباب أن يقول: (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) لظاهر القرآن.

وما جاء عن أبي سعيد وغيره: «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمِّهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»، لم يثبت، لكن لو أتى به لا ينكر عليه.

ثم إن كان إمامًا، أو منفردًا في صلاة جهرية يستحب له أن يسر بالبسملة؛ لأن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لم يجهر بها كما في حديث أنس وغيره.

وما جاء في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند أبي داود أنه جهر بها، فهي شاذة من رواية نعيم المجرم ويقال المجرم، وهي شاذة خالف فيها نعيم الرواة عن أبي هريرة. ثم يقرأ الفاتحة وجوبًا، فلا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب كما في حديث عبادة ابن الصامت عند الشيخين: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

وفي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند مسلم: «من صَلَّى صلاة لم يقرأ فيها بأَمِّ الكتابِ فهي خِدَاجٌ». أخرجه مسلم



فلا بد من قراءة الفاتحة والنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول لا صلاة إلا بقراءة الفاتحة واجبة على الإمام، والمأموم، والمنفرد كما بينه البخاري في كتابه القراءة خلف الإمام، وذهب إلى تضعيف حديث من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة ثم يسن له إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أن يقول: (آمين) يقولها الإمام، والمأموم، والمنفرد.

وكان النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا قال ولا الضالين قال آمين، ورفع بها صوته، وما جاء أنه خفض بها صوته فهي رواية حكم عليها العلماء بالشذوذ. ويستحب للمأموم أن يكون تأمينه مع تأمين الإمام.

لحديث أبي موسى **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** في مسلم: «إِنَّمَا الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ إِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا وَإِذَا قَالَ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، إِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمَدَهُ فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا- وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعِينَ».

وحديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ، فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَاَفَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، وقال ابن شهاب: وكان الرسول **ﷺ** يقول: آمين. متفق عليه.

يحمل على هذا، ثم يقرأ ما تيسر معه من القرآن إن أحب فالقراءة فوق الفاتحة مستحبة، وليست بواجبة.

ثم يرفع يديه مدًا كما رفعهما عند الدخول ويكبر، ثم يهوي إلى الركوع ويلقم يديه ركبتيه ويقول: (سبحان ربي العظيم) أقلها واحدة، وكلما زاد فهو أفضل، وأقرب إلى الله **عَزَّجَلَّ**، وهناك تسايح أخرى.



ثم يرفع رأسه من الركوع ويقول: (سمع الله لمن حمده) إن كان إمامًا، أو منفردًا، وإن كان مأمومًا يقول إذا استوى: (اللهم ربنا ولك الحمد) وفي الباب عدة صفات مذكورة عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويرفع يديه مع هذا القيام مدًا كما رفعها في تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند القيام من الركوع، ثم يهوي ساجدًا، ويستحب له أن يقدم يديه قبل ركبته؛ لحديث البراء ابن عازب في الصحيحين: كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا كان في صلاة: «وَكَانَ لَا يَخْنِي رَجُلٌ مِنَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَسْتَتِمَّ سَاجِدًا».

قال العلماء: لو كان النزول على الركبتين لما احتاج إلى حني الظهر، وجاءت أحاديث بمجموعهما تدل على أن اليدين تقدم قبل الركبتين. ثم إذا هوى ساجدًا يجعل رأسه بين كفيه، كما ثبت عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في حديث وائل ابن حجر ويقول: (سبحان ربي الأعلى) كما في حديث حذيفة في مسلم أقلها مرة، وأعلىها ماشاء.

ويستحب أن يكثر في السجود من الدعاء، لقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِيهِ؛ فَقِمْنَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ». أخرجه مسلم عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ثم يقول (الله أكبر) ويقول بين السجدين: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»، كما في حديث حذيفة عند مسلم.

وجاء عن ابن عباس رضي اله عنه أنه يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي»، ظاهر سنده الصحة، لكن حكم عليه الإمام أحمد بالنكارة؛ لأنه من طريق كامل ابن العلاء، لكن النكارة عند الإمام قد تحمل على مطلق التفرد فمن جاء به لا ينكر عليه، وحديث حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أصح.



ثم يفعل ذلك في جميع صلاته حتى إذا كان في صلاة رباعية وجلس في الركعتين، أو في صلاة ثلاثية وجلس في الركعتين يأتي بالتشهد الأوسط: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». متفق عليه عن عبدالله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

زاد ابن عمر: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله)، ثم يقوم ويستحب أن يرفع يديه كما في حديث ابن عمر عند البخاري. ثم يصلي بقية الصلاة كما صلى.

ثم إذا كان في التشهد الأخير يزيد على ذلك التشهد: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ». متفق عليه عن ابن مسعود وغيره.

ويزيد: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ». متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولا بأس أيضًا أن يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ؛ فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». متفق عليه عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم يسلم.



وعند ععوده في التشهد يستحب أن يشير بالسبابة بدون تحريك لما ثبت عن ابن عمر، وعن ابن الزبير، ومالك ابن حويرث، وعن جمع من أصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم** أنه أشار بإصبعه السبابة.

وجاء في حديث سعد ابن أبي وقاص أن رجلاً أشار بإصبعه فقال له النبي **صلى الله عليه وسلم**: «أحد، أحد». ويستحب له كذلك الضم، وذهب جمع من أهل العلم إلى وجوبه.

والضم أن يضع يده اليمنى على اليسرى في الصلاة، واختلف أهل العلم، قال بعضهم على صدره، وقال بعضهم على بطنه، والصحيح أنه يضعها على الهيئة الأسهل له.

أما الرفع إلى الصدر فهي راوية شاذة، وأما الوضع على الخاصرة فقد نهى عنها النبي **صلى الله عليه وسلم**، كما في حديث عبدالله ابن عمر **رضي الله عنهما**، وجاء عن غيره.

ويجب عليه: أن يصلي إلى سترة لقول النبي **صلى الله عليه وسلم**: «لا تصلي إلا إلى سترة»، والسترة مقدارها شبر، وهو ثلثي ذراع، ويجوز أن يصلي إلى عمود أو إلى إنسان، إلا أنه لا يصلي إلى القرآن، أو الكتب لنهي السلف عن ذلك، أو إلى شيء ممتهن.

وقد بوب البخاري: (باب الصلاة إلى النار) ذاهباً إلى كراهية الصلاة إليها. هذه بعض أحكام الصلاة، وهناك أحكام أخرى يحتاج الإنسان في معرفتها، وقرأتها إلى المطولات.

فكلما صلى الإنسان كما صلى رسول الله صلى عليه وسلم كلما كانت صلاته أقرب، وأرفع يعني فيها براءة للذمة. والحمد لله.



٣٦ - فائدة عن: ملازمة الطاعة حتى يأتي اليقين

وهذا والله هو الأمر الذي ينبغي ألا نغفل عنه؛ لأن الأعمال بالخواتيم، والإنسان يشئ عليه في شؤونه الدنيوية، أو الآخرويه بآخر عمله، أو يذكر في جميع شأنه النبوي، والآخروي بآخر عمله.

والذي يهمنا: أن تلقى الله **عَزَّوَجَلَّ** بصالح العمل حيث نلقاه وهو راضٍ عنا. انظر إلى يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** نبي كريم بل هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم، ابن خليل الله، كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: لما سُئِلَ رسولُ الله **ﷺ**: من أكرم الناس؟ قال: «**أتقاهم لله**»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله**»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فمن معادن العرب تسألونني؟ الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا**». متفق عليه.

فهو نبي كريم بن كريم بن كريم؛ لتسلسله بالنبوة، والرسالة، ولتسلسله بهذا الشرف العظيم، رسول ابن رسول ابن رسول بن خليل الله **عَزَّوَجَلَّ** ومع ذلك يقول: ﴿**تَوَقَّيْ مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ**﴾، حرص كل الحرص أن تكون نهايته بالعمل الصالح مع أنه من المسلمين، ومن ذروة أهل الإسلام في حينه.

وكان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يحرص كل الحرص على أصحابه في هذا الأمر، فيأمرهم بالعمل ويقول: «**اعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له**»، ويأتيهم بأحاديث القدر، ويقول: «**إنما الأعمال بالخواتيم**»، ويقول: «**ويبعث كل عبد على ما مات عليه**». أخرجه مسلم عن جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



وطبق في نفسه ذلك تطبيقاً بليغاً فقبل موته بخمس خرج إلى أحد كالمودع للأحياء، والأموات، ثم رقى المنبر وجعل يعظهم، ويوجههم؛ كما في حديث جندب في الصحيحين.

وعند موته لم تفته لحظه إلا وهو يحرص **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على الخير للأمة، ولنفسه أما الأمة فإنه كان إذا اغتم كشف عن وجهه ثم يقول: «لعنة الله على اليهود، والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا»، متفق عليه عن عائشه وابن عباس.

وفي صحيح البخاري: عَنْ عَائِشَةَ، دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي، وَمَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ سِوَاكَ رَطْبٌ يَسْتَنْ بِهِ، فَأَبَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصْرَهُ، فَأَخَذْتُ السَّوَاكَ فَقَصَمْتُهُ، وَنَفَضْتُهُ وَطَبَيْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَنْ بِهِ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَنَّ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا عَدَا أَنْ فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَعَ يَدَهُ أَوْ إصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ (فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى). ثَلَاثًا، ثُمَّ قَضَى، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَاتَ بَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي.

فهذا نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حرص كل الحرص على أن يأتيه اليقين، وهو على طاعة الله **عَزَّ وَجَلَّ**، مع أنه في طاعة من قبل، ومن بعد.

وحرص كل الحرص أن يوجهنا، ويعلمنا حتى في هذا الوقت الحرج بل طبق هذا في غيره، دخل على رجل يهودي - في الغالب أن بعض الناس قد لا يتفطن لهذا الأمر - والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** زاره، ووجده في النزع وأبوه قاعدٌ عند رأسه فقال له النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يا فلان، قل: لا إله إلا الله» فنظر إلى أبيه، فسكت أبوه، فأعاد عليه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فنظر إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم، فقال الغلام: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله»، فخرج النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو يقول: «الحمد لله الذي أخرجهُ من النار»، أخرجه البخاري عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



ولما مرض عمه أبو طالب ذهب يعودده، ويدعوه إلى: (لا إله إلا الله)، لكنه أبى أن يقول: (لا إله إلا الله) وقال: هو على ملة عبد المطلب.

كما في الصحيحين: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَمُّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبَدُ اللَّهُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. متفق عليه واللفظ لمسلم.

ولما مرض الأنصاري دخل عليه وقال: «يا عم قل لا إله إلا الله»، قال: أقول لا إله إلا الله خير لي، قال: «نعم». أخرجه أحمد.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريص أن يبقى الإنسان على طاعة حتى يلقي الله. بل في حديث أبي عبدالله الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده أنه قال: (أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لي: «خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّى تَلْقَانِي»، فما زال أبو عبدالله ممثل لهذا الهدي منتظراً للقاء رسول الله صلى عليه وسلم مع أنه كان متخوف من حديث سمعه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في مسند أحمد بن حنبل: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ



اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ أَحَدَ الْخَلْقِ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقَالَ: هُوَ لَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَائِي، وَهُوَ لَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَائِي»، قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: «عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدْرِ».

فالثبات الثبات حتى الممات.

اليهود والنصارى ضرب لهم نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مثلاً؛ كما في حديث أبي موسى وجاء بنحوه عن ابن عمر: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَأَنَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَمَّالًا فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نَصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ؟ قَالَ: فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ إِلَى نَصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نَصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ؟ قَالَ: فَعَمِلَتِ النَّصَارَى مِنْ نَصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ قَالَ: ثُمَّ أَنْتُمْ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِرَاطَيْنِ قِرَاطَيْنِ قَالَ: فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: نَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَّالًا وَأَقَلَّ عَطَاءً قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا قَالَ: فَإِنَّهُ فَضَّلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَسَاءَ». أخرجه البخاري

فكان النصر والعز لأهل الإسلام أنهم عملوا حتى انتهت هذه الحياة، وانتقلوا إلى حياة أخرى.

بينما اليهود عملوا وانقطعوا، والنصارى عملوا وانقطعوا فما استفادوا؛ لأن العمل بالخواص، والحمد لله رب العالمين.





٣٧- فائدة عن: العبر في قصة غزوة الحديبية.

لما كان في غزوة الحديبية، ووقع ما وقع بين النبي **صلى الله عليه وسلم**، وبين المشركين من المصالحة كان الحال أن الكثير من المسلمين يحب أن يصل إلى الكعبة، ويتم عمرته، وكانت شروط الكافرين شديدة ووافق عليها النبي **صلى الله عليه وسلم**.
ففي صحيح مسلم:

عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يَوْمَ صِفِّينَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَتِهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: أَلَيْسَ قِتَالَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالَهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا، وَتَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا»، قَالَ: فَاذْهَبْ عُمَرُ فَلَمْ يَضِرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَيْسَ قِتَالَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالَهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا، وَتَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، قَالَ: فَتَزَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ فَتَحَ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ.

في هذه القصة من العبر: أن الإنسان قد يظن الخير فيما يرى، ويكون الخير في خلاف ما يرى، ولما حج النبي - **صلى الله عليه وسلم** - أحرم الناس بالحج فلما قدم النبي **صلى الله عليه وسلم** إلى مكة قال اجعلوها عمره فشق ذلك على الناس، وبعضهم يقول



يا رسول الله حلُّ ماذا؟ قال الحل كله، ورد آخر وقال يا رسول الله نذهب إلى منى ومذاكيرنا تقطر منياً؟ من شدة الأمر الذي أمروا به.

فالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يأمرهم أن يجعلوها عمره، ويقول: « **فَلَوْلَا أَنِّي سَقْتُ الْهَدْيَ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي أَمَرْتُكُمْ** »، ويرغبهم في هذا الأمر، وكان الناس بعد ذلك يحبون التمتع في الحج مع أن الأمر به في أول الإسلام كان شديداً، وفيه من الرحمة ما الله به عليم، إذ أن القارن، والمفرد يلزمه أن يبقى في إحرامه ربما شهر، أو شهر ونصف، أو عشرين يوم، ويشق ذلك عليه.

بينما المتمتع بمجرد أن يطوف بالبيت، ويسعى بين الصفا، والمروة، ويحلق، أو يقصر يعود إلى حاله الأول من لبس الثياب، والطيب، والنساء، ولا يحرم عليه شيئاً مما حرم على المحرم.

وكان الأنصار يزارعون يعطي أحدهم أخاه أرضه على النصف مما يخرج منها، لكن كانت الطريقة لك هذا ولي هذا، فنهاهم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن ذلك.

قال ظهير: (نهانا رسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن أمر كان بنا رفقاً وطواعية الله ورسوله أرفق بنا فأمرهم إذا أراد أحدهم يزارع أو يحاقل أن يزارع على شيء معلوم على الثلث، أو الربع، أو النصف، أو على دينار ودرهم) كما في صحيح مسلم.

شاهدنا: أن الإنسان لا يدري أين الخير لنفسه، لكن الخير فيما اختاره الله **عَزَّ وَجَلَّ**، واختاره رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وإذا أشكل عليك أمراً من الأمور في فضيلته، ومنزلته، فرجع إلى ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم، وينجلي الأشكال فهم أحرص الناس على الخير، وهم أعلم الناس بمراد الله، ومراد رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهم أفقه الناس، وهم أشد الناس مسارعة إلى العمل الصالح إلى غير ذلك من الميزات التي تميزوا بها، فهم أهل الفقه والنظر، وأهل العلم والأثر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بغير الجميل فهو على غير السبيل.



قلنا: هذا لأن كثيراً من الأخوة يقول لماذا صليتم قيام الليل في رمضان بعد العشاء؟ اعلم أن قيام الليل قد ثبت عن النبي **صلى الله عليه وسلم** في أول الليل، ووسط الليل، وفي آخر الليل كما في حديث عائشة عند مسلم قال الراوي: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة.

والصحابه رضوان الله عليهم كانوا يصلون آخر الليل فرادى في المسجد، كما في الأحاديث الكثيرة في هذا الأمر.

ففي صحيح مسلم: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِي عَنِ وِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**، فَقَالَتْ: " كُنَّا نُعَدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهْرَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ لَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ، فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّ التَّاسِعَةَ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ، فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً يَا بُنَيَّ، فَلَمَّا أَسَنَّ نَبِيُّ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم**، وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ أَوْتَرَ بِسَبْعِ، وَصَنَعَ فِي الرَّكَعَتَيْنِ مِثْلَ صَنِيعِهِ الْأَوَّلِ، فَتِلْكَ تِسْعٌ يَا بُنَيَّ، وَكَانَ نَبِيُّ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَحَبَّ أَنْ يُدَاوِمَ عَلَيْهَا، وَكَانَ إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ، أَوْ وَجَعَ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتِي عَشْرَةَ رَكَعَةً، وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، وَلَا صَلَّى لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ، وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ، قَالَ: فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثِهَا، فَقَالَ: صَدَقْتُ لَوْ كُنْتُ أَقْرُبُهَا، أَوْ أَدْخُلُ عَلَيْهَا لَا تَبِيْتُهَا حَتَّى تُشَافِهَنِي بِهِ، قَالَ: قُلْتُ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تَدْخُلُ عَلَيْهَا مَا حَدَّثْتُكَ حَدِيثَهَا.

وسميت بعد ذلك بالتراويح، وسمى الناس آخر الليل بالتهجد، وإلا فالأصل أنه قيام رمضان.



وفي صحيح مسلم: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

قام في أول الليل، في وسط الليل، في آخر الليل، وأكماله أن يكون احدى عشر ركعة، وأكماله إن أردنا التأسي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصلي كل واحد منا وحده؛ لأن هذا الصنيع الذي صنعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان عليه الناس في زمن رسول الله صلى عليه وسلم، وفي زمن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي صدر من خلافة عمر إلا أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة راشد.

وقد أمرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نأخذ بسنة الخلفاء الراشدين، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّدِينَ، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ». أخرجه ابن ماجه عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فجمع عمر الناس على قيام رمضان بعد العشاء، وما زال الناس يسيرون على هذا الأمر إلى يومنا هذا في كل بلدان العالم على أن قيام رمضان بعد العشاء. قيل للإمام أحمد: تُصلي مع الناس آخر الليل؟ قال: أول الليل أحب إلي سنة المسلمين، وقال: عبدالرحمن القاري وكان الناس يقومون أوله وذهب كثير من الحنابلة إلى أن أفضل صلاة التراويح تكون في أول الليل، ولما رأينا هذا الأمر بأقوال العلماء وآثار الصحابة ففعلناه.

زد على ذلك الحديث الذي روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طريقين: من طريق أبي ذر، وطريق النعمان بن بشير: قَالَ: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ، فَلَمْ يَقُمْ بِنَا حَتَّى بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا فِي السَّادِسَةِ، فَقَامَ بِنَا فِي الْخَامِسَةِ حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ نَفَلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ، قَالَ: "إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ"، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ بِنَا وَلَمْ يَقُمْ حَتَّى بَقِيَ ثَلَاثٌ مِنَ الشَّهْرِ، فَقَامَ بِنَا فِي الثَّالِثَةِ، وَجَمَعَ أَهْلَهُ



وَنِسَاءَهُ حَتَّى تَحَوَّفْنَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَاحُ، قُلْتُ: وَمَا الْفَلَاحُ؟ قَالَ: السُّحُورُ. هذه طريق
أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فدل على أنه كان يبدأ من بعد العشاء.

فبارك الله فيكم هذا هو المقصود من تقديم القيام بعد صلاة العشاء الأمر ليس
إلينا نحن، فأنا لست مفوضًا في دين الله، ولا يجوز لي والله أن أغير، أو أبدل من دين
الله شيء.

الأمر أننا وجدنا أن الصحابة قالوا كذا، وساروا على كذا، وقال العلماء بكذا،
ومع ذلك إخواننا الذين يقومون آخر الليل ما ننكر عليهم، من أحب أن يقوم آخر
الليل ورأى هذا الأمر واسع أن يصلي آخر الليل، أو يصلي وسط الليل.

والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتِبَ لَهُ قِيَامُ
لَيْلَةٍ..».

والله لو قام الإمام بركعة واحدة، صلاة قيام الليل وسلم وانصرفت كتب لك قيام
ليلة بنص حديث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ونسأل الله العون والسداد.

وما دام الإنسان يريد أن يرضي الله **عَزَّ وَجَلَّ** فالله كريم أن يوفقه، ويسدده، ويعينه،
ويلهمه رشده، وسيجعل الله **عَزَّ وَجَلَّ** له ودًا بالعمل بالسنن، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.





٣٨- فائدة: بيان أمانى أهل الكتاب اليهود والنصارى وبعض دعاويهم الباطلة.

أخبر الله **عزَّ وجلَّ** عن أمانى اليهود والنصارى، فعندهم أمانى عجيبة مع ما هم فيه من الكفر والعناد، قال تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾. فادعى اليهود والنصارى أنهم أبناء الله، وهذا قول باطل؛ فإن الله - **عزَّ وجلَّ** - ما أتخذ من صاحبة ولا ولداً.

وأخبروا أنهم أحباب الله، وهذه دعوى باطلة؛ لأن الله - **عزَّ وجلَّ** - لا يحب المشركين، ولا يحب الكافرين؛ وإنما يحب المؤمنين، والصابرين والصالحين.

واليهود والنصارى ليسوا في هذا الباب بشهادة بعضهم على بعض فقولهم في بعضهم البعض مقبول، قال تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ الْبَصَرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ الْبَصَرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، وهذا الكلام صواب منهم، قال الله **عزَّ وجلَّ**: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

وكانت لهم دعوى، قال تعالى ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، لا برهان لهم بها بل هم مشركون منددون، قال تعالى ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾.

عن أبي هريرة، عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ»، أخرجه مسلم.



فاليهود والنصارى شر البرية، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

لكن العجب من دعاوهم: أنهم أبناء الله، وأحباب الله، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً أو نصرانياً، فكذبهم الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أهل الجنة هم المسلمون، كما قال النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -: « لا يدخل الجنة إلا المؤمنون »، وفي رواية: « لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة »، من هذه الأمة ومن غير هذه الأمة.

فيا أيها المسلمون! اعلموا أن اليهود والنصارى في شرع الله كفار، ولا تغتر بمن يقول هم أصحاب دين سماوي ولو كان دينهم سماوي لا تبعوا محمداً - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - .

فإن عيسى - **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - قد بشر بمحمد - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾، فعيسى مبشر بمحمد - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -، بل وموسى مبشر بمحمد - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - .

فقد وجد في التوراة: (أنت عبدي ورَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِطْرٍ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ). أخرجَه البخاري عن عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وكما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.



ثم يذكر المثل الذي ذكره الله في التوراة لأصحاب محمد، قال تعالى: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾.

﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾: أن الله سبيعت رسولاً يكون أصحابه أصحاب ركوع وسجود، وتظهر هذه الآثار والسيما في وجوههم.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَكَارَهُ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، فاليهود والنصارى شر البرية - كفار - ليسوا بأصحاب دين سماوي، وإنما هم أصحاب دين محرف، مغير، مبدل.

وتجد بعض الناس في هذه الأزمان، يدعو إلى ما يسمى بوحدة الأديان بل يدعو إلى تأسيس حزب إسمه الحزب الإبراهيمي، يضم اليهودي والنصراني والمسلم، وهذا الحزب لا يرضاه إبراهيم، ولا موسى، ولا عيسى، ولا محمد، ولا هو بموافق قبل ذلك لشرع الله، بل هو حزب شيطاني.

الله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾.

قال قتادة: لا يجتمع دين الحق مع دين الباطل.

فكيف يقال ينشأ حزب يضم هؤلاء، مثل هذه أحزاب اللقاء المشترك في زمن من الأزمان الإشتراكي، والناصري، والإخواني - خليط -.

وهؤلاء يريدون أشد من هذا الحزب، يهودي، نصراني، مسلم، بل قد أنشأوا مكاناً

في بعض البلدان مثل إيطاليا وبعض البلدان، ووضعوا داخله مسجداً وكنيسةً وبيعةً، بل أشد من ذلك أنهم بنوا بناءً واحداً، وجعلوا فيه محراباً إلى الكعبة، وآخر إلى بيت المقدس، ووضعوا بداخله توراةً وإنجيلاً وقرآناً.



وقد رأينا هذا بأمر أعيننا في ترنداد.

فالشاهد: أن اليهود والنصارى يحاولون في إعطاء صورة طيبة لدينهم المحرف المبدل، لكن عند المسلمين هم كفار بنص القرآن والسنة والاجماع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

ولا تعجب أن يتأثر مسكين من المساكين عامي من العوام بما يرى في القنوات الفضائية، التي فيها كثير من الشبه.

لكن أن تجد مثل القرضاوي الذي جعلوه مفتي قطر، ويقول: إخواننا المسيحيين، ويقول: هم مسلمون بالثقافة، ويقول: أتحرج أن أقول فيهم كفار. كيف يتحرج والله - **عَزَّوَجَلَّ** - يقول فيهم كفار، والله - **عَزَّوَجَلَّ** - سماهم النصارى ولم يسميهم بالمسيحين.

من الغلط أن يطلق على النصراني مسيحي، فالنصارى يفرحون بكلمة مسيحي؛ لأنها نسبة إلى عيسى - **عَلَيْهِ السَّلَام** -.

لكن الإسم الشرعي لهم (نصارى)، كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، فلا يجوز أن نرضى عنهم أبداً، كما أنهم لن يرضوا عنا قدراً، وقال تعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ﴾، وهذه الآية ليست على إطلاقها في كل نصراني، إنما هي نزلت في النجاشي - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - ومن معه.

وإلا فإن النصارى عندهم بغض شديد؛ ولذلك سلطوا اليهود على المسلمين في هذا الزمان، من الذي نصب اليهود، أو ما تسمى بدولة إسرائيل، في فلسطين غير النصارى.



فالنصارى: هم الذي أعطوا اليهود وعد بلفور، وهم الذين أقاموا دولته، وهم الذين ناصروه على المسلمين.

وإلى الآن هذا تراب - لعنه الله - يُعطي السفارة الأمريكية في القدس.

فالنصارى ينصرون اليهود، ولا تغتر بما بينهم من الخلاف، كلهم متفقون على أهل الإسلام يحاربونهم، فلا أقل أن نبغضهم في قلوبنا، ونحذر من أفكارهم الرديئة، ولا نصدق أقوالهم السيئة.

فالله **عَزَّوَجَلَّ** قد أخبر أنهم يقولون: نحن أبناء الله، وأحباب الله، وأخبر أنهم يقولون: لن يدخل الجنة إلا هم.

فهم لن يرضوا عنك، فلا ترضى عنهم، وابتغضهم، قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

ويقول الإمام أحمد بن حنبل - **رَحْمَةُ اللَّهِ** -: (والله إني لأستحي أن أرفع بصري إلى الصليب)، يستحي من الله أن يرفع بصره إلى الصليب الذين يعبدونه من دون الله.

وهذه الأيام عند الناس ما يسمى بطولة كأس العالم، وفي القنوات، وينظر إلى الصلبان وهي في صدور لُعَّاب كرة القدم، وينظر إلى أفخاذهم ويشجع هذا على هذا - ونعوذ بالله من الخذلان -.

في العشر الأواخر من رمضان، المسلم يقول: يارب اغفر لي! يا رب اعتقني من النار! يارب تجاوز عني!، يستغل هذا الموسم الذي ما بقي له إلا ثمان ليال، وهم يأتون بلعبة كأس العالم، ويصنف لها حكام ومحكومون، وأغنياء وفقراء، ورجال ونساء، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور.



٣٩- فائدة: (أهمية الدعاء على الله بالدعاء)

إننا نقدم، ونعيش في ليال مباركات فضيلات، ومن أحسن العبادات فيها بعد الإتيان بالفرائض، لهو الإقبال على الله - **عَزَّوَجَلَّ** - بالدعاء. فإن الدعاء عبادة مباركة، المجيء بها، عظيمة في بركتها، ولا أحسن من الأدعية التي كان يدعي بها النبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - لأمر:

الأمر الأول: أنه وحى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ



الأمر الثاني: أنها أدعية جامعة لمصالح الدنيا والآخرة.

الأمر الثالث: أنها تفسير لقول الله - **عَزَّوَجَلَّ** -: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

الأمر الرابع: التأسى بالنبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - في ذلك.

الأمر الخامس: أنها أبعد عن الإعتداء في الدعاء.

الأمر السادس: أن من لم يتخذها في دعواته؛ قد لا يستطيع الإفصاح عن حاجته،

وإن أفصح ربما توسع.

كما سمع بعض الصحابة ولده، وهو يقول: اللهم إني أسألك القصر الأيمن في

الجنة! اللهم إني أسألك كذا وكذا في الجنة! قال: يا بني قل: اللهم إني أسألك الجنة!

وبدل أن تقول: اللهم إني أعوذ بك من النار، وحياتها، وسلاسلها، وأوديتها، قل:

اللهم إني أعوذ بك من النار.

فالأدعية المأثورة مباركة، ولو تأملنا من أحسنها، مع أنها كلها حسن.

فمنها: حديث أنس بن مالك كان النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يدعو، يقول: «اللهم

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار». متفق عليه.



قال العلماء: حسنة الدنيا: الإيمان والعلم والعمل الصالح، وحسنة الآخرة: الجنة.

فهذا دعاء جاء في القرآن، وأخبر الله - **عَزَّوَجَلَّ** - أنه من عادة الصالحين، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

ومنها: ما علمه النبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - معاذ ابن جبل: «يا معاذُ واللهِ إني لأحبُّكَ، فلا تدعَنَّ أن تقولَ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتِكَ». أخرجه أبو داود وغيره.

وإذا جاء مثل هذا الدعاء المقيّد بدبر الصلاة، ليس معناه أنك ما تدعو به إلا في هذا الموطن، وإنما معناه أنه دعاء مبارك جامع، كما أنه خص به هذا الموطن، فمن باب أولى أن يكون في غيره من المواطن.

بل قد جاء مطلقاً، كما في حديث عبدالله بن مسعود أن النبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - كان يدعو، ويقول: «اللَّهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتِكَ». أخرجه أحمد. وعن أبي هريرة، عن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «أُتِجِبُونَ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟ قُولُوا: اللَّهُمَّ أعنا على شُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ عبادتِكَ». أخرجه أحمد.

علم به من يحب، وحثه عليه، وأثبت له في دبر كل صلاة، وعمل به - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - هو بنفسه، وأخبر أن من أراد أن يجتهد لنفسه بالدعاء أو لغيره، فليقل: «اللَّهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتِكَ».

ولا بأس أن تقول لغيرك: (اللَّهُمَّ أعنه على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتِكَ)، ثلاث كلمات جامعات لصلاح الدنيا والآخرة:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنُ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى ❀❀ ❀❀ فَاوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ



نحن بحاجة إلى عون الله، قال تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وبعونه إلى ثلاثة أمور أكثر من غيرها، مع أننا لا غنى لنا عنه طرفة عين، لكن هذه الثلاثة الأمور صلاحها صلاح للدنيا والآخرة:

الأول: (اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ): أن يكون لسانك ذاكرًا، وأن تكون جوارحك طائعة لله، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾. **قال العلماء:** المراد بذكر الله: طاعة الله فمن أطاع الله - **عَزَّوَجَلَّ** - فهو ذاكر، ومن عصى الله - **عَزَّوَجَلَّ** - فهو غير ذاكر، وإن ذكر بلسانه.

فأنت حين تقول: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ»، كأنك تقول: اللهم أعني على ملازمة العمل الصالح، والتقرب به إليك!، أعني على الصلاة، والصيام، والحج، والقيام، والدعاء، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل!، ويدخل فيه ذكر اللسان دخولاً أولياً.

ولا يظن الظان مع سهولة التسبيح والتحميد والتكبير، أنها سهلة العمل، نعم سهلة القول، ولكن قل من يعمل بها؛ والسبب تسلط الشيطان على الإنسان، يثقل لسانه ويشغله.

يمكن أن يتكلم يوم كامل، كما يقول الباكستانيون: "قُرُقُر"، ولكنه لا يحسن أن يأتي بمائة تسبيحة، أو بمائة تحميدة، أو بمائة تكبيرة، أو بمائة تهليلية، فقل: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ».

الثاني: «وَشَكَرِكَ»: أي: وأعني على شكرك، والشكر عند العلماء يكون بثلاثة أمور: القلب، واللسان، والجوارح.

١- كأنك تقول: (اللهم سخر قلبي لمعرفة حقائقك)، فإن الشكر بالقلب استكانة وخضوعًا وخشوعًا.



٢- وكأنك تقول: (اللهم سخر لساني في حمدك وشكرك، وإظهار النعم التي أنعمت بها عليا).

٣- وكأنك تقول: (اللهم سخر جوارحي في طاعتك).
وكما قيل:

أَفَادَتْكُمْ النِّعْمَاءُ مَنِّي ثَلَاثَةً ❀❀ يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

الثالث: «وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»: وحسن العبادة تكون بأمرين:

١- الإخلاص لله - **عَزَّوَجَلَّ** - فيها.

والذي يُصْرِفُ القلوب، هو الله، فإن أعانك الله - **عَزَّوَجَلَّ** - على الإخلاص؛ فأنت الرابع، وأنت الكاسب، وإذا فسدت نيتك فسد عملك.

وكم يعالج الإنسان نيته، نفسه، فإن الشيطان حريص على فساد العمل.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (والنية شرط لصالح العمل بها الصلاح والفساد للعمل)،

وهو مأخوذ من قول النبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**». متفق عليه عن عمر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

٢- المتابعة للنبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - عليها.

فأيّ عبادة لا تُتَابَعُ بها النبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ليست بحسنة.

وقد أنكر العلماء على كثير من الطرقيين طرقهم؛ لأنهم لم يتابعوا النبي -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفَ ❀❀ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفَ

والنبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - هو أعبد الناس لربه - **عَزَّوَجَلَّ** -، وأعلم الناس بربه -

عَزَّوَجَلَّ - وأعلم الناس بالطرق المؤدية إلى مرضاة الله - **عَزَّوَجَلَّ** -.



وفي الصحيحين: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» .

فلنحفظ هذا الدعاء -بارك الله فيكم- ولندعوا به لأنفسنا ولغيرنا: (اللَّهُمَّ أَعِنه على ذِكْرِكَ وشكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ).

وهناك دعاء طيب نكمل به هذه المذاكرة، من إستطاع أن يحفظه فحسن.

ما جاء عن ابن عباس خارج الصحيح، وهو في الصحيح المسند للشيخ مقبل -

رَحْمَةُ اللَّهِ - : أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يدعوا بهذا الدعاء: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ وَانصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ لِي، وَانصُرْنِي عَلَيَّ مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا لَكَ ذَاكِرًا لَكَ أَوْأَمَّا لَكَ مِطْوَعًا لَكَ مُحِبًّا أَوْأَمَّا مُنْبِيًّا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَثَبِّتْ حُجَّتِي وَاهْدِ قَلْبِي وَسَدِّدْ لِسَانِي وَاسْلُئْ سَخِيمَةَ قَلْبِي». أخرجه أبو داود.

والحمد لله رب العالمين.





٤٠- فائدة: الأقوال السديدة في وجوب تعلم العقيدة

وهو عبارة عن جواب سؤال من بعض السلفيين في الجزائر وقام بتفريغه بعض محبي العلم والسنة جزاهم الله خيراً:

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فقد جاء في "الصحيحين" من حديث معاذ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لما بعثه إلى اليمن: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى**».

وصح عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** عند مسلم: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال (بني «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ..**»)، الحديث، وفي الرواية المشهورة: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**». متفق عليه.

وفي حديث جندب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزَاوِرَةَ، «**فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا**». أخرجه ابن ماجه في سننه.

والشاهد: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يعلمهم العقيدة الصحيحة قبل تعلم القرآن.

والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** منذ بعثه الله **عَزَّوَجَلَّ** إلى أن توفاه الله **عَزَّوَجَلَّ** وهو يدعو الناس إلى العقيدة الصحيحة وإلى الطريقة القويمية وإلى الطريق المستقيم، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾، هكذا يخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** عنه واهم ما يهدى إليه الإنسان العقيدة.



ثم ما يتبعها من عمل الجوارح واللسان، ففي حديث النعمان بن بشير: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**». متفق عليه.

وقد جاء جبريل الى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو بين الناس فقال: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**-: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»... ثم قال: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»، أخرجہ مسلم.

فالشاهد: أن هذا كله من العقيدة فالإيمان بالله أساس العقيدة، ثم يلحقه الإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره. وهكذا تعلم الإسلام وما يناقض الإسلام.





٤١- (الأسباب المعينة على الطاعات والقربات كثيرة)

١- توفيق الله **عَزَّجَلَّ** للعبد قال شعيب **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

٢- الإستعانة بالواحد القهار على ذكره وشكره وحسن عبادته، آناء الليل وأطراف النهار.

فقد صح عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من أوجه أنه كان يدعو ويقول: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»، كما في حديث ابن مسعود عند أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

فالإنسان في حاجة إلى عون الله **عَزَّجَلَّ**، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي ﴾ [سورة النور: ٢١] فإذا كان هو الحال فعلينا أن نلجأ إلى الله في عوننا وتوفيقنا

٣- الإحتساب للأجور العظيمة التي أخبر الله **عَزَّجَلَّ** عنها.

وأخبر رسوله .. **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ النَّاسِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [وبالأسفار هم يستغفرون] ﴿ [الذاريات: ١٧-١٨]، وقال تعالى ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

ليحتسب الإنسان الأجر من الله **عَزَّجَلَّ** فإن ذلك من دواعي الإستمرار على العمل والخير.

٤- الأخذ بهدي النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي أمر الله به والإقتداء به، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].



ولقد كان رسول الله صَلَّى عليه وسلم يحب العمل الدائم، وكان إذا عمل عملاً أثبته؛ كما في الصحيحين عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

٥- الأخذ بهدي السلف رضوان الله عليهم، قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمُهَدْيِهِمْ أَفَتَدْرُكُهُمْ**﴾ [سورة الأنعام- ٩٠]

فالأخذ بسيرهم والسير على سلوكهم فيه تنشيط وإعانة بعد عون الله **عَزَّوَجَلَّ** على الطاعة والقربة فإذا نظرنا إلى أعمالنا على ما كان عليه السابقون الأولون علمنا أننا في تقصير عظيم إلا مارحم ربي سبحانه، فقد تباعد العهد وتُرِكَ السنن وفُرِطَ في كثير من الطاعات.

٦- مجالسة الصالحين؛ فإن مجالسة الصالح تعين على الخير، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢].

وفي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما يرويه عن ربه **عَزَّوَجَلَّ**: «.. قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فَلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ لَهُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». متفق عليه.

٧- علو الهمة؛ فإن العبد المؤمن لا يرضى بالدون، ونحن نعلم أن عقيدة السلف الصالح: أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

فالإستمرار على الأعمال الصالحة والمحافظة على الفرائض والنوافل، مثل قيام الليل، وقرآءة القرآن، وملازمة الذكر والخير، وملازمة الطاعات والقربات يزيد بها الإيمان.

فعلى المرء أن يزداد من الطاعات والقربات حتى يزداد إيمانه، وتعلو همته، ويرفع قدره.



٨ - عدم التشديد على النفس؛ فإن كثير من الناس إذا أقبل أقبل إقبالاً شديداً حتى ينقطع بعد ذلك ..، وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**» قَالَهَا ثَلَاثًا، أَخْرَجَهُ مسلم عن عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

والمتنطعون: المتشددون في غير موطن التشديد.

وفي ملازمة هدي رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** النفع والخير.

٩ - الابتعاد عن الذنوب والمعاصي؛ فإنها أصل الشرور، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَبَكُمْ**

مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

فكم من حسرة تتبع المرء بسبب ذنب اقترفه ولم يتب منه، فربما يحرم من قيام الليل، و يحرم من صيام نهار، ويحرم من العلم، وربما انقطع عن الخير جملةً وتفصيلاً؛ بسبب الذنوب والمعاصي، فنحن بحاجة إلى التوبة إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**، قال تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

وثبت عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه قال: **إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»**. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ.

وعن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى**

اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ». أَخْرَجَهُ مسلم عن الأغر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

والاسباب كثيرة لكن هذه إلماحة إلى أشهرها وأفضلها،.

فعلينا عبادة الله أن نستمر على الخير رجالاً، ونساء، طلاب علم، وعوام، فكلنا

مسلمون مطالبون بطاعة الله **عَزَّ وَجَلَّ**، والاستمرار على ذلك وعدم الانقطاع حتى نلقى

الله وهو راض عنا، والحمد لله رب العالمين.

من خطبة جمعة للشيخ بعنوان: **"بذل النصائح بالاستمرار على العمل الصالح"**.



٤٢- (حكم مس وتلاوة القرآن للجنب والحائض)

فيكثر السؤال عن حكم قراءة الجنب والحائض للقرآن ومس المصحف، وقد اختلف العلماء في هذه المسألة إلى ثلاثة أقوال:

الأول: فجمهورهم على المنع من ذلك كله.

الثاني: ذهب جمع من أهل العلم إلى جواز ذلك.

الثالث: وبعضهم له تفصيل في جواز القراءة ومنع مس المصحف.

ونذكر هنا بعض ما استدل به المجيزون فمنها عمومات ما في الصحيحين وغيرهما ومنها:

١- عن أبي هريرة أن النبي **صلى الله عليه وسلم** لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب، فأنخست منه، فذهب فاعتسل ثم جاء، فقال: «**أين كنت يا أبا هريرة**» قال: كنت جنباً، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة، فقال: «**سبحان الله، إن المسلم لا ينجس**»، متفق عليه.

٢- و عن حذيفة، أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** لقيه وهو جنب، فحاده عنه فاعتسل، ثم جاء فقال: كنت جنباً، قال: «**إن المسلم لا ينجس**»، أخرجه مسلم في صحيحه.

٣- عن عائشة قالت: قال لي رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «**ناوليني الخمرة من المسجد**»، قالت فقلت: إنني حائض، فقال: «**إن حيصتك ليست في يدك**»، متفق عليه.

٤- و عن عائشة، أنها قالت: "كان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يتكئ في حجرى وأنا حائض، فيقرأ القرآن".

٥- عن عائشة **رضي الله عنها** أنها قالت: "كان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يذني إلي رأسه وأنا في حجرتي، فأرجل رأسه وأنا حائض". متفق عليه.



٦- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَذْكُرُ إِلَّا الْحَجَّ، حَتَّى جِئْنَا سَرِفَ فَطَمِثْتُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟» فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ خَرَجْتُ الْعَامَ، قَالَ: «مَا لَكَ؟ لَعَلَّكِ نَفْسٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، أفعلي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهَرِي». أخرجه مسلم.

٧- عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ".

* من هذه الأدلة وما في بابها نعلم: أن المؤمن طاهر سواء كان رجلاً أو امرأة ويكون النجس في حال حيض المرأة هو الخارج ومكانه ويجوز لها ان تقرأ القرآن وتذكر الله وتمس المصحف وتدخل المسجد، ولا دليل على المنع.

وفي الصحيحين: من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أَنَّ وَايِدَةَ كَانَتْ سَوْدَاءَ لِحَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَعْتَقَهَا، فَكَانَتْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجْتُ صَبِيَّةً لَهُمْ عَلَيْهَا وَشَاحٌ أَحْمَرٌ مِنْ سُيُورٍ، قَالَتْ: فَوَضَعْتُهُ - أَوْ وَقَعَ مِنْهَا - فَمَرَّتْ بِهِ حُدَيَاةٌ وَهُوَ مُلْقَى، فَحَسِبْتُهُ لَحْمًا فَخَطَفْتُهُ، قَالَتْ: فَالْتَمَسُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، قَالَتْ: فَاتَّهَمُونِي بِهِ، قَالَتْ: فَطَفِقُوا يُفْتَشُونَ حَتَّى فَتَّشُوا قُبُلَهَا، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَقَائِمَةٌ مَعَهُمْ، إِذْ مَرَّتِ الْحُدَيَاةُ فَالْقَتَهُ، قَالَتْ: فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ، قَالَتْ: فَقُلْتُ هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتُمُونِي بِهِ، زَعَمْتُمْ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَهُوَ ذَا هُوَ، قَالَتْ: "فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَتْ"، قَالَتْ عَائِشَةُ: "فَكَانَ لَهَا حَبَاءٌ فِي الْمَسْجِدِ - أَوْ حِفْشٌ -" قَالَتْ: فَكَانَتْ تَأْتِينِي فَتَحَدِّثُ عِنْدِي، قَالَتْ: فَلَا تَجْلِسُ عِنْدِي مَجْلِسًا، إِلَّا قَالَتْ: [البحر الطويل] وَيَوْمَ الْوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِبِ رَبِّنَا أَلَا إِنَّهُ مِنْ بَلَدَةِ الْكُفْرِ أَنْجَانِي.

وبوب عليه البخاري: (باب نوم المرأة في المسجد، والمرأة يلحقها الحيض والجنابة ونحوه).



وأما قول الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾. فالمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، والمراد بقوله: ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾: الملائكة، ولو كان المراد رفع الحدث لقال: (الا المتطهرون).

قال الشوكاني في فتح القدير: قَالَ الْوَاحِدِيُّ: أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَيَّ أَنَّ الصَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ، أَي: لَا يَمَسُّ الْكِتَابَ الْمَكْنُونُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَقِيلَ: هُمْ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمَعْنَى «لَا يَمَسُّهُ» الْمَسَّ الْحَقِيقِيَّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا يَنْزِلُ بِهِ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا يَقْرَأُهُ، وَعَلَى كَوْنِ الْمَرَادِ الْكِتَابَ الْمَكْنُونِ هُوَ الْقُرْآنُ، فَقِيلَ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْأَنْجَاسِ. كَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: الْمُطَهَّرُونَ مِنَ الشَّرِكِ. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: الْمُطَهَّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ وَغَيْرُهُ:

مَعْنَى ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾: لَا يَقْرَأُهُ، إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ أَي: إِلَّا الْمُوَحِّدُونَ. وَقَالَ الْفَرَاءُ: لَا يَجِدُ نَفْعَهُ وَبَرَكَتَهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، أَي: الْمُؤْمِنُونَ. وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: لَا يَعْرِفُ تَفْسِيرَهُ وَتَأْوِيلَهُ إِلَّا مَنْ طَهَّرَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّرِكِ وَالنَّفَاقِ.

وَقَدْ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى مَنَعِ الْمُحَدِّثِ مِنْ مَسِّ الْمُصْحَفِ، وَبِهِ قَالَ عَلِيُّ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ وَسَعِيدُ ابْنِ زَيْدٍ وَعَطَاءُ وَالزَّهْرِيُّ وَالنَّخَعِيُّ وَالْحَكَمُ وَحَمَّادٌ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنْهُمْ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالشَّعْبِيِّ وَجَمَاعَةٍ مِنْهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ، أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْمُحَدِّثِ مَسُّهُ، وَقَدْ أَوْضَحْنَا مَا هُوَ الْحَقُّ فِي هَذَا فِي شَرْحِنَا لِلْمُنْتَقَى فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ. اهـ

وأما حديث: «لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ» فهو حديث مرسل، لا تعارض به الثوابت في الصحيحين وغيرهما أو يحمل على الطهارة من الشرك على ما تقدم، ولو كانت الحائض ممنوعة من القراءة أو مس المصحف لبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك



بيانا واضحا ينقله عنه الثقات الأثبات كما هو الشأن في منع الحائض من الصلاة والصيام، فإن الدوعي على قراءة القرآن متوفرة لمحبتهم للعمل الصالح.

وأما ما رواه الترمذي (١٣١) وغيره: عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** مرفوعا، قال: **«لَا تَقْرَأِ الْحَائِضُ، وَلَا الْجُنْبُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ»**. فقد قال عنه الإمام أحمد لما سأله ابنه كما نقل العقيلي في الضعفاء (ص ٩٠): "باطل أنكره إسماعيل بن عياش". وكذا قال أبو حاتم فيما نقله عنه ابنه في العلل (١-٤٩).

وقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى (٤٦٠/٢١): "وهو حديث ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث."

وقال (٤٦٠/٢١): "ومعلوم أن النساء كن يحضن على عهد رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولم يكن ينهاهن عن قراءة القرآن، كما لم يكن ينهاهن عن الذكر والدعاء، بل أمر الحيض أن يخرجن يوم العيد فيكبرن بتكبير المسلمين، وأمر الحائض أن تقضي المناسك كلها إلا الطواف بالبيت: تلي وهي حائض وكذلك بمزدلفة ومنى وغير ذلك من المشاعر"، والله أعلم. انتهى

فعلى هذا فالراجح هو جواز قراءة الجنب والحائض والمحدث للقرآن وجواز مس المصحف والأفضل التطهر لحديث: **«أَنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَدْكُرَ اللَّهَ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ»** أخرجه البخاري وعلقة مسلم عن أبي الجهم. والله أعلم.





٤٣- (بعض فضائل وبركات إجتماعات أهل السنة والمحاضرات)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه ومجتاباه صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإني أحمد الله **عَزَّوَجَلَّ** إليكم الذي سخر لنا هذا الاجتماع الطيب المبارك على كلامه وعلى كلام رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في والاجتماع في مثل هذه المجالس محبوب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** لأمر:

١- أن الله **عَزَّوَجَلَّ** أمر به ورغب فيه حيث قال: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَةً وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زَيْتَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعِ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

٢- أن الله **عَزَّوَجَلَّ** ملائكة سيارة فضلاء يتبعون حلق الذكر فهذه حلقهم وهذه بغيتهم كما جاء في حديث أبي هريرة في مسلم: عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضُلَا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذُّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ**، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مَنْ أَيْنَ جِسْمٌ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيُّ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَني؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا،



وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فَلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ عَفْرَتْ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

٣- أن هذه المجالس يذكر فيها الغافل ويعلم فيها الجاهل وينشط فيها الكسل.

٤- أن فيها دعوة إلى الخير والله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿وَلَتَكُنَّ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

٥- أن هذه المجالس فيها العقائد السلفية وبيان للطرق المرضية التي كان عليها محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** خير البرية.

٦- أن فيها محاربة لما أدخل على الإسلام من البدع والخرافات والمحدثات فكم من بدعة أماتها الله **عَزَّجَلَّ** بسبب سماع موعظة وذكرًا وكم من سنة أعلى الله **عَزَّجَلَّ** منارها بسبب مجلس من مثل هذه المجالس.

٧- أن القلوب تصدأ وإذا لم تجد من يذكرها بالله **عَزَّجَلَّ** غطى الران عليها ففسدت وأفسدت، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: بسبب الذنوب والمعاصي غطى القلوب الران فأصبح الإنسان لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه.

٨- أن هذه المجالس يزيد فيها الإيمان يدل على ذلك: ما جاء في صحيح مسلم: عن حنظلة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** انه قال: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، عَافَسْنَا الْأَرْوَاحَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «وَمَا



ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُدَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

٩- أن فيه اقتداء بالسلف رضوان الله عليهم؛ فان عبد الله كان يذكّر النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوِ دِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمَّلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَتَخَوَّلُنَا بِهَا، مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا. متفق عليه

١٠- وهو الدعوة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** واقتداء بسبيل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ورجاء أن نكون داخلين في قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

من تفرغ محاضرة بعنوان: (تذكير أهل الإيمان بوصايا لقمان عَلَيْهِ السَّلَام) للشيخ الفاضل عبد الحميد الحجوري حفظه الله تعالى.





٤٤ - فائدة عن : بيان ليلة القدر وهي ليلة مباركة

يقول الله: **عَزَّجَلَّ** ﴿حَمَّ ١﴾ **وَأَلَكِتَابِ الْمُمِينِ ٢﴾** **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ٣﴾** **إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٤﴾** **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٥﴾** **أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٦﴾** **رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٧﴾** [سورة الدخان: ١-٦].

والليلة المباركة في قول جماهير العلماء هي: ليلة القدر التي قال الله **عَزَّجَلَّ** عنها: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١﴾** **وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٢﴾** **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٣﴾** **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ٤﴾** **سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ٥﴾**؛ فهي ليلة مباركة كثيرة الخير، ولهذا عظم الله **عَزَّجَلَّ** شأنها في كتابه، وعظمها رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بقوله: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، يا له من فضل عظيم، ومنه واسعة، وخير عميم من ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** الغني الكريم، حيث يتفضل على عباده بمغفرة ذنوبهم، وستر عيوبهم، والتجاوز عن سيئاتهم، وزلاتهم، وفي ليلة واحدة يكرمهم بهذا الكرم العميم، والخير الواسع العظيم.

ولو قدّر أنه قامها مع الإمام بأقل قراءة في تمام لكان ممن يرجى له هذا الفضل؛ لحديث: «**مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كَتَبَ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ**»، قيامه لها إيمانًا بالله، وإيمانًا بفضلها، واحتسابًا للأجر الذي وعده الله **عَزَّجَلَّ** عليها، وسميت ليلة القدر؛ لعلو قدرها، وشرفها، فهي صاحبة قدر عظيم، حيث توازي أربعة وثمانين سنة، وفيها بركات عظيمة.

وسميت ليلة القدر؛ لأن مقادير العباد تصرف من اللوح المحفوظ إلى صحف الملائكة في تلك الليلة، وقد روي عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (رب ميت يمشي على الأرض).



وهذه الليلة سماها الله مباركة، ومن بركتها أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يضاعف الأجر فيها للعامل، ويجزيه على ذلك المثوبة العظيمة، ومن بركتها أنها تنزل فيها الملائكة، ولكثرة تنزل الملائكة في تلك الليلة تصبح الشمس بيضاء نقيه لا شعاع لها؛ لكثرة نزول وعروج الملائكة، والروح فيها أيضًا ممن ينزل جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وهذا من عطف الخاص على العام؛ لبيان فضله، ومنزلته، وشرفه.

وهذه الليلة يقع فيها تعاقب نزول الملائكة، والملائكة يتعاقبون على مجالس الذكر، وعلى أماكن تلاوة القرآن، وعلى أماكن الصلاة، وغير ذلك من الطاعات مما هو معلوم بأدلتها.

وعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في مسلم: **عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةَ سَيَّارَةَ، فَضَلًا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيُّ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَني؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فَلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.**»

وعن صفوان بن عسال قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رَضًا بِمَا يَطْلُبُ**»، ففي تلك الليلة يقع نزول عظيم



للملائكة يسمعون الآيات، الدعاء، ويحضرون الجماعات، وتتحصل البركات، فلا ينبغي لمسلم أن يحرم نفسه من خير هذه الليلة.

ومن وفق لها فعليه أن يكثّر من الدعاء، وعليه بالصلاة، وقرأة القرآن، ولا يكون قيامها بالأحتفالات، كما هو الصنيع في بعض بلاد المسلمين، حيث يجتمع الرؤساء، والقضاة، ومن إليهم، ويتبادلون الكلمات، والتّهاني، هذا ليس من إحياء ليلة القدر، وإنما أحيائها النبي **صلى الله عليه وسلم** بالقيام والذكر والدعاء.

وينبغي لنا أن نحرص على الصلاة، ولا أقل من أن نصلي ما قدر من تلك الليلة من الخير

ولينزجر أصحاب المعاصي وليتركوا ما هم عليه من مشاهدة التلافة، والدشوش، وسماع الموسيقى، والأغاني، وليقبلوا على كلام الله، وكلام رسوله **صلى الله عليه وسلم** وليحضروا مجالس الذكر، والدعاء، والخير، لعل الله **عز وجل** أن يكرمهم بستر عيوبهم، وتكفير ذنوبهم، وصلاح أحوالهم.

ولنكثّر من الدعاء لأنفسنا، ولأبنائنا، وبناتنا، وزوجاتنا، ولآبائنا، وأجدادنا، بل ولجميع المسلمين، فإنه لا غنى لنا عن الله **عز وجل**، نسأله الصلاح، والرزق، ونسأله العون، ونسأله الثبات على دين الإسلام حتى نلقاه.

ونسأل الله **عز وجل** أن يعاملنا بكرمه لا بما نحن عليه، أما لو عاملنا بما نحن عليه، فنحن قوم على خطر عظيم، نسأل الله السلامة، عندنا قصور في العبادة، وتفريط، وغشيان للذنوب، وتهاون بالأمر، وارتكاب للنهي، ولا تخلوا قلوبنا إلا من رحم الله من حسد، وغل، وحقد، ولا تتوقف ألسنتنا إلا من رحم الله عن غيبة، ونميمة، وكذب، وبهت.



فالواقع أن المسلمين حالهم مزري، لكن نسأل الله أن يتفضل عليهم بمغفرة الذنوب، وستر العيوب، وصلاح الأحوال، وحسن المآل فهو سبحانه أهل لذلك كله، والحمد لله رب العالمين.





٤٥ - فائدة: بيان أن العمرة في رمضان تعدل حجة

فمن أبي طليق الأشجعي: أَنَّ امْرَأَتَهُ أُمَّ طَلِيْقٍ أَتَتْهُ فَقَالَتْ لَهُ: حَضَرَ الْحَجَّ يَا أَبَا طَلِيْقٍ وَكَانَ لَهُ جَمَلٌ وَنَاقَةٌ يَحُجُّ عَلَى النَّاقَةِ وَيَعْزُو عَلَى الْجَمَلِ فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُعْطِيَهَا الْجَمَلَ تَحُجُّ عَلَيْهِ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي حَبَسْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَتْ: إِنَّ الْحَجَّ مِنْ سُبُلِ اللَّهِ فَأَعْطِيهِ يَرْحَمَكَ اللَّهُ. قَالَ: مَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيكَ. قَالَتْ: فَأَعْطِنِي نَاقَتَكَ وَحُجَّ أَنْتَ عَلَى الْجَمَلِ. قَالَ: لَا أُوَثِّرُكَ بِهَا عَلَى نَفْسِي. قَالَتْ: فَأَعْطِنِي مِنْ نَفَقَتِكَ، قَالَ: مَا عِنْدِي فَضْلٌ عَنِّي وَعَنْ عِيَالِي مَا أَخْرُجُ بِهِ وَمَا أَنْزِلُ لَكُمْ، قَالَتْ: إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتَنِي أَخْلَفَكَهَا اللَّهُ. قَالَ: فَلَمَّا أَبِيْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: فَإِذَا أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْرَأْهُ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُ بِالَّذِي قُلْتُ لَكَ. قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْرَأْتُهُ مِنْهَا السَّلَامَ وَأَخْبِرْتُهُ بِالَّذِي قَالَتْ أُمُّ طَلِيْقٍ قَالَ: «صَدَقَتْ أُمُّ طَلِيْقٍ لَوْ أَعْطَيْتَهَا الْجَمَلَ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَوْ أَعْطَيْتَهَا نَاقَتَكَ كَانَتْ وَكُنْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَوْ أَعْطَيْتَهَا مِنْ نَفَقَتِكَ أَخْلَفَكَهَا اللَّهُ». قَالَ: وَإِنَّهَا تَسْأَلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَعْدِلُ الْحَجَّ؟ قَالَ: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ». أخرجهُ ابو داود وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين".

هذا الحديث جاء له طرق كثيرة بمجموعها يزداد قوة إلى قوته، وفيه فضيلة العمرة في شهر رمضان مع فضيلتها في سائر العام.

فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَزِيدَانِ فِي الْعَمْرِ وَالرِّزْقِ كَمَا يَنْفِي كِيرُ الْحَدَادِ خَبَثَ الْحَدِيدِ»، قال أبو يوسف: تابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ. أخرجهُ أحمد عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالناس يعانون من ثَقَلَيْنِ: الْفَقْرَ، وَقِلَّةِ ذَاتِ الْيَدِ، وَالذُّنُوبَ الَّتِي أَثْقَلَتْهُمْ، وَكِفَارَةَ ذَاكَ بِالْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ.



وقال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحُجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»، متفق عليه عن أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

وذلك أن الحاج، والمعتمر ينفق مالا، وي بذل جهدا، ويفارق وطنًا، ويقوم بعبادات كثيرة في هذا الحال، أما إذا وصل إلى البيت الحرام، فإن الصلاة في مسجد الكعبة بمائة ألف صلاة.

بل جاء في بعض الروايات أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه، وإذا وفقه الله بالإكثار من الطواف فكم له من الأجور.

فعن ابن عمر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ طَافَ سُبُوعًا، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ فَلَهُ بِعَدْلِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ رَفَعَ قَدَمًا وَوَضَعَ أُخْرَى كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَحَطَّ لَهُ بِهَا عَنْهُ خَطِيئَةٌ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً» أخرجه ابن حبان وجاء عند أحمد.

والسبوع: سبعة أشواط، كم فيها من الخطوات لمن أخلص لله **عَزَّوَجَلَّ**، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

والطواف عبادة لا تكون إلا في الكعبة، وكم يؤجر على غير ذلك من الطاعات التي تقترن بالحج، والعمرة، وبعضهم ربما يبذل هديًا الفقراء الحرام، وغير ذلك من الأمور.

والعمرة الشرعية أركانها أربعة:

الأول: الإحرام ويكون من الميقات، وستته الغسل، كما صح عن ابن عمر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: (من السنة أن يغتسل الرجل إذا أراد أن يحرم)، وقد أمر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أسماء بنت عميس أن تغتسل، وتحرم، كما في صحيح مسلم وكانت نفساء، ثم إن تيسر له الإهلال بالعمرة، أو الحج بعد صلاة مفروضة، فهذا الذي حصل من النبي



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن لم يتيسر له وصلّى الضحى، أو الوتر، أو صلى غير ذلك من الصلوات الليلية، أو النهارية، ثم أهل بعمرة، أو حج جاز ذلك. وإن لم يكن في وقت صلاة ولا يريد أن يصلي ليس عليه شيء، فليس للإحرام صلاة مستقلة

ثم من سنته: أن يستقبل الكعبة، ويسبح، ويحمد، ويكبر ويهلل كما في البخاري عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ثم يقول: (ليبك عمرة إن كان معتمراً) عن نفسه، وإن كان معتمراً عن غيره يقول: (ليبك عمرة عن فلان)، ثم يشرع في التلبية: (ليبك اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).

فإن استدامها فهو خير له؛ لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «**مَا مِنْ مُلَبٍّ يَلْبِي إِلَّا لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ مِنْ شَجَرٍ وَحَجَرٍ حَتَّى تَنْقَطَعَ الْأَرْضُ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ**».

وأجر التلبية عظيم وهي التوحيد الذي أهل به النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في مسلم، وأهل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالتوحيد، وقد ذكر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**أَنَا فِي جَبْرِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَ أَصْحَابِي وَمَنْ مَعِيَ أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالْإِهْلَالِ - أَوْ قَالَ: - بِالتَّلْبِيَةِ**»، يُرِيدُ أَحَدُهُمَا. أخرجه أبو داود.

وفي الحديث: فضل الحج العج والشج:

والشج هو: الذبح،، والعج هو: رفع الصوت بالذكر والتلبية.

فيستديم التلبية إلى أن يدخل إلى البيت الحرام، ويستحب إذا دخل من باب المسجد أن يقول: (اللهم افتح لي أبواب رحمتك) وهناك أدعية يذكرونها، ولا دليل عليها.

فإذا ما رأى الكعبة استمر في تليته حتى إذا حاذى الحجر كبر.



والإضطباع؛ أن يجعل لباس الإحرام تحت إبطه ويكشف منكبه الأيمن، والإضطباع سنة، وليس بواجب، ولا يكون في جميع الإحرام، وإنما إذا طاف بالبيت طواف القدوم.

ويستحب له أن يرمل ثلاثة أشواط، يسرع الخطأ من الحجر إلى الحجر، ثم يمشي بقية الأربعة، وأما الإضطباع فيبقى معه طولة الطواف.

قال عمر بن الخطاب: فيما النسلان اليوم، والكشف عن المناكب، ومع ذلك لا نترك شيئاً كان عليه النبي **صلى الله عليه وسلم**. أخرجه البخاري

ويستحب لمن استطاع أن يقبل الحجر الأسود فإن كان تقبيله للحجر الأسود شاق عليه وعلى غيره فيكفي أن يشير إليه بسم الله، أو أن يلمسه بمحجن أي عصا ثم يقبلها كما صح عن النبي **صلى الله عليه وسلم**.

فإذا جاء إلى الركن اليماني استحب أن يمسه فإن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «أن استلام الركنين يطوان الذنوب». أخرجه أحمد.

إلا أنه إذا لم يتمكن من الوصول إلى الركن اليماني فلا يلزمه الإشارة، وليس فيه تقبيل، وإنما فيه المسح، فإذا انتهى من السبعة الأطواف من الركن إلى الركن، ودعا بما شاء، أو ذكر الله، أو قرأ قرآناً فكله جائز.

وأما ما يوزع، أو يشتري من الأدعية التي فيها أدعية الشوط الأول، أدعية الشوط الثاني، وأدعية الشوط الثالث، إلى غير ذلك، فهذه أدعية لم تثبت عن النبي **صلى الله عليه وسلم**.

فإذا انتهى من الطواف استحب له أن يصلي عند المقام ركعتين، قال الله: **عَزَّوَجَلَّ ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾**.



وذهب بعض أهل العلم إلى وجوب الركعتين يقرأ في (الأولى) بالفاتحة، وقل هو الله أحد)، والثانية (بالفاتحة، والكافرون).

ثم بعد ذلك يصعد إلى الصفا فإذا قارب منها قال كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أبدأ بما بدأ الله به، قال تعالى: ﴿* إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ ولا يكررها في كل شوطٍ.

فإذا رقى على الصفا استقبل الكعبة، فيستقبل الكعبة، ويكبر، ويحمد، ويهلل، ثم يقول: (لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله الا الله وحده نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده)، كما في مسلم عن جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ثم يدع بما شاء، وهذا الذكر مستحب، وليس بواجب، ثم يكرر هذا الذكر ثلاثاً، ويدعو بينه ثلاثاً.

ثم يتجه إلى المروة ويكون الشوط من الصفا إلى المروة وليس من الصفا إلى إلى الصفا بخلاف الطواف بالكعبة.

حتى ينتهي بالطواف السابع بالمروة، وينزل ولا يحدث شيئاً غير الذكر، والدعاء حتى يصل إلى الخط الأخضر؛ وهو الوادي في الزمن القديم، والآن معلم بإنارة خضراء فإذا وصل إلى هذا المكان استحب له أن يشد بالجري؛ لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «لا يقطع الوادي إلا شداً».

والخلاف بين الرمل، والجري، أن الرمل خطئ متقاربه، وهذا يكون حول الكعبة، وأما في الصفا والمروة فإنه يجري حتى لربما كشف النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن فخذه، إلا أن النساء لا يستحب لهن ذلك.



فإذا وصل إلى المروة يستحب له أن يقول كما قال على الصفا من الدعاء: ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ».

وقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ» قالوا: يا رسول الله! وللمُقَصِّرِينَ؟ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ»، قالوا يا رسول الله! وللمُقَصِّرِينَ؟ قال: «اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ»، قالوا: يا رسول الله! وللمُقَصِّرِينَ؟ قال «وللمُقَصِّرِينَ»، متفق عليه.

وأما المرأة فإنها تأخذ من شعرها بمقدار الأنملة فإذا ما انتهوا من هذه الأربعة الأركان فقد تمت العمرة بأركانها، وله أن يزيد في مستحباتها، وواجباتها من ذكر، ودعاء، وتسييح، وتحميد، وغير ذلك من الأمور.

* **وهنا تنبيه:** أن الطواف بالكعبة لا يشترط له الطهارة وإنما هي مستحبة، فإن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** توضأ حين طاف بالكعبة.

والفرق بين القولين: أن القول باشتراط الطهارة يلزم منه بطلان طواف من أحدث في طوافه وذلك لا يتأتى؛ لأن الصحابة الذين طافوا في حجة الوداع قريب من مائة ألف ولم يُذكر أن أحداً منهم حُكِمَ على طوافه بالبطلان.

ويستحال أن يكون هذا العدد لم يقع الحدث من أحدهم، ولم يسأل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن ذلك، ولو سأل لنقل لنا، وأما فعل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فلا يدل على الوجوب، وإنما يدل على الإستحباب كما هي القاعدة في أفعال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.



* **وهنا تنبيه:** وهو أن المرأة لا يجوز لها أن تطوف وهي حائض؛ لقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «**افْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهَرِي**»، متفق عليه عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

ويُحرم الحاج والمعتمر من أي ميقات مر عليه؛ لقول ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «**وَقَتَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ نَجْدِ قَرْنَ الْمَنَازِلِ، وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلَمَ، فَهِنَّ هُنَّ، وَلِئِنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ لِمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، فَمَنْ كَانَ دُونَهُنَّ، فَمَهَلُهُ مِنْ أَهْلِهِ، وَكَذَلِكَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يَهْلُونَ مِنْهَا**». متفق عليه.

إلا أن المكي إذا أراد العمرة تعين عليه الخروج إلى الحل، وإحداث العمرة من ذلك المكان.

* **وهنا تنبيه:** وهو أن هنالك قول لبعض أهل العلم أن المكي ليس عليه عمرة، وهذا غير صحيح فإن المكي يستحب في حقه العمرة كما تستحب في حق غيره من المسلمين، وتجب إن لم يكن قد اعتمر قبل ذلك.

وهم داخلون في عموم أدلة الحث على هذا الخير ولو كانت لهم خصوصية لبينها رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فالعمرة واجبة مستقلة، والحج واجب مستقل، ويجوز الجمع بينهما، والله المستعان



٤٦ - فائده المسارعه في الخيرات

جاء الأمر من الله - **عَزَّوَجَلَّ** - بقوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾، وبقوله: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾، وبقوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.

وكما في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قَالَ: « **بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُضْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا** ».

ويقول الله - **عَزَّوَجَلَّ** - في وصف بعض أنبياءه: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾، فالمسارعة إلى الخير سبيل إيماني، وسبيل لنيل المراتب العالية.

وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يتسابقون إلى الخير، سواء كان ذلك في باب الجهاد، أو الصدقات، أو في تبليغ العلم، أو غير ذلك من الأبواب. ففي حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: (قال رجلٌ للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يوم أُحُدٍ: يا رسول الله! إن قُتِلْتُ أين أنا؟ قال: «**أنت في الجنة**»، فألقى تمراتٍ كُنَّ في يده، ثم قاتلَ حتى قُتِلَ. أخرجه مسلم.

وفي باب الصدقات: حث النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عليها؛ ففي سنن أبي داود: عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا لَأَ عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ، إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**»، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَآتَى أَبُو بَكْرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسَابِقُكَ إِلَيَّ شَيْءٍ أَبَدًا. قال الشيخ الألباني: حسن.



وفي باب البشارة بالخير ومحبة المسلمين: ما صح عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ، عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ يَقْرَأُ، فَقَامَ فَتَسَمَّعَ قِرَاءَتَهُ، ثُمَّ رَكَعَ عَبْدُ اللَّهِ وَسَجَدَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلْ تَغْطِيَهُ، سَلْ تَغْطِيَهُ»، قَالَ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ، فَلْيَقْرَأْهُ مِنْ ابْنِ أُمَّ عَبْدِ»، قَالَ: فَأَذَلَجْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لِأُبَشِّرُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَلَمَّا صَرَبْتُ الْبَابَ - أَوْ قَالَ لَمَّا سَمِعَ صَوْتِي - قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ لِأُبَشِّرَكَ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَدْ سَبَقَكَ أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: إِنْ يَفْعَلُ فَإِنَّهُ سَبَّاقٌ بِالْخَيْرَاتِ، مَا اسْتَبَقْنَا خَيْرًا قَطُّ إِلَّا سَبَقْنَا إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ. أخرجه أحمد.

مسابقة حتى في تبشير إخوانهم وإدخال السرور عليهم، مسابقة في الصيام، مسابقة في الحج، مسابقة في قراءة القرآن، مسابقة في العلم وحفظ الحديث، مسابقة في جميع شؤونهم.

وبهذا رفعهم الله، وبهذا نالوا الدرجات العلى والنعيم المقيم، وبهذا كانوا يمشون على الأرض، وهم يعلمون أن الله قد رضي عنهم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. كثير منهم يعلم أنه من أهل الجنة ومع ذلك يخشى ما يقدم عليه ويتزود من الاعمال الصالحة كما قال تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]

وفي صحيح الترمذي: أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون] قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَجَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون].»



أما نحن - نسأل الله السلامة - الفتور حاصل، والذنوب كثيرة، والمعاصي محيطة، والجهل عميق، ومع ذلك عندنا من الرجاء ما الله به عليم، رجاء لا يوافق ما نحن عليه من العمل.

أما أولئك كان رجاءهم مع العمل الصالح، يعملون الصالحات ويرجون من الله القبول ويخشون الرد.

ونحن نقصر في باب الطاعات والقربات، ونفعل المعاصي والسيئات؛ وكأننا قد ضمنا قبول العمل.

فيا أيها المسلمون! علينا أن نتقي الله، وأن نسارع في تحصيل الحسنات؛ فإن الموسم قد شارف على الإنتهاء، وأصبحت الليالي معدودات بعد أن كانت معلومات.

فعلى الإنسان أن يشمر؛ لعلها أن تستجاب له دعوة تغير حياتك في الدنيا والآخرة، لعلها أن تقبل منك صدقة يتغير به حالك في الدنيا والآخرة، لعلها أن تقبل منك طاعة يصلح بها الدنيا والآخرة، فإن الله - **عَزَّوَجَلَّ** - إنما يتقبل من المتقين.

ومن فرط فالله غني حميد، يعني من فرط وبقي على ما هو عليه؛ لا يظن أنه ضر أحدًا، ضر نفسه، وإلا فإن الله غني حميد عبد أم كُفر، أُطيع أم عُصي، هو الغني، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾.

وفي الحديث القدسي في صحيح مسلم: عن أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْمْ وَأَخْرَكُمْمُ وَإِنْسَكُمْمُ وَجِنَّتُمْ عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا».



والبدار! البدار! الله أعلم من يأتي عليه العام القادم؛ حتى يتزود من صيام وقيام،
فإن الموت يتلقى الإنسان في طريقه وهو سائر عليه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي
تَفْرُوتُ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةَ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾، كم من إنسان يفرط في الطاعات والقربات ويأتيه الموت من أمر لا يظنه
ولا يأمله، ولا يخاف منه.

فلنسارع إلى الخيرات، ولنستبق الخيرات، ولنبادر بالخيرات، فكل ذلك من
أسباب رفعة العبد عند الله ثم عند الناس، ومن أسباب الرزق، وأسباب المحبة،
وأسباب انشراح الصدر، وأسباب دفع الكرب، ودفع المصائب، والحمد لله.





٤٧- فائدة حديث (جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا...)

ففي الصحيحين: عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءَ الْكَبِيرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ». متفق عليه.

فمجموع ما تضمنه هذا الحديث:

١- أن عدد الجنان أربع متفاوتة في الصفات وفي المكارم التي يتحصل عليها من يدخلها.

٢- والكريم من أكرمه الله، وكل من دخل الجنة فهو في خير عظيم، وإن كان من أدناهم منزلة؛ لأن ليس فيها دني.

وفي حديث المغيرة بن شعبة عند الإمام مسلم: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مُلْكٍ مِنَ الْمُلُوكِ الدُّنْيَا؟»، سبحانه الله كم للملوك في الأرض من قصور، ودور وأرض، وعقار، ومال.

ثم قال: «فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعِشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ». هكذا جاء في هذه الرواية، «قال: رَبِّ، فأعلاهم منزلة؟»، إذا كان هذا آخر أهل الجنة دخولا الجنة، فكيف بأعلاهم منزلة؟ قال: «أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر



على قلب بشر»، قال: ومِصداقُه في كتابِ الله - **عَرَجَلٌ**: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾. [السجدة: ١٧].

وقد وصف الله - **عَرَجَلٌ** - الجنة في كتابه وصفاً دقيقاً بليغاً، تجعل من أراد الخير شمر، ولا يكسل ويزهد فيها إلا من فرط ولم يعلم مصلحة نفسه.

ومن هذا الوصف، ما ذكره الله - **عَرَجَلٌ** - في سورة الرحمن، حيث قال

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فِيهَا ۖ آيَاتٌ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا

أَفْتَانٍ ﴿٤٨﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ رَّوَّحَانِ ﴿٥٢﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِن إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنَسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴿٦٢﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَمِخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٦٨﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَانٌ ﴿٧٠﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنَسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَى رُفُوفٍ خَضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حَسَانٍ ﴿٧٦﴾ فِيآءِ ۖ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ [الرحمن: ٤٦ - ٧٨]

قد تقدم أنهما جنتان من ذهب، قوله ﴿ذَوَاتَا أَفْتَانٍ﴾: أي غصون، وأشجار، وحدائق نظرة حسنة تحمل من كل ثمر ويغطي بعضها بعضاً.

وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ فِي

الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّابِئُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ».



وقوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾: أي تسرحان لسقي الأشجار والأغسان فتشمر من جميع الألوان وقال الحسن أحدهما يقال لها تسنيم والآخرى سلسيلاً، أفاده ابن كثير

عيون تجري، وقد بين ذلك ما في سورة محمد أن الله - **عَزَّوَجَلَّ** - أخبر عنها فقال: ﴿فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ عَذْرَاءِ اسِنَّ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِنْ حَمْرِ لَذَّةِ اللَّشْرِيِّنَ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾، وانظر! يقول هنا: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، وسيأتي في الجنتين الآخرين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ﴾، والفرق واسع بين العين التي تجري، والعين التي تضخ في مكانها.

قوله: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾: وكل: من ألفاظ العموم، ففيها من كل ما لذ وطاب من الفواكة والحدايق والغناء وسيأتي في الجنتين الآخرين:

﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ الفواكه، قد تتفق فواكه الدنيا مع فواكه الآخرة في المسمى، لكن ليس لها من الاتفاق إلا في الاسم، وإلا فإن الفرق واسع، كما وصف الله - **عَزَّوَجَلَّ** - سدرة المنتهى، ووصفها رسوله - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أن ورقها كأذان الفيلة، وثمرها كالقلال.

قوله: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: والمراد بالاتكاء الاضطجاع ويقال الجلوس على صفة التربع قال أبو عمران الجوني هو الريباج المزيب بالذهب فنبه بشرف الظهارة يشرف البطانة فهذا من التنبيه بالادنى على الاعلى أفاده ابن كثير.

ذكر البطائن، ولم يذكرها بجمال الظاهر، فإذا كان بطائنهما من هذا النوع الجميل من القماش الفاخر جميل اللون، ناعم الملمس، إلى غير ذلك، فما بالك بظاهرها كيف سيكون!!،



قوله: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوبُهَا تَذِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]، ما فيها من الفواكه قريبة من أصحابها، متكئ على فراشه، ويأكل مما أراد.

وسبحان الله! كيف ذكر الله - **عَزَّجَلَّ** - هذا بعد قوله: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾؛ حتى لا يُظن أنه يحتاج إلى قيام لتناولها.

وقد جاء في بعض الروايات، أنه لا يريد شيء إلا جاء إليه، فهذا أمرٌ عظيم. ثم قال: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ﴾ أي: في الفرش قاصرات الطرف لا يرفعن أبصارهن إلى غير أزواجهن، فلا يرين في الجنة أحسن من أزواجهن.

قوله: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قُبُلُهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾؛ كما قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾، وهذا أمر عظيم، فإن الرجل إذا تزوج امرأة قد تزوجت قبله، ربما بين الحين والآخر يأتيه بعض ما يأتي الإنسان، لكن أخبر الله - **عَزَّجَلَّ** - أن نساء الجنة لم يُطمئن من إنسٍ ولا من جان، حتى الحلم ما هناك احتلام، وإنما تعرف زوجها، وكفى به نعيم.

وقوله ﴿زَوْجَانٍ﴾: قال ابن كثير: هذا من الأدلة على دخول مؤمنين الجن الجنة قوله تعالى: ﴿كَانَتْهُنَّ أَلْيَافُوتٌ وَالْمَرْجَانُ﴾؛ ولما ذكر **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى** جمال الباطن من عفافهن، وقصور أبصارهن، أخبر أنهن في الجمال قد بلغن المبلغ العظيم ﴿كَانَتْهُنَّ أَلْيَافُوتٌ وَالْمَرْجَانُ﴾: حسنًا، وجمالًا، ونعومةً، وحسن منظرٍ، إلى غير ذلك.

وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ فِيهَا آيَتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَجَمَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلْوَةِ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يَرَى مِخُّ سَاقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا».



قوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾: يعني: أن الجزاء من جنس العمل. والإحسان الذي فعله العبد: أنه أطاع الله - **عَزَّجَلَّ** -، ووحده، وتابِع النبي - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - ولزم الطاعة، واجتنب المعصية، فهنيئاً لمن أحسن!

فجزاء من أحسن في الدنيا الإحسان في الآخرة كما قال تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] والحسنى الجنة وما فيها والزيادة النظر إلى وجه الله **عَزَّجَلَّ** قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾: يخبر تعالى أن هاتين الجنتان دون التي قبلهما في المرتبة والفضيلة

قوله: ﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾: أي يغطي بعضها بعضاً؛ من شدة سوادها، ومن كثرة أشجارها وريهما.

قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾: أي فياضة والجري أقوى منه وقال الضحاك نضاختان أي ممتلئتان ولا تنقصان.

قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، وهذا من أشرف أنواع الفاكهة لكن الأولى أعم حيث أتى قبلها بقوله: ﴿مِنْ كُلِّ﴾ التي تفيد العموم، أما كلمة (فاكهة) فهي عامة يدخل فيها كل فاكهة.

والنخل والرمان من التخصيص بعد التعميم هكذا قال البخاري؛ لبركتهما وفضلهما.

وقد ذكر الله - **عَزَّجَلَّ** - الرمان في سورة الأنعام في موطنين:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَيَّ فَمَرَّةٍ إِذَا أَتَمَّرْتُمْ بِإِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].



الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَآثُوا حَقَّهُ وَيَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]. فصار ذكر الرمان في القرآن في ثلاثة مواطن.

وهو شجرة مباركة، حتى أن الحبة منها في الدنيا إذا سلمت من النقر وغيره ربما تحفظ السنة والستين في الغرفة، ما يضرها شيء، وطعمها لذيذ ومفيد.

قوله تعالى ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾: أي خيرات كثيرة حسنة، وقيل: المراد بها الحور العين، **قال ابن كثير:** ولهذا قرأ بعضهم فيهن خيرات بالتشديد.

ومع ذلك فكل شيء في الجنة خير من حسن يشتهي ويتلذذ به طعمًا، وملمسًا، ونظرًا، فالجنة كلها نعيم، طعمها نعيم، والنظر فيها نعيم، واللمس فيها نعيم.

والجلوس فيها نعيم: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾، بينما النار كلها جحيم: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.

قوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾: الأولى فيهن قاصرات الطرف، وهي التي تقصر طرفها بنفسها، وهؤلاء قد ذكر أنهم مقصورات في خيامهن على أزواجهن.

قال ابن كثير: ولا شك أن التي قد قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت، وإن كان الجميع مخدرات.

قوله: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قُبَاهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾: وهذا الوصف اشتركت فيه جميع الحوريات.

قوله: ﴿مُتَّكِعِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقْرِيِّ حِسَانٍ﴾: قيل: الوسائد والمحابس التي يجلس عليها، والعبقري: هي بسط أهل الجنة مختلفت الألوان وهذه مختلفة عند الأولى حيث مدح هنالك الباطن وهنا الظاهر والفلاق واضح.



قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾: تبارك الله الذي خلق هذه الجنان، وأعدّها، وأمدّها، وجهزها؛ للمؤمنين للمخلصين، وللموحدين فهو أهل أن يجل فلا يعصى وأن يكرم فيعبد ويشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا يُنسى.
وقوله ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾ أي: ذو العظمة الكبرياء.

فهذه جنان وصفها الله لنا فيها من الخير العظيم، فلماذا نكسل، مع أن المخبر هو الله الصادق في قيله، والذي لا يخلف وعده!!.

فالله الله عباد الله في تفهم القرآن، وتعقله، وتدبره، والعمل به لننال ما وعد الله -
عَرَّجَلٌ - به الخُلص من عباده، وإلا فالعكس - نسأل الله السلامة -.

فإن أكرمت نفسك في الدنيا بطاعة الله أكرمك الله - **عَرَّجَلٌ** - دنيا وأخرى، وإذا أهنت نفسك بمعصية الله، أهانك الله - **عَرَّجَلٌ** - دنيا وأخرى، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّوْمِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٨﴾﴾، عزيز فيما يبدو لنفسه، كريم فيما يبدو للناس الذين تغرهم المظاهر، ولا ينظرون إلى المخابر، فيتهكم به من نحو صنيعه في الدنيا.

ونسأل الله - **عَرَّجَلٌ** - أن يرحمنا وإياكم وجميع المسلمين.





٤٨- فائدة: (مختصر أصول أهل السنة والجماعة)

فإن أهل السنة والجماعة من زمن رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وإلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها حريصون كل الحرص على تقديم ما أنزله الله تعالى وبينه ورسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهذا هو الأمر الذي بسببه استحقوا هذا الإسم أهل السنة، والجماعة.

فالسنة؛ هي طريقة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** القولية والفعلية والاعتقادية.

والجماعة؛ هم الصحابة الذين اجتمعوا على الحق، والهدى، والخير الذي جاء به رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

ومن أسمائهم: (أهل الحديث)؛ لأنهم قدموا الحديث في جميع شؤونهم، فإذا تكلموا بالتوحيد جاؤوا بالحديث، وإذا حذروا من البدعة جاؤوا بالحديث، وإذا دعوا الناس إلى عبادة الله **عَزَّجَلَّ** جاؤوا بالأحاديث الدالة على هذه العبادات، وما يتعلق بها.

ومن أسمائهم: (أهل الأثر)؛ وذلك لاتباعهم آثار من سبقهم، فتجد أنهم يتعلقون جداً بما ثبت عن رسول الله صلى عليه وسلم وعن الصحابة بما لا يخالفون فيه دليلاً.

وهكذا يهتمون بأقوال التابعين؛ لأنهم من القرون المفضلة الذين أثنى عليهم رسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بقوله: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَخْلَفُ قَوْمٌ تَسْبُقُ شَهَادَتَهُمْ أَيَابَهُمْ وَأَيَابُهُمْ شَهَادَتُهُمْ**»، أخرجه البخاري **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عن عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

ومن أسمائهم: (السلفيون) سُموا به؛ لأخذهم طريقة السلف، والسلف؛ هو المتقدم، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿**فَلَهُ مَا سَلَفَ**﴾ [البقرة: ٢٧٥].



ومتقدمهم هو رسول الله صلى عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم. ومن أسمائهم: (الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية)، منصوره على من خالفها وإن كانوا من كانوا؛ فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** نصر رسله، وكانوا أفراداً على من خالفهم، وهكذا ينصر الله **عَزَّوَجَلَّ** هذه الطائفة على من خالفها، قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم لا يضُرُّهم من خذلهم أو خالفهم حتى تقوم الساعة»، متفق عليه عن المغيرة بن شعبة ومعاوية وثوبان **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ**.

وناجية من عذاب الله **عَزَّوَجَلَّ** يوم القيامة، ومن البدع والاختلاف. ونحن نتكلم عن الطائفة لا عن الأفراد، فإن الأفراد معرضون لما يتعرض له غيرهم، وهم في فعل معاصيهم دون الشرك تحت المشيئة إن شاء الله **عَزَّوَجَلَّ** عذبهم، وإن شاء عفا عنهم:

وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنَ الْخَطَا ❀❀ فَأَمْرُهُ مَفْوُضٌ لِيذِي الْعَطَا
فَإِنْ يَشَأْ يَعْفُ وَإِنْ يَشَأْ أَنْتَقِمَ ❀❀ وَإِنْ يَشَأْ أُعْطِيَ وَأَجْزَلَ النَّعْمِ
وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

وقال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»، وفي رواية: قالوا: يا رسول الله من الفرقة الناجية؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، وفي رواية: قال: «هي الجماعة يد الله على الجماعة»، جاء عن عدة من الصحابة وأشهرهم معاوية **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.



و إذ نقول: (أهل السنة والجماعة) فليس المراد بهم طلاب العلم، وخطباء المساجد ومن تقمصوا بهذا الأمر بل يدخل فيهم كل من سار على سيرهم من عوام المسلمين، وتجار، وأولياء أمور وغيرهم المسلمين.

وكم كنا نسمع من شيخنا مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى بقوله: (أهل السنة، والجماعة منهم العالم، والمهندس، والمسؤول، والطبيب، فكل من أخذ بطريقهم وأحبه، واعتقد لله **عَزَّوَجَلَّ** فهو منهم على أي حال كان، وفي أي جبل، أو سهل، أو بحر، أو بر). وهنا أصول ينبغي أن يتفطن لها المسلم إذا أراد أن يكون من هذه الطائفة، وهذه الفرقة التي أثنى عليها رسول الله صلى عليه وسلم، والتي هي امتداد لدعوة رسول الله صلى عليه وعلى آله وسلم.

فإن من حفظ الله للدين أن جعل هذه الدعوة امتداد لدعوة رسول الله صلى عليه وسلم تقع البدع ويثبت أهل السنة، تأتي المنكرات، وينكرها أهل السنة، وتضعف العبادة ويقوم بها أهل السنة، قال تعالى ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾؛ حيث حفظه الله بأهل السنة لفضاً ومعناً.

وأعظم الأصول التي يسير عليها أهل السنة والجماعة: ما تضمنه حديث جبريل وهو حديث عمر بن الخطاب الذي أخرجه مسلم: **بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».** قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ.



قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قال: صدقت. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمُسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبِّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُمَرُ أَنْذِرُونَ مِنَ السَّائِلِ؟». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ». أخرجه مسلم (١٨).

فالإيمان بالله؛ أن يفرد بربوبيته المتضمنة للخلق، والملك، والتدبير، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿تَبَرُّكَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ الْمَلَكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

وأن يفرد بالألوهية فلا يعبد غيره، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ عَبَدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَوْا الطَّغُوتَ﴾، فلا يعبد معه ملك مقرب، ولا نبي مرسل بل يعبد وحده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا شريك له. ويدخل في الإيمان بالله: الإيمان بأسماء الله تعالى، وصفاته فله الأسماء الحسنی والصفات العلی، وهو موصوف بكل ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

بل هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كما قال تعالى عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، أثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل ومن أعظم ذلك أن نعتقد ما تضمنه قول الله: **عَزَّوَجَلَّ** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا



بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴿البقرة: [٢٥٥]. وغيرهما.

فنؤمن أنه موصوف بالكمال المقدس فهو العليم السميع البصير القوي، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يُكَلِّمُ مَن يَشَاءُ عَلَيْهِ﴾ [الحديد: ٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١٤﴾﴾ [الحشر: ٢٣، ٢٤].

ونؤمن أنه يغضب ويرضى ويسخط ويحب وغير ذلك مما تثبت به الأدله كما يليق بجلاله على ما هو مفصل في المطولات والمختصرات.

ومن أصول الإيمان: الإيمان بملائكة الله **عَزَّجَلَّ**، وأنهم خلق من خلقه خلقهم من نور كما في حديث عائشة عند مسلم، وقال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، خلقهم ووكّل إليهم التصرف في شؤون العالم، فمنهم الصافون، ومنهم المسبحون، ومن المرسلات، ومنهم النازعات، ومن الذاريات، ومنهم غير ذلك من الأوصاف أعظمهم، ومقدمهم جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ** الذي كان ينزل بالوحي، ثم ميكائيل، وإسرافيل؛ وميكائيل ملك القطر، وإسرافيل الملك الموكل بالنفخ في الصور.

و نؤمن ببقيتهم مثل: ملك الموت، ومالك خازن النار، وخازن الجنة، وبما أخبر الله **عَزَّجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** به، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَتِيبِينَ ﴿١١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

وهي مخلوقات كثيرة، قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وعظيمته؛ ففي سنن أبي داود: عن جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**



قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعٌ مِائَةً عَامٌ». قال الشيخ الألباني: صحيح.

ومن أصول الإيمان: الإيمان برسول الله **عَزَّوَجَلَّ**، وأنه قد أرسل رسلاً إلى أممهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقُصِّصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَيْرَ هُنَالِكَ الْمُبْطُلُونَ﴾، فمن كفر برسول منهم فهو كافر بدين الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكافر بجميعهم، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، وهم إنما كذبوا نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، قال تعالى: ﴿لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾.

ونؤمن بمن قص الله علينا منهم، ومن لم يقص، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصِّصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].
وأعلاهم ومقدمهم: (محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) الذي يجب أن نؤمن به ونؤمن بما جاء به، والأخذ بطريقه.

ويتضمن قول محمد رسول الله: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والإنتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله **عَزَّوَجَلَّ** إلا بما شرع محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.
ونؤمن بأن محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** آخر الأنبياء، وأنه رسول إلى الناس كافة، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.



فمن ادعى النبوة بعده أو جوز النبوة بعده في غيره فهو كافر كافر أكبر مخرج من الملة.

ومن ادعى أن محمداً **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رسول إلى العرب فقط فهو كافر كافر أكبر مخرج من الملة، لا ينفعه إقراره بنبوة محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حتى يضم إليها ما سبق.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»، أخرجه مسلم.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: الإيمان بكتب الله **عَزَّوَجَلَّ** المنزل على أنبيائه ورسله أنها كلام الله ووحيه وتنزيله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾.

والكتب كثيرة، أعلمنا الله **عَزَّوَجَلَّ** منها بالتوراة، والإنجيل، والقرآن، وصحف إبراهيم، وصحف موسى، والزبور، فيجب علينا أن نؤمن بأن الله **عَزَّوَجَلَّ** تكلم بكتبه، وأنزلها على رسله، وفيها من الشرائع، والأحكام ما يحتاج إليه الناس إلا أنها قد غيرت وبدلت كما أخبر الله **عَزَّوَجَلَّ**، غيرت التوراة، والإنجيل، وغيرها من الكتب، وثبت القرآن العظيم؛ الذي هو وحي الله وتنزيله، ونوره ورحمته، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فنؤمن بالقرآن بأن الله **عَزَّوَجَلَّ** تكلم به على الحقيقة، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ﴾.

وفي سنن أبي داود: عن جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: كان رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال " كَانِ النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَدْ يَعْرِضُ نَفْسَهُ بِالْمَوْقِفِ، فَقَالَ: "أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؟ فَإِنَّ قَرِيشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي". قال الشيخ الألباني: صحيح.



وعن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** أَنَّهَا قَالَتْ: "وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحَيُّ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحَقَّرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى".

فنؤمن بأن الله تكلم بالقرآن على الحقيقة، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، والله **عَزَّجَلَّ** متكلم بحرف، وصوت سمعه منه جبريل، وسمع محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من جبريل. **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفره العلماء قاطبة.

قال ابن القيم: ولقد تقلد كفرهم خمسون في خمس من العلماء في البلدان.

وللالكائي الإمام حكاه بل قد حكاه قبله الطبراني.

فنقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود.

منه بدأ قولاً؛ أي: تكلم به حقيقة، وسمعه منه جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

وإليه يعود؛ في آخر الزمان.

قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشِي الثَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى مَا

صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نَسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ **عَزَّجَلَّ** فِي لَيْلَةٍ،

فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبَقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْعَجُوزِ،

يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا» فَقَالَ لَهُ صَلَّةٌ: مَا

تُعْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نَسُكٌ، وَلَا

صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُدَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَعْرُضُ عَنْهُ حُدَيْفَةُ، ثُمَّ

أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: يَا صَلَّةُ، تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا. أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ

حُدَيْفَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ويكون رفعه بحيث يرفع من صدور الرجال، والصحف، وقد حصل هذا في زمن

النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ففي صحيح مسلم: عَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إِلَيَّ قُرَاءَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةَ رَجُلٍ قَدْ قَرَأُوا



الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاءُهُمْ، فَاتْلُوهُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَفْسُوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةَ، كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشَّدَّةِ بِرَاءةٍ، فَأُنْسِيَتْهَا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: ﴿لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَايَاتٍ مِنْ مَالٍ لَا يَبْتَعِي وَايَاتًا فَآيَاتًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ﴾، وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةَ، كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِخْدَى الْمُسَبِّحَاتِ، فَأُنْسِيَتْهَا، غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ فَبُكِّتْ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: الإيمان باليوم الآخر، وما فيه مما أخبر الله **عَزَّوَجَلَّ**، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَآخِزُونَ هُمْ بِأَخْرَجَهُمْ يَوْمَ هُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾﴾.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالقبر وما فيه من النعيم والعذاب خلافاً للمعتزلة، والرافضة، والخوارج، ومن سار على سيرهم.
وعند أبي داود: عَنْ هَانِيٍّ، مَوْلَى عَثْمَانَ، قَالَ: كَانَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَيَقِيلُ لَهُ: تَذَكَّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ».

فنؤمن بالقبر وما فيه من النعيم للمؤمنين، وما فيه من العذاب للكافرين، ومن أراد الله **عَزَّوَجَلَّ** من عصاة المؤمنين، قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، وغيرها من الآيات.



وأما ما يتعلق بقول الله **عَزَّوَجَلَّ** الذي في سورة يس: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا﴾؛ قال **العلماء**: بأنها رقدة قبل البعث، وقال بعضهم: هي رقدة بالنسبة لما بعدها من الأهوال الشديدة، والله أعلم.

وأحاديث عذاب القبر متواترة، وقد سطرت جملة منها في رسالة مستقلة. ونؤمن بالبعث، والنشور، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَانِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا نَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [يس: ٥١ - ٥٣].

ونؤمن كذلك بما يقع في ذلك اليوم من تطاير الصحف، ومن وزن الأعمال، ومن النظر إلى وجه الله **عَزَّوَجَلَّ**، قال الله: **عَزَّوَجَلَّ** ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

وفي حديث جرير بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»، يعنى: العصر والفجر، ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾. متفق عليه.

وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾، وقال الله: **عَزَّوَجَلَّ** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ نِعْمَتُ رَبِّي عَلَيْهَا ﴿١١﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ﴿١٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَرَأَوْتُ كِتَابِيَةَ ﴿١٥﴾ وَلَرَأَوْتُ مَا حِسَابِيَةَ ﴿١٦﴾ يَلَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿١٧﴾﴾.



ونؤمن بالصراط، وهو: الجسر الممدود على متن جهنم، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧٦﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٧﴾﴾.

وأحاديثه متواترة منها: ما في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**هَلْ تُصَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**فَهَلْ تُصَارُونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**»، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا - شَكََّ إِبْرَاهِيمُ -، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُحْيِيهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟»، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخَطَّفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُوثِقُ بِقِيَّ بَعْمَلِهِ - أَوْ الْمُوثِقُ بِعَمَلِهِ -، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ، أَوْ الْمُجَازِي، أَوْ نَحْوُهُ، ثُمَّ يَنْجَلَى، حَتَّى إِذَا فَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ**



بَوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ اضْرِبْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَسَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللَّهَ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتَكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟، فَيَقُولُ: لَا، وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبُّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِقَ مَا شَاءَ، فَيَضْرِبُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطَيْتَ أَبَدًا؟ وَيَلِكُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، وَيَدْعُو اللَّهَ، حَتَّى يَقُولَ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِقَ، فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَبْرَةِ وَالشُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطَيْتَ؟ فَيَقُولُ: وَيَلِكُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، لَا أَكُونَنَّ أَشْقَى خَلْقِكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ، قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّى، فَسَأَلَ رَبُّهُ وَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيَذْكُرُهُ، يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ: اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

فلا يدخل أحد الجنة إلا من طريق هذا الصراط الذي نصبه الله **عَزَّوَجَلَّ** على متن جهنم، ولا يجوزه إلا المؤمنون، وأول من يجيزه محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأُمَّتُه على ما تقدم.

ونؤمن بحوض النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي أكرمه الله **عَزَّوَجَلَّ** به كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَىكَ الْكَوْثَرَ﴾، وهو الحوض العظيم الكبير زواياه سواء ومسيرته شهر وأنيته أكثر من عدد نجوم السماء من ورده شرب ومن شرب لم يضمأ بعدها أبدًا.



وفي صحيح مسلم: عن جُنْدَبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ».

وفي صحيح البخاري: عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فَلَانًا؟ قَالَ: «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

وفي صحيح مسلم: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ، وَرَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَيْضٌ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيْرَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».

وأحاديث الحوض متواترة حتى قيل:

مما تواتر حديث من كذب ❀❀ ومن بنى لله بيتًا واحتسب
ورؤية شفاعة الحوض ❀❀ ومسح خفين وهذي بعض

ونؤمن كذلك بالميزان التي توزن فيه أعمال العباد كما تقدمت الآية: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾، فيوزن المؤمن كما في حديث عبد الله بن مسعود: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، هُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»، أخرجه أحمد.

ويوزن الكافر ولا وزن له؛ كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾؛

وفي الصحيحين: عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ لِيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ».

ونؤمن بما أخبر الله عَزَّجَلَّ من خلود المؤمنين في الجنة، قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]، وخلود الكافرين في النار، قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].



ويدخل في ذلك: الإيمان بأن الجنة، والنار موجودتان الآن لا تفنيان أبدًا، ولا تبيدان هذا؛ حيث يقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في أحاديث كثيرة: «**رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ**»، ويقول الله **عَزَّجَلَّ** في وصف الجنة: ﴿**أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾، ويقول في وصف النار: ﴿**أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾.

والجنة سقفها عرش الرحمن؛ كما في صحيح البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَمَا كَانَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**».

والنار في الأرض السفلى؛ كما في حديث البراء عند أحمد نعوذ بالله من شرها.
ومن أصول أهل السنة: الإيمان بالقدر خيره وشره، وأن الخير من الله، والشر من الله خلقه الله **عَزَّجَلَّ** لحكمة.

وأما حديث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي أخرجه مسلم: عن علي ابن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**» فمعناه: الشر لا يرفع إلى الله، أو الشر لا يتقرب به إليك، أو الشر لا يضاف إليك، أو أن الشر بالنسبة لنا شر، وبالنسبة لله **عَزَّجَلَّ** ليس بشر؛ لأنه على مقتضى كلمته وعلمه؛ فإن الله **عَزَّجَلَّ** خلق الخلق على مقتضى علمه، وحكمته، ورأس الشر إبليس، والله **عَزَّجَلَّ** هو الذي خلقه ليبتلي به العباد، فمن أطاع إبليس كان من أهل الشقاوة، ومن عصى إبليس وأطاع الله **عَزَّجَلَّ** كان من أهل السعادة.



ومراتب الإيمان بالقدر أربعة ينبغي علينا أن نحققها على الوجه الذي شرع الله عزَّجَلَّ.

المرتبة الأولى: العلم: وأن الله عزَّجَلَّ بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية من أمور العباد قديمها وحديثها ومستقبلها، قال تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿* وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥١﴾﴾.

المرتبة الثانية: الكتابة، وأن الله عزَّجَلَّ قد كنب مقادير الخلائق؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَرُ قَالَ: فَكُتِبَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَّا أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ». أخرجه أحمد وجاء عند أبي داود عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث عبد الله ابن عمر بن العاص: «كُتِبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». أخرجه مسلم.

وقال الله عزَّجَلَّ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، وقال تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد: ٢٢]، إلى غير ذلك من الأحاديث والآيات الدالة على هذه المرتبة.

والمرتبة الثالثة: المشيئة، وأنه لا يقع في هذا العالم شيء من الخير أو الشر إلا وقد أشاءه الله عزَّجَلَّ، قال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال الله عزَّجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ﴾.

ومن عقيدة المسلمين قاطبة: أنهم يقولون ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.



إلا أننا ينبغي أن نفرق بين المحبة والمشيئة، فليس كل ما شاءه الله **عَزَّوَجَلَّ** يحبه فقد خلق الكفار وهو لا يحبهم وخلق الكفر وهو لا يحبه وخلق المؤمنين وهو يحبهم خلق الكفر وما إليه من المعاصي للإبتلاء، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُفُّوا أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

والمرتبة الرابعة: مرتبة الخلق، وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** خلق العباد وخلق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾. **ومن أصول أهل السنة:** أداء حق الصحابة، والإحترام لهم، والتبجيل لهم، والترضي عليهم، والدعاء لهم، فهؤلاء هم المهاجرين والأنصار، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾.

فمن سبهم، أو كفرهم، كان من الممارقين الخارجين من دين رب العالمين؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، فالله **عَزَّوَجَلَّ** أغاظ بالصحابة الكفار.

وأعلى الصحابة منزلة: أبو بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، كما قال ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: "كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَيَّرَ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**". متفق عليه.



وفي حديث: عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: "أَبُو بَكْرٍ"، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ عُمَرُ"، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: "مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ".

فنقر لهم بالفضل، ونقر لهم بالشكر، وندعوا لهم، وترضى عليهم؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

قال الطحاوي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (وحبهم إيمان، وبغضهم نفاق، وكفر، وطغيان).
وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ» أخرجهم مسلم عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وكلهم عند النصر أنصار، فالمهاجرون ناصروا رسول الله صلى عليه وسلم كما في الآية، والأنصار ناصروا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلا أننا نعتقد أن المهاجرين في الجملة أفضل من الأنصار، ومن أفراد الأنصار من هو أفضل من كثير من أفراد المهاجرين، والله المستعان.

ومن هذا الباب أن لا نخوض في ما جرى بين الصحابة من حروبهم، ومن المشاكل التي وقعت بينهم فهم بشر يخطئون ويصيبون، ولكن الله **عَزَّوَجَلَّ** غفر لهم، وتجاوز عنهم، وعندهم من الحسنات الماحية ما يربوا على ما وقعوا فيه من الخطأ، وربما وقع أحدهم في الخطأ عن اجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ له أجر وإذا أصاب له أجران، كما صح عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

هذا الذي ينبغي، أن نعتقه فيهم، وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأهل بدر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، أخرجهم مسلم عن علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ومن أصول أهل السنة، والجماعة التي تميزهم عن غيرهم أنهم يدعون إلى الألفة، ويحذرون من الفرقة، ويحذرون من البدع، والمحدثات، ويحذرون من الحزبيات، ويحذرون من كل ما خالف الكتاب، والسنة من الديمقراطيات،



والإنتخابات؛ لأنها ليست من دين الله **عَزَّوَجَلَّ** وأدلتهم على ذلك مثل قول الله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا سِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾، قوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. ويقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» أخرجه الحاكم عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ويقول صلى عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَمَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ»، أخرجه أحمد عن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ففي الصحيحين البخاري عن النعمان بن بشير يقول: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عَضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى». ويقول رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا». متفق عليه عن أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

والأحاديث الدالة على وجوب التمسك بالكتاب، والسنة، والبعث عن الحزبيات، والبدع، والخرافات كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، إلا أن أهل السنة يدعون إلى التمسك بطريق النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ظاهرًا وباطنًا في عقائدهم، ومعاملاتهم، وفي جميع أحوالهم.

ومن أصول أهل السنة، وطريقهم: السمع، والطاعة لكل من ولي أمرهم من المسلمين برًا كان، أو فاجرًا لقوله الله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]



وقد أطاع الصحابة رضوان الله عليهم الحجاج بن يوسف، وكان ظالمًا، غاشمًا، وصلى خلفه ابن عمر، وابن مسعود، وصلى خلفه أنس ابن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وصلوا خلف الخوارج الذين قتلوا عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فأهل السنة يرون السمع والطاعة لكل بر وفاجر من المسلمين في طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«إِنَّهَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»** متفق عليه عن علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وإذا أمروا بمخالفة الكتاب، والسنة فلا سمع، ولا طاعة؛ قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»**. أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

والناس في أولياء الأمور ثلاثة أقسام:

الأول: منهم من لا يرى لهم حقًا، ويرى الخروج عليهم، ويتمثلون في هذا الزمن بأصحاب القاعدة، وداعش والرافضة وأصحاب جماعة الفساد، ومن سار على سيرهم من أصحاب الحزبيات

الثاني: أناس يرون السمع لهم، والطاعة في كل ما أمروا به من خيرٍ، وشرٍ من حقٍ، وباطلٍ، وهذا تجاوز وعتداء على دين الله **عَزَّوَجَلَّ** لما تقدم من أن الطاعة في المعروف.

الثالث: طريقة أهل السنة، والجماعة يرون لهم السمع، والطاعة في المعروف، فإن أمروا بطاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** أطاعوهم، وإن أمروا بمعصية الله **عَزَّوَجَلَّ** عصوهم، ولم يطيعوهم في ذلك، ومع ذلك لا يتنازعونهم الأمر ولا يخرجون عليهم بمظاهرات، ولا باعتصمات، ولا بدعوات إلى الخروج، ولا غير ذلك؛ لأن أهل السنة لا يستييحون الدماء إلا بما أباحه الله **عَزَّوَجَلَّ** وأمر الدماء إلى ولي الأمر هو الذي يأمر بالحدود، ويقوم بها إلى غير ذلك من الأمور التي تحتاج إلى سفر مستقل.



وجملة ذلك أيضًا أن طريقة أهل السنة، والجماعة تقديم العلم، والعمل فاهتمامهم بالعلم النافع المأخوذ من كتاب الله، ومن سنة رسول الله صلى عليه وسلم وبهذا سلمت لهم طريقتهم، وعقيدتهم بينما تجد أهل البدع كل يأخذ برأي شيخي، أو برأي علمي من علمائهم، وكل يمشي على طريق.

أما أهل السنة، والجماعة وإن كنا نقدر العلماء، ونعرف لهم حقهم، ومنزلتهم، لكن قد نخالف من لا يوافق الدليل؛ لأنهم قد يجتهدون ويخطئون.

فكم نوافق الإمام أحمد، وكم نخالفه، وكم نوافق الإمام الشافعي وكم نخالفه، وكم نوافق أبا حنيفة وكم نخالفه، وكم نوافق مالك وكم نخالفه فالواجب الأخذ بالدليل

فالأخذ بالدليل هو المتعين على أهل السنة والجماعة، وما سموا بذلك إلا لتعظيمهم لما جاء عن الله **عَزَّوَجَلَّ**، وما جاء عن رسول الله صلى عليه وسلم.

ومن طريقتهم أيضًا التأسى بالنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في أخلاقهم، ودعوتهم إلى ذلك، فيأمرون بصدق الحديث، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ويحذرون من سفاسفها، ومن وقع منه خطأ فخطأه على نفسه أما دين الله معصوم من الخطأ ويدعون إلى التوبة والمبادرة بها.

ولسنا مفوضين في دين الله نتكلم عنه بما نريد، وإنما نتكلم بما تكلم الله به، وبما تكلم به رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وندعوا إلى ذلك والتقصير منا حاصل، ولكن مع ذلك لا يمنع أن ندعوا غيرنا إلى امثال كتاب ربنا، وسنة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

لكن أهل السنة حالهم كما قيل: أهل السنة أولياء الله، وعباد أهل البدعة أعداء الله؛ لأن عباد أهل البدعة تركوا السنة، هجروا طريق النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قديماً قبل



والبدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها
أي لا يوفق للتوبه كما قال الإمام أحمد **رَحْمَةُ اللَّهِ**.
فالتوبة التوبة يا عباد الله، والأخذ بهذا الطريق والتفقه على أهله حتى يسلم لنا
ديننا وتسلم لنا عقيدتنا، وبالله التوفيق.





٤٩ - فائدة: (فريضة زكاة الفطر)

فالمتأمل لشريعة الله **عَزَّوَجَلَّ** يجد أنها شريعة متضمنة لمصالح العبد الدنيوية، والآخروية، ويجد أنها متضمنة لحق الله **عَزَّوَجَلَّ** على عبده، ولحقوق العباد فيما بينهم. ومن ذلك: ما جاء عند أبي داود، وابن ماجه عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ".

وأصح من هذا الحديث الدال على فريضة هذه العبادة؛ ما جاء في الصحيحين: عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ».

وأمر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة وكانوا يؤدونها قبل العيد بيوم أو يومين، وربما جمعها ابن عمر عند بعض من يتولى جمع الصدقات، فإذا كان قبل العيد بيوم، أو يومين دفعها إلى مستحقيها. وأفضل وقتها: أن تؤدى ما بين طلوع فجر يوم العيد إلى أن يخرج الإمام إلى الصلاة، ووقتها الجائز أن تؤدى قبل العيد بيوم، أو يومين وإذا أدت قبل ذلك فهي باطلة، وإنما تحمل على أنها صدقة من الصدقات.

وإذا أخرت إلى بعد صلاة العيد فلا تجزئ وإنما تخرج على أنها صدقة من الصدقات كما في حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، وفي حديث أبي سعيد في الصحيحين: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ، لَمَّا جَعَلَ نِصْفَ الصَّاعِ مِنَ الْحِنْطَةِ، عَدَلَ صَاعٍ مِنْ تَمْرٍ، أَنْكَرَ ذَلِكَ أَبُو سَعِيدٍ، وَقَالَ: لَا أُخْرِجُ فِيهَا إِلَّا الَّذِي كُنْتُ أُخْرِجُ فِي عَهْدِ رَسُولِ



الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ".

وقد قال بعض أهل العلم: قوله: (صاع من طعام) هل هو من العام وما بعده دال على تفاصيله، أم أن الطعام هو الحنطة الذي كان يتقوته الناس في ذلك الزمان. ومن هذا الحديث نأخذ: أن زكاة الفطر يجوز أن تخرج مما يتقوته الناس مما ذكر في الحديث، ومما لم يذكر.

وأما مقدرها فهي على كل صغير، وكبير، ذكر، وأنثى، حر، وعبد من المسلمين، والصاع أربعة أمداد، بمُد الرجل المعتدل، وصاع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** معلوم معروف. وقد قدره شيخنا يحيى حفظه الله بما يوازي خمس علب من علبة الأناناس المعروفة، وقدره بعضهم بما يوازي أربع علب من علبة الشربة التي تسمى الشوفان. وذهب بعض أهل العلم إلى تقديره بالكيلوات تقريباً، وإلا فإن إخراجها بالمد، والصاع هو الأولى؛ إقتداء بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ولأنه أضبط.

فقدر بعضهم التمر بكيло وثمان مائة جرام والأرز باثنين كيلو وخمسة وأربعين جرام، أو نحو ذلك، والبُر باثنين كيلو تقديرات في جملتها عسى أن تفي بالغرض عند من لا يحسن الحساب أما من كانت لديه استطاعة أن يقوم بكيلاها بالصاع، والمد فهو الذي كان على عهد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

ولا يجوز أن تودي زكاة الفطر نقوداً، وإن كان قد ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم إلا أن الصحيح خلاف ذلك، فإن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فرضها من الطعام، وكان الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك.

ولأن إخراجها نقوداً لا يفي بالغرض إذ أن المقصود من هذه الزكاة طعمة للمساكين في ذلك اليوم، والتوسعة عليهم في باب المآكل.



ولأن أخرجها طعامًا فيه إظهار للشعرية في تراحم المسلمين، وتعاطفهم، حيث يرى الإنسان المسلمين في صبيحة يوم العيد وهم يخرجون من بيت إلى بيت يناولون الفقير الطعام الذي أوجبه الله **عَزَّوَجَلَّ** عليهم .

وهذا هو ترجيح شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** وغيره من أهل العلم كشيخنا مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** والشيخ ابن باز وابن عثيمين وشيخنا يحيى الحجوري وغيرهم كثير.

ومصرف زكاة الفطر واحد وهم: الفقراء والمساكين.

ويجوز أن يخرج الإنسان زكاة الفطر مما يُعطى فلو كان فقيرًا وأعطى زكاة جاز له بل وجب أن يخرج زكاة الفطر إن كان عنده ما يزيد على ما يغديه ويعشيه ذلك اليوم، ويجوز للمسلم أن يخرجها مما أعطاه الناس سواء أعطوه هدايا، أو زكاة.

ويجوز أن يُوكَّل الإنسان من يخرج عنه زكاة الفطر إذا كان مشغولاً أو يخشى على نفسه عدم القيام، فيجوز أن يُعطي نقوداً حدهم، والوكيل يشتري بها طعاماً ثم يخرجها، أما من أخرجه نقوداً فالصحيح من أقوال أهل العلم أنها لا تجزئ عنه، وأنها غير مقبولة لأمرين:

الأول؛ لأنه ترك هدي النبي . **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

الثاني؛ أنه جاء بشيءٍ أمر الشارع بخالفه والأموال كانت عندهم ولو أراد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن تخرج نقوداً، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾، والأصل: أن تخرج زكاة الفطر في البلد الذي فيه الإنسان إلا أنه يجوز إذا لم يجد من يحتاج إليها أن يرسلها بها إلى بلد آخر.

والأصل: أن كل مسلم يخرج عن نفسه، فالزوج يخرج عن نفسه، والزوجة تخرج عن نفسها من مال زوجها، أو من مالها، لكن إذا قام رب الأسرة بأداء الزكاة على الجميع فهو أمر حسن ولا محذور فيه.

هذه بعض الأحكام التي تتعلق بهذه العبادة.



وزكاة الفطر متعينه على الجميع إلا من عجز وليس عنده شيء، فعلينا أن نجتهد بإخراج هذه الزكاة التي أوجبها الله **عَزَّوَجَلَّ** لأمرين:

الأول: طهارة إذ ما منا من أحد إلا وقد ألم بخطيئة وذنب ولغو ورفث في هذا الشهر نسأل الله السلامة.

الثاني: طعمة للمساكين وتوسعة عليهم.

ويجوز أن تدفع زكاة الفطر إلى شخص واحد، ويوسع عليه ربما طيلة العام بذلك.

ومسألة قد يقول بعضهم إذا أخرجناها شعيراً، أو نحو ذلك من الأطعمة، لا يستخدمها الناس الآن، أعطوها للدواب، أو ربما لم يأكلوها أقول، نحن غير مخاطبين بأكلهم، أو بعدم أكلهم نحن مخاطبون بإخراجها على ما ذكر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فمن أخرجها من ذلك فحسن، ومن أخرجها أرزاً أو نحو ذلك مما يتعاطاه الناس فحسن.

والأقط الحليب المجفف؛ الذي ذكر في حديث أبي سعيد، وهو من الأمور التي يحتاجها الأبناء الفقراء لأبنائهم، وربما احتاجوها للإتدام بها، ونحو ذلك، ونسأل الله القبول والسداد.





٥٠- فائدة: إن الإنسان بطبيعته خطأ وبيان أحواله مع الخطيئة وطريقة علاجها

الإنسان بطبيعته خطأ إما بقلبه، أو بلسانه، أو بجوارحه، أو بجمعها، ولا يسلم من ذلك إلا من عصمه الله **عَزَّوَجَلَّ**

والذنوب، والمعاصي، والأخطاء حين تتراكم على الإنسان تؤذيه أشد من تكالب الأعداء عليه، ويهزم الإنسان من نفسه أكثر من أن يهزم من غيره، فقد لا يسلط عليك العدو الظاهر إلا بسبب العدو الباطن وهي نفسه وكم كنا نسمع من شيخنا مقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** ما نخاف على دعوتنا إلا من أنفسنا.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، وهذا فقه دقيق يعلمه من بصره الله **عَزَّوَجَلَّ** بعيب نفسه، حتى قال بعض السلف: إني لأعرف خطيئتي في خلق امرأتي، وبعضهم يقول: في خلق دآبتي، فإذا كان طائع لله **عَزَّوَجَلَّ** سخره له دآبته وامرأته على أحسن حال، وإذا وقع في معصية ربما يخرج من بيته، وهو على حال طيب، وما يرجع إلا وقد ضاق الحال بينه وبين أهله، وإذا ركب دآبته نفرت.

قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾

فالمعاصي، والذنوب عدو متربص ملازم للإنسان إلا من رحم الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكثير من الناس قد يستقيم لسانه، ولكن الاعوجاج في قلبه.

وكثير من الناس قد تستقيم جوارحه ويكون الاعوجاج في لسانه.

وكثير من الناس ظاهر لسانه وجوارحه الخير، والفساد في قلبه والله **عَزَّوَجَلَّ** مطلع على السرائر والظواهر، عالم الغيب والشهادة.



قال تعالى: ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

ولو تأملنا ما وقع للصحابة رضوان الله عليهم في غزوة أحد مع كرامتهم، وعلو منزلتهم حيث قتل منهم سبعون، ومثل ببعضهم، وجرح النبي **صلى الله عليه وسلم**، وكسرت رباعيته، وهشم المغفر على رأسه، والسبب؟ ما قال الله **عَزَّوَجَلَّ** ﴿عَصَيْتُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، لم تكن معصيتهم فاحشة، لم تكن معصيتهم أخذ مال الناس بالباطل، لم تكن معصيتهم سب، وشتم، ولعن، لم تكن معصيتهم سماع الأغاني، والمزامير، والدفوف للرجال، ومشاهدة التلافر. لم تكن معصيتهم إختلاطهم بالنساء، وتعاطيهم للشور، والآثام كما هو حال الناس الآن إلا ما رحم ربي وقليل ما هم.

كانت المعصية من بعضهم تأولاً لأمر النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يكونوا في الجبل الذي يسمى بجبل الرماة، وأمرهم أن لا ينزلوا من الجبل، وأن لو تخطفتم الطير، فبينما هم على ذلك الحال إذ رأوا النصر للمسلمين، فأرادوا النزول، فقال لهم أميرهم: ألم يقل رسول الله صلى عليه وسلم كذا، قالوا: الغنيمة الغنيمة، ونزلوا من الجبل فكانت بعد ذلك المعركة على المسلمين بعد إن كانت للمسلمين.

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾: والحس يكون من القفى، كان الكفار قد شردوا هاربين، والمسلمون يتبعونهم بالسيوف، فلما نزل هؤلاء النفر مخالفة لأمر رسول الله صلى عليه وسلم رجع الأمر على المسلمين وقتل سبعون، وحصل ما تقدم ذكره بسبب ما ذكره الله: ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾، فإذا كان الأمر حصل لهؤلاء الكرماء، الفضلاء، الصفوة مع اجتهاد منهم، فكيف بنا ونحن نتعاطى معاصي ظاهرة، من منا يستطيع أن يزكي



نفسه؟ أحسننا حالاً الذي ما يتعاطى الفواحش العظيمة، وربما فسد قلبه بالحسد، والحقد، والغل، والرياء، والعجب، والتطاول، والتفاخر، ورؤية نفسه مصيبة، مصيبة أن الإنسان تذاهبه ذنوبه مصيبة والله لو لم يكن إلا رؤية النفس.

حتى ذكر ابن القيم رحمة الله مثلاً قال: لو أن أحدهم قام الليل، والآخر نائم، ثم أصبح القائم متطاول على النائم لكان نومه أفضل له من قيامه؛ لأن الذي أقامك الله فشكر ربك واحمده على ذلك بترك رؤية النفس، ولا تتطاول على الناس، قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «رُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهْرُ وَالتَّعَبُ».

وهكذا الفخر على الناس من أنت يا أخي وما أنت حتى ترى نفسك بالمرتبة العلية التي لا تبلغ؟ نحن مساكين لولا ستر الله علينا.
وحالنا كما قال الأول:

والله لو علموا بسوء سريري ❀❀ لأبى السلام علي من يلقاني
ولذلك كان من الدعاء؛ «نعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا».

وكم في اللسان من أمراض الغيبة، والنميمة، والكذب، والبهت، الوعد، الخلف، والسب، والشتم، واللعن فكم للسان من ذنوب، ومعاصي تؤدي بالإنسان إلى الموارد، كلمة يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق، والمغرب كلمة.

قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِيَهَا بِلَا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِيَهَا بِلَا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»، أخرجه البخاري عن أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

فكيف بكثرة الكلام إذا كان هذا الحال مع من ذنوبه هذه، فما بالك بساب الله، وساب رسول الله صلى عليه وسلم، وساب دين الله والمستهزئ بحملة الدين فهذا كافر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيْدِيهِمْ وَأَيْتِيهِمْ وَرَسُولِيُّهُمْ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٧﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ



كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ ﴿١٠﴾، أتعظن أن هؤلاء النفر الذين كفرهم الله **عَزَّوَجَلَّ**، وأخبر بحالهم سبوا الله جهازاً كما يفعله بعض الإشتراكية، والبعثية ومن إليهم من الحداثية، والعلمانية، أصحاب القلوب المريضة، والفطر السقيمة؟ لا هل سبوا رسول الله صلى عليه وسلم وتنقصوه ظاهراً كما هو الحال من حيونات الأمة؟ لا، إذا ما الذي حصل منهم حصل منهم أن طعنوا في الصحابة رضوان الله عليهم. بماذا؟ قالوا ما رأينا أسمن بطوناً ولا أجبين عند اللقاء من أصحاب محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فأنزل الله: ﴿قُلْ أَيْلَهُ وَعَآيَتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ﴾، ثم قال: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾، فتاب الله على بعض من تاب توبةً نصوحاً، وعذب الله **عَزَّوَجَلَّ** من مات على ذلك الاعتقاد السيء، الفاسد في صحابة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فإذا سلم الإنسان من لسانه ومن يسلم، إلا من رحم الله.

اللسان آفته آفه للكلام شهوة، كشهوة الطعام، والشراب شهوة، تجد الإنسان إذا قرأ القرآن تعب، وإذا سبح تعب، وإذا حاضر تعب، وإذا نصح تعب، لكن إذا جلس مع واحد في مجلس غيبة ونميمة يمكن ساعة، ساعتين، ثلاث، يجد أن المجلس لذيذ، وأن الوقت ما عليه حسرة، وهكذا نسأل الله السلامة.

وأما الجوارح شرورها كثيرة لا تقل عن سابقتها السرقة، والنهبة، والزنا، واللواط، والربا، والمشى إلى الحرام، وكم لها من المعاصي، والشرور، فإن لم يسلمك الله **عَزَّوَجَلَّ** مُعرض لشرور عظيمة.

فيا عباد الله علينا أن نعالج أنفسنا، فإن الإنسان إذا علم أنه مريض سهل علاجه، وإذا ظن أنه صحيح لم ينفع معه العلاج.

انظر إلى أصحاب الوسواس القهري قل أن يتعالج أحدهم؛ لأنه يرى نفسه عاقلاً، ويرى نفسه أفهم من غيره، ويرى نفسه أنه الكل في الكل، ويأبى العلاج.



شاهدنا من هذا المثل: أن الإنسان إذا علم أنه مريض تعالج، لكن المشكلة الذي لا يعلم أنه مريض، وجمهور الأمة الآن ما يعلم أنه مريض إذا تأملته في شكله، في بيته، في طريقه، في حاله مع نفسه، مع زوجه مع أبنائه، مع جاره، مع أمه، مع أبيه، مع خاله، مع عمه، مع صاحبه، وجدته قد ابتلى بكثير مما يسوء به الحال، وإذا كلمته قال: أنا وأنا، ما يرى لنفسه قصوراً هذه مصيبة، وهذا لم يعلم أنه مريض فكيف يُعالج.

كان في عهد الصحابة رضوان الله عليهم رجل لقي امرأة فقبلها، ثم إنه جاء إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** فقال: أصبت حدًا فأقمه عليّ، يشعر بالهلكة، يشعر بالمصيبة، فعند ذلك قال: له النبي **صلى الله عليه وسلم**: «**صليت معنا؟**» قال نعم.

ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ **صلى الله عليه وسلم**، فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَقْرِبْ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُلْفًا مِنْ آيَلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْ هَذَا؟ قَالَ: «**بِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ**».

هذا رجل عَلمَ أنه أصاب شيئاً يخالف الشرع، فبادر إلى التوبة، والرجوع إلى الله أما جمهور الأمة الآن ما عنده هذا. فياعباد الله نحتاج أن نراجع أنفسنا مع الله، ونعلم أننا نخطيء بالليل، والنهار، والإستمرار عليه خطر.

فالعلاج ما أخبر الله ففي صحيح مسلم: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ **صلى الله عليه وسلم**، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَلَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ



الدُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَعْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»، قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْحَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ.

وقال تعالى ﴿وَلِي لَعْقَارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أِهْتَدَى﴾، فنسأل الله

السلامة والعافية، ونسأله أن يتوب علينا ويجنبنا الشرور والآثام.





٥١ - فائدة: ليلة سبع وعشرين من أرحى ليالي العام أن تكون ليلة القدر.

صح عن معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «ليلة القدر ليلة سبعة وعشرين».

وفي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: "أيكم يذكر الليلة التي كان فيها القمر مثل شق الجفنة"، وكانت ليلة سبعة وعشرين.

وفي حديث أبي بن كعب: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ذكر أن ليلة القدر ليلة سبعة وعشرين، وكان أبي يقسم على ذلك.

وفي حديث ابن عباس: أن أعرابياً قال يارسول الله إني رجل ضعيف فمرني بليلة، فأمره بليلة سبعة وعشرين.

وجاء في حديث ابن عمر: ذكر ليلة سبعة وعشرين.

فالشاهد: أنها ليلة مباركة بأذن الله **عَزَّوَجَلَّ**، وهي أرحى ليالي رمضان في أن تكون ليلة القدر، فمن استطاع أن يعتكف في هذه الليلة فليبادر، ومن استطاع أن يحييها فليبادر، ولا يكسل الإنسان عن طاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** حتى الحُيُض في البيوت ينبغي أن تكثر من الدعاء، والذكر، وقراءة القرآن.

لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقض أهله، وجد، وشد المأزر، هكذا يفرغ الإنسان نفسه لطاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** فقد تستجاب له دعوة، وقد يصلح له حال، وقد يغفر له ذنب، وقد يستر له عيب، وقد يشفى له مريض، وقد يرحم له ميت، وقد يعود له غائب.

فلا غنى لنا عن الله **عَزَّوَجَلَّ** طرفه عين، وإن لم نكن نعاني من مثل ما تقدم فنحن بحاجة إلى مغفرة الله، وإلى رضوانه، وإلى أن يكرمنا الله **عَزَّوَجَلَّ** بدرجات الجنة، وبنعيمها المقيم، فأنصح إخواني جميعاً بالمحافظة على هذه الليلة وما فيها؛ لعل الله



عَزَّوَجَلَّ أن يكرمنا بقيام ليلة القدر، وقبولها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، وإذا قبلت والله هي السعادة، قال تعالى ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

إذا قبل الله منك ركعتين فأنت سعيد، فكيف بليلة القدر التي فيها يفرق كل أمر حكيم، وفيها تنزل ملائكة الله؛ لكثرة الرحمات، والبركات النازله في تلك الليلة. يذكرون في أوصافها بما لم يثبت كما يقول بعضهم: لا يباح فيها كلب، ولا يسقط فيها نجم، وهي ليلة سمحاء.

وقد يجد الإنسان من نفسه علامات في قلبه، حيث يجد خشوعاً، وسكينة، ورقة، وأمور لم يجدها من قبل وذلك أن الملائكة تنزل، والخير حاصل، الملائكة تنزل بكثرة، والخير حاصل، والبركات حاصله، فربما يجد المؤمن بعض الأثر وإن لم تجد ذلك فكونك أقمتها فأنت بخير.

وأما صبيحتها فتصبح الشمس بيضاء لا شعاع لها؛ بسبب تنزل الملائكة، وحصول الخير تصبح كأنها خبزه، فنسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يوفقنا لقيامها، وأن يرزقنا الإخلاص في ذلك، ونسأل الله العون والقبول والسداد.





٥٢ - فائدة: (أحكام وسنن العيدين)

جاء في سنن أبي داود: من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن للكفار عيدين في الجاهلية فأبدل الله **عَزَّوَجَلَّ** المسلمين أفضل منهما عيد الفطر، وعيد الأضحى ولهذين العيدين أحكام ينبغي للمسلم أن يتعلمها ويأتي بها، وأول هذه الأحكام: أن ليس في ديننا غير هذين العيدين سواء في ذلك عيد مولد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أو عيد أول السنة، أو عيد ليلة الإسراء، أو عيد الشعبانية، كل ذلك من البدع المحدثه في دين الله **عَزَّوَجَلَّ** والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، متفق عليه عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

من ذلك: عيد الثورة، وعيد الأم، وعيد الشجرة، وعيد العمال، وغير ذلك من الأعياد التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن أحكام عيد الفطر: أنه يشرع المسلم بالتكبير بانتهاء آخر يوم من رمضان وبغروب شمسهِ؛ لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

فمن تمام شكر الله **عَزَّوَجَلَّ** التكبير، والتعظيم لله **عَزَّوَجَلَّ** عن انتهاء عدة الشهر وينتهي الشهر بأمرين:

الأول: بخروج الهلال وظهوره.

الثاني: بإكمال العدة ثلاثين؛ لقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوماً».

والتكبير لم يثبت عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في شيء في صيغته إلا أن الأحسن ما جاء في الباب عن ابن عباس، وعن ابن مسعود.



أما ما جاء عن ابن مسعود: (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله الا الله، الله أكبر،
الله أكبر، والله الحمد)

وأما ما جاء عن ابن عباس: (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر وأجل).

وهناك ألفاظ جاءت عن السلف غير هذه الألفاظ، فالأمر فيه سعة، من جاء بلفظ التكبير وحده أجزأه، ومن أضاف إليه التهليل، والتحميد فهذا ظاهر القرآن لقوله تعالى ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ويستمر التكبير في عيد الفطر حتى يخرج الإمام، فإذا خرج الإمام انقطع التكبير، وهكذا في صبح هذا اليوم يستحب ويتعين المبادرة بإخراج زكاة الفطر فوقتها الأفضل ما بين الفجر إلى خروج الإمام، ووقتها الجائز قبل العيد بيومين لقول نافع: [وكانوا يخرجونها]، فقد يريد بهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم.

وأن الحديث مرفوع أنهم كانوا يخرجونها قبل العيد بيوم، أو يومين وهذا صنيع ابن عمر أيضًا؛ لأنه كان يعطيها عند الوكيل ثم يقوم بإخراجها وإن أخرجها بعد الصلاة فهي صدقة وليست بزكاة فطر.

ويستحب في صباح ذلك اليوم أن يفطر المسلم على تمرات وتراً.

كما ثبت عن النبي **صلى الله عليه وسلم**: «أنه كان إذا خرج في الفطر أكل تمرات وتراً»، قبل أن يذهب إلى المصلى؛ وذلك حتى لا يلتبس الأمر، ويوصل الصيام، وإن أكل غير ذلك جاز إلا أن هذا سنة النبي **صلى الله عليه وسلم** دليل على عدم الإهتمام بالطعام في ذلك الوقت.

ومن السنة: أن يصلي العيد في المصلى هذا الذي عليه النبي **صلى الله عليه وسلم** والصحابة، والتابعون لهم بإحسان، ولا يصلى في المسجد إلا لحاجة كمطر ونحوه، وإلا فالأصل أن الناس يخرجون إلى المصلى لصلاة العيد.



ويستحب أن يخالف بين الطريق لما ثبت عن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه كان يخالف بين الطريق في ذهابه وإيابه، وقد تكلم العلماء على هذا الأمر فقليل لتكثير السواد، وقيل: لإغاضة المشركين، وقيل: لإظهار الشعيرة، وقيل: لغير ذلك. ولا يصلي قبل العيد ولا بعدها، إلا إذا كانت صلاة العيد في المسجد فيصلي تحية المسجد.

أما أن هناك نافلة قبلية، أو بعدية للعيد فلم يثبت شيء، بل ثبت خلاف ذلك عن ابن عباس، وجابر وعن كثير من أصحاب النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. بل جاء عن ابن عمر أنه كان إذا كان يوم عيد لا يصلي شيئاً حتى يصلي الظهر، وما جاء عن أبي سعيد **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** ويحسنه بعض أهل العلم أنه يستحب أن يصلي إذا رجع إلى بيته ركعتين فالحديث لا يثبت وفي سننه عبدالله بن محمد بن عقيل. وصلاة العيد واجبة على الرجال، والنساء، إلا أن النساء ليس بواجب عليهن الخروج إلى المصلى، وإنما يستحب لهن ذلك، وقد استدل شيخ الإسلام على وجوب صلاة العيد بأنها شعيرة من شعائر الإسلام، وكون النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أمر الحِيض، وذوات الخدور أن يخرجن إلى المصلى، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين.

ووقتها المختار من بعد خروج وقت الكراهة إلى زوال الشمس، أما إذا لم يعلم الناس بالعيد إلا بعد الزوال فإنهم يصلون من الغد.

ففي مسند أحمد بن حنبل: عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ عُمُومَةَ لَهُ شَهِدُوا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُؤْيَةِ الْهَلَالِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُفْطَرُوا، وَأَنْ يَخْرُجُوا إِلَى عِيدِهِمْ مِنَ الْغَدِ».



واختلف أهل العلم في تقديم صلاة الأضحى قليلاً على صلاة الفطر، وقالوا صلاة الفطر تؤخر قليلاً؟ نعم قيل: أن صلاة الفطر تؤخر قليلاً لحاجة الناس لإخراج زكاة الفطر.

وأما في الأضحى فتقدم؛ لأن الناس يتأخرون في الأكل حتى يأكلون من أضحائهم، لكن لم نرَ دليلاً على هذا التفريق، ففي حديث عبد الله ابن بسر أنه أنكر على من يؤخر الصلاة فقال: كنا في هذه الساعة قد انتهينا من صلاة العيد.

وبالنسبة لغسل العيد لم يثبت عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيه شيء، لكن ثبت عن ثلاثة من الصحابة ابن عمر، والسائب، وعلي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** جميعاً. وجاء عن سعيد ابن المسيب أنه قال: من السنة أن يغتسل للعيد فلعله يريد سنة الصحابة رضوان الله عليهم.

فمن اغتسل وتأسى بهؤلاء نفر لا ينكر عليه، ومن لم يغتسل فالغسل ليس بواجب في صلاة العيد، وإنما هو غسل نظافة.

ويستحب في ذلك اليوم: أن يلبس الإنسان الجديد من لباسه، أو أحسن ما لديه. فإن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: "يا رسول الله لو اشتريت حلة عطاردة فتلبسها للعيد، والوفد" متفق عليه.

و بالنسبة لعيد الفطر إذا انتهى الإمام من الصلاة انتهت أحكامه، وأما كيفية الصلاة فيصلح ركعتين يكبر في الأولى سبعاً بتكبير الإحرام على القول الصحيح، ويكبر في الثانية خمساً بغير تكبير الانتقال يقرأ في الأولى بالفاتحة، وسبح، وفي الثانية بالفاتحة، والغاشية.

وجاء عن أبي واقد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه يقرأ بالأولى بـ ﴿قَدْ أَفْرَبَتْ النَّسَاءُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، ويقرأ في الثانية: بـ ﴿أَفْرَبَتْ النَّسَاءُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، أخرجه مسلم.



وليس بين التكبيرات ذكر يؤثر، والقول الذي قلناه في التكبيرات هو الذي عليه الجماهير لما جاء من الأحاديث وإن كان بعضها لا يخلوا من مقالا إلا أنها بمجموعها مع ما في الباب من الآثار يكون العمل بها أقرب من غيرها.

مع أنه قد جاء عن ابن مسعود، وغيره أنه يكبر ثلاث تكبيرات، وبعضهم، لكن الصحيح أن صلاة العيد تختلف عن غيرها من الصلوات بزيادة التكبيرات قبل القراءة، فمن كبر بعد القراءة فقد أساء، ومن صلى بغير تكبيرات فصلاته صحيحه إن كان ناسيا، أو جاهلا فلا شيء عليه، وإن كان متعمداً فقد أساء إذ ترك هدي النبي **صلى الله عليه وسلم**.

وتخرج النساء إلى المصلى استحباباً لا وجوباً ولم أرى من قال بوجوب خروجها ممن يعتد به، وفي الباب آثار عن أبي بكر وعمر أنه قال حقاً على المرأة أن تخرج إلى المصلى، لكن لم تثبت، وأيضاً كلمة حق قد يراد به الحق الواجب، وقد يراد به الحق المستحب، إلا أنها إذا خرجت إلى المصلى ينبغي أن تخرج متجلبيه ومستوره لقول النبي **صلى الله عليه وسلم**: «تلبسها أختها من جلبابها إذا لم يكن لها جلباب»، متفق عليه عن أم عطية **رضي الله عنها**.

وذاوات الحيض تعتزل المصلى وتسمع الخطبة، ولها أن تكبر، وتحمد وغير ذلك مما يقع في ذلك اليوم.

وخطبة العيد واحدة على الصحيح من أقوال أهل العلم كما بينته في كتابي (فتح الحميد المجيد في بيان الراجح في خطبة العيد) يقوم بها الإمام بعد الصلاة، ولم يخالف ويأتي بها قبل الصلاة إلا بعض بني أمية إذ كانوا يقعون في آل بيت النبي **صلى الله عليه وسلم** فينصرف الناس من الخطبة فعند ذلك قدموا الخطبة حتى يضطر الناس إلى شهود الصلاة معهم، وإنما ثبتت الخطبتان في الجمعة عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم**؛ لما ثبت عن ابن عمر عن جابر بن سمرة **رضي الله عنهما**: "أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قام وقعد".



أما في العيد فعود فيها، ولا يخرج فيها بالمنبر بخلاف الإستسقاء، فقد صح عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، كما في حديث عائشه عند أبي داود، وغيره أنه في الإستسقاء أمرهم أن يخرجوا المنبر إلى المصلى، وأما في العيد فيخرج لها بغير منبر واستخدام المنبر كما في حديث أبي سعيد **رضي الله عنه** لها يعتبر من المحدثات. ويصلى العيد بغير آذان، ولا إقامة، ولا الصلاة جامعة، ولا قوموا إلى صلاتكم، ولا شيء من ذلك.

وما اعتاده الناس من المصافحة بعد العيد لم يثبت تخصيصه بذلك اليوم إلا أن المصافحة مطلقاً جائزة من المحدثات تخصيص المقابر في ذلك اليوم بالزيارات ونحو ذلك، فهذا لم يثبت عن النبي **صلى الله عليه وسلم**. ويجوز في ذلك اليوم أن يلعب الصبيان، وأن يتنزه ويعمل شيء من الألعاب المشروعة، وقد لعب الحبشة بين يدي النبي **صلى الله عليه وسلم** في المسجد في ذلك اليوم كما في الصحيحين عن عائشة **رضي الله عنها**.

وجاءت جاريتان عند عائشة تغنيان، وليس بالغناء المعهود الآن كما يفعله الناس بالمزامير والطبول، ونحو ذلك فهذا محرم في العيد وغيره، ولكن غناء النساء بالدف، أو بغير دف قال النبي **صلى الله عليه وسلم** دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيد وهذا عيدنا. إذا اجتمع عيدٌ وجمعة يجوز أن تُصلى الجمعة، بل يستحب في حق الإمام أن يصلبها ففي حديث النعمان بن بشير أن النبي **صلى الله عليه وسلم** كان يقرأ في الجمعة بـ **﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾**، و**﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُشَيْبَةِ﴾**، وإذا اجتمع عيد وجمعه قرأ بهما. أخرجه مسلم.

وأخذ العلماء: أن الإمام الراتب للمسجد ينبغي أن يجمع؛ لقول النبي **صلى الله عليه وسلم**: **«وَأَنَا مُجْمَعُونَ»**، أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس والترمذي عن أبي هريرة **رضي الله عنه**.



وأما غيره فيجوز له أن لا يجمع، لكن هنا مسألة ينبغي التفطن لها؛ لأن بعض أهل العلم قد ذهب إلى أنه لا يصلي الظهر في ذلك اليوم، وهذا قول باطل عقلاً، وشرعاً، أما صلاة الظهر فهي واجبة فلا تسقط فيما أن يصلي المصلي الجمعة مع الناس، وإما أن يصلي ظهرًا إلا أنهم اختلفوا إذا صلى ظهرًا هل يصليها في بيته، أو في المسجد؟ نقول إذا كان هناك مسجد ليس فيه الجمعة وصلوها لا بأس بالجماعة، وإن لم يكن وصل في بيته فذلك جائز فإن عبد الله ابن الزبير صلى بالناس العيد ثم لم يخرج حتى كان صلاة العصر، والله أعلم.

وعندي رسالة بعنوان: (القول السديد في تقريب أحكام العيد) استوعبت أكثر مما ذكرت هنا، ونسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** القبول والسداد، وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.





٥٣- فائدة: (بيان مكر الكفار وطرقهم المتنوعة لإضلال المسلمين)

فإن الكفار لهم طرق كثيرة لإضلال المسلمين، وهذه الطرق تتنوع، يمكرون مكرًا كبيرًا في ثباتهم على كفرهم وفي طعنهم في ديننا الحنيف، وينفقون من أجل هذا الأموال الكثيرة؛ كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

وما تسمعونه من منظماتهم، ومن صليبيهم الأحمر، ومن غير ذلك هو من هذا الباب فيستبشرون إذا دخلوا منطقة، ولو بالصليب يرفرف في بلاد الإسلام. بل قال لي بعض من يعرف حالهم: هم حين يُسْعَفُونَ الجرحى، أو المرضى، أو القتلى، مع حرصهم على إظهار الصليب يرتسم في ذهن الطفل أن هذا الذي انتشل أباه، أو أعان آخاه، أو غير ذلك هو الصليب. وقد كان السلف يتخرجون من رفع أبصارهم إلى الصليب، ولا يُصلون في أثواب فيها صلبان.

بينما تجد الصليب في بلاد المسلمين بدون تخرج إما في سيارات ما يسمى بالصليب الأحمر، أو في ملابس بعض لاعبي كرة القدم، أو حتى في بعض الملابس المستورده، فينبغي أن تزال الصلبات من الملابس وغيرها. وإذا نظرت إلى العلم البريطاني تجد أنه يحتوي على عدة من الصلبان، هكذا علم ألمانيا، وعلم أمريكا وهم بهذا الأمر يتعمدون وضع الصليب كما يتعمد المسلم قول لا إله إلا الله.

وهم موصوفون عند أهل الإسلام بعباد الصليب؛ ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أول ما يقوم به كسر الصليب؛ كما في الصحيحين: عن أبي هريرة قال: قَالَ



رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَصْعَقَ الْجِزْيَةَ، وَيَقْبِضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ».

وقد ذكرت في كتابي: (الزجر والبيان لدعاة التقارب، والحوار بين الأديان): أن من طرقهم في تقارب الأديان ما يسمى بالألعاب الأولمبية وألعاب كرة القدم فلهم نظرتهم بعيدة فهو يعلم أنه إذا قال لك ارتد عن دينك، ما سترتد عن دينك لو أتى إلى أفسق المسلمين سكير، زاني، وقال له إترك الإسلام وادخل في النصرانية لرأى منه ما لا يحمد، ويتنكر له المسلم.

لأن أهل الإسلام يحبون دينهم بغض النظر عما هم عليه من المعاصي، فهم يأتون بفكرة اسمها، الدعوة إلى التعايش وبحمد الله، الإسلام ماهو دين همجية، ولا دين ظلم، ولا دين بغي، الإسلام دين الوسط العدل الخيار مع الموافق، والمخالف، والبر، والفاجر، والمسلم، والكافر، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، فالحوار الصحيح: أن نأخذ ما قال الله **عَزَّجَلَّ** ففي سورة آل عمران قال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

وهذه الآية هي العمدة، والأساس للحوار مع اليهود والنصارى ولا بأس أن يحاورون في غيرها كما وقع من النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حين جاءه اليهود وسألوه عن بعض الأسئلة وحين جاءه نصارى نجران فسألوه عن بعض الأسئلة وهو يجيب عليهم.



لكن أن تنحى هذه الكلمة من الحوار فهذا هو الضرر، فهي العمدة يا أهل الكتاب تريدون الحوار، تريدون الإتفاق، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، (لا إله إلا الله)، فلا عيسى إله ولا عزير إله ولا أحد يعبد من دون الله، ففيها البراءة من الشرك، وفيها الدعوة إلى التوحيد، ثم يضم غيرها إليها.

وفي الصحيحين: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عَلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتَرَدَّ عَلَى فَقْرَانِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كِرَانِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**».

لكن الكفار ما هم حول هذا فجاؤوا إلى مسألة كرة القدم، وحرصوا كل الحرص عليها، وينقلونها من بلد إلى بلد بما يسمى بكأس العالم، وإذا دخل في بلد أفسده؛ لأن عندهم قوانين أن الدولة المستضيفة للعبة كأس العالم لا بد أن تأذن بدخول الخمر، وأن تأذن بالتبرج والسفور، ولا بد أن تكون هناك مسابح عامة، وملاعب عامة، وغير ذلك، قطر لها تبني خمس سنوات للمدينة التي سيقام فيها كأس العالم ما أدري في عام ألفين وكم؟ ألفين وواحد وعشرين أو نحو ذلك بينون خمس سنوات بينون الفنادق والمسابح، والمطاعم، والمداخل، والمخارج ويسمح بالخمر، وبالتبرج والسفور، وما يلحق ذلك من الزنا والخنا والرقص وغير ذلك من البلى.

فلا يظن المسلمون حين يقولون دولة كذا تستضيف كأس العالم أنهم يضيفونها من باب نعش الإقتصاد كم يظنون هم يضيفونها لإفسادها.

وأقبح ما رأينا الآن كرة جعلوا فيها عدة أعلام، ومنها ما يحوي الصليبان، وجعلوا من بين هذه الأعلام علم المملكة العربية السعودية، ومعلوم أن هذا العلم مكتوب فيه كلمة؛ (لا إله إلا الله) فصارت كلمة: (لا إله إلا الله) ممتهنة في كرة القدم، كلمة



التوحيد والإخلاص أفضل كلمة قيلت، والكلمة التي أرسلت بها الرسل، وأنزلت بها الكتب، وشرع من أجلها الجهاد، وزخرفت لأهلها الجنان، وأعدت لمن خالف طريقها النيران، توضع في كرة بجانب الصليب، الإخلاص بجانب الشرك، والإسلام بجانب الكفر، هذا والله منظر يبكي القلوب السليمة، والفطر المستقيمة.

ولا يظن ظآن أن هذا الأمر عفوي، هو مقصود من مقاصد الكفار حين يضعون كلمة؛ (لا إله إلا الله) بجانب الصليب لو لم يكن إلا أن يروض قلب المسلم على قبول إمتهان كلمة (لا إله إلا الله).

فينبغي أن تُعَظَم أسماء الله، وصفاته **عَزَّوَجَلَّ**، وأن ترفع، وأن تصان عن الإمتهان، ما بالك بوضعها في كرة يرميها الناس بأرجلهم، وربما وبلا شك وقع منهم الإساءة العظيمة التي لو تعمدوا أحدهم كفر بغض النظر عن الإعتقاد. فلو تعمد أحد امتهان اسم الله **عَزَّوَجَلَّ** يكفر، اعتقد ذلك أم لم يعتقد.





٥٤- فائدة: (دعاء دخول المسجد)

جاء من حديث: أَبِي حُمَيْدٍ، أَوْ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ». أخرجه مسلم.

هذا الحديث من الأذكار التي يحتاجها المسلم إذ أنه يأتي المسجد في يومه، وليلته خمس مرات، فيحتاج أن يدعو بهذا الدعاء خمس مرات، وهو دعاء مبارك حين يدخل الإنسان بيت الله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، ورحمة الله **عَزَّوَجَلَّ** واسعة. كما قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩٧﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾، فأنت تدعو الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يفتح لك أبواب الرحمة، وأبواب الرحمة كثيرة، كل عمل صالح يقربك إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** فهو من أبواب الرحمة.

وكل عمل سيء يبعدك من الله **عَزَّوَجَلَّ** فهو من أبواب العذاب. فأنت تدع الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يفتح لك أبواب الرحمة فتح الله أبواب رحمته لك بهدايتك إلى الخير، وتوفيقك للصالح، وتوفيقك للصيام، وتوفيقك للحج، وتوفيقك للزكاة، ويسر لك بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران. ويسر لك صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالوعد، ومحبة الخير للمسلمين، وسلامة الصدر، فأنت في خير عظيم، فكل هذا من رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ** بعباده أن يهبى له أبواب الخير، والصالح، وأنت حين تقول: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، هذا لفظ يشمل ما يتعلق بالأمور المعنوية من أمور الإسلام، والإيمان، والإحسان، ويدخل في ذلك أيضًا ما يشمل الأمور الدنيوية التي هي موافقة لمرضات الله **عَزَّوَجَلَّ**.



فالفقر شديد على الإنسان، والحاجة، والقلة، وهكذا كثرة الأعداء، وأذية الأبناء، ولكن حين تقول: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، قد يصلح لك الذرية الجار، المعاش، وجميع شؤونك.

لأن مقتضى الرحمة أن يتنعم الإنسان دينياً، ودنيوياً، مع أن النعيم الديني أولى وأحرى أن يتنافس فيه، وناسب أن يقول: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، وهو داخل إلى المسجد؛ لأنه سيقدم على عبادة، ودعاء، وغير ذلك من الأمور فلعل الله أن يستجيب له، وأن يتقبل منه، وأن يقبل دعاء الملائكة فيه: (اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم صلي عليه) وهو في مجلسه الذي صلى فيه، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، فذكر في الملاء الأعلى، وتجاوز عن السيئات الماضية، وتوفيق للأعمال الباقية.

ثم إذا خرج من المسجد قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»؛ لأن الخارج من المسجد قد يرجع إلى بيته، أو يذهب إلى سوقه، وعمله، وبهذا يعلم الإنسان أن ليس له من الأمر شيء، والأمر كله لله، والفضل له وحده **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى**، الفضل الكامل المطلق، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾.

فأنت حين تخرج وتقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ» أي: من رزقك الطيب الحلال، من فضلك من الطعام، من فضلك من الملبوس، من فضلك ممن أجالس، وما أخالط، حتى يدخل فيه طلب الزوجة الصالحة، والولد الصالح، والرزق الصالح، والجيرة الصالحة، وجميع ما يتعلق بفضل الله، وإحسانه لعباده.



فهذا الحديث ينبغي أن لا يهمل؛ لأن الشيطان قد يأتينا عند الدخول، وعند الخروج، وينسينا هذا الدعاء.

وقال النبي الله صلى عليه وسلم: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَبِيَّ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا».

وهناك دعاء جاء عند أبي داود، وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا دخل المسجد قال: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ رَبِّيَ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَاحِوَلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: كُفَيْتَ وَوُقِيْتَ»، والحمد لله رب العالمين.





٥٥- فائدة (الخاتمة الحسنة والاستمرار في الخير بعد رمضان)

يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾، ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

فآيات الله **عَزَّوَجَلَّ** الدالة على عظمته وعجيب تصرفه في الكون كثيرة ومنها: أن الشهر يبدأ ثم ينتهي، والعام يبدأ ثم ينتهي، واليوم يبدأ ثم ينتهي، والحياة تبدأ ثم تنتهي، وهكذا يسير الناس، وتسير المخلوقات إلى أجلها.

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ سواء كان في ذلك بداية الليالي والأيام، أو بداية الشهور والأعوام، أو جنس الإنسان، أو جنس الحيوان حتى الحياة الدنيا في آخرها سيأتيها الأجل، وتنتهي إلى حياة أخرى ليس لها انتهاء، فإذا كان هذا هو الحال فعلى الإنسان أن يتعظ من تعاقب الليالي، والأيام والشهور، والأعوام.

انظر إلى القمر يبدأ هلالاً، ثم يعظم حتى يكون بدرًا منيرًا، ثم يصغر ويصغر حتى يعود كالعرجون القديم، فهكذا الإنسان يخرج من بطن أمه ضعيفًا، ثم يكبر، فإذا كمل بدأ في التقهقر حتى يرجع كما بدأ، ثم إلى الموت.

كما قال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا الْإِنْسَانَ بِرَأْسِهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِضْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]

وقال تعالى ﴿* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]

وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»، أخرجه مسلم

عن جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



والنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**»، فالسبيل للإستفادة من هذه الحياة أن يكون آخر العمل صالحًا، نعم كلما كان الإنسان صالحًا في جميع أحواله، وأطواره هذا أفضل بلا شك، لكن إن عجز، أو فرط فلا أقل من أن يختم له بالعمل الصالح؛ لأنه إذا ختم له بالعمل الصالح تجاوز الله **عَزَّوَجَلَّ** عما سلف لاسيما إذا اقترنت به التوبة، قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴿٧٥﴾ **وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا** ﴿٧٦﴾.

فلنحرص على أن تكون النهاية طيبة لأنفسنا وغيرنا، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ** **أَمَلَتْكُمْ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٣٢].

وأما إذا كان آخر العمل سيء فهو نذير شؤم لصاحبه لاسيما إذا كان شركًا، أو نفاقًا، أو ما في باهما؛ لأن الحياة الآخرة تسوء، قال تعالى: ﴿**وَتَذُقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [النحل: ٩٤].

فيا أيها الأخوة بدأ الشهر، ونحن نظنه طويلًا، ثم انتهى رمضان ورأيناه قصيرًا، وهكذا العمر حين يعيش الإنسان يرى أنه أمامه عمر طويل ستين سنة، خمسين سنة، سبعين سنة أقل، أكثر.

لكن في الوقت الذي يقرب من النهاية يعرف أن هذا العمر لم يكن شيئًا يستحضر ماذا قدم، ماذا عمل، ماذا فعل يجد أنه كان على تفريط المجتهد عنده قصور فما بالك بالمضيع بالكلية.

ومن هنا نقول للمسلم الذي وفقه الله في رمضان بشيء من الصلاة، والصيام، والقيام، وحضور الجمعة، والجماعات أن يستمر على ما هو عليه لا يخرج رمضان، ويترك العبادة والطاعة، والمسارة، فإننا لا نعبد رمضان العبادة هي لرب رمضان **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وهو حي لا يموت، وقيوم لا ينام.



فلنستمر في الخير، ولنستمر في بذل المعروف من التوحيد فما دونه، وليكن انتهاء رمضان انطلاقه إلى حياة سعيدة بالعلم والعمل؛ لأن رمضان مع الصيام قد يشغل الإنسان عن كثير من الأعمال، لكن إذا انتهى رمضان علينا أن نشمر إلى طاعة الملك الديان **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فطلاب العلم يقبلون على الحفظ، والدروس، والمراجعة، والدعوة، وغيرهم مُطالب بذلك يُقبل على الخير الذي كان يعمله في رمضان ويستمر. وأساء الأحوال في كل هذا أن كثيراً ممن كان يصلي في رمضان يترك الصلاة بعد رمضان، لأنه يخرج به من الإسلام إلى الكفر، ومن طريق أهل السعادة إلى طريق أهل الشقاوة، ومن أسباب الخلود في الجنة إلى أسباب الخلود في النار، قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرَكَ الصَّلَاةَ»**.

وقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»**.

فيا أيها المسلم اتق الله في نفسك واحرص على ما ينفعك، والمسلم والمؤمن كيس فطن أي: أنه عاقل يتفطن لما ينفعه، والله المستعان.





٥٦- فائدة (التوبة)

كانت النصيحة عند استقبال رمضان: أن نستقبله بالتوبة، والإستغفار؛ لما في ذلك من التجاوز عن السيئات، والزلات، ولما في ذلك من رفع الدرجات، ولما في ذلك من العون من الله **عَزَّوَجَلَّ** على الطاعات فلا تجلب الحسنة بمثل الحسنه، ولا تدفع السيئة بمثل الحسنه.

ومن أعظم الحسنات، وأوجبها: التوبة فهي واجبة في كل حين لا يخصصها وقت من الأوقات.

وفي حديث أبي موسى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»، أخرجه مسلم

وهذا من رحمة الله بعباده؛ لأن الناس يقع منهم الزلل، والمعصية، والمخالفة، وترك الطاعة، إلى غير ذلك فتعين عليهم الرجوع إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بالتوبة، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ ولهذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستغفر الله في اليوم أكثر من مائة مرة، وفي رواية أكثر من سبعين مرة.

بل في حديث ابن عمر كنا نعد له في المسجد الواحد: «**ربي اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**» أكثر من مائة مرة.

في مجلس واحد مائة مرة يتوب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** مع أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لكن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشرع للأمة أن تكثر من التوبة، والإستغفار.

ولهذا شرع لنا دبر كل صلاة أن تقول استغفر الله ثلاثاً، وشرع بعد الحج أن، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾

[البقرة: ١٩٩]، وشرع بعد الجلوس في المجلس:



«سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»، وكم هي الألفاظ التي تحدث بها التوبة

فالتوبة أمرها عظيم فإنها تصقل القلوب من الذنوب وهي كفارة لما قبلها إذا صدق فيها التائب، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلِيَّ لَغْفَارٍ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾، فتحصل المغفرة لمن تاب توبة نصوحًا، وكان مؤمنًا، وكان مبادرًا إلى العمل الصالح.

وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وهذا من تمام النعمة على العبد أن الله يغفر الذنب الأول ويبدل السيئة بالحسنة، وهذا منة من الكريم المنان **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهذه الآية نزلة في قوم رأوا أن لا توبة لهم. كما في حديث ابن عباس: "أن أناسًا من أهل الشرك، كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فاتوا محمدًا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾، ونزل: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾". أخرجه مسلم.

فكل ذنب يغفره الله **عَزَّوَجَلَّ** إذا صدق الإنسان في توبته، ورجوعه إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** انظر إلى نبي الله إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَام** مع إسماعيل في مكة يعمران البيت العتيق ومع ذلك؛ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ



عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٨﴾، فيدعون الله **عَزَّوَجَلَّ** بالتوبة، فنحن أحرى، ونحن نعاشر الشرور، في البيوت، والمراكب، والطرق، وفي كل مكان.

و من دعاء النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه يكون تواباً، قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي **مِنَ التَّوَّابِينَ**»، فلم يقل: اللهم اجعلني تائباً أو اجعلني أتوب، بل اجعلني من التوابين. ولذلك ذكر شيخ الإسلام رحمة الله أنه يجب على العبد أموراً:

الأول: فعل المأمور.

الثاني: ترك المحذور.

والثالث: الصبر على المقدور.

والرابع: الإستغفار.

من لازم هذه الأربع الأمور نال سعادة الدارين.

انظر إلى سورة هود من أولها إلى آخرها حين يذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** حال الأنبياء يذكر، معهم دعوتهم إلى الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾، هذا قول نبينا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

ثم قول هود **عَلَيْهِ السَّلَام**: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾.

وذكر الله عن نوح **عَلَيْهِ السَّلَام**: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٢﴾ يُرْسِلِ

السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٣﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٤﴾﴾.

وهكذا يذكر عن صالح، وشعيب، وكل نبي يأمر قومه بالإستغفار، والتوبة إلى

الملك الغفار **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فوالله يا أخوة نحتاج إلى هذا الأمر لاسيما ونحن في خاتمة هذه العبادة لعل الله

أن يتجاوز عنا الزلل في هذا الشهر الكريم، ولعل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يتجاوز عن ضعفنا،



وتقصيرنا في عدم الإتيان بالصيام كما شرع وأمر، وإنما بقدر المستطاع، ونسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** القبول.

وكم نتذمر من قلة ذات اليد، أو المصائب، التي تصيب الإنسان فنستغفر الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». أخرجه الترمذي.

فالله **عَزَّوَجَلَّ** غفور رحيم أسمه الغفور، والغفار، والغافر، ثلاثة أسماء دالة على صفة واحدة فالغفار دال على المبالغة في مغفرة الذنوب، وستر الغيوب، فعلى الإنسان أن يتوب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** من أي ذنب وفي كل حين وإذا أحس العبد في نفسه أنه لا يحتاج إلى توبة فهذه ذنب في حد ذاته يحتاج أن يتوب منه، وكون الإنسان يؤخر التوبة هذا ذنب يحتاج إلى توبة.

وذكر ابن القيم، وابن تيمية: أن كثيراً من الناس قد تقع منهم التوبة من الذنوب وتبقى عليهم معرفة الذنب؛ لأنه لم يتب من تسويف التوبة، ولهذا قال يحتاج إلى توبة عامة تقضي على جميع الذنوب، والسيئات، والزلات. فهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الكريم المنان، الرحيم، الرحمن.

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ **عَزَّوَجَلَّ**، قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَدْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَدْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَدْنَبَ



عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَذْرِي أَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ: «اعْمَلْ مَا شِئْتَ».

أخرجه مسلم عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وليس معنى ذلك: أن الإنسان يتلاعب بالتوبة، لا، هذا العبد الذي ذكر عبداً، راجعاً، تواباً، ربما غلبته نفسه، وهواء، والشيطان ثم أتى بالتوبة بشروطها وأركانها فيتوب الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه، ثم يعاود الذنب فيتوب الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه.

وقد ذكر أهل العلم في معنى قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَأْتِيهَا الذِّبْتُ ءَامِنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾.

أن الإنسان لا يعود إلى الذنب، وهذا قد يتعذر، لكن التوبة النصوحه هي المستوفاه، لشروطها، وأركانها:

الأول: الأخلص لله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لأن التوبة عباده، ولا يقبل الله **عَزَّوَجَلَّ** من العبادات إلا ما كان خالصاً لوجه.

الثاني: أن تكون في زمن تقبل فيه التوبة، وهي منقسمة إلى قسمين:

١- زمن خاص.

٢- زمن عام.

أما الخاص؛ فهي توبة العبد ما لم يغرغر؛ قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ». أخرجه الترمذي عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وأما العام؛ فهو طلوع الشمس من مغربها من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه.

الثالث: الإقلاع عن الذنب فلا يصلح أن يقول الإنسان أنا تائب وهو ملازم للذنب ومعاقر له.



الرابع: الندم على فعل الذنب فلا توبة مع الفرح بالذنب الذي عصى الله **عَزَّوَجَلَّ**

به .

الخامس: العزم على عدم العودة إلى الذنب.

بقي التوبة في حقوق العباد وشرطها سادس إضافة إلى ما تقدم وهو رد الحقوق إلى أصحابها؛ فإن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ فِي دَمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ عَرَضٍ فَلْيَأْتِهِ فَلْيَسْتَحِلِّ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ يَوْمٌ لَيْسَ فِيهِ دَرَهْمٌ وَلَا دِينَارٌ إِلَّا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، فَإِنْ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ وَإِلَّا أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ يُلْقَى فِي النَّارِ**». أخرجه البخاري عن أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

وإن كان الرجل مبتدعاً وجب عليه إضافة إلى الخمسة الشروط ما في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا**﴾.

الإصلاح من البدعة التي هو عليها والبيان أنه كان على ضلال، وعلى خطر، وإن كان الذنب نفاقاً فشروطه مع ما تقدم ما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَأَعْتَصَمُوا بِإِلَهِهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ**﴾، وإن كانت التوبة من الكفر، فقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ**﴾.

والصحيح من أقوال أهل العلم: أن التوبة تصح من الزنديق، والمنافق، والساحر، وغير ذلك خلافاً لما ذكره بعض أهل العلم من عدم صحتها منهم، ومن أتى بها على أوجهها، وشرطها فهي صحيحة مقبولة، والحمد لله رب العالمين.





٥٧- فائدة (عشر مقومات للدعاة إلى الله تعالى)

نتواصلى بتقوى الله **عَزَّوَجَلَّ** وطاعته فإنها وصية الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَأَيُّ قَاتِلُونَ﴾ [سورة البقرة ٤١]. وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [سورة آل عمران ٥٠].

وتقوى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وطاعته تكون على وفق ما شرع الله **عَزَّوَجَلَّ** في كتابه أو فيما أوحاه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إلى رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة آل عمران ١٣٢]، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة النساء ٦٩].

فعلينا بهذا الأمر الذي هو الفوز العظيم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب ٧١].

والذي به العز والتمكين: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [سورة فاطر ١٠]، فالعزة في طاعة الله وفي متابعة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون ٨].

ثم إن هذا الطريق الذي هو طريق الله الذي هدى الله **عَزَّوَجَلَّ** إليه من شاء من عباده: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾ [سورة الفاتحة: ٦-٥].

ويحتاج سالك هذا الطريق إلى أمور:

الأول: أن يعمل بما شرع الله **عَزَّوَجَلَّ** وأن يكون منقاداً لله قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء ٦٥].



الثاني: المتابعة لرسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران ٣١].

الثالث: عدم الافتئات والمخالفة لمنهج السلف الصالح قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء ١١٥].

الرابع: طلب العلم النافع حتى يعمل بمرضاة الله وعلى وفق شرع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه ١١٤]، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة ١١].

الخامس: العمل بما تعلم حتى لا يكون العلم حجة عليه كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا يَتَّبِعُ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الجمعة ٥].

وكما وصف الله **عَزَّوَجَلَّ** غير العامل بأنه كالكلب: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [سورة الأعراف ١٧٦]، فلا بد للساير إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** الجمع بين الطريقتين.

١- العلم.

٢- والعمل.

العلم؛ حتى يرفع الجهل عن نفسه، والعمل؛ حتى يكون منقادًا لشرع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [سورة التوبة ١٠٥]، فالله **عَزَّوَجَلَّ** أمرنا بالعمل وهو ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا؛ كما في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال:



قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، أخرجه مسلم.

وفي حديث أبي مالك الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» أخرجه مسلم
حجة لك: إن عملت به.
وحجة عليك: إن ضيعته.

السادس: نحتاج إلى أن ندعو إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** فإن الدعوة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** واجبة على قدر المستطاع: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»، أخرجه مسلم عن أبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.
فأضعف الإيمان أن تعلم المنكر وتنكره بقلبك، وتغيير المنكر وإنكاره وبذل النصيحة كله من الدعوة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**.

والدعوة تكون بالحكمة، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل ١٢٥].
والحكمة: ما وافق الكتاب والسنة.

وتكون ببصيرة وعلم، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف ١٠٨].
وتكون بما ثبت عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ ففي حديث أبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً». أخرجه مسلم.

والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعث البعوث وبعث السرايا وجاءته الوفود لطلب العلم وبثه بعد ذلك.



فلنسلك هذا السبيل بتعلم قول الله وقول رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وما سار عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم؛ ثم نسعى في تعليم غيرنا ودعوتهم سواء كان الغير من الكفار كاليهود والنصارى ومن إليهم أو من المبتدعة فكلهم يدعون إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهكذا عصاة المسلمين يدعون إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والمستقيمون يُدعون إلى كتاب ربنا وسنة نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيحتاجون إلى التذكير وإلى الموعظة وإلى العلم، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ**﴾ [سورة الحديد ١٦].
فهذه الآية نزلت في صحابة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأمرهم الله **عَزَّوَجَلَّ** بالتذكر والتدبر والتعقل والعلم إلى غير ذلك.

ثم إن الذي يميز أهل السنة والجماعة على غيرهم من الطوائف أنهم يتميزون بتحصيل علم كتاب الله وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والعمل بهما ويسعون في تبليغهما كما شرع الله **عَزَّوَجَلَّ** وكما جاء عن رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وكما جاء وما أجمع عليه السلف الصالح.

السابع: ينبغي لمن سلك هذا السبيل أن يعود نفسه الصبر على ما يلاقيه من الأذى وغيره سواء كانت الأذى قولية أو فعلية، فالله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿**كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾ [آتَوْا صَوًّا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ ﴿٥٢﴾] [سورة الذاريات: ٥٣-٥٤]، ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿**وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ**﴾ [سورة الطور ٤٨].

ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿**وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**﴾ [سورة المزمل ١٠]،
ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿**وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ [سورة النحل ١٢٧]، ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿**وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّاكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾**﴾ [سورة الحجر: ٩٩-٩٧].



فنحتاج إلى أن نصبر على ما نلاقي سواءً كان ذلك الصبر على الطاعة فلا نضيعها لثقل فيها إن شعرنا في ذلك، مع أن الله قد خفف عنا ورفع عنا الأصار والأغلال.

ونحتاج إلى أن نصبر على طلب العلم وتحصيله وحفظه وتدوينه.

ونحتاج أن نصبر عن معاصي الله **عَزَّجَلَّ** التي هي من ملذات الدنيا الفانية؛ ففي حديث أنس بن مالك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»**.

ونحتاج أن نصبر على أقدار الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** التي تقع على العباد من المصائب وغير ذلك.

والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: **«وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»**، أخرجه مسلم عن أبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: **«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ»**. أخرجه مسلم عن صهيب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فيا أيها المسلم عود نفسك على الصبر على ما تلاقي في هذه الدنيا إن وجدت حمدًا وذكراً وثناءً وراحةً، فاحمد الله هو الذي يسر لك ذلك قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي يُسِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾** [سورة يونس ٢٢].

والفرح بفضل الله تعالى على العباد من علم وصحة وعمل ودعوة قال تعالى: **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [سورة يونس ٥٨].



وإن وجدت غير ذلك فاعلم أنه: «ما يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أذى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»، أخرجہ مسلم عن أبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فإن سجنتم فقد أرادوا سجن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وإن قتلت فقد قتل الأنبياء، قال تعالى: ﴿فَفَرِّقِنَا كَذِبَتَهُ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة ٨٧]، وإن تسب فقد سب غيرك، ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا...؟!.

وقبل ذلك قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾ [سورة الأنفال ٣٠]، إن شردت من بلدك فقد أخرج رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فهو القائل: «والله كولا أن أهلك أنخرجوني ما خرجت، وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلي».

الثامن: نحتاج إلى أن نتخلق بالقرآن وبسنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من صدق الحديث وحسن الخلق والرفق بالناس والتؤدة والسكينة والحلم والأناة وعدم الطيش وعدم الشدة على الناس وجملة ذلك سلوك سبيل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. نحتاج إلى أن نتخلق بأخلاق النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في السخط والرضا وفي الشدة والرخاء وفي السراء والضراء وفي السفر والحضر.

فإن أهل السنة والجماعة هم صفوة المجتمعات وخيرة الأمة بل وبقيتها الصالحة، فإذا ضيعوا هذا الباب فمن له...؟!.

وإذا لم يتخلقوا بالرفق واللين والتؤدة والسكينة ومحبة الخير للمسلمين وأن يرفق بعضهم ببعض مع تمييزهم عن المعاصي والسيئات وعن البدع والخرافات. ولا يلزم من التخلق بأخلاق رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** التميع بل والله في أخلاق رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غاية التمييز عن الباطل وأهله.



وغاية الرفعة والعزة في عزة الإسلام قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَيْبُلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَبْرُكُ اللهُ بَيْنَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يَذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»، أخرجه أحمد عن تميم الداري **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

وأنتم في بلاد كفر، نسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يحفظكم وجميع أهل الإسلام تحتاجون إلى أن تظهروا الإسلام بأجمل صورة وأحسن ما هو عليه حتى يكون دعوة لشر البرية أو لمن أراد منهم الخيرية لعلهم حين يرون الخلق الحسن والسمت الحسن والعمل الحسن وصدق الحديث وأداء الأمانة وإحسان أن يعرفوا أن هذا الإسلام هو دين الحق وهو دين الكمال، قال تعالى: ﴿**أَيُّومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [سورة المائدة 3].

هو دين المحبة لمن أطاع الله وأطاع رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ كما قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ يَغِيبُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**»، والمحبة في الله شأنها عظيم.

التاسع: علينا بالإستمرار والمداوة على الخير الذي علمناه لا نقطع عنه، فالإستقامة ليست يوم ولا شهر ولا سنة ولا عشر سنوات، الإستقامة مطلوبة حتى نصل إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** قال تعالى: ﴿**فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ** وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة فصلت 6].

نحتاج أن نستقيم على شرع الله **عَزَّوَجَلَّ** وعلى دين الله **عَزَّوَجَلَّ** حتى نصل إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ ولهذا فرض الله علينا في كل صلاة أن نقول: ﴿**أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾، وجوبًا، ونسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** التوفيق والسداد على هذا الطريق حتى نلقى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.



والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يقول: «يا مَثَبَاتِ الْقُلُوبِ بَثَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، ويقول: «يَا مُصَرِّفِ الْقُلُوبِ بَثَّتْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ»، وقال ربنا **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة آل عمران ٨]، فالإنسان يدعو ربه بالثبات ويوسف عليه الصلوة والسلام أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة يوسف ١٠١].

فعلينا بالاستقامة حتى نلقى الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ونسأل الله الثبات عليها؛ لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «منهم يعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» ويقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الأعمال بالحوادث»، ويقول رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ».

العاشر: وآخر ما نذكره في هذه الجلسة الإستغفار والتوبة والإنابة فإنه يحصل من العبد من الزلل؛ فإن كان الذنب فيما بينه وبين الله فيستغفر الله **عَزَّ وَجَلَّ** ويعزم على ألا يعود إليه ويقلع عنه، وإن كان الذنب حق آدمي يزيد إلى ذلك: التسامح والتحلل. وإن كان الذنب بدعة عليه أن يزيد إلى هذه الشروط: التخلص منها والبيان، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة ١٦٠].

وإن كان الذنب نفاقاً نعوذ بالله من ذلك فعليه أن يخلص الله **عَزَّ وَجَلَّ** ويعتصم به مع ما تقدم من الشروط، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء ١٤٦].



وإن كان الذنب كفرًا فلايمان، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنفال ٣٨].

فعلينا بالتوبة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بتحقيق شروطها كما هي موجودة في الكتاب والسنة، وعلينا بكثرة الإستغفار؛ فإن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»، وفي رواية: «سبعين مرة»، وكان إذا انتهى من الصلاة قال: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ».

وأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** إذا انتهوا من الحج أن يقولوا: "أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ".

ودعوة الرسل جاءت بالإستغفار قال الله تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود ٥٢].

وبملازمة ما ذكرنا التي نرجو أن يكون عليها مدار صلاح الدنيا والدين ينتفع الإنسان في الدنيا والآخرة ويصلح حاله وتصلح دعوته.

ونسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** لنا ولكم القبول والسداد والتوفيق والرشاد، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

وأن يبلغنا وإياكم سبيل مرضاته وأن يجعلنا من الدعاة إلى كتابه وإلى سنة نبيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأن يرزقنا الرفق والحلم والأناة والتميز والثبات على الأمر حتى نلقاه.

وسبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.





الفهرس

فتح المجيد بيان هداية القرآن إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد ٥

- المقدمة ٥
- أنواع الهداية ومعناها ١٦
- الهداية والإضلال من الله عز وجل ١٨
- الدعاء بالهداية ٢٢
- فضل الدلالة والإرشاد إلى الهدى والخير ٢٧
- بيان قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ٢٨
- حجية السنة ٣٠
- الإيمان بالله عز وجل أفضل الأعمال ٣٣
- أركان الإيمان بالله عز وجل: ٣٤
- الأول: هداية القرآن إلى وجود الله عز وجل ٣٥
- معنى أخذ الميثاق من بني آدم ٣٧
- الثاني: هداية القرآن إلى توحيد الربوبية واستدلاله به على توحيد الألوهية ٥٠
- العلاقة بين توحيد الربوبية والألوهية ٥٦
- دلالة العقل على أن الخالق للعالم واحد ٥٩
- هدي القرآن إلى شروط لا إله إلا الله ٦٣
- معنى لا إله إلا الله ٦٥
- فصل في بيان وجوب تحقيق كلمة التوحيد لفظاً ومعنى ٦٧
- بعض شبه عباد القبور ٧٠
- أسماء كلمة (لا إله إلا الله) ٧٩
- نواقض ٧٩
- حال أصحاب التوحيد وأصحاب الشرك والتنديد ٨٢



- ضرب الله عز وجل للأمثال لبيان عظم التوحيد وخطر الشرك ٨٩
- هداية القرآن إلى توحيد الألوهية بتفصيل أنواع العبادة ٩٥
- الأول: الدعاء ٩٥
- أقسام الدعاء في القرآن ١٠١
- هداية القرآن إلى آداب الدعاء ١٠٣
- الثاني: الخوف ١٠٧
- أقسام الخوف ١٠٨
- الثالث: الرجاء ١٠٨
- الرابع: الخشية ١١٠
- الخامس: الإنابة ١١١
- السادس: الرهبة والرغبة ١١٢
- السابع: الإخلاص ١١٣
- الثامن: المحبة ١١٦
- التاسع: الشكر ١١٧
- العاشر: الصلاة ١٢٤
- الحادي عشر: الذبح ١٢٥
- الثاني عشر: النذر ١٢٦
- هداية القرآن في الحكم بما أنزل الله عز وجل ١٢٨
- فضل التوحيد ١٤٢
- فصل: خطر الشرك ١٥١
- فصل: تفصيل بعض أنواع الشرك المنتشرة ١٥٩
- هداية القرآن بأن أعظم الشرك هو التعلق بغير الله عز وجل في جلب المنافع ودفع المضار ١٦٢
- حكم تعليق التماثيل ١٦٨
- أقسام التعلق بغير الله سبحانه وتعالى ١٧٣



- هداية القرآن ببيان أن دعاء غير الله عز وجل شرك أكبر مخرج من الملة ١٧٧
- هداية القرآن بتحريم الذبح لغير الله عز وجل ١٧٩
- هداية القرآن في بيان خطر السحر ١٨١
- هداية القرآن في بيان زيف ادعاء الكفار أن وحي الله إلى الرسل سحر ١٨٧
- هداية القرآن في ردّ النعمة إلى الله عز وجل ١٩١
- هداية القرآن إلى ترك التطير ١٩٤
- هداية القرآن في بيان الرياء والتحذير منه ١٩٩
- هداية القرآن في باب النجوم ٢٠٣
- الشفاعة ٢١٠
- خاتمة الفصل ٢١٨
- هداية القرآن في سد ذرائع الشرك والبدع والمعاصي ٢٢٠
- أولاً: سد ذريعة الغلو ٢٢٠
- بعض شمائل وخصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٢٨
- ثانياً: سدّ ذريعة اتباع الهوى ٢٣٦
- ثالثاً: من سدّ ذرائع الشرك تقديم النقل على العقل ٢٤٠
- رابعاً: سد ذريعة تشييد القبور واتخاذها مساجد ٢٤٢
- خامساً: سد ذريعة الشرك بالنهي عن العصية ٢٥٤
- سادساً: سد ذريعة الشرك بالنهي عن مودة الكفار ٢٥٥
- سابعاً: سد ذريعة الشرك بعبادة الله في أماكن عبادة المشركين ٢٥٥
- ثامناً: سد ذريعة الشرك بتحريم التقليد ٢٥٦
- تاسعاً: سد ذريعة الشرك بالنهي عن القياس الفاسد ٢٥٧
- عاشراً: سد ذريعة الشرك بالنهي عن القول على الله بلا علم ٢٥٨
- الحادي عشر: سد ذريعة الشرك بالنهي عن الجهل ٢٦٠
- الثاني عشر: سد ذريعة الشرك بالأمر بالهجرة ٢٦٣



- الثالث عشر: سد ذرائع الشرك عن مجالسة الكافرين ٢٧١
- الرابع عشر: تصحيح الألفاظ سداً لذريعة الشرك ٢٧٣
- هداية القرآن للتي هي أقوم في باب الأسماء والصفات ٢٧٥
- إجمال مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات ٢٨٨
- مذاهب أهل البدع في باب الأسماء والصفات ٢٩٢
- ذكر الأسماء التسعة والتسعين التي أرجو أن من أحصاها دخل الجنة ٢٩٨
- باب الصفات ٣١٤
- الأولى: صفة الوجه لله ٣١٤
- الثانية: إثبات النفس لله ٣١٧
- الثالثة: صفة اليدين لله ٣١٩
- الرابعة: صفة الساق لله ٣٢٢
- الخامسة: صفة الكلام لله ٣٢٤
- السادسة: صفة العلو والاستواء على العرش والنزول وبيان معنى المعية ٣٢٨
- السابعة: صفات الأفعال ٣٣٧
- طرق المبتدعة في نفي الصفات ٣٤٣
- الإيمان بالنزول والإتيان والمجيء ٣٤٥
- الثامنة: صفة العينين، وإثبات السمع والبصر والرؤية ٣٤٦
- والله عز وجل يُرى يوم القيامة، ولا يُرى في الدنيا ٣٤٧
- التاسعة: وصف الله عز وجل بالمكر، والكيد، والاستهزاء، والمخادعة، في حال المقابلة ٣٤٩
- الحادي عشرة: الصفات المنفية ٣٥٤
- رؤية المؤمنين للجبار في المحشر ودار القرار ٣٥٩**
- المقدمة ٣٥٩
- مذاهب الناس في رؤية الجبار سبحانه وتعالى ٣٦٣
- فصل البيان لما أخذ الناس في هذا الباب ٣٦٥



- والتصويب لطريقة السلف وما عليه طريقة الخلف من التلبس والبهتان ٣٦٥
- باب ذكر الأدلة على رؤية المؤمنين لربهم عز وجل في عرصات القيامة ٣٧١
- باب كلام الله عز وجل لأهل الموقف ولقائه بهم ٣٨٢
- وهل يرى الكفار الله عز وجل ٣٨٢
- الأدلة العقلية على إثبات الرؤية: ٤١٠
- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»: ٤١٢
- هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه: ٤١٥
- باب كون رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا منامية ٤٢١
- باب سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ربه لذة النظر إلى وجهه الكريم ٤٢٢
- باب رؤية المؤمنين ربهم في الجنة ٤٢٣
- باب كون الله عز وجل يراه المؤمنون يوم القيامة من غير إحاطة لعظمته سبحانه ٤٢٦
- فصل بعض نصوص العلماء في إثبات هذه العقيدة السلفية ٤٢٨
- المنحرفون في باب رؤية الله عز وجل ٤٣٠
- باب في ذكر تجلي الله عز وجل للجبل عند كلامه لموسى عَلَيْهِ السَّلَام ٤٣٢
- شبهات المخالفين ٤٣٣
- الشبهة الأولى: ٤٣٣
- الشبهة الثانية: ٤٣٥
- الشبهة الثالثة: ٤٣٦
- الشبهة الرابعة: ٤٣٧
- الشبهة الخامسة: ٤٤٠
- الأشاعرة والرؤية ٤٤٥
- فصل رؤية الله في المنام ٤٥٠
- المقالات المفيدة في التوحيد والفقه والأخلاق والعقيدة ٤٥٧**
- المقدمة ٤٥٧



- ١- (النصيحة الهندية بملازمة توحيد رب البرية) ٤٥٨
- ٢- (فائدة عن استقبال شهر رمضان) ٤٦٤
- ٣- فائدة عن حديث: (إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وصدفت الشياطين) ٤٦٦
- ٤- الوصية من الشيخ لاغتنام شهر رمضان ٤٦٧
- ٥- فائدة عن حديث عند الترمذي وغيره: (إذا كان أول ليلة من رمضان) ٤٦٩
- ٦- فائدة عن حديث عند مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي ٤٧٣
- ٧- (فائدة عن حديث عائشة رضي الله عنها في الدعاء عند إدراك ليلة القدر) ... ٤٧٨
- ٨- فائدة عن حديث أبي موسى الأشعري عند مسلم: (إن الله يبسط يده) ٤٨١
- ٩- (حكم تناول الطعام أو الشراب مع أذان المؤذن للفجر) ٤٨٣
- ١٠- فائدة عن حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد: (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش) ٤٨٥
- ١١- فائدة عن حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه عند ابن ماجه: (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً) ٤٨٨
- ١٢- فائدة عن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند البخاري: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله) ٤٩١
- ١٣- فائدة في فضيلة الذكر قبل الدعاء ٤٩٤
- ١٤- فائدة عن الأذكار ٤٩٧
- ١٥- فائدة عن نظرة الناس إلى الجمال أو المال أو قوة البدن وغير ذلك مما يتفاخرون به ٥٠١
- ١٦- فائدة في تصحيح الألفاظ والتحلي بالألفاظ الشرعية ٥٠٦
- ١٧- فائدة عن الريح التي تقدم إلى جهة صلاة والمهرة بعد ما أصابت سقطرى ٥٠٩
- ١٨- فائدة عن أهمية مسائل الإيمان وبيان الشرك بالله ٥١٢



- ١٩- فائدة عن تطبيق السنة في قيام رمضان كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم ٥١٧
- ٢٠- فائدة عن التفاضل في الآيات والسور القرآنية وفي الأسماء والصفات الإلهية. ٥٢١
- ٢١- فائدة عن رؤية الله في الآخرة ٥٢٨
- ٢٢- فائدة عن بيان بعض أهم أسباب الرزق ٥٣٣
- ٢٣- فائدة: بيان أهمية الصلاة ٥٣٨
- ٢٤- فائدة: (بيان حال المؤمن والمنافق المعرض مع وحي الله تعالى) ٥٤٢
- ٢٥- فائدة عن: الإيمان باليوم الآخر ٥٤٦
- ٢٦- فائدة: الموت في الأيام أو الأماكن الفاضلة. ٥٥٤
- ٢٧- فائدة عن: عقيدة أهل السنة في الجنة والنار على أنهما موجودتان الآن ٥٥٨
- ٢٨- فائدة: إن الشيء إذا اكتمل بدأ في النقصان ٥٦٠
- ٢٩- فائدة عن: الاستعاذة بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال ٥٦٣
- ٣٠- فائدة عن: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من شر قلبي، وشر سمعي، وشر بصري، وشر لساني، وشر مني» ٥٧٢
- ٣١- فائدة عن: مثل من القرآن الكريم للعبارة ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية [التحریم ١٠-١٢]. ٥٧٧
- ٣٢- فائدة عن حديث أنس بن مالك عند أبي داود في ذكر الله عز وجل ٥٨٠
- ٣٣- فائدة عن الآية: ﴿وَيَلْبُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ٥٨٢
- ٣٤- فائدة عن: حال الدنيا عند نفس النار في الصيف والشتاء وبيان بعض نعيم الجنة ٥٨٥
- ٣٥- فائدة من: خصائص أهل السنة على حرصهم على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والفعل والإعتقاد وبيان مختصر صفة الصلاة ٥٩٠
- ٣٦- فائدة عن: ملازمة الطاعة حتى يأتي اليقين ٥٩٧



- ٣٧- فائدة عن: العبر في قصة غزوة الحديبية..... ٦٠١
- ٣٨- فائدة: بيان أماني أهل الكتاب اليهود والنصارى وبعض دعاويهم الباطلة... ٦٠٦
- ٣٩- فائدة: (أهمية الدعاء على الله بالدعاء) ٦١١
- ٤٠- فائدة: الاقوال السديدة في وجوب تعلم العقيدة ٦١٦
- المقدمة ٦١٦
- ٤١- (الأسباب المعينة على الطاعات والقربات كثيرة) ٦١٨
- ٤٢- (حكم مس وتلاوة القرآن للجنب والحائض) ٦٢١
- ٤٣- (بعض فضائل وبركات إجتماعات أهل السنة والمحاضرات) ٦٢٥
- ٤٤- فائدة عن: بيان ليلة القدر وهي ليلة مباركة ٦٢٨
- ٤٥- فائدة: بيان أن العمرة في رمضان تعدل حجة ٦٣٢
- ٤٦- فائده المسارعه في الخيرات ٦٣٩
- ٤٧- فائدة حديث (جَتَّتَانِ مِنْ فَضَّةٍ، آنَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا...) ٦٤٣
- ٤٨- فائدة: (مختصر أصول أهل السنة والجماعة) ٦٥٠
- ٤٩- فائدة: (فرضية زكاة الفطر) ٦٧١
- ٥٠- فائدة: إن الإنسان بطبيعته خطاء وبيان أحواله مع الخطيئة وطريقة علاجها .. ٦٧٥
- ٥١- فائدة: ليلة سبع وعشرين من أرجى ليالي العام أن تكون ليلة القدر. ٦٨١
- ٥٢- فائدة: (أحكام وسنن العيدين) ٦٨٣
- ٥٣- فائدة: (بيان مكر الكفار وطرقهم المتنوعة لإضلال المسلمين) ٦٩٠
- ٥٤- فائدة: (دعاء دخول المسجد) ٦٩٤
- ٥٥- فائدة (الخاتمة الحسنة والاستمرار في الخير بعد رمضان) ٦٩٧
- ٥٦- فائدة (التوبة) ٧٠٠
- ٥٧- فائدة (عشر مقومات للدعاة إلى الله تعالى) ٧٠٦



الفهرس ٧١٥